99

~~585~~

BULAO

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تفسير سورة الاعراف مكية

روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد
وقتادة وروي ايضا عن ابن عباس انها مكية الا خمس ايات اولها وسئلهم عن القرية
وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات في سورة الاعراف مدنية اولها وسئلهم
عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك وهي مائتان وست ايات
وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة واربعة الاف حرف وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص وقال ابن عباس معناه انا الله افصل
وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسماء الله
تعالى وقال قتادة المص من اسماء القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض
اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف
والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة
استاثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي
حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة
في اوايل السورة في اول سورة البقرة وقوله كتاب انزل اليك يعني هذا كتاب انزله الله اليك
يا محمد وهو القران يعني انزلنا اليك الكتاب لتنذر به يا محمد فلا يكن في صدرك حرج منه يعني فلا
يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى
للمومنين يعني ولتذكر وتعظ به المومنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلنه
اليك لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان
الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتباع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من القران من ربكم الذي فيه الهدى والنور
والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت
اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها بنحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما اتى به
النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا

ومعنى الاية

BULAC

اللهم صل على سيدنا محمد و آله

وعن الآية أن الله لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالإنذار بقوله لتنذر به فكأن معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فيقول لهم اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وقيل خطاب للكفار اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه أولياء معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم إلى الشرك والكفر أولياء فتتبعونهم والمعنى ولا تتولوا من دونه من أكابر الأنصار والحرفاء وتركوا عبادة الأصنام واتباع البدع والأهواء الفاسدة قليلا ما تذكرون بمعنى ما تتعظون إلا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية أهلكناها لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالإنذار والإبلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزل إليهم حذرهم نقمته وبأسه إن لم يتبعوا ما أمر به بذكر هذه الآية على سبيل التهديد والوعيد فقال تعالى وكم من قرية أهلكناها فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لأن المقصود بالإهلاك القرية وقيل ليس فيه حذف لأن إهلاك القرية إهلاك أهلها جميعا. فجاءها بأسنا يعني عذابنا إما ليلا يعني البيات وهو العذاب إنما يكون في الإهلاك فكيف قال أهلكناها فجاءها بأسنا فليلا معناه وكم من قرية حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا وقال البراء إن الإهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعجبني ما حدث إلي من بكر الأحسان قبل العطاء والمراد وقوعهما معا وقال غيره لا مرية في قوله أعجبني ما حدث إلي وأحدث إلي فأعجبني إلى فيكون أحدهما بدلا من الآخر بيانا يعني فجاءها بأسنا ليلا قبل أن يصبحوا أو هم قائلون القيلولة وهي نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقعين ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية أنه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم آمارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتحويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا بإمهالنا إياكم والراحة فإن عذاب الله إذا نزل نزل دفعة واحدة. فما كان دعويهم يعني فما كان دعاء أهل القرية التي جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الدعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعويهم فيها سبحانك اللهم. إذ جاءهم بأسنا يعني عذابنا. إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين يعني أنهم اعترفوا بالعذاب حين وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية ولا خير لا ينفع الاعتراف. فلنسئلن الذين أرسل إليهم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يعني فنسئل الامم الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل ولنسئلن المرسلين
يعني ولنسئلن الرسل الذين ارسلت الى الامم هل بلغتم رسالاتي وأديتم الى الامم ما امرتم
بتأديته اليهم فصح به ذلك قال ابن عباس يعني بهذه الاية يسئل الله الناس عما اجابوا
المرسلين ويسئل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال توضع الكتابة يوم القيامة و
يتكلم بما كانوا يعملون وقال السدي يسئل الامم ما عملوا فيما جاءتهم به الرسل ويسئل الرسل
هل بلغوا ما ارسلوا به قلت فما وجه قلت فد اجيب عنه بالاية الاولى بانهم عتموا على انفسهم
بالظلم بقوله انا كنا ظالمين فما بالهم اجابوا هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت
لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين فضحوا يوم القيامة فلم يسئلوا بعد ذلك سبب هذا الكلم والتغيير والمقصود
وهذا التفريع والتوبيخ فان قلت ما فائدة سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا
رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل
فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليهم من الامم
انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتفريع والتوبيخ
للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك حزنهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى
فلنقصن عليهم بعلم. يعني فلنخبرن الرسل اليهم والذين ارسلوا اليهم بعلم بغير بما عملوا في الدنيا وما
كنا غائبين يعني عنهم وعن اعمالهم وعن ان يبلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت
كيف الجمع بين قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما
كنا غائبين واذا كان عالما بما يدور في هذا السؤال قلت فائدة سؤال الامم والرسل مع علم
سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتفريع للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ
في المقصود واما سؤال الشئ بشاد والاستثبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء
قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها وهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بها واحد لا تتغير
كعلمه بها كلها فوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو
يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن القضاء ومعنى الحق العدل وذهب
جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل يخلق ميزانا له
لسانا وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب فان قيل ورد في الحديث انه ورد عليه
السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الله تعالى ربه اراك بيضا كفتيه حسنات فقال

يا داود

ملاتهما

يا داود اذا رضيت عن عبدي ملأتهما بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة
فيقول له ربه عز وجل زن بينهم وزد بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم
من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فرد على سيئات الظالم فيرجع
الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة
في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من
خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى
اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحفظة الموكلين بني آدم من غير جواز النسيان
عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال
المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
فينشر له تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا
اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان
لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي واحمد بن حبان وقال
ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة في صورة حسنة وبالاعمال السيئة في صورة قبيحة فتوضع
في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله
في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انه توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند
الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص
في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه
والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم
بحقيقة ذلك وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده

فما وجه الجمع وأجيب عنه بأن العرب قد توقع بعض الجمع على الواحد وقيل إنه يوضع
لكل عبد ميزان وقيل إنما جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يجتمع
الوزن إلا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزور يعني رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التي
لها وزر وقدر ما وليدهم للجلود يعني هم الناجون غدا والعابرون ثواب الله وجنته ومرفقت
موازينه يعني موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله ما وليدهم الذين خسروا أنفسهم يعني غبنوا
أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا بآياتنا يظلمون يعني لتكذيبهم ذلك
الخسران الذي كانوا يجحدون الله وأدلة توحيده يجحدون ولا يغفرون بها روى عن أبي بكر الصديق
أنه حين حضره الموت قال بوجنته لعمر بن الخطاب إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه اليوم
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما
خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعه الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق
لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا قوله عز وجل ولقد مكناكم في الأرض يعني
ولقد مكناكم أيها الناس في الأرض وأقدرناكم التمكين وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا
وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع
التي تحصل بها الأرزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على تقدير أحد بما ما أنعم الله به على
عباده من الزرع والثمار وأنواع المآكل والمشارب وألفاظ ما يتحصل من المكاسب والأرباح أنواع
التجارات والصنائع وكل التقدير في الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وإنعامه وإقداره وتمكينه
لعباده وذلك فشت بذلك أن جميع معايش العالم إنعام الله تعالى على عباده وكثرة المنافع توجب
الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى أنه مع هذا الإفضال على عباده وإنعامه عليهم
ما يفعلون بشكر كما ينبغي فقال تعالى قليلا ما تشكرون يعني على ما صنعت إليكم وأنعمت به عليكم
وفيه دليل على أنه قد يشكر كما أن الإنسان قد يذكر نعمة الله فيشكر عليها فلا يخلو أحد
بعض الأوقات من الشكر على النعم وخفة الشكر تصور النعمة وإظهارها وتضادها الكفر
وهو نسيان النعمة وستها قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم أيها
الناس لما صور بعد الخطاب وقد تردد بين الخبر والإنشاء ثم صورناكم بإدخال التاء صورا
مخلوقة بما قلنا على هذا التعبير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي
أن الأمر بالسجود للآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لأن كلمة ثم

على منقالة لأبي بكر لعمر
رضي الله عنهما
فيه

المترجم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

للتراخي ومعلوم أن الأمر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه السلام قبل خلق ذريته
قلت يحتمل ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم أنا قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر
على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا
قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين
القولين إنما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أو لأنه أبو البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه
وقيل إن الخلق والتصوير يرجع إلى آدم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا
بخلقه ثم صورناكم يعني آدم صوره من طين ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يعني بعد
إكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وأنه كان على سبيل التحية
والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة
وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بأمر الله تعالى وهل كان هذا الأمر بالسجود لجميع الملائكة
أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى فسجدوا يعني الملائكة إلا إبليس يعني فسجد
الملائكة لآدم إلا إبليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الآية يدل على أن إبليس كان من الملائكة لأن
الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول إن إبليس لم يكن من الملائكة لأنه خلق من نار والملائكة من نور
وإنما استثناه من الملائكة لأنه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله عنه أنه لم
يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثناه منهم قوله عز وجل قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك
يعني قال الله عز وجل لإبليس أي شيء منعك من السجود لآدم إذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون
كلمة لا في قوله ألا تسجد صلة زائدة وإنما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو كقوله
لا أقسم أي أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل الكتاب
أي ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والأكثرين وقيل إن كلمة لا هنا
على أصلها مفيدة وليست بزائدة لأنه لا يجوز أن يقال إن كلمة من كتاب الله زائدة أو لا معنى لها
وعلى هذا القول حكى الواحدي عن أحمد بن يحيى أن لا في هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا لأن معنى
قوله ما منعك ألا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر
عن الفراء وقال الطبري في ذلك الصواب أن يقال إن في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود
فأحوجك ألا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الإمام فخر الدين

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الرازي عن القاضي ذكر الله المنع وأراد الداعي وكأنه قال ما دعاك إلا أن تسجد لما منعك
الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الذي إليها فإن قلت
لم سأله عن المانع من السجود وهو عالم به قلت للتوبيخ والتقريع له وإظهار
معائدته وبغيه وافتخاره بأصله وحسبه، الخ، ولذلك لم يثبت منه قال بعض
إبليس مجيبا لله عما سأله عنه، أنا خير منه، فإن قلت فولد أنا خير منه
ليس بجواب عما سأله عنه، فوله ما منعك أن تسجد لم يجب بما منعه من السجود وإنما كان
ينبغي له أن يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه قلت استأنف
فصدا خبر مبتدأ محذوف تقديره بل الفضل على إذ وبيان دليل على موضع الجواب وهو
قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين والنور وأنا فاضل أنا خير منه
لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه بضلا وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو
النار على الطين الذي خلق منه، إذ لم يجهل عدو الله إبليس وجه الحق وأخطأ
كل بين الصواب كما من المعلوم أن مرجع النار الخفة والطيش والارتفاع والانضراب
وهذا الذي حمل الخبيث إبليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق
على الاستكبار على السجود، الخ، عليه الصلاة والاستخفاف بما ورد به، ذلك
العجب والضلال ومن المعلوم أن مرجع الطين الرزانة والأناة والصبر والحلم
والحياء والتثبت وهذا كما قال الداعي، الخ، عليه الصلاة مع السعادة التي سبقت له من
الله تعالى في الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة
ولذلك كما الحسن وابن سيرين يقولان ولو فاخر إبليس فاخر وقال إبليس لما رأى أن
النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ورأى
أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وأن الأفضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الأصل والجوهر
وأيضا الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الله وليس الخبيث خير من الكافر
القرشي والله تعالى خص صفيه، إذ عليه الصلاة بأشياء لم يخص بها غيره وهي أنه خلقه
بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وأورثه الاجتباء
والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خصه به، إذ عليه الصلاة للعناية التي سبقت له في القدم
وأورث إبليس كبرة اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم، فوله تعالى

فاهبط

فال فما يكون لي أن أتكبر فيها. يعني فيليس لك أن تستكبر في الجنة عن أمر ربك لأنه لا ينبغي أن يتكبر في الجنة أو في السماء. متكبر مخالف لله والله عز وجل قد ما يعم الجنة والسماء. قد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهي الكفار الذين كانوا في الأرض. فما خرج إذا من الصاغرين يعني إذا من الأذلاء. الصغار والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله إبليس فابتلاه الله بالصغار والذلة. وقيل كان له ملك الأرض فأخرجه الله منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرش عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفا كعيشة السارق مثل يشخص عليه أحمار ثم تبزغ فيها حتى يخرج منها. قال. يعني قال إبليس عند ذلك. أنظرني. يعني أخرني وأمهلني ولا تمتني. إلى يوم يبعثون. يعني يوم القيامة وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا جهالة الخبيث إبليس لأنه سأل ربه الإمهال وقد علم أنه لا يسأل لأحد من خلق الله إلى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب إلى ما سأل بل. قال الله له. إنك من المنظرين. يعني من الموخرين المؤجلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة بسورة الحجر فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين تموت الخلق كلهم فإن قلت ما وجه قوله إنك من المنظرين وليس أحد بمنظر سوا، قلت معناه أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بما جاء به هو منه. قال. يعني إبليس فبما أغويتني. يعني فبأي شيء أضللتني. فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل هي باء القسم تقديره فبإغوائك إياي وقيل معناه فيما أوقعت بي فلبي العين الذي كان سبب هبوطي الأرض من السماء. لأقعدن لهم صراطك المستقيم. يعني لأجلسن على صراطك الذي هو طريق الإسلام. وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بأن أوسوس لهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم. وقيل المراد بالصراط المستقيم ههنا مكة يعني لمتعبي من الحج. وقيل المراد به الحق. والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع. ومعنى الآية لأصدنهم عن دينك وطاعتك ولأغوينهم ولأضلنهم

بنبغي

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

معنى هذا الحديث

بالكمال

حدثنا عمر بن براء العاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الشيطان قعد لابن آدم بأكمأته فقعد له بكمأة الإسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك
وآبائك آبائك فعصاه وأسلم وقعد له بكمأة الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك
وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر فقعد له بكمأة الجهاد فقال
تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد
فقال فمن فعل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ومن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته
دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو خرجه النسائي وهو لفظ إحدى روايتي أحمد إبليس
لم يأتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس من بين أيديهم
يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن أيمانهم
فأشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم فأشهي لهم المعاصي وإنما جعل الآخرة من بين أيديهم
وهذا القول لأنهم مشغولون بها وصائرون إليها فعلى هذا الاعتبار والدنيا خلفهم
لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم
يعني أزينها لهم فلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم
من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وإنما جعل الدنيا من بين أيديهم وهذا القول
لأن الإنسان يبصرها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي
خلفه وقال الحسن بن عتبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فأزينها لهم ومن خلفهم من قبل
الآخرة فأثبطهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم من
قبل الباطل فأزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار
ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها
وعن شمائلهم من قبل السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه
لم يأتك من فوقك ولم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين
أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا
أنهم يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون
ومن قبل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يعملون فيها خيرا ومن خلفهم يعني ما مضى من
أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم يعني من قبل الغنى فلا يتصدقون ولا يشكرون

الحليم

ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه قال شقيق البلخي
ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمائلي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل
شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر
هذه الجهات الاربع انما اريد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم
وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة
لجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني آدم
شاكرين لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين
فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت
قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على
المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة
وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله
اعلم بمراده قوله عز وجل قال اخرج منها يعني قال الله لابليس حين طرده عن جنابه
وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها
العصاة مذءوما يعني معيبا والذأم اشد العيب مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال
ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا ممقوتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة
ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني آدم لاملأن جهنم منكم اجمعين لام القسم اقسم
الله ان من تبع ابليس من بني آدم واطاعه ان يملأ جهنم منه وممن كفر من بني آدم وابليس
وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى وينادي اسكن انت وزوجك الجنة وقلنا ينادي اسكن انت
وزوجك الجنة يعني حواء وذلك بعد ان هبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة
فكلا من حيث شئتما يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت قال في
سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو
تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت

والذأم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

المعنى بالواو ولا مناقضة بين النوع والجنس بعني سورة البقرة ذكر الجنس وهناك ذكر النوع وبالقرب
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تعقيب سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى
قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس إليهما والوسوسة حديث يلقيه
الشيطان في قلب الإنسان يقال وسوس إذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي
ومعنى وسوس لهما بعمل الوسوسة وألقاها إليهما فإن قلت كيف وسوس إليهما
وآدم وحواء في الجنة والبليس مذ أخرج منها قلت ذكر الماوردي في الجواب عن
هذا السؤال من وجهين أنه قال كان يوسوس به من الأرض إلى السماء إلى الجنة بالقوة التي
جعلها الله له وقال يوسوسة إلى صفائي بل كان آدم وإبليس في الجنة كما كان هذه الجنة
كانت بعض جنات الأرض والذي يقوله بعض الناس أن إبليس دخل في جوف الحية بعد خلقه
الحية في الجنة فقصته مشهورة وكيفية وقال ما نهاكما ربكما إلا وحواء ما نهاهما إلا
وكان إبليس واقفا مع خازن الجنة على بابها فقرب أحدهما الآخر فحصلت الوسوسة هناك
فإن قلت إن آدم عليه السلام فقد عرف ما بينه وبين إبليس من العداوة فكيف قبل قوله
قلت يحتمل أن يقال إن إبليس لعنه الله قد رأى الكثير وزعم أنه أكل هذه الشجرة
بكثير فيكثر منها قيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فلأجل
هذه المواضعة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام إبليس في آدم حتى أكل من الشجرة
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله
ما ووري مأخوذ من الوارات وهي الشعر يقال واريته بمعنى سترته والسوءة ترجع إلى جل
والمرة تسمى بذلك لما تظهر يقبح الإنسان وفيه الآية دليل على أن كشف العورة من المنكرات
المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يقصد بالوسوسة
ظهور عوراتهما وإنما كان قصده أن يحملهما على المعصية فيكون عاقبة أمرهما أن تبدو عوراتهما
وقال يعني وقال إبليس لآدم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة يعني عن الأكل
من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين يعني إنما نهيكما عن هذه الشجرة
لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلما الخير والشر وتكونا من البالغين الذين لا يموتون وإنما أطمع إبليس
آدم بهذا لأنه علم أن الملائكة ليس لهم شهوة والذي يرغب فيما يستلذ من المأكل آدم وأنه أراد أنه يعيش
مع الملائكة لكون أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون وإذا قلت ظاهر الآية

يحمل

النبي صلى على نبينا محمد وآله وسلم

الملائكة

يدل على ان الملك افضل من الانبياء لان آدم عليه السلام كملف ان يكون من الملائكة وهذا
يدل على فضلهم عليه **قلت** ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه
السلام لما كلف ان يكون من الملائكة كان ذلك الكلف قبل ان يشرفه بالنبوة وكانت هذه الواقعة
قبل نبوته **وآدم** فكلف ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة
وقعت بعد زمان النبوة بعد ان شرفه الله بها انما كلف ان يكون من الملائكة لكون الملائكة
افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه كلف اما ان يكون من الملائكة لكون الملائكة
افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل او ان يكون من الخالدين الذين لا يموتون ابدا **وقوله تعالى**
وقاسمهما اي وأقسم وحلف لهما وهذا من المجاملة
التي تختص بالواحد انه لكما من الناصحين **قال** قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما
وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعوني ارشدكما **وقال**
بعض العلماء من خادعنا بالله خدعناه **وادلاهما بغرور** يعني خدعهما بغرور **يقال**
ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف القول باطل **قال** الازهري
واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوصفت التدلية موضع
الطمع فيما لا مادة فيه **والغرور** اصغاء النفس مع ابطان الغش وهو ان ابليس حلف لهما حتى استزلهما
الخاطئة الى حالة المعصية لان الذي لا يكون الا مرة على الندور **ومعنى الآية** ان ابليس عز وجل
بالغ في الكاذبين وكان وجد يكثر ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس اول من حلف بالله كاذبا
فلما حلف ابليس كذلك ظن انه صادق فاغتر به **فلما ذاقا الشجرة** يعني طعما من الشجرة
وفيه دليل على انهما تناولا من البعض من ذلك فقد اقدما على معصية كثيرة لان الذنوب تدل على الاكل البعض
بدت لهما سوآتهما يعني ظهرت لهما عوراتهما **قال** ابن عباس اخذتهما
العقوبة والعقوبة اربعة وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى بصر كل واحد
منهما ما كان مستورا عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك **وقال** وهب كان لباسهما من النور ترى بها
عورة هذا وما هذا عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما **وقال** قتادة
كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب انكشف عنه وبدت سوآته **وطفقا** يعني اخذا وجعلا
يخصفان عليهما من ورق الجنة يعني انهما لما بدت سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما
من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب **وقال** الزجاج جعلا ورقة على ورقة
ليستترا سوآتهما **وفي** الآية دليل على ان كشف العورة مما يرى فيه المرء انما بدا لهما

الحكم لما حرم رسول الله صلى الله
على من كان بعده

الى ستر العورة لما تقرر عندهما من قبحه كشفها وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع له الخطيئة بدت له سوءته وكان لا يراها فجعل ينطلق فاذا رأى شجرة من شجر الجنة مجبسته بشعره فقال لعله ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم أمني تفر فقال لا يا رب ولكن استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسند البكري بعضه موقوفا ومرفوعا

قوله تعالى وناد بعضهما الى انعما من تلك الشجرة يعني ان الله تعالى نادى ادم وحوا وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بدا عداوته لكما بتركك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حوا اوتني قال بانك دعوتها الى اكلها ولم تضع الا كلها قال فرنت حوا عند ذلك رنة وقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم الم اكلتا منها وقد نهيتك قال اكلت حوا قال اكلت حوا الحية قال للحية لم اوتيت حوا قالت اوتني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوا فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك مرقبك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملائكتي اما اسكنتك جنتي فمن اين جاءك هذا فقوله عز وجل فالا ربنا ظلمنا انفسنا وهذا حين علم الله عز وجل عز ادم عليه السلام وحوا واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى فالا يا ربنا انا بعلنا بانفسنا مرادك منا وتركنا الجنة اولى وكان عدو ناوعدوك مما يكر لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي نهيتنا عن اكلها وان لم تغفر لنا يعني وان انت تتغمدنا بفضلك وتتجاوز عنا ذنبنا وتحمنا يعني وتتفضل علينا برحمتك لنكونن من الخاسرين يعني من الهالكين فال فتاب قال ادم رب ارايتك ان تبت اليك واستغفرتك فال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يقبل توبته وسالته النظرة فاعطي كل واحد منهما ما سال وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه عز وجل فصل وقد استدل مربي ظهور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبياء

بالى بعثة والعلو والمعرفة بالله عزوجل ما تحلى على الخوف منه والاشفاق والرهبة
منه الذى اخذ به بديع وانع ربانى تنوابا مرصدرتا منع على سبيل التاويل والتسعو
منى بنسبة ذلك خاتبوو وجلون وهى توب بالاضافة الى علو منصب ومعارج بالنسبة
الكمال كما عتبر بالانها ذنوب كذنوب بنى ادم ومعاصيهما غير ان مكان ما صدر منهم كفارة
وقرابة وعمارة بواكنه بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة كوابع بالعمل الصالح
والخشية لله عزوجل ذنوب وهى حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيئات وهى حسنات لغيرهم وقد
تقدم بسورة البقرة ان الكل اذا مر الشجرة كان قبل النبوة او بعدها والخلاف فيه ما غنى
عن الاعادة والله اعلم قوله تعل قال اهبطوا قال الماما بعد الحبر الذى تقدم ذكره
هو اد وحوا وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء الثلاثة وقال البصرى
قال الله اد وحوا وابليس والحية اهبطوا يعنى من السما الى الارض قال السدى
اهبطوا يعنى الى الارض اد وحوا وابليس والحية بعضكم لبعض عدو يعنى ان العداوة
ثابتة بين اد وحوا وابليس ولكم فى الارض مستقر يعنى موضع قرار تستقرون فيه وقال
ابن عباس فى قوله ولكم فى الارض مستقر يعنى مستقر القبور ومتاع الى حين يعنى ولكم فيها
متاع تستمتعون به الى انقضاء الدنيا والى انقضاء اجالكم ومعنى الاية ان الله عزوجل
اخبر اد وحوا وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض وبعضهم لبعض عدو وان لهم
فى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء اجالهم ثم يستقرون فيه فيرجع الى انقضاء
الدنيا قال ابن عباس فى قوله تعل ومتاع الى حين يعنى الى يوم القيامة والى انقضاء الدنيا
قال فيها تحيون يعنى قال الله عزوجل اد وذريته وابليس واولاده فيها تحيون
يعنى فى الارض تعيشون ايام حياتكم وفيها تموتون يعنى فى الارض تكونون وماتكم ومنها
ومنها تخرجون يعنى من الارض تخرجكم ربكم وبعثكم للحساب يوم القيامة قال الله عزوجل
يا بنى اد قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم اعلم ان الله عزوجل لما اهبط اد وحوا
بالعصيان الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا
فكل ما انزل عليهم الكتب التى يحتاج اليه الدين والدنيا فاما ما منعتهم به الدين فانه ستر
للعورة وستر هاتين صاحبه صحة الصلاة واما منعتهم به الدنيا فانه يمنع الحر والبرد

نعل

وذريته كل واحد
من اد وابليس

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

فامتن الله على عباده بأن انزل عليهم لباسا يواري سوآتهم فقال يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تستترون به عوراتكم قال فلت ما معنى قوله انزلنا
عليكم لباسا انزلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا لكم لباسا
او بمعنى قضى لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس
فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع ما كان الارض تنتفع به انما ينتفع الى السماء والى الارض كما قال
تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطير معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان
واستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
وريشا اي يتجمل به كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور
في الاية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كان المال مما
يستر به ويقال ريش الرجل اذا كثر ماله وقال ابن زيد الريش الجمال وهو راجع الى
الزينة ايضا وقيل انه الى يشتر به كلا العرب الاثاث وما كثر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفترش
والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال
يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والريش يستعملان ايضا في الخصب
ورفاهية العيش ولباس التقوى اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس
وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن عباس
لباس التقوى هو اللباس الطاهر وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى والخير وقيل انما
اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير كان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب
في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وهو الخير وقال زيد
ابن علي لباس التقوى آلات الحرب التي يتقوى بها في الحرب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل
لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الهدى والورع وقيل هو
ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة
والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو
العمل الصالح وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى
هو الخشية الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف

التشريب
الترييش

نو

مثل هذه الاموال أن لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس
الشهوة او زينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني أن لباس التقوى خير من لباس الجمال
او الزينة وانتصب به المعنى اذا اتاك ما تلبس ثيابا مثل الثقفي عريت وان وارى الغبير فيض
وقوله تعالى ذلك من آيات الله . يعني ان ان اللباس عليكم يا بني ادم من آيات الله الدالة
على معرفته وتوحيده . لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتذكرون نعمته عليهم فيشكرونها فقوله
تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة . قيل هذا خطاب للذين كانوا
يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يغرنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم كما اوقعها
والهما اذ فعلا ذلك بهما وشدة عداوته ابليس له لجده بذلك اولا فقال تعالى
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة يعني ادم وحوا . والمعنى أن مقدر
على اخراج ابويكم بوسوسته وشدة عداوته فيما يقدر على فتنتكم فيضرب اللوم لحذر
الله بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه
الابعاد الى دينه فلو بني ادم بهذه المنزلة التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها .
وقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك
لان نزع لباسهما كان بتسبيب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا
في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت
الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباسا وحلوا نورا وقال مجاهد
كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب
لان اضافة اللباس يدل عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس ليس بينهما سوءاتهما . يعني
ليريهما سوءاتهما وترى حوا عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض انه يريكم هو
وقبيله يعني انا ابليس يريكم يا بني ادم هو وقبيله انما عاد الكناية في قوله هو لجنس العدو
والقبيل جمع قبيلة وهم الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من
الناس قبيل ومعنى يريكم هو وقبيله اي من حيث لا ترونهم وحكى ابو عبيد عن ابي زيد
القبيل ثلاثة فما فوق عشرة والجمع قبل والقبيلة بنو الاب واحد وقال البصري قبيلة
يعني صفة وجيلة الذي هو منهم وهو واحد والجمع قبل ومع البعض قال مجاهد الجن والشياطين
وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس هو وولده وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

يا بني آدم قال العلماء ان الله خلق الجن سليمة الجسم والبنية وزيادة الادراك للانس ولم يخلق عين الانس هذه الادراك بل يرون الجن والانس كما يرون الجن رؤية أجسام الجن ولكن افتضا والوجه في رؤية الجن للانس كذا قد جعل الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا والله تعالى قوى شعاع ابصار الجن زاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرأينا هم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعل بني آدم يخرجون من ابن آدم مجرى الدم وجعل صدورهم آلة مساكن للشيطان الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فمنهم يزول بعد ان وسوس اليه ومنهم من لا يزول وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك ابن دينار اما عدو يراد ولا يراد الشديد الشوكة الامر عظيم انا جعلنا الشياطين اولياء يعني امواتا وقرناء للذين لا يؤمنون قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم فزينوا لهم كفرهم فولسه عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عكرمة هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح يدخل فيه جميع المعاصي والكبائر ويمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا وردوا بها عن عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي ابغضها جاء الشرع بالنهي عنها واجتنابها فاجتنبوا هذه الافعال يا اخي الله عنها وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها نهى عن ابتدائها فبحسبه منكرة فكيف يأمر الله بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الا نبياء الذين هو سبحانه بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون فوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فانه امر بالقسط هذه

الآية

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الآية مشتمل على معرفة الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله وأنه واحد
لا شريك له. وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فإن قلت قل أمر ربي بالقسط خبر
وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الأمر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت
فيه إضمار وحذف تقديره قل أمر ربي بالقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد
فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم
حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك معناه إذا حضرت الصلاة وأنتم عند
مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي أو في مسجد قومي وقيل معناه
اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين أي واعبدوه مخلصين العبادة إن
والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره كما بدأكم تعودون قال ابن عباس إن الله عز وجل بدأ
خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمن مؤمن وكافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم
يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الآية فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة فإنه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه أخرجه مسلم زاد البغوي في
روايته المؤمن على إيمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة
صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل السعادة كما أن إبليس كان يعمل
بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاء ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل
بعمل أهل الشقاء كما أن السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاء ثم صاروا إلى السعادة
ويصحح هذا القول ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل الزمن
ليعمل الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل الخير وإن الرجل ليعمل
الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل النار أخرجه مسلم وقال
الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فأحياكم ثم يميتكم
كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله
عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين أخرجه
البخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هدى يعني هديهم الله إلى الإيمان به ومعرفته ووفقهم

BULAC

العسر لليسر وصل اللبيع
على سر لا نبس بعده

لكاعته وعبادته وبريقاحتى عليهم الضلالة وخذل بهم بناحتى وجبت عليهم الضلالة
السابقة التي سبقت لهم بها الازل بانهم اشقيا وفيه دليل على ان العدو والضلال من الله
عز وجل وكما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل اخرجه
الترمذي وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان اغواء الشيطان الذي حق
عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصارا واعوانا كما عرفوا بما اوحوه به من الكفر والمعاصي
والمعنى ان الداعي الى دعاهم الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
لا ان الشياطين يقدرون على اضلال احد وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع
ضلالتهم يضنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه على دينه
على الحق والجادة والمعاند للكفر سواء قوله عز وجل يا بني ادم خذوا زينتكم عند
كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني
تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت
هذه الاية يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر البيت
زاد في رواية اخرى عنه ما وضع الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي
من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لان اطوف بهذه ثوبي وقد عصيت
فيه فيقول من يعيرني منيرا ما رفث عليه والا اصام عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا
زينتكم عند كل مسجد وقال ان ناسا من العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم
قريش وخلايفها فمرجال من غير الحمس وضع ثيابه وكانت ثوب احمس فانه لا يحل له ان يلبس
ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويكون عريانا وان كانت ثياب نفسه
الفاها اذا فضى طوافه فجرمها فجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم
عند كل مسجد والمراد من زينة الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري
عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبي ان ينذ ما يواري العورة عند كل مسجد كلوا واشربوا وصلوا
وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب
في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال الكلبي كانت ثقيف

بنو عامر

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن
أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم
ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت
واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي
ابن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
وفي الآية دليل على أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع بدليل
في التحريم لأن الأصل في جميع الأشياء الإباحة إلا ما حضره الشرع وثبت تحريمه بدليل
منفصل أنه لا يحب المسرفين يعني أن الله لا يحب من أسرف في المأكول والمشروب والملبوس
وفي هذه الآية دليل وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الأشياء لأن محبة الله عباده عن رضاه ض يعني رضاه
عن العبد وإيصال الثواب إليه وإذا لم يحبه علم أنه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الآية على
الوعيد الشديد في الإسراف قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده يعني
قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها
لعباده أن يتزينوا بها ويلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما
وهو قول جمهور المفسرين أن المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني
ذكره الإمام فخر الدين الرازي أنه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل فيه جميع أنواع الملبوس
والحلي ولولا أن النص ورد بتحريم الذهب والحرير على الرجال يدخل في هذا العموم ولكن ورد
النص بتحريمه على الرجال دون النساء والطيبات من الرزق يعني ومن حرم الطيبات من
الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية
أقوالا أحدها أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج و
يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات
من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة أن المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية
يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها
الله من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل لكم من رزق فجعلتم منه حراما و
حلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق والقول الثالث أن الآية على العموم فيدخل تحته كلما يستلذ ويشتهى

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مر سبيل المعصومات الماضي ذكرها فيه قل هي للذين امنوا يعني قل يا محمد الطيبات التي اخرج الله لعبادة الذين امنوا به الحياة الدنيا غير خالصة لهم لانه يشاركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم القيامة يعني لا يشركهم فيها احد كما انه لا خلص للمشركين يوم القيامة به الكفرات من الزنا وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكذيب والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا بتناول الطيبات من الزنا كذا ذكره ابو تغيير وما علم انها خالصة لهم يوم القيامة من ذلك كله كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون يعني كذلك نبين الحلال مما حللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي احلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه في قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجرؤون على الثياب ويكشفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم انما حرم ربي ما ذكرتم من اتيان ما حرم الله عباده وكشف لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة ثوران الغضب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ونحوه غيرة احدنا وجبر على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه وينعه من غيره واما الغيرة الموصوف الله تعالى فهي منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غير تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال باعث ذلك بعقاب والله اعلم وقوله عز وجل والاثم بعض وعن الاثم واختلفوا في الفرق بين الفواحش والاثم بعض الفواحش الكبائر لانه قد يقال فاحش فيجمعها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا او صغيرا والباغي فيه ان يقال ما حرم الله الكبيرة

قوله تعالى

بقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الزنا بعد بتحريم كل الذنب لبلا يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة والمجاهرة بقبيح المعاصي لكل ما تعاظم حتى صار مرفوعا او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اكثر ما يقع لفظ الفاحشة ولم يتبين منه الادلة يوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وما الاثم فقد قيل انه اسم مرادف للخمر وهو قول الحسن وعطاء. قال الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم عندي ان تسمية الخمر بالاثم لما ان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر العرف بين المفسرين وانكر ابو بكر الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما فكيف جاهلية والاسلام والقرآن قد يكون الخمر داخلة تحت الاثم تقول لمتعاطي كل منهما اثم كبير وقوله تعالى والبغي اي وحرم البغي بغير الحق والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج ولم يكن باغيا وان تشركوا بالله اي وحرم ان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا. هذا فيه تهكم عظيم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به يعني لان الامر بين لا يحتاج على نفيه حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق قال قلت البغي والاثم اذا دخلا تحت الفواحش والاثم لان الشيء لا يعطف على نفسه وكذا البغي ايضا مع الفواحش والاثم قلت انما ذكرهما بالذكر للتنبيه على عظمهما كانه قال مع الفواحش المحرمة البغي والاثم فكانه ذكر جملة بعد تفصيله وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون تعم تحريم كل مقول لا يعلم صحته ومن ذلك القول في الله بغير علم وقوله تعالى ولكل امة اجل الاجل الوقت الموقت بانقضاء وقت المهلة شبه هذا الاجل المذكور بهذه الآية فقال احد هما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا حتميا عند الله لهلاكها ذلك الوقت فاذا جاء اجلهم بغتة فاذا حل وقت عذابهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بغتة فيأتيهم بلا توخ وروي ولا يعلمون قدر ساعة ولا اقل من ساعة واذا قيل الساعة لا تنافي اقل اسما لما وقت به العرف وهذا جبر سائل قول العذاب واجيب بان الله اذا جعل وقتا فاذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يتوخر عنهم ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يكون لكل واحد اجل لا يدفع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال تعالى ولكل امة لتفاوت اعمار كل عصر وكانهم كانوا يحددون مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول فقطع عليه اجله قوله عز وجل يا بني ادم اما يأتينكم رسل منكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما توكيدا لمعنى الشرط وجزاءه هذا الشرط هو الجزاء وما بعدها هو الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو رسل الى كافة الخلق فذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل المراد جميع الرسل وعلى هذا الخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان ابلغ في العذر واثبت الحجة عليهم لانهم يعرفون حاله اذا تاملوا حاله ولا يلحقهم بعد ذلك عذر او بعذرة امثاله عليهم السلام اذ لكل نبي معجزة له وحجة على مخالفيه يقصون عليكم آياتي يعني يقرؤون عليكم كتبي وادلتي واحكامي وشرائعي التي شرعتها لعبادي فمن اتقى الشرك وخالفه وتجنب رسلي فلا خوف عليهم يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نيل الثواب في الجنة والذين كذبوا بآياتنا اي بحججنا والمعنى وجحدوا ايانا وكذبوا رسلنا واستكبروا عنها يعني واستكبروا عن الايمان بها وبما جاء به رسلنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله ويجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد او كذب بآياته يعني او كذب بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتبه في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المقدر لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضي عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عنه كتبت لهم قتر على الله الكذب اي وجهه اسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله جاثين نكن اراتلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم وهذه الآية في نصيب من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو ثبت من خير او شر ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية

الاشياء ع

ع قوله

ب قوله او ليك بنا اليه من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم
من الاعمال وقال بعد رواية اخرى عنه من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم
التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوه به الكتاب مرجعا او شيء خالد جامد والمعنى
وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم به الكتاب من الرزق وقال محمد
ابن كعب الفرض عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار
واذا انتهى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قيل ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم به الدنيا ما داموا حتى
توفيتهم رسلنا ربهم قال الاصم عند الدير وانما حصل الاشكال لان بعض النصيب محتمل لكل الوجوه
وقال بعض المحققين حمله على العموم اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا اقصى الكمال فانه لا بد لهم
من بلوغ الاجل المعين ثم ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلوا ويتوسلوا
قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب
رسلنا يعني ملك الموت واعوانه ليقبضوا ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لا يقال لعل
الوجه ان يعيد هذا المعنى قالوا يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار اين ما كنتم تدعون من دون الله
وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال تعليم والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليرجعوا عنكم ما نزل بكم وقيل انما يكون هذا في الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا
يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عدتهم عند حشرهم الى النار قالوا اين ما كنتم
تدعون يعني شركاء واولياء تعبدونهم من دون الله وادعوهم ليرجعوا عنكم ما جاءكم من الله
قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وزالوا عنا عند حاجتنا
اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يقولون الله تعالى وشهدوا هؤلاء الكفار
عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى واعترفوا على انفسهم بذلك قوله
عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يوم
القيامة لهؤلاء الذين افتروا علي الكذب وجعلوا لي شركاء وخلقا ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت
يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني
في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار يعني ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقرهم
ومثواكم وانما عنا بالامم الجماعات والاحزاب واصل الخلل الكلام من الجن والانس كلما دخلت
امة يعني كلما دخلت جماعة النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها وافعالها

ليدعوا

BULAC

ء الدين لابي النسب قال السدي كلما دخلت امة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين
مثل هذا المشركون المشركين واليهود اليهود والنصرى النصرى والصابون الصابين والمجوس المجوس
تلعن الاخرى الاولى حتى اذا اداركوا يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا
في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقر وا في النار قالت اخراهم لاولاهم الاية قال ابن عباس يعني
قال اخرى كل امة لاولاها وقال السدي قالت اخراهم الذين كانوا به اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا
لهم ذلك الدين وقال مقاتل قال اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة لان
القادة يدخلون النار اولا ربنا هؤلاء اضلونا يعني بقبول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء
اضلونا عن الهدى وزينوا لنا كاعة الشيطان وقيل انما قال للاتباع وذلك لانهم كانوا يعتقدون
تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا كل بقيح فيما كانوا عليه من الكفر
والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبرأ كل فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لكانا نسأل
اتبعنا سبيلهم فاتهم عذابا ضعفا من النار اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف
هو مثل الشيء مرة واحدة قال الازهري وكذلك قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز
كلامهم واما كتاب الله فهو عربي مبين ونزل بلسان العرب على موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد
وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه اي مثله وثلاثة امثاله لان الضعف
في الاصل زيادة غير محصورة وقال الليث يقال اضعف عشرة امثاله فما فوق الضعف محصور وهو
المثل واكثر غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا
لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والآخر ان يكون في معنى تضعيف الشيء او زيادته
قال يعني قال الله لكل ضعف يعني لاولكم ضعفا واخراكم ضعف وقيل معناه للتابع
ضعف وللمتبوع ضعفا لانهم وقد ضلوا الكفر جميعا ولكن لا تعلمون يعني ما اعد الله للكافرين من
العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الآخر **فوله تعل**
وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم يعني الاتباع فما كان لكم علينا من فضل يعني
قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل معناه ما كان لكم علينا من فضل في الاية وقالت كل امة سلفت في الدنيا لآخرها
الذين جاءوا بعدهم فسلكوا سبيل ترضى فسلكوا فما كان لكم علينا من فضل فقد علمتم ما حل بنا
من عقوبة ربنا بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجازيتم بمثل ذلك الى مثل والنذر ما يجعل من عرض الشيء
وكسبهم بدل العذاب وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والاية الاولى للآخر التي بعدها

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

14

ويحتمل ان يكون من قول الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين كذبوا بآياتنا يعني كذبوا
بدلايل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها اي وتكبروا
عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها
تكبرا لا تفتح لهم ابواب السماء يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا
يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم
كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال
ابن عباس لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المومنين وفي رواية
عن ابن عباس لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السماء لا لارواحهم
ولا لاعمالهم روى الطبري عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح
الفاجر فانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملايكة الا قالوا
ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها في الدنيا
حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وقيل في معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح
لهم ابواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل
وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة
في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه اكبر من ساير الحيوانات
جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير وصف من هجاه بهذا بعظم
الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ
فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة
محال ولما وقف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط
محالا فثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة
مايوس منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل

BULAÇ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بسم الخياط وهو حرف الابرة كان ذلك تمثيلا لدخولهم الجنة على التأييد وذلك
كان العرب اذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا
نحو لا ابيض حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر
اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب . وقوله تعالى وكذلك نجزي
المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم وصفهم انهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها
وهذا صفة الكفار فوجب حمل بعض المجرمين على انهم الكفار ولما بشر الله
عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بشر انهم اهل النار ووصفها اعدلهم فيها
فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم مهاد مراتب واصل المهاد
التمهيد الذي يفعد عليه ويضطجع عليه كالفراش واللباس . ومن فوقهم غواش
جمع غاشية وهو الغطاء كالسحاب ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم
من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب الفرض والضحاك والسدي المهاد والغواش اللحاف
وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافئ ونثيب المشركين الذين وضعوا العبادة في
غير موضعها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافر ووعد المؤمن
وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله
ورسوله وافترضوا ما جاء به من عند الله وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما
اوجبه وامرهم به وعاهدوه بذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها من الاعمال
وما يستقل عليها ودخل في كل فرض وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق
قال الزجاج الوسع ما يتقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني
وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد يملك من قال الوسع بذل المجهود قال
اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر
والتقدير والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
وانما حسن وقوع الكلام بين المبتدا والخبر كما انه يحسن هذا الكلام لانه يقال لمن ذكر عمله
الصالح ذكر ان العمل مع وسعه وكافته وفي خارج عن قدرته وفيه تنبيه للكفار
على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل الصالح المتسهل مع كلفة ولا مشقة

صعب

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

كانه

صحبة وقال قوم اصحاب المعاني ضمنه رفع مرتبة الجنى والعابد محذوفا كانه قال كانكلف بعضا منهم الاوسعها فحذف العابد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا واخرجنا من صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية ان كل واحد من اهل الجنة كان يحسد بعضهم بعضا على شيء فنزع الله ما في صدورهم من ذلك حتى صاروا اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء فنزع الله ما في صدورهم من ذلك حتى صاروا اخوانا على سرر متقابلين وروى عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وقيل ان الحسد والغل اللذين كانا في صدور اهل الجنة خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا اسيفوا الى الجنة يلغوا وجدوا عن يمينها شجرة في اصل ساقها عينان فيشربون من احداهما فيشرع ما في صدورهم من قذى او اذى او بقية حقد او غل او حسد ثم يغتسلون من الاخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا يتغيرون ولا تشعث رؤسهم بعدها ابدا وقيل ان درجات اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلا من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم وزعم من فلوس ملا حسد صاحب الدرجة النازلة من صاحب العالية واورد على هذا كيف يعقل بقاء الانسان في الدرجات العلية والنعم العظيمة وصدور محبوس عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يتعتم بسبب حرمانه منها واركان به نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى بعضه الا بعين كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه مع ما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمهم ولذتهم وكمل سرورهم وبهجتهم وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بانهم يعيشون في اللذات

تاحدهم

عند بابها

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والخيرات والمسرات. وقالوا الحمد لله الذي هدينا لهذا. يعني أن المؤمنين إذا دخلوا
الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وأرشدنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة
منه وإحسانا فله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه. وما كنا لنهتدي لولا
أن هدينا الله. يعني وما كنا نترشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا أن أرشدنا الله إليه
ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على أن المهتدي من هديه الله ومن لم يهد
الله فليس بمهتد. لقد جاءت رسل ربنا. يعني أن أهل الجنة إذا رأوها ورأوا ما أعد الله لهم
فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني أنهم رأوا ما وعدهم الرسل عيانا. ونودوا
أن تلكم الجنة. ونادى مناد يا أهل الجنة إن هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في
الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله
عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة وعن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم أن تحيوا فلن تموتوا أبدا وإن
لكم أن تشبوا فلن تهرموا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلن تسقموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا
أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى
أورثتموها بما كنتم تعملون روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد إلا
وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر
منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما
سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء سمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا
وفي الشرع أن الأحياء يرثون الأموات فقال أورثتموها يعني أن المؤمن حي وهو يرث الكافر منزله
من الجنة لأنه في حكم الميت وقيل إن معناه أن أمرهم ينول إلى الجنة كما أن الميراث ينول إلى الوارث
وقيل أورثتموها عن الأعمال الصالحة التي عملوها لأن الجنة جعلت ثوابا وجزاء لهم على الأعمال
ولا يعارض هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله
وإنما يدخلونها برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالأعمال وقيل إن العمل الصالح
لن يناله المؤمن ولن يبلغه إلا برحمة الله وتوفيقه وإن كان العمل الصالح سببه الرحمة فإن دخول
الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الأعمال الصالحة التي عملوها
في دار الدنيا والله أعلم قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار. يعني ونادى أهل الجنة

بالحق.

عملتموها

أهل النار

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

16

اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
يقول اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني ما وعدنا في الدنيا
على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا يعني من العقاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك
حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض قلت
ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع واذا قابل الجمع يوزع
الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت
اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع
قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى
فاذن مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى
مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي
ان لعنة الله على الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين منهم فقال
الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس من الدخول في الاسلام ويبغونها عوجا
يعني ويجادلوا ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه
انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله
وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطئوا الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالآخرة كافرون يعني
وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل وبينهما حجاب يعني
وبين اهل الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور بقوله فضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقال مجاهد الاعراف حجاب بين
الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب وهو السور وهو الاعراف وعلى الاعراف رجال
الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه
من جسده سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف وابين مما ينخفض وقال السدي انما
سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشيء المشرف وعنه
قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من
اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين انهم على الاعراف

عنهم

وما السبب الذي راجله صاروا هنالك قرروني عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف
فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم
حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم إنما جعلوا
على الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار فيها كما أهل الجنة ولا أهل النار
لكن الله يدخل الجنة بفضله ورحمته من يشاء لأن الآخرة دار الجنة أو النار وقال ابن مسعود
يجاء بالناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته
أكثر بواحدة دخل النار وإنما الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة من استوت حسناته وسيئاته
كانوا من أصحاب الأعراف هم قوم على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين وهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود العبد
إذا عمل حسنة كتبت له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم قال فلعل من غلب
واحدة له عشرة أمثالها وقال ابن عامر الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف قوم
استوت حسناتهم وسيئاتهم فبهذا المكان حتى إذا أراد الله أن يخرجهم أطلع بين النهر
فقال لهم العيان حائطا قصب الذهب مكلل باللؤلؤ أزقته المسك فأقروا فيه حتى تصلح
ثيابهم ويتبوءوا منازلهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ثيابهم أتي بهم الجبار تبارك
وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لك الذي تمنيتم ومثله معه
فهؤلاء يدخلون الجنة بغير عمل يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة
وذكر ابن جرير بإسناده وقال ابن جريج بن سعد أصحاب الأعراف قوم خرجوا في مغزى فقتلوا
إذن بإسناده ورواه الحسن بن عرفة بسنده إلى الحسين بن شبيب عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة الآباء
لمنعهم فقيل يا رسول الله عصاة النار ومنعهم معصية الآباء أراد يدخلوا الجنة زاد رواية
ابن مردويه أخر مريد دخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضوا الآباء دون أمهاتهم وأمهاتهم
دون الآباء ورواه عن إبراهيم وذكر عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس أنهم أولاد الزنا وقيل
إنهم الذين ماتوا في الفترة وقيل بعد ذلك آخرون أصحاب الأعراف في الجنة وهو قول الذين ماتوا في
الفترة والله أعلم بحالهم ومتولي أمرهم وقيل إنهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا
القول يرجع معناه إلى القول الذي قبله لأنه داخل في حكمه وهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الأعراف

قول أهل الحق

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد اصحاب
الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل
النزهة او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم
الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر اهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو رتبتهم
وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار مطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة
وعقاب اهل النار وقال ابو مخلد اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم
حتى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مخلد ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال
وانت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابي مخلد
قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكر من بني آدم دون اناثهم ودون سائر
الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلا
منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة
والنار والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم يعني ان
اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم من نضرة النعيم
عليها ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما
العلامة الدالة على الشيء واصله من السيمة قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذا راوا
اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه
فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة
فاوقفهم الله تعالى على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا
اهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم
من الآفات وجعل لكم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف
والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة
واهل النار ثم ينقلهم الله عز وجل الى الدرجة العالية في الجنة وقوله تعالى
لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله تعالى ذلك الطمع

السمت

بسواد

به قلوبهم الكرامة يريدها وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني
واذا صرفت ابصار اهل الاعراف تلقاء اصحاب النار يعني وجاهتهم ينظروا اليهم
والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين
ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل الاعراف
الناظر بوجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا
الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسألوه ان لا يجعلهم منهم وقوله تعالى
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عرفوهم في الدنيا
من اهل النار بسيماهم يعني بسيما اهل النار قالوا يعني اصحاب الاعراف
لقولهم الذين عرفوهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من المال والعدد
في الدنيا وما كنتم تستكبرون يعني ما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان قال الكلبي
ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم
ينظرون الى الجنة فيرونها فيما النعم والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان
وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف للوليد الكبار اهؤلاء
الذين اقسمتم يعني بقولهم الضعفاء الذين اقسمتم بالله لا ينالهم الله برحمة
يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف
اذا قالوا لاهل النار ما اغنى الله عنهم قال لهم اهل النار اما اوليس قد دخلوا الجنة وانتم لا تدخلونها
فيقول الله بذلك ويقسم انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة رحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقوله عز وجل
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال ابن عباس
لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار بالفرج فنادوا يا ربنا لنا قرابات
من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظروا الى قراباتهم وما هم فيه من
النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار وهم يعرفونهم بسواد
وجوههم فينادي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل ابا وأخاه فيقول
فيقول قد احترقت افض علينا من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما

على الكافرين

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

على الكافرين ومعنى الآية أن أهل النار يستغيثون بأهل الجنة إذا استقروا فيها
وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما
سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لأهل الجنة أفيضوا علينا من الماء
يعني صبوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وأطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من طعام
الجنة قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت
شهواتهم في الدنيا في لذة الأكل والشرب عذبهم الله بشدة الجوع والعطش فسألوا ما
كانوا يعتدونه في الدنيا من طلب الأكل والشرب فأجيبوا بأن الله حرمهما على الكافرين
ثم وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا يعني أنهم تلاعبوا بدينهم
الذي شرع لهم ولهوا عنه وأصل اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال
لهيت بكذا ولهيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس المستهزءون وذلك أنهم
كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزؤوا به اغترارا بالله عز وجل وقيل هو
ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال
الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا
لا يذكرون الله فيه وغرتهم الحيوة الدنيا يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من خصب العيش
والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الإيمان بالله ورسوله وعن الأخذ بنصيبهم من الآخرة
حتى أتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الإنسان في طول العمر
وحسن العيش وكثرة المال والحيات ونيل الشهوات فإذا حصل ذلك صار محجوبا عن الدين
وطلب الخلاص لأنه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم بهذه الأوصاف
الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيامة ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا يعني فاليوم
نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل بلقاء يومهم هذا وهذا قول ابن
عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس ننسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل نعاملهم
معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الإيمان سمى الله تعالى جزاء عملهم
نسيانهم بالنسيان على المجاز لأن الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان أن الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم
وذلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الإيمان والعمل وما كانوا بآياتنا يجحدون يعني وتركهم في النار

كما كانوا بدلا ولا حدا نبيشا يكذبون قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب يعني ولقد جئنا هؤلاء
الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد مفصلناه على علم اي بشيء على علم منا نفصله ونبينه
هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون فهل ينظرون الا تأويله
يعني هل ينظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجحدوا بها وأبوا ان يؤمنوا بها الا تأويله يعني هل
ينظرون وينتظرون الا ما وعدوا به على ألسنة الرسل من العذاب وآل مصيرهم الى النار والتأويل ما
يؤول اليه الشيء يعني تأويله يعني يوم القيامة لا يأتي يوم القيامة الا جزاء وما تؤول اليه امورهم
يقول الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند
معاينة العذاب قد جاءت رسل ربنا بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك
الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بالذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق
والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بعد ما رأوا
لانهم شاهدوه ها معاينة وذلك حين لا ينفعهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا كم يؤتى الى الخلاص
مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيفعل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا
العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل بها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي
بالطاعة والانابة قد خسروا انفسهم يعني ان الذي كانوا يعبدون من دون الله ليضل لهم فتبين حين نزل
وهلاكهم انهم خسروا انفسهم لانهم كانوا باعوا الدنيا الآخرة بلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما
كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل
وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون به في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم قيل هو راجع الى الآخرة
ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا باطل دعواهم كما ذكر قوله عز وجل ان ربكم الله يعني ان
ربكم ومالككم ومصلح امركم ومن صلاح امركم البيع وبدفع عنكم المكاره هو الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل بمعنى ابداع
الشيء وغير اصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابدعهما
وانشأ خلقهما وغير مثال سبق وقدر حوالسماء ستة ايام بار فلك البيوت
عبارة عن مقدار ان من وذلك المقدار دهور كطلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام
ولم يكن شمس ولا سما فلك معناه في مقدار ستة ايام بعضها كقوله ولم ترفع فيها

بناء

بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لا ان الجنة ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء في اليوم الذي ابتدأ الله عز وجل بخلق الاشياء فقيل يوم السبت وهو قول محمد ابن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في آخر حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق في ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم فقد انكره بعض العلماء لمخالفته للآية الكريمة ان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في آية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره منكرو العلماء وقد ذكر الازهري في كتاب تهذيب اللغة ما يقوي الحديث وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله ابن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير من الكبير قال الكلبي خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروي بسنده عن مجاهد قال بدأ الخلق العرش والماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وجمع يوم الجمعة وتفوقت اليهود يوم السبت ويوم الاثنين اياما كالعاسة مما نعة وروي بهذا الصدد هذا القول ما حكاه صاحب العلم ابن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان في يوم الاحد الى يوم الجمعة وما بكر في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي منها الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وكبسها واخرج منها ماءها ومرعاها وخلق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقهن وجميع ما فيهن في الاثنين والثلاثا ثم مد الارض

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوا ثم
اهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب
فيه ما كان وما يكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق
العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها
من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم والخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وفيه
اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء
وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر ان يخلق جميع الخلق
في لحظة واحدة فهو قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض
في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى كان قادرا على خلق جميع
الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في
الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال
سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة
ايام تعليما لخلقه بالتثبت والتأني في الامور كما في الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان
وقيل ان الشيء اذا حدث دفعة واحدة فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشيء
انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيء بعد شيء على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك
ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ
في الحكمة فاراد الله اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته بخلق الاشياء
بكن فيكون وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا
فاظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى في العز والسلطان والمملكة
بالعرش على الاستعارة والمجاز ويقال فلان نقل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه
قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر الا بالاسم
على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له
تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم ان الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر
فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها
وقال اما الاستواء فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ويتكلمون فيه كنحو مذهبهم

في امثال ذلك

سيكون

شيئا

قل

بامثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل
فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش كيف كان استواؤه فما رأيت مالكا وجد
شم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه
مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وبروايته يحيى بن يحيى
قال كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش كيف استوى فما رأيت
مالكا وجد من شيء قط ما وجد من سؤاله حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به
واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا فامر به ان يخرج وروى البيهقي
بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت
عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الكيفية جرى مذهب الشافعي
واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتاخرين سليمان الخطابي قال
البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل المسلم ان يؤمن به
ويكل العلم فيه الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد
تقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة في الصفات
المتشابهة امروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكر الدلائل
العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار
وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول ان يقطع بكونه
تعالى متعاليا عن المكان والجهة والتحيز ويفوض تاويل الاية بالكلية الى الله تعالى وهو الذي
ذكرناه في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا
المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نفوض في تاويله
على التفصيل الذي ذكرناه في الفصل الاول مما ذكرناه في الفصل فعال العرش في كلامهم هو السرير
الذي يجلس عليه الملك ثم العرش كناية عن نفس الملك يقال قل عرشه اذا تنغص ملكه
واذا استقام له ملكه واكمل له امره وحكم قال استوى على عرشه واستوى على سريره هذا
ما قاله الفصال والذي قاله الفصال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته
وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي اراده وملكه واستغنى فلو سبح عظمة الله
جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فيدبر الامر
جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا
على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى
كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر
العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان
يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول
الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا القول انما خص العرش
بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف
استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه
والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات
ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره
فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرها من افعاله ثم لم يكن الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى
ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا
مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال
استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه
ولكن يريد معنى في المخبر عنه وانه ليس كما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة
ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة
حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاولى وهو ان الله تعالى
مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن منها بمعنى انه لا يحله ولا يحلها ولا يماسها ولا
يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال
بعض اصحابنا ان الاستواء صفة الله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروي ان ابن الاعرابي جاءه
رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه
كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي العرب لا تقول
استولى على الشيء فلان حتى يكون له مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه

والله تعالى

والله تعالى لا معقب له وهو على عرشه كما اخبر لا كما يكيفه البشر والله اعلم
وقوله تعالى يغشى الليل النهار يعني انه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه
ويلبسه حتى يذهب بنوره وقيل هذا على تقدير ويغشى النهار الليل وانما
يظهر النهار لدلالة الكلام عليه. يطلبه حثيثا. يعني سريعا وذلك انه كان
يقف احدهما (اخره) يتبعه فكانه يطلبه حتى يلحقه وقال الامام فخر الدين عن الفعال انه
قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور
المخلوقات على وفق مشيئته وارادته فيما يبشاهدونه منها كتبض العباد
الى الخير وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى
وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك ان تعاقب الليل والنهار انما يحصل
بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان المسافر اذا كان اشد
عدوا فيقدر ان يقطع رجله ووضعها بتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي
التي في سنة فلهذا قال يطلبه حثيثا لسرعة حركته. والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره. معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء
جارية في مجاريها بامره وقال المبرد يعني بتسخير هو تذليلها لما يراد منها
من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس شيء منها يقدر ان يفعل شيئا بنفسه وانما هو بتصريف
مصرف وتدبير مدبر. الا له الخلق والامر تدبير الحكيم تدبير عليم بما اراد منه والمراد
بالامر قوله كن فيكون اراد انه لا فرق بين خلقه اياها وبين امره اياها بالوجود
فقوله كن ليس هناك امر ولا مأمور بل المراد منه ان ايجاد الاشياء سهل عليه
ويدل على ان المراد ما ذكرنا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون والمعنى ان امر عيسى في سهولة ايجاده كامر آدم
فكذا هاهنا. تبارك الله رب العالمين تبارك افتعال من البركة وهي كثرة الخير
والنعمة ومعناه تعالى الله رب العالمين وتقدس عن كل سوء وآفة. ادعوا ربكم
تضرعا وخفية اي ادعوه بالتذلل والتضرع والاخفاء والاسرار فان ذلك اقرب الى
الاجابة وقيل ان الدعاء في الخفية افضل من الدعاء في العلانية لان الاول ابعد
من الرياء والسمعة. انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به من رفع
الصوت في الدعاء وقيل المعتدي هو الذي يسأل ما لا يليق بحاله من طلب
منزلة الانبياء والملائكة. ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
بالايمان والطاعة. وادعوه خوفا وطمعا خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه
ان رحمة الله قريب من المحسنين اي من المطيعين وقيل من المحسنين في
الدعاء بالاخلاص والتضرع. وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
اي قدام المطر وقرأ حمزة والكسائي نشرا بضم النون والشين وقرأ ابو بكر
بضم النون وسكون الشين وقرأ الباقون بالنون والباء. حتى اذا اقلت سحابا
ثقالا اي حملت السحاب الثقال بالماء. سقناه لبلد ميت اي لاجل بلد ميت
فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى اي كما
احيينا الارض بعد موتها بالمطر نحيي الموتى بعد موتهم بالبعث. لعلكم تذكرون
لكي تتعظوا وتعلموا ان القادر على احياء الارض قادر على احياء الموتى.
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه اي بامره وتيسيره وهو مثل ضربه الله
تعالى للمؤمن الذي ينتفع بالقرآن والذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا
اي قليلا لا ينتفع به وهو مثل الكافر الذي لا ينتفع بالقرآن. كذلك نصرف
الآيات اي نبينها ونكررها. لقوم يشكرون نعمة الله فيها. لقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم يعني يوم القيامة او يوم الطوفان. قال الملأ من قومه
اشرافهم وقادتهم. انا لنراك في ضلال مبين في ذهاب عن الصواب. قال يا قوم
ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين. ابلغكم رسالات ربي
اي ما حمله الله الي من الرسالة. وانصح لكم اي اقصد صلاحكم بالنصيحة
من قولهم نصحته ونصحت له. واعلم من الله ما لا تعلمون من امر القيامة
والثواب والعقاب. او من صفاته وقدرته. اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم اي وعظ من ربكم على لسان رجل منكم. لينذركم ولتتقوا
ولتؤمنوا. ولعلكم ترحمون ان فعلتم ذلك. فكذبوه اي استمروا على تكذيبه.
فانجيناه والذين معه في الفلك اي السفينة. وقيل في الفلك متعلق بالاستقرار
اي استقروا في الفلك. وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان. انهم كانوا
قوما عمين عن الحق لا يبصرونه. واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
اي سكان الارض بعد هلاكهم. وزادكم في الخلق بسطة اي طولا وقوة.
فاذكروا آلاء الله اي نعمه. لعلكم تفلحون تفوزون بالخير والنعمة.
قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا اي ما كانوا يعبدون
من الاصنام. فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين في انك رسول الله.
قال قد وقع عليكم اي وجب عليكم. من ربكم رجس وعذاب. اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اي في تسميتكم اصنامكم آلهة.
ما نزل الله بها من سلطان اي حجة. فانتظروا اني معكم من المنتظرين
العذاب. فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
اي استأصلناهم. وما كانوا مؤمنين اي ما كان فيهم من يؤمن. وإلى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم اي حجة على صدقي. هذه ناقة الله لكم آية اي علامة على صدقي.
فذروها تأكل في ارض الله اي ترعى فيها. ولا تمسوها بسوء اي بعقر او ضرب.
فيأخذكم عذاب اليم اي مؤلم. واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم في الارض اي جعل لكم منازل في الارض. تتخذون من سهولها قصورا
اي تبنون في سهولها قصورا. وتنحتون الجبال بيوتا اي تنقرونها فتجعلونها
بيوتا. فاذكروا آلاء الله. ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تسعوا في الارض
بالفساد. قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي تكبروا عن الايمان.
للذين استضعفوا اي المؤمنين. اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اي
هل تعلمون ذلك. قالوا انا بما ارسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون. فعقروا الناقة اي قتلوها. وعتوا عن امر ربهم
اي تكبروا عن امتثاله. وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين.
فأخذتهم الرجفة اي الزلزلة. فأصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين.
فتولى عنهم اي اعرض عنهم حين اهلكوا. وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم اي بينت لكم ما امرني ربي به. ولكن لا تحبون الناصحين
اي لا تريدون من ينصحكم. ولوط اذ قال لقومه اي واذكر لوطا اذ قال.
اتأتون الفاحشة اي اللواطة. ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها
احد قبلكم. انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء اي تتركون النساء
وتأتون الرجال. بل انتم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال الى الحرام.
وما كان جواب قومه اي ما كان جوابهم له. الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اي من بلدكم. انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن الفواحش. فأنجيناه
وأهله اي من آمن به. الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب.
وأمطرنا عليهم مطرا اي حجارة. فانظر كيف كان عاقبة المجرمين اي
كيف كان آخر امرهم. وإلى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اي حجة على صدقي.
فأوفوا الكيل والميزان اي اتموهما. ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم
حقوقهم. ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بالشرك والمعاصي بعد
اصلاحها بالايمان والطاعة. ذلكم خير لكم اي ما امرتكم به خير لكم.
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين. ولا تقعدوا بكل صراط اي طريق.
توعدون اي تخوفون من آمن به بالقتل. وتصدون عن سبيل الله اي تمنعون
عن دين الله. من آمن به. وتبغونها عوجا اي تطلبون لها الزيغ والميل.
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي جعلكم كثيرا. وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين اي كيف كان آخر امرهم. وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا اي وان كان فريق منكم صدقوا بما جئت به
وفريق لم يصدقوا. فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بالنصر لنا عليهم.
وهو خير الحاكمين اي اعدل القاضين. قال الملأ الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اي من بلدنا.
او لتعودن في ملتنا اي لتصيرن. قال اولو كنا كارهين اي اتفعل ذلك
ولو كنا كارهين. قد افترينا على الله كذبا اي كذبنا عليه. ان عدنا في ملتكم
اي ان رجعنا في دينكم. بعد اذ نجانا الله منها اي من ملتكم. وما يكون لنا
ان نعود فيها اي ما يصح لنا ذلك. الا ان يشاء الله ربنا اي الا ان يكون
في علمه ان نعود فيها. وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء.
على الله توكلنا اي فوضنا امرنا اليه. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
اي احكم بيننا وبينهم بالحق. وانت خير الفاتحين اي خير الحاكمين.
وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي قال الاشراف منهم للاتباع.
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اي ان اتبعتموه في دينه فانكم
اذا لخاسرون. فأخذتهم الرجفة اي الزلزلة. فأصبحوا في دارهم جاثمين
اي ميتين. الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها اي كأن لم يقيموا فيها
ولم يعيشوا. الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين اي الهالكين.
فتولى عنهم اي اعرض عنهم حين اهلكوا. وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم اي بينت لكم ما امرني ربي به. فكيف آسى على قوم كافرين
اي كيف احزن على قوم كافرين. وما ارسلنا في قرية من نبي اي ما بعثنا
في قرية نبيا. الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء اي بالشدة والفقر.
لعلهم يضرعون اي يتضرعون ويتذللون. ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي مكان الشدة الرخاء. حتى عفوا اي كثروا. وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء اي كما اصابنا الشدة والرخاء اصاب آباءنا. فأخذناهم بغتة اي
فجأة. وهم لا يشعرون اي لا يعلمون. ولو ان اهل القرى آمنوا اي بالانبياء.
واتقوا اي الشرك والمعاصي. لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
اي لوسعنا عليهم الخير من كل جهة. ولكن كذبوا اي الانبياء.
فأخذناهم بما كانوا يكسبون اي بكفرهم. افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
اي عذابنا. بياتا اي ليلا. وهم نائمون اي غافلون. او امن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا ضحى اي نهارا. وهم يلعبون اي غافلون. افأمنوا مكر الله
اي استدراجه. فلا يأمن مكر الله اي استدراجه. الا القوم الخاسرون
اي الهالكون. اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي اولم يتبين
لهم. ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي اهلكناهم بسبب ذنوبهم كما اهلكنا
من قبلهم. ونطبع على قلوبهم اي نختم عليها. فهم لا يسمعون اي سماع
قبول. تلك القرى نقص عليك من انبائها اي اخبارها. ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات اي بالمعجزات. فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي بما كذبوا
به من قبل مجيء الرسل. كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين اي كما طبع
على قلوب هؤلاء يطبع على قلوب غيرهم. وما وجدنا لاكثرهم من عهد
اي ما وجدنا لاكثر الامم السالفة من وفاء عهد. وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
اي خارجين عن الطاعة. ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا اي بالمعجزات.
الى فرعون وملئه اي اشراف قومه. فظلموا بها اي كفروا بها.
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي كيف كان آخر امرهم. وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين. حقيق علي اي واجب علي.
ان لا اقول على الله الا الحق اي لا اقول عليه الا الحق. قد جئتكم ببينة
من ربكم اي حجة على صدقي. فأرسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم من
اسرك وقهرك. قال ان كنت جئت بآية اي علامة على صدقك.
فأت بها ان كنت من الصادقين. فألقى عصاه اي من يده. فاذا هي ثعبان مبين
اي حية عظيمة. ونزع يده اي من جيبه. فاذا هي بيضاء للناظرين اي
تبهر الناظرين. قال الملأ من قوم فرعون اي اشراف قومه.
ان هذا لساحر عليم اي ان هذا لعالم بالسحر. يريد ان يخرجكم من ارضكم
اي بالاستيلاء عليها. فماذا تأمرون اي ما الذي تأمرون. قالوا ارجه
اي اخره. وأخاه اي هارون. وأرسل في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون
السحرة. يأتوك بكل سحار عليم اي عالم بالسحر. وجاء السحرة فرعون
قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على غلبتنا موسى. ان كنا نحن الغالبين
اي ان غلبنا موسى. قال نعم اي لكم الاجر. وانكم لمن المقربين
اي عندي. قالوا يا موسى اما ان تلقي اي عصاك. واما ان نكون نحن الملقين
اي عصينا. قال القوا اي عصيكم. فلما القوا اي عصيهم. سحروا اعين الناس
اي خيلوا اليهم ما ليس بحق. واسترهبوهم اي اخافوهم. وجاءوا بسحر عظيم
اي كبير. واوحينا الى موسى ان القى عصاك اي من يدك. فاذا هي تلقف
ما يأفكون اي تبتلع ما يزورون. فوقع الحق اي ظهر. وبطل ما كانوا يعملون
اي ما كانوا يعملون من السحر. فغلبوا هناك اي عند فرعون. وانقلبوا صاغرين
اي ذليلين. وألقي السحرة ساجدين اي خروا سجدا. قالوا آمنا برب العالمين
اي صدقنا به. رب موسى وهارون اي بدل من رب العالمين. قال فرعون
آمنتم به اي بموسى. قبل ان آذن لكم اي في الايمان به. ان هذا لمكر مكرتموه
اي ان هذا لامر احتلتموه. في المدينة اي مدينة مصر. لتخرجوا منها اهلها
اي بالاستيلاء عليها. فسوف تعلمون اي ما الذي افعل بكم. لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى.
ثم لاصلبنكم اجمعين اي على جذوع النخل. قالوا انا الى ربنا منقلبون
اي راجعون. وما تنقم منا اي ما تعيب منا. الا ان آمنا بآيات ربنا
لما جاءتنا اي بالمعجزات. ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا.
وتوفنا مسلمين اي ثابتين على الاسلام. وقال الملأ من قوم فرعون
اي اشراف قومه. اتذر موسى وقومه اي اتتركهم. ليفسدوا في الارض
اي بالدعاء الى مخالفتك. ويذرك وآلهتك اي ويتركك وعبادتك.
قال سنقتل ابناءهم اي كما كنا نفعل قبل مجيء موسى. ونستحيي نساءهم
اي نتركهن احياء. وانا فوقهم قاهرون اي بالحجة والسيف.
قال موسى لقومه استعينوا بالله اي على دفع ما تخافون من فرعون.
واصبروا اي على ما تلقون من اذاه. ان الارض لله اي ارض مصر.
يورثها من يشاء من عباده اي يجعلها ملكا لمن يشاء من عباده.
والعاقبة للمتقين اي الحسنى في الدار الآخرة. قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا
اي بالرسالة. ومن بعد ما جئتنا اي بالرسالة. قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
اي فرعون وقومه. ويستخلفكم في الارض اي ارض مصر. فينظر كيف تعملون
اي هل تشكرون او تكفرون. ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بالقحط.
ونقص من الثمرات اي قلة الثمار. لعلهم يذكرون اي يتعظون.
فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب والسعة. قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون لها.
وان تصبهم سيئة اي جدب وشدة. يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم.
الا انما طائرهم عند الله اي شؤمهم من قبل الله. ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي ان ذلك من قبل الله. وقالوا مهما تأتنا به من آية اي علامة.
لتسحرنا بها اي لتخيل الينا ما ليس بحق. فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين.
فأرسلنا عليهم الطوفان اي الماء. والجراد اي الكثير المفسد للزرع.
والقمل اي السوس الذي يخرج من الحنطة. والضفادع اي المعروفة.
والدم اي الرعاف. آيات مفصلات اي مبينات. فاستكبروا اي عن الايمان.
وكانوا قوما مجرمين اي كافرين. ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب.
قالوا يا موسى ادع لنا ربك اي سله. بما عهد عندك اي بما امرك به
من الدعاء. لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب. لنؤمنن لك اي بما جئت به.
ولنرسلن معك بني اسرائيل اي من اسرنا وقهرنا. فلما كشفنا عنهم الرجز
اي العذاب. الى اجل هم بالغوه اي الى وقت هم بالغوه. اذا هم ينكثون
اي ينقضون العهد. فانتقمنا منهم اي اهلكناهم. فأغرقناهم في اليم
اي في البحر. بأنهم كذبوا بآياتنا اي بالمعجزات. وكانوا عنها غافلين
اي لا يتفكرون فيها. واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد
والقهر. مشارق الارض ومغاربها اي ارض مصر والشام. التي باركنا فيها
اي بالخصب والسعة. وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل اي
وعده الجميل لهم بالنصر. بما صبروا اي على اذى فرعون وقومه.
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي من العمارات. وما كانوا يعرشون
اي من الجنات. وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي قطعنا بهم البحر.
فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقيمون على عبادتها.
قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة اي صنما نعبده كما لهم اصنام.
قال انكم قوم تجهلون اي تفعلون فعل الجاهلين. ان هؤلاء متبر ما هم فيه
اي مهلك ما هم فيه. وباطل ما كانوا يعملون اي من عبادة الاصنام.
قال اغير الله ابغيكم الها اي اطلب لكم الها. وهو فضلكم على العالمين
اي عالمي زمانكم. واذ انجيناكم من آل فرعون اي اذكروا نعمتنا عليكم
اذ انجيناكم. يسومونكم سوء العذاب اي يولونكم اسوأ العذاب.
يقتلون ابناءكم اي كما كنا نفعل قبل مجيء موسى. ويستحيون نساءكم
اي يتركونهن احياء. وفي ذلكم بلاء من ربكم اي نعمة او محنة.
عظيم اي كبير. وواعدنا موسى ثلاثين ليلة اي للمناجاة. واتممناها بعشر
اي اكملناها بعشر. فتم ميقات ربه اي الوقت الذي وقته له. اربعين ليلة
اي بلياليها. وقال موسى لاخيه هارون اي واذكر اذ قال. اخلفني في قومي
اي كن خليفتي فيهم. واصلح اي على قومك. ولا تتبع سبيل المفسدين
اي لا تسلك طريقهم. ولما جاء موسى لميقاتنا اي الوقت الذي وقتناه له.
وكلمه ربه اي بلا واسطة. قال رب ارني انظر اليك اي اعطني نظرا اليك.
قال لن تراني اي في الدنيا. ولكن انظر الى الجبل اي فان ثبت مكانه.
فسوف تراني اي في الدنيا. فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر امره له.
جعله دكا اي مدكوكا مفتتا. وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه.
فلما افاق اي من غشيته. قال سبحانك اي تنزيها لك. تبت اليك اي من سؤالي
ما لم تأذن لي فيه. وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى في الدنيا.
قال يا موسى اني اصطفيتك اي اخترتك. على الناس اي عالمي زمانك.
برسالاتي اي بالرسالة. وبكلامي اي بلا واسطة. فخذ ما آتيتك اي اعطيتك.
وكن من الشاكرين اي لنعمتي عليك. وكتبنا له في الالواح اي التوراة.
من كل شيء اي يحتاج اليه في امر دينه. موعظة اي زجرا عن المعاصي.
وتفصيلا لكل شيء اي بيانا لكل شيء. فخذها بقوة اي بجد واجتهاد.
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها اي بحسنها. سأريكم دار الفاسقين اي منازلهم
في الآخرة. وهي النار. او منازل عاد وثمود في الدنيا. سأصرف عن آياتي
اي عن فهمها. الذين يتكبرون في الارض بغير الحق اي عن الايمان بها.
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها اي لا يصدقوا بها. وان يروا سبيل الرشد
اي طريق الهدى. لا يتخذوه سبيلا اي لا يسلكوه. وان يروا سبيل الغي
اي طريق الضلال. يتخذوه سبيلا اي يسلكوه. ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
اي بالمعجزات. وكانوا عنها غافلين اي لا يتفكرون فيها. والذين كذبوا
بآياتنا اي بالمعجزات. ولقاء الآخرة اي البعث. حبطت اعمالهم اي بطلت.
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي من الكفر والمعاصي. واتخذ قوم موسى
من بعده اي من بعد ذهابه الى الميقات. من حليهم اي من حلي القبط.
عجلا جسدا اي جسد عجل. له خوار اي صوت البقر. الم يروا اي الم يعلموا.
انه لا يكلمهم اي بلا واسطة. ولا يهديهم سبيلا اي طريقا. اتخذوه
اي العجل. وكانوا ظالمين اي بعبادتهم العجل. ولما سقط في ايديهم
اي ندموا. ورأوا انهم قد ضلوا اي عن الحق. قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
اي بالتجاوز عما فعلنا. ويغفر لنا اي ذنوبنا. لنكونن من الخاسرين
اي الهالكين. ولما رجع موسى الى قومه اي من الميقات. غضبان اسفا
اي شديد الغضب والحزن. قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس الخلافة
خلافتكم اياي. اعجلتم امر ربكم اي تركتم موعده. وألقى الالواح
اي التوراة. وأخذ برأس اخيه اي شعر رأسه. يجره اليه اي يجر رأس اخيه
اليه. قال ابن ام اي يا ابن ام. ان القوم استضعفوني اي بالاستعباد.
وكادوا يقتلونني اي بالاستيلاء. فلا تشمت بي الاعداء اي بما تفعل بي.
ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي بالتقصير في حقي. قال رب اغفر لي
اي ذنبي. ولاخي اي في ترك الانكار على القوم. وادخلنا في رحمتك
اي الجنة. وانت ارحم الراحمين اي اكثر رحمة من كل راحم.
ان الذين اتخذوا العجل اي الهة. سينالهم غضب من ربهم اي عقوبة.
وذلة في الحياة الدنيا اي بالجلاء من ديارهم. وكذلك نجزي المفترين
اي على الله الكذب. والذين عملوا السيئات اي من الكفر والمعاصي.
ثم تابوا من بعدها اي من بعد عملها. وآمنوا اي بالله ورسوله.
ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة. لغفور رحيم اي لساتر لذنوبهم
ورحيم بهم. ولما سكت عن موسى الغضب اي سكن غضبه.
اخذ الالواح اي التي القاها. وفي نسختها اي في الالواح.
هدى اي من الضلالة. ورحمة اي من العذاب. للذين هم لربهم يرهبون
اي يخافون. واختار موسى قومه اي من قومه. سبعين رجلا لميقاتنا
اي الوقت الذي وقتناه له. فلما اخذتهم الرجفة اي الزلزلة.
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي قبل اهلاك القبط.
وايانا اي بني اسرائيل. اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي من عبادة العجل.
ان هي اي ما هي. الا فتنتك اي ابتلاؤك. تضل بها من تشاء اي عن الحق.
وتهدي من تشاء اي الى الحق. انت ولينا اي ناصرنا. فاغفر لنا اي ذنوبنا.
وارحمنا اي بالتجاوز عما فعلنا. وانت خير الغافرين اي اكثر مغفرة من كل غافر.
واكتب لنا اي اثبت لنا. في هذه الدنيا حسنة اي نعمة. وفي الآخرة
اي الجنة. انا هدنا اليك اي تبنا اليك. قال عذابي اصيب به من اشاء
اي من عبادي. ورحمتي وسعت كل شيء اي في الدنيا. فسأكتبها اي في الآخرة.
للذين يتقون اي الشرك والمعاصي. ويؤتون الزكاة اي المفروضة.
والذين هم بآياتنا اي بالمعجزات. يؤمنون اي يصدقون. الذين يتبعون الرسول
اي في جميع ما يأمر به وينهى عنه. النبي الامي اي الذي لا يكتب ولا يقرأ.
الذي يجدونه مكتوبا عندهم اي في التوراة والانجيل. يأمرهم بالمعروف
اي بالايمان والطاعة. وينهاهم عن المنكر اي عن الكفر والمعاصي.
ويحل لهم الطيبات اي ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة ونحوهما.
ويحرم عليهم الخبائث اي الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها.
ويضع عنهم اصرهم اي ثقل التكاليف التي كانت على من قبلهم.
والاغلال التي كانت عليهم اي من قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة من الثوب. فالذين آمنوا به اي بمحمد.
وعزروه اي عظموه. ونصروه اي على اعدائه. واتبعوا النور الذي انزل معه
اي القرآن. اولئك هم المفلحون اي الفائزون بالجنة. قل يا ايها الناس
اي يا اهل مكة. اني رسول الله اليكم جميعا اي لا الى العرب خاصة.
الذي له ملك السموات والارض اي خلقا وملكا وتصرفا. لا اله الا هو
اي لا معبود بحق الا هو. يحيي ويميت اي يخلق الحياة والموت في الاجساد.
فآمنوا بالله ورسوله اي محمد. النبي الامي اي الذي لا يكتب ولا يقرأ.
الذي يؤمن بالله وكلماته اي كتبه. واتبعوه اي في جميع ما يأمر به وينهى عنه.
لعلكم تهتدون اي الى الحق. ومن قوم موسى اي بني اسرائيل.
امة اي جماعة. يهدون بالحق اي يدعون الناس اليه. وبه يعدلون
اي يقضون بالعدل. وقطعناهم اي فرقناهم. اثنتي عشرة اسباطا اي قبائل.
امما اي فرقا. واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي طلبوا منه السقيا.
ان اضرب بعصاك الحجر اي الذي كان معه في التيه. فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
اي فضربه فانفجرت. قد علم كل اناس مشربهم اي عينهم التي يشربون منها.
وظللنا عليهم الغمام اي في التيه. وانزلنا عليهم المن والسلوى
اي كانا طعامهم. كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من الحلال.
وما ظلمونا اي بما فعلوا. ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بالمعاصي.
واذ قيل لهم اي لاسلافهم. اسكنوا هذه القرية اي بيت المقدس.
وكلوا منها حيث شئتم اي من ثمارها. وقولوا حطة اي احطط عنا ذنوبنا.
وادخلوا الباب اي باب القرية. سجدا اي منحنين. نغفر لكم خطيئاتكم
اي ذنوبكم. سنزيد المحسنين اي ثوابا. فبدل الذين ظلموا منهم
اي بالمعاصي. قولا غير الذي قيل لهم اي فقالوا بدل حطة حنطة.
وبدلوا بالباب اي فدخلوا زاحفين على استاههم. فأنزلنا على الذين ظلموا
اي بالمعاصي. رجزا من السماء اي عذابا. بما كانوا يفسقون اي يخرجون
عن الطاعة. واسألهم اي اليهود. عن القرية اي عن خبرها.
التي كانت حاضرة البحر اي قريبة منه. اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون
ما امروا به من ترك الصيد في يوم السبت. اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
اي ظاهرة على وجه الماء. ويوم لا يسبتون اي يوم لا يكون سبت.
لا تأتيهم اي الحيتان. كذلك نبلوهم اي نختبرهم. بما كانوا يفسقون
اي يخرجون عن الطاعة. واذ قالت امة منهم اي من اليهود.
لم تعظون قوما اي بالنهي عن الصيد. الله مهلكهم اي في الدنيا.
او معذبهم عذابا شديدا اي في الآخرة. قالوا اي الواعظون.
معذرة اي موعظتنا معذرة. الى ربكم اي لئلا نكون من المنكرين عليهم.
ولعلهم يتقون اي الصيد. فلما نسوا اي تركوا. ما ذكروا به اي ما وعظوا به.
انجينا الذين ينهون عن السوء اي عن الصيد. واخذنا الذين ظلموا
اي بالصيد. بعذاب بئيس اي شديد. بما كانوا يفسقون اي يخرجون
عن الطاعة. فلما عتوا عن ما نهوا عنه اي تكبروا عن تركه.
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي مبعدين من كل خير. واذ تأذن ربك
اي اعلم. ليبعثن عليهم اي على اليهود. الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
اي يولي عليهم من يذلهم ويستعبدهم. وهم محمد وامته. ان ربك لسريع العقاب
اي لمن عصاه. وانه لغفور رحيم اي لمن تاب اليه. وقطعناهم في الارض امما
اي فرقناهم فيها فرقا. منهم الصالحون اي المؤمنون. ومنهم دون ذلك
اي الكافرون. وبلوناهم اي اختبرناهم. بالحسنات والسيئات اي بالخير والشر.
لعلهم يرجعون اي عن الكفر. فخلف من بعدهم اي من بعد اسلافهم.
خلف اي قوم سوء. ورثوا الكتاب اي التوراة. يأخذون عرض هذا الادنى
اي حطام الدنيا. ويقولون سيغفر لنا اي ذنوبنا. وان يأتهم عرض مثله
اي من الحطام. يأخذوه اي بالرشا. ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي في التوراة. ان لا يقولوا على الله الا الحق اي لا يقولوا عليه الا الحق.
ودرسوا ما فيه اي فعلموه. والدار الآخرة خير للذين يتقون اي الشرك والمعاصي.
افلا تعقلون اي ان ذلك كذلك. والذين يمسكون بالكتاب اي يعملون بما فيه.
واقاموا الصلاة اي المفروضة. انا لا نضيع اجر المصلحين اي ثواب من اصلح
نفسه بالطاعة. واذ نتقنا الجبل فوقهم اي رفعناه فوقهم.
كأنه ظلة اي سقيفة. وظنوا اي ايقنوا. انه واقع بهم اي ساقط عليهم.
خذوا ما آتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد. واذكروا ما فيه اي احفظوه.
لعلكم تتقون اي الشرك والمعاصي. واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
اي اخرج من اصلاب بعضهم بعضا. ذريتهم اي نسلهم. واشهدهم على انفسهم
اي بان نصب لهم ادلة على ربوبيته. الست بربكم اي الم اخلقكم
وارزقكم. قالوا بلى اي انت ربنا. شهدنا اي على انفسنا بذلك.
ان تقولوا يوم القيامة اي لئلا تقولوا. انا كنا عن هذا غافلين
اي لا نعلم ان لنا ربا غيرك. او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل
اي ونحن ذرية من بعدهم. افتهلكنا بما فعل المبطلون اي افتعذبنا
بما فعل آباؤنا. وكذلك نفصل الآيات اي نبينها. ولعلهم يرجعون
اي عن الكفر. واتل عليهم اي على اليهود. نبأ الذي آتيناه آياتنا
اي علمناه التوراة. فانسلخ منها اي كفر بها. فأتبعه الشيطان
اي لحقه. فكان من الغاوين اي الضالين. ولو شئنا لرفعناه بها
اي بالآيات. ولكنه اخلد الى الارض اي مال الى الدنيا. واتبع هواه
اي في ايثار الدنيا. فمثله اي صفته. كمثل الكلب اي في خسته.
ان تحمل عليه يلهث اي يخرج لسانه. او تتركه يلهث اي يخرج لسانه.
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا اي بالمعجزات. فاقصص القصص
اي اقصص عليهم قصص من ذكر. لعلهم يتفكرون اي فيما ضربت لهم من المثل.
ساء مثلا القوم اي بئس مثلا مثل القوم. الذين كذبوا بآياتنا اي بالمعجزات.
وانفسهم كانوا يظلمون اي بالكفر والمعاصي. من يهد الله فهو المهتد
اي من يهده الله للايمان فهو المهتدي. ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
اي الهالكون. ولقد ذرأنا اي خلقنا. لجهنم كثيرا من الجن والانس
اي بسبب اعمالهم. لهم قلوب لا يفقهون بها اي لا يتفكرون بها في امر دينهم.
ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا يعتبرون بها. ولهم آذان لا يسمعون بها
اي لا يتعظون بها. اولئك كالانعام اي في عدم الفقه والاعتبار والاتعاظ.
بل هم اضل اي من الانعام. اولئك هم الغافلون اي عما يراد بهم.
ولله الاسماء الحسنى اي التسعة والتسعون. فادعوه بها اي سموه بها.
وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي يميلون عن الحق فيها.
فيسمونه بما لا يليق به. سيجزون ما كانوا يعملون اي من الالحاد.
وممن خلقنا اي من الناس. امة اي جماعة. يهدون بالحق اي يدعون الناس اليه.
وبه يعدلون اي يقضون بالعدل. والذين كذبوا بآياتنا اي بالمعجزات.
سنستدرجهم اي نأخذهم قليلا قليلا. من حيث لا يعلمون اي بالاملاء لهم.
وأملي لهم اي اطيل لهم المدة. ان كيدي متين اي ان اخذي شديد.
اولم يتفكروا اي في امر محمد. ما بصاحبهم من جنة اي جنون.
ان هو الا نذير مبين اي ما هو الا رسول مبين الرسالة.
اولم ينظروا اي في ملكوت السموات والارض. وما خلق الله من شيء

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق فقال إن الله تعالى فرق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر
يعني أن من جعل الأمر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لأن المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله
وقيل معناه أن جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لأنه خلقهم وجميع الأمور تجري
بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا يبقى بعد هذا لأحد شيء. وقيل المراد
بالأمر هنا الإرادة لأن الغرض من الآية تعظيم القدرة وفي الآية دليل على أنه لا خالق إلا الله
عز وجل ففيه رد على من يقول إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم
فأخبر الله أنه هو الخالق المدبر لا الشمس والقمر والكواكب وله الأمر المطلق وليس
لأحد أمر غيره فهو الآمر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد من خلقه
عليه. تبارك الله. يعني تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة
ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله رب العالمين يعني هو الذي
يستحق التعظيم وذلك أن الله تعالى افتتح هذه الآية بقوله إن ربكم الله الذي خلق
السموات والأرض وذكر أشياء من عظيم خلقه وأن له الخلق والأمر والنهي والقدرة عليهم
ختم الآية بالثناء عليه لأنه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال
ابن عباس معناه تبارك باسمه تبارك في كل شيء. وقال المحققون معنى هذه الصفة
ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال
متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد فيه التوقيف قوله عز وجل ادعوا ربكم. قيل معناه
اعبدوا ربكم لأن الدعاء طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله
وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به
حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطلب هو نوع من أنواع العبادة
لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن
تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها
إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال
وهو المراد من قوله تضرعا يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو إظهار الذل في النفس
والخشوع يقال ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا
وحقيقته أن تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى وحقيقته

لما

ربو

يعني سراء انبسط وهو ضد العلانية والادب في الدعاء ان يكون خفيا لهذه الآية فان الحسن يرد دعوة السر ودعوة العلانية تسعون ضعفا ولذكار المصلون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت اركار الاهمسا بينهم وبين ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وعن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته فقال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله بنفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله فوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها وافضوا على الصياح في الدعاء. وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعاء. وقال ابو محمد مكي الذي يتبين من منازل الانبياء.

عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء. وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء. فكل مخالف امر الله تعبدا فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض اهل الكوفة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية فجعل الافضل اخفاء العبادات ولا مذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادات والطاعات افضل من اظهارها هذه الآية ولكونها بعد من الرياء. وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدى به فيعمل مثله. وقوله الحسن محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال اكثر خبايا على نفسه من الرياء. فالاول اخفاء العبادات صونا لعملها من البطلان واكثر قد بلغ به الضعف. وفرق البعض الى التكثير حيث صار جبلة ناشئة من الرياء. كان الاول في حق الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به. وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل واخفاءها في الصلاة المكتوبة في المسجد

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاتها في المسجد وكذا اظهار
الزكوة افضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا
سائر العبادات قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا
ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله فيها
ببعثة الرسل وبيان الشرايع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول
الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال عطية ولا تعصوا في الارض فيمسك الله
المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها
يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في
الارض شيئا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل وافسادها
بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه
وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب
بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة
في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله منها ادخال الفساد في ماهيتها وقوله
تعالى وادعوه خوفا وطمعا اصل الخوف انزعاج في الباطن لمن لا يؤمن من المضار وقيل
توقع مكروه يصلح فيما بعد والطمع توقع محبوب يصلح له والمعنى وادعوه خوفا
منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل
وطمع الفضل وقيل معناه خوفا من الرياء والذكر في الدعاء وطمعا في الاجابة فان قلت
قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشيء
على نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا
ربكم اي ليكون الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان
فايدة الدعاء احد هاذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء وقيل معناه
كونوا جامعين في انفسكم بين الخوف والرجاء في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله
في العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيها ان رحمت الله اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان
الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف
بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة

عن الافضال

عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ايصال الخير والنعمة
الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات
قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة هاهنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون
اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتانيث
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبا من المحسنين لان في كل ساعة من الساعات في ادبار
عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليهم من الحيوة وليس بينهم
وبين رحمة الله التي هي الثواب في الاخرة الا الموت وهو قريب من الانسان قوله عز وجل
وهو الذي يرسل الرياح هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح نشرا قرئ نشرا بالنون اراه جمع نشور وهي
الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر
الله الريح بمعنى احياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب
وقال ابن الانباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل
انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء
جمع بشرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربعة
الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب
الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان الرياح اربع منها عذاب وهي القاصف
والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات
والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب
لحيات الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة
تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا
اذا كانت يد الانسان تقدماته كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة
قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في
الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سال عمر عنه من الريح فاستحثثت راحلتي حتى
ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها

لانهم

كانوا

بـ

تقدماته

BULAC

بلا قنبطوها وسئلوا الله مرجيها واستعيذوا بالله من شرها رواه النسائي يعني بطوله واخرج
ابو داود نحوه الى قوله منه وقال كيف الاحبار لو كبر الله الى قوله عباد ثلاثة ايام لمات
اهل الارض وقوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يقال اقل بلال الشيء اذا احمله
واستقله والاقلال رفعت فلان رفع شيئا برفق قليلا والسحاب جمع سحابة وهو
الغيم سمي بذلك لانه يسحب بالكسر اي يمد في الهواء والمعنى اذا حملت هذه الرياح
سحابا ثقالا بالماء يعني الماء قال السدي ارسل الله تعالى الرياح فتاتي
بالسحاب ثم يامر الخافقة فتهوي بها الى السماء والارض حيث يلتقيان فيكثرها ثم تنشرها
فيمسكه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب
ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ارسل الله تعالى ريحا تثير السحاب بحكمته ان الرياح تضرب
تحركا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيمتزج ويتعقد ويخرج الماء من بين
به الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه لبلد ميت يعني الى بلد فتكون
اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لما لفظ السحاب
مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جاز ان نظر الى اللفظ
قال الازهري قال الليث البلد كل موضع عامر وغير عامر قال ابو منصور والكابية منه بلدة
والجمع بلاد زاد غيره والمعازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى
وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حاماتها زجل ومعنى الاية انا نسوق
السحاب الى بلد ميت محتاج الى الماء لم ينزل به غيث ولم ينبت به خضر فانزلنا به الماء
اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جائز ان يكون المعنى
فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون فانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب الذي هو الماء
فاخرجنا به يعني بذلك الماء فانزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون
المعنى فاخرجنا بذلك الميت وكل الثمرات يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدبه
من اصناف الثمار والزروع كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج
الموتى احياء فيورثهم بعد فنائهم وذكر سبحانه وتعالى واختلفوا في وجه التشبيه
فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة ان الماء كذلك يحيي الموتى بواسطة
ان الماء ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا بعثة الاول امطر الله

عليهم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعون سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي
رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم
الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا
ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم واعينهم كما يجد النائم حين ينتبه
من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى
تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها كذلك يحيي الموتى بالمطر
كاحيائه الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا البلد
الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى
ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب
من الخشب اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم لعلكم
تذكرون الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة
في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار
ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد
بعد موتها والمعنى انما وضعت ما وضعت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا
وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعبد ويخشى قوله تعالى والبلد الطيب يعني
الارض الطيبة التربة السهلة السمحة يخرج نباته باذن ربه يعني اذا اصابه
المطر اخرج نباته باذن ربه عز وجل والذي خبث لا يخرج الا نكدا يعني والبلد الذي خبث
فهي سبخة لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسيرا بمشقة وكلفة قال الشاعر
لا تنجز الوعد ان وعدت وان اعطيت اعطيت تافها نكدا يعني بالتافه القليل
وبالنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
هذا مثل ضربه للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على
قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار
وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن امن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع
الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها

وهي السبخة

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وأما بها المثل هكذا الكافر إذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يريده الله عز وجل
وبعد فإن عمل الكافر حسنة في الدنيا كالصدقة والنفقة ولا ينتفع بها في الآخرة
قال ابن عطية هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وعمله خبيث كما أن البلد الخبيث
لا يخرج إلا نكدا كذلك الكافر لا يعمل إلا خبيثا وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم منه
خبيث وكسب ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي موسى الأشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا
فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها
أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة
منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل
ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي
أرسلت به أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يعني كما
ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والإيمان آية بعد آية وحجة
بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتتبع سبل الضلالة وإنما خص
الشاكرين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بسماع القرآن وقوله عز وجل لقد أرسلنا نوحا إلى
قومه أعلم أن الله تبارك وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب
خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته وأتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم السلام وما جرى لهم مع أممهم وفي ذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما لم يكن إعراض قومه عن قبول الحق وفصل بالإعراض عنه
غالب الأمم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على أن عاقبة هؤلاء الذين كذبوا
الرسل كعاد وثمود والمقتلاء الذين باءوا بالعذاب العظيم فكذب محمد صلى الله
عليه وسلم وقومه كانت عاقبته مثل عاقبة الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة وفي ذكر
هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب
ولم يلق أحدا وعلم أخبار من تقدم من الأمم وقد أتى بمثل هذه القصص وأخبار القرون الماضية والأمم
الخالية بما لم ينكر عليه أحد علم بذلك أنه إنما أتى به من عند الله عز وجل وأنه أوحي إليه

ذلك

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد
ارسلنا نوحا: لقد ارسلنا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو
نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا
نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله
تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا
ويكون البعث كالتابع لا انه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة
وقيل وهو ابن خمسين وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة
سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه
فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل
لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعنتني ام غبت الكلب
فقال يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو
الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب
ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله واتباع
امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة
وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت
نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيامة قال الملا وهم جماعة
الاشراف من قومه انا لنريك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطا وزوال عن الحق بين
قال يعني نوحا ليس بي ضلالة يعني ما بي ما تظنون من الضلال ولكني رسول من رب
العالمين يعني هو ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله ابلغكم رسالت
ربي وانصح لكم يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به وانصح لكم يقال نصحته
ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه
وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف
وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف
الله وشرائعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم
ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة

على سبب تسميته نوحا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله عليهم وأما
النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه إن
عصوه. وأعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم أنكم إن عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق
في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم أن مغفرة الله لمن تاب وعقوبته
لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله أطلعه على سر من أسراره فقال أعلم من الله ما لا تعلمون
أو عجبتم. ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام
استفهام إنكار معناه أكذبتم وعجبتم. أن جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم
على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لأن كونه منهم يزيل التعجب وقيل
المراد بالذكر الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا
وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى
مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع. لينذركم يعني جاءكم لأجل أن ينذركم
ولتتقوا أي ولأجل أن تتقوا ولعلكم ترحمون لأن المقصود من إرسال الرسول الإنذار
والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة
فكذبوه يعني فكذبوا نوحا فأنجيناه يعني من الطوفان والغرق. والذين معه يعني من آمن
من قومه معه في الفلك يعني في السفينة. وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما
عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والإيمان
يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير حيث قال
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم وقال مقاتل عموا عن نزول العذاب
بهم وهو الغرق قوله تعالى وإلى عاد أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام
ابن نوح وهي عاد الأولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب وهو هود بن عبد الله بن رباح
ابن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن إسحاق هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح
واتفقوا على أن هودا عليه السلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الأخوة من أين
حصلت فقيل إنه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لأنه واحد منهم وقيل إنه لم يكن
من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الآية وجهين الأول قال الزجاج إنه كان من بني آدم ومن
جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الأخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عاد

واحدا

واحد من جنسهم والبشر ليكون القبح والأنس بكلامه أتم والمل والمتبعث البهم من غير جنسهم
مثل المتلد والجبر والثاني أنه أخا هم يعني صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم أخاهم
وكما قال منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الهة أخرى
فإنه ليس لكم إله غيره والفرق بين قوله فقال نوح فقال هود وقفا فإن أن نوحا
كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن
كذلك بل كان يدعو نوح بالمبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من إله غيره أفلا تتقون يعني أفلا تخافون عذابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه
القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حشر قوله يقنا
أفلا تتقون يعني أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح
حشر نحو يقع بهم العذاب فقال هذا إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا الذين
كفروا من قومه إنا لنريك في سفاهة يعني إنا لنريك يا هود في خفة وجهالة وضلالة
عن الحق والصواب أخبر الله عن قوم نوح أنهم قالوا إنا لنريك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود
أنهم قالوا إنا لنريك في سفاهة والفرق بينهما أن نوحا لما أخرق قومه بالطوفان وصنع
في عمل السفينة بعد ذلك قال له قومه إنا لنريك في ضلال مبين حيث تتعب في إصلاح
سفينة في أرض ليس فيها ماء قط. وأما هود عليه السلام فإنه لما دعا قومه إلى عبادة الله وخلع
ونسب ترك عبادة الهتهم وهو قبيح في العقل فاجابوه بمثله فقالوا إنا لنريك في سفاهة
وإنا لنظنك يعني في دعائك إنك رسول من رب العالمين قال يعني قال هود لهؤلاء الملا
الذين نسبوه إلى السفه ليس بي سفاهة يعني ليس الأمر كما تدعون أني في سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين يعني إليكم أبلغكم رسالات ربي يعني أؤدي إليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه
ونشرائعه وتكاليفه وأنا لكم ناصح يعني فيما آمركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه
أمين يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصح والأمين الثقة على ما أؤتمن عليه حكى الله عن
نوح وانصح لكم وحكى عن هود وأنا لكم ناصح فالأول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل
والفرق بينهما أن صيغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة فكأن نوحا جد عوا قومه
ليلا ونهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بصيغة الفعل فقال وانصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا بعد وقت فلهذا قال
وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس بأعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وإنما فعل هود
ذلك وقال هذا القول لأنه كان يجب عليه إعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وإنا لنظنك
من الكاذبين فوصف نفسه بالأمانة وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرير الرسالة
والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها أوعجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم يعني أعجبتم أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم
عقابه واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم إذ أهلك قوم نوح
وجعلكم تخلفونهم في الأرض وزادكم في الخلق بصطة يعني طولا وقوة قال الكلبي والسدي كانت
قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس
ثمانون ذراعا وقال مقاتل اثنا عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة
فاذكروا آلاء الله يعني نعم الله وفيه إضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك
الإنعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح
وهو البقاء في الآخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له أجئتنا يا هود لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد آباؤنا يعني من الأصنام فأتنا بما تعدنا يعني من العذاب إن كنت من الصادقين
يعني في قولك إنك رسول الله قال يعني قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل ووجب عليكم
من ربكم رجس أي عذاب وسخط أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم يعني
وضعتم لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لأنهم سموا الأصنام
بالآلهة وذلك معدوم فيهم ما أنزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية
وإنما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل فانتظروا يعني العذاب إني معكم من المنتظرين
يعني نزول العذاب بكم فأنجيناه يعني فأنجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين معه
برحمة منا يعني وأنجينا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لأنهم كانوا مستحقين للرحمة
وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد
بالآيات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فأهلكهم جميعا ولم يبق
منهم أحد وما كانوا مؤمنين يعني لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام
وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن إسحاق وأصحاب السير والأخبار

قالوا

فالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حيث بعث الله فيهم هودا عليه السلام: الاحقاف
والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت مما يلي البحر وكانوا قد قشعوا بالارض كلها وقهروا
اهلها ببطش قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدون فعاندوا الله عز وجل
ضم يقال له صدا وضم يقال له صمود وضم يقال له الهنا فبعث الله عز وجل فيهم
هودا عليه السلام وهو رابعهم حسبا وافضلهم موضعا فابوا ان يوحدوا الله ولا يخلعوا
ما كان يعبد آباؤهم واستكفوا عرض الناس يا وبع بغير ذلك فيما ذكروا فانوا عليه وكذبوا وقالوا
من اشد منا قوة فاتبعه منهم ناس قليل فامنوا به وهم بضعة يكتمون ايمانهم وكان ممن صدق
وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا
نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون
فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى اجهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان
اذا نزل بهم بلاء وجهد يكلبون العبد ج لله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم
ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها
ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا بمكانه من الحرم وكان يسكن مكة يومئذ العمالقة
لان ابا هم كان عملق بن لاوذ بن نوح وكان سيد العمالقة يومئذ رجلا يقال له معاوية
ابن بكر وكانت امه معاوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية
سيد العمالقة فلما محل عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم
فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز والغيث بن هفال بن هفديل وعمثل بن هدبر عاد الاكبر
ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر
سيد العمالقة ونمتر بن عاد فانكلوا كل رجل منهم رهط الفوه معه جماعة من قومه
بلغ عدة وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر
مكة فلما جاءهم اكرمهم واكرم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتا معاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم
عنده وقد بعثهم قومهم يستغيثون لهم بالماء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال لهلا اخوالنا
واصهارنا وهؤلاء مقيمون عندنا وهم ضيف نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع بامرهم
استحي ان آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه يظنون انه ضيفهم بمكانهم عنده وقد طال مقامهم

مرثد

معظم

وعمثل

سبعين

طول

ضيف

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

رؤوسهم جهدا وعطشا فالوا شكا ذلك لرسول الله فبينما هم كذلك اذ ثار فعالنا فلم نشعر
نعتبهم به ولا يدرون ما فعاله لعل ذلك بكم فقال معاوية
الا يا فيل وبحك فقيم لعل الله يجبنا غماما. يتصفى ارضا عادا وعادا.
فدامتوا لا يبصرون الكلاما. والعكش الشديد فليس يرجوا به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير. فقد امست نساؤهم ايامى. وان الوحش تاتيهم جهارا
ولا تخشى لعاد بها سقاما. وانتم هاهنا فيما اشتهيتم. نهاركم وليلكم التماما
فقبحا وبدكم مرة وبعدا. ولا لقوا التحية والسلاما.

فقال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به فقال بعضهم لبعض
يا قوم انما بعثكم قومكم لتبغوا لهم الرأي في هذا البلاء الذي نزل بهم وقد اكلتكم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير لهم والله لا تسقون لقومكم ولكن اصعدوا
تهتموا وانهضوا الى ريح سفينكم واضمروا اسلامه عند ذلك وقال
قضت عاد رسولهم بما منوا كما تاتيكم السماء لهم صمم يقال له صمود
يقابله صدا والعباء. فبصرنا الرسول بسيل جارف يا بصرنا النقد رجلا اعمى.
وان الله هود هو الهاكم. على الله توكلوا ان جا. لقد حكم الاله وليس يجور
وحكم الله اذا غلب الهوا. على عاد وعاد شر قوم. فقد هلكوا وليس لهم بقاء
واذكر ما فعل بن هود. كهوال الدهر او بلوى القنا. فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا
لمرثد بن سعد حين سمع رسالته وعرف انه قد اتبع دين هود وامره
الا يا سعد يا بن فقيل. ذوى كرم وامجد مرثدا. وانا لا نصيعد ما يغنا.
ولسنا بالعبر كما ترى. انا من نلتمس دين هود.
ونترك دين آبا كرام. ذوى حلل وتتبع دين هود. ثم قال معاوية جلهمة
لمعاوية بن بكر وابنه بكرا خيبا عنا مرثدا ولما يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وآمن بنا
ثم خرجوا الى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من عند معاوية
ابن بكر حتى اقدم مكة قبل ان يدعو الله عز وجل بشئ. فلما خرجوا اليه فلما اشرف اليهم
قام يدعو الله وبها وبدعاء يدعو مرثد فقال مرثد اللهم اعكس شمول وحد ولا تدخلني
فيما يدعو به وبدعاء وقال قيل بن عنز ز الرعد عاد فقال اللهم اعكس فيما ما سالك

اول الورد

وقال الوفد معدوا جعل رسولنا مع رسوله وكان وفد ثعلبة عرود عاد الغمار بن
وكان سيد عاد حتى اذا برغوا مدعواتهم فانطلقا فقال اللهم انا جئناك وقد بعث بحاجة
فاعطنا سؤله وسأل طول العمر فعمر سبعة آنسر وقال قيل بر عمير جيرد عاد يا الهنا
ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا
ثم نادى منادٍ من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحابات فقال قيل قد اخترت
السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فنادى منادٍ اخترت رماد رمدا لا تبقي ولا تذر من عاد
احدا وساق السحابة السوداء التي اختارها قيل بانهيارها الى عاد حتى خرجت عليهم
من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فيقول الله
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فكان
اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها
صاحت ثم صعقت فلما افاقت قالوا لها ما ذا رأيت فقالت رأيت الريح فيها كشهب
النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع
من عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين حيث لا يصيبهم ولا يمر
عليهم الا تلين عليهم الجلود وتلذ به الانفس وانها هي وفتحها التمر بالصرس من عاد
فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرجت وفد عاد مكة حتى مروا
بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هو عندهم اذ اتفكه عليه رجل على نافة له بعيلة شهر وذلك
يسمى ثالثة وقصائد عاد ما خرج الجن فقالوا يا بن فارفت هودا والحابه فقال فارقتهم
بساحل البحر وانهم شكوا بما حدث به فقالت هذيلة بن بكر صدق ورب الكعبة وقال
السدي بعث الله عز وجل الى الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تحمل بين الريح
بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الى البيوت
فقلعت ابوابها ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله
عليهم طيرا سودا فتحملتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فاهلكت
عليهم المال فكانوا فيها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لها انين فتدمغ الرجل او المرأة او الريح
فتشيعهم الى الجبل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر وانجر ريح هود الا بكيال الابريد

وانما عنت عن الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم مكثوا فيها وفي الحديث انما خرجنا على مثل خرق الحناء وقيل ان مزيد بن سعد ونعمان بن عاد ولقمان بن عمر حين دعوا لمكة قيل لهم ان عصيتم هنا كم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مزيد اللهم ان اعصك تبرا وصدفا ما عصى ذلد وقال نعمان اللهم ان اعصك عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لفوته فيربيه حتى تموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسر اسمه لبد فلما مات لبد مات نعمان بعد وأما قيل فانه اختار لبد بسبب ما نصب فوقه فقيل له العقاب فقال لا بل لا حاجل بالبقاء بعد قومه فلما صاروا الى عاد فهلك وقومه والوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد ذاتى الى آخر ما خرجوا من الحرم وما هلكتم فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين وارتضع بعد هلاك قومه الى ان وضع فقال له الشجر بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت بحضرموت فيقال انه قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بن بير الكروانفا وزوزن فبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويروى ان ما بين مكة والمدينة واليمن اذا هلك قوم الا جاء هود والصالحون من قومه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا يعني وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جد بن عابر وكان منازل ثمود الحجر بين الحجاز والشام والوادي القرى وما حوله ومعنى الكلام الى بني ثمود واخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو ابن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمودا باسم ابيهم الذي ينتسبون اليه. اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد ابن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه. قد جاءتكم بينة من ربكم يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عباده الله تعالى وعلى تصديقي فيما جاء رسول الله

الخ

اليكم ثم فسر تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية يعني أنها علامة على
صدقي قال الفقهاء وجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له أنها
خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكما خلقها
من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لما كان لها
شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لانها ناقة تشرب ما تشرب قبيلة فهي
ناقة معجزة وكانوا يجلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم
مقام الماء وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع
من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا ايضا
معجزة وانما اضافها الى الله في قوله هذه ناقة الله على سبيل التشريف والتفضيل لأن
كما يقال بيت الله وقيل ان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم
يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تاكل
في ارض الله يعني فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة له
ايضا وليس لكم في ارض الله شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب ولا تمسوها بسوء
يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من انواع الاذى ولا تعقروها فياخذكم عذاب اليم
بسبب عقرها واذاها واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم
تخلفونهم في الارض وتعمرونها وبوأكم في الارض يعني واسكنكم وانزلكم في الارض تتخذون
من سهولها قصورا يعني تبنون القصور من سهول الارض لان القصور انما تبنى من اللبن
والاجر المتخذ من الطين السهل اللين وتنحتون الجبال بيوتا يعني وتشقون بيوتا
من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على
انهم كانوا متنعمين مترفهين فاذكروا آلاء الله فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها
ولا تعثوا في الارض قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعثو
اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه
النهي عن جميع الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني قال الاشراف الذين تعاظموا
عن الايمان بصالح للذين استضعفوا يعني المساكين لمن آمن منهم يعني قال الاشراف
المتعاظمون في انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومهم اتعلمون ان صالحا

مرسل مربه. يعني ان الله ارسله الينا واليكم. قالوا انا بما ارسل به مومنون. يعني قال
الضعفاء انا بما ارسل الله به صالح لدين والهدى والحق مصدقون. قال الذين استكبروا
يعني عن امر الله انا بالذي امنتم به كافرون. اي جاحدون منكرون
فعقروا الناقة. يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر فتح عرقوب البعير ثم جعل النحر
عقرا لكل ناحر البعير يعقره ثم ينحره. وعتوا عن امر ربهم. اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه
والعتو الغلو في الباطل والتكبر في الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امر الناقة
وكذبوا نبيه صالحا عليه السلام. وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا. يعني من العذاب
ان كنت من الصادقين. يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فانصر رسله على اعدائه
وانما قالوا ذلك لانهم كانوا متعبدين بكل ما اخبر به من العذاب فيحمل الله لهم ذلك
فقال تعالى فاخذتهم الرجفة. قال ابن عباس والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة
وقال مجاهد والسدي هي الصيحة. فيحتمل انه اخذتهم الزلزلة فرجفتهم
والصيحة فرجفوا حتى هلكوا وهو قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين. يعني فاصبحوا
في ارضهم بلادهم جاثمين وواحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار بني
فلان يعني ارضهم ومحلتهم وجمع ديار اخرى فقال ديارهم لانه اراد ما لكل واحد
منهم والديار والمساكن وقوله جاثمين. يعني باركين والجثوم للناس والطير منزلة
البروك للبعير وجثوم الكبش هو وقوعه لاكبا بالارض جاثما تزمه وسكونه
بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجه الارض لا يتحركون فتولى عنهم. يعني
اعرض عنهم صالح وهو وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ما ماتوا
وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب تدل على
انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احياء
قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء. فعلى هذا القول
يحتمل ان يكون هذا الكلام تقديما وتاخيرا تقديره فاخذتهم الرجفة فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا

وتعريها كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار وقتلى بدر جيفة الغواة الغلب فجعل
ينادي بأسمائهم الحديث وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم قوما قد جيفوا
فقال ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يجيبون وقيل انما خاطبهم حياة لهم ليكون
عليه حسرات بعد يوم بدر جزعا مثل تلك الكيفية التي كانوا عليها وكانت
قصة ثمود على ما ذكر محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اهل السير والاخبار
قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقرضوا وانقضت عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في
الارض فكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي
فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا بسعة من العيش والرخاء فعتوا وابتدوا
بالارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح
من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم ونصره فلما لم يزل يدعوهم الى الله
والى عبادته حتى نجمت وكبر ولم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما اخ عليهم
صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم اية تكون مصداقا
على ما يقول فقال صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم
وذلك يوم معلوم من السنة فقالوا ندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان
استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا
اوثانهم وسألوها ان يستجاب لصالح فيما يريد ما يريد فلما فرغوا من دعائهم
يومئذ لبيد ثمود يا صالح اخرج لنا رفدا الصخرة الصماء المنفردة في ناحية الحجر يعنون الصخرة الكبيرة
فانفتحت فخرجت منها ناقة عشراء جوفاء وبراء عشراء المخترجة مثل ما وصفت البخت والابل ما رأيت
وصدقوا فاخذ عليهم صالح المواثيق ليؤمنن به ويتبعنه فلما رأى منهم الوفاء قال
فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج لولدها ثم تحركت
العضباء فانفتقت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا
الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم تحركت شقيا متلصاب اليهم فلما رأى جندع بن
عمرو ورهط معه رغوة واراد بغية اشقاها ثمود الذي عقرها فيما يزعمون وابو
ابرهم بن يسيد والحباب وكانا صاحبا اوثان ورباب برهبي وكان كاهنهم وكانوا اشقاها ثمود
فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم

بملكت الناقة ومعها سقيها وارفرتود زعى الشجر وتشرب الماء وقد كانت ترد الماء غبا
حتى تقطر
فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بير الحجر يقال لها بير الناقة فلا تزع راسها كل ما بها
فلا تدع فيها شيئا نزع راسها فتتبعها لبن فيحلبون ما شاء وامر لبن فيشربون ويدخرون
حتى يملئوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث
الله
وردت حتى اذا كان الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الا مرا لما ويدخرون ما شاء واليوم
الناقة فيه عاد لطيبة وديعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بكفر الوادي فتصرح
منعا مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بكر الوادي فتكون به حرة وجدة واذا كانت
العذاب
الشتا. فتشتي الناقة ببكر الوادي فتهبط المواشي الى كفر فتكون به البرد والجدب فاضر
ذلك بمواشيهم للماء الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم
وحلم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت اناث ثمود يقال لاحديهما عنيزة بنت
غنم بن مجلد وتكنى بام غنم وكانت اوتاة عجوزا مسنة وهي اوتاة دواب بن عمرو وكانت ذات بنات
حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والسرة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة
عنيزة ذات بنات اشر كثير وكانت رائشة الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحتان عقر الناقة
لما اضرموا بينهما فتحيلتا على عقر الناقة فدعت صدوف حلمان ثمود يقال له الحباب لعقر
الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو قتل ما بى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج
ابن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت احسن الناس وجها واكرمه ما لا فاجابها
الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم ابن سالف وكان رجلا حيازقا فصبرا وبين عمرو انه كان ابر ابنة
وام بكر لصالح ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لغدار اى بنى ثبت اعطيتك على ان تعقر
الناقة وكان غدار عزيزا منيعا في قومه في عز معه اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث اشقيها انبعث لها
على ما اراده
رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة فقوله انبعث ابا عارم بن زمعة والعارم الخبيث
الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع مما اراده فاما الحباب اذا
ما انطلق غدار بن سالف ومصدع بن مهرج يستغوون اعوان ثمود فاتبعهم سبعة نفر
ومصرع
فكانوا تسعة رهط فانطلق غدار ومصدع واحاطوا بها في صدوا الناقة حتى صدرت على الماء
وقد كمن لها غدار في اصل صخرة على يفعها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى قريبة من مصدع

فما هابنهم

فرماها بسمع فانتصب عظيمة سنامها وخرجت أم عشرة عشراء وأتت البئر فبقيت على وجهها وكانت أحسن الناس وجها البرا، فدارت ثم رمزت يعني حركته على عقرها وأعانته بدبسته فدار على الناقة بالسيف فكشف عن نوبتها فعقرتها ورغت رغاة واحدة فخذ رسغيها من المحل ثم صعر فدار بلبتها فعقرها فخر جاهل البلد ما فتسموا لحمها فلما رأى سقيها ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا يقال له صبور وقيل دار، وأتى صالح فقيل له أدرك الناقة فما قبل نحرها وخرج أهل البلد يتلقونه ويعتذرون إليه ويقولون يا نبي الله إنما عقرها فلان وما أذنت لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرج جواب كطلبة من الجبل فذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل أن تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير فلما رأى الفصيل ذلك جعل يرغو ويمد رأسه نحو أمه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة التي دخلها فقال صالح لقومه تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن إسحاق وتبع الشعبي أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وهم مصدع بن مهرج وآخر دواب بن مهرج، مصدع بسهم فأصاب قلبه ثم جذب بناقته والتوى عليه سهمه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله وغضبه فقالوا وهم يهزءون وبه وعدنا يا صالح وما أية ذلك وكانوا يتعجبون الليلة في ذلك الوقت الأحد أول والاثنين أهون والثلاثا أبار والأربعا جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعا، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبح غدا يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة فهلم فلنقتل صالحا فإن كان صادقا عجلنا قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقنا به ناقته فأتوه ليلا ليقتلوه بأهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوه قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم قاموا به فعاجلته عشيرته دون ذلك وقالوا لا نقتلك لأنك قد أتيتنا بما قد وعدك العذاب أنه نازل بنا بعد ثلاثة أيام فإن كان صادقا لم تزيدوا ربكم إلا غضبا علينا وإن كان كاذبا فأنت من أهون علينا أن نقتلك بهم فانصرفوا عنه تلك الليلة فلما صبحوا يوم الخميس وجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق وصيح بهم فيما ذكر لهم والله أعلم فلم يفيقوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فيما قال وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم وعلى حي يكون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى أبا هرب وهو مشرك

فمنع صالحا فلم يقدروا عليه فعمدوا الى الصخرة صالح يدلوه عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له
مدرج بن مهرج يا نبي الله انهم يعذبونا لندلي عليك فان نحن دلوه على فأتوا اباهم وكلموه
فاتى صالح فقال هو عندك وليس لك اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب
فجعل بعضهم يخبر بعضا بالبرو ويوجوههم فلما اسفروا اصحوا بالجمعة الا قد مضى يوم
من الاجل فلما اصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وعجوا وبكوا
وايقنوا انه العذاب فلما اسفروا صاحوا بالجمعة الا قد مضى يومان من الاجل وحضرهم العذاب فلما
اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضرهم العذاب
فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم وتراسل معه الى الشعب فنزل رملة فلسطين فلما
اصبحوا يوم الثالث تكفنوا وتحنطوا وألقوا بأنفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء وتيقنوا
ان الارض غير مانعتهم ولا يدرون ما يرون يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى يوم الاحد اتتهم صيحة
عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة من السماء وصوت كل شيء له صوت من الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فلما رأت الارض تجلببها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود خرجت
منهزمة حتى اتت وادي القرى فلما جن عليها ما عاينت من العذاب الذي بثمود شربت من الماء
وسقيت فلما شربت ماتت من وقتها الحال

ذكر النسب

وهم الناقة فقال وحي الله
الى صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام انه موعد يعقر فيه ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا
ما كنا لنفعل فقال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاكم على يديه فقالوا انظروا لنا
هذا الشهر ولدا فان قتلنا فقال فولد لتسعة منهم ذلك الشهر ولدا فذهبوا ثم ولد للعاشر
ولد فابى الله ان يقتلوه قبل ذلك وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا
سريعا فكان اذا مر بالتسعة براه فقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكان مثل هذا الغلام فغضب
التسعة على صالح لانه تسبب قتل ابنائهم فحلفوا بالله ليبيتنه واهله
وقالوا فخرج فيما ترى انا خرجنا الى شعب كذا فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح
الى المسجد اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى نتصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا
مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا فكفروا انا قد خرجنا الى شعب كذا وكان صالح لا ينام معهم
في الغيابة بل يبيت في مسجد له خارج الغيابة فاذا اصبحوا تابعهم ويتعصم ويذكرهم فاذا امسى

خرج فيه

فتعهد فيه فان جاء كلهم رجل ممن سماه فاطلع على امرهم لينكشف ما بعل اولياء النبي
فيراجعوه فيخبروا وهو يعلمون ما مرض صالح بفتل ولا دم حتى قتلهم اجتمع اهل د
الغريبة على عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سمي قدارا فكان د
يشب في اليوم شبابا فلما كبر جلس مع نابذ بن الحرباز واما ليجربوا به شرابهم وكان ذا
اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شرب بنه الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع
نحن لبني هذه الناقة ولو كنا نشرب هذا الماء الذي تاخذه الناقة فنكسفيه لانعامنا وزروعنا
كان خيرا لنا فعقل ابن العاشر هل لكم ان اصنع لكم ما تفعلوها فقالوا نعم وعمد عمر لما مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم
الا ان تكونوا باكين ثم اقنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم
لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم
ما اصابهم ولما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين ويرتحلوا بهم ان يستقوا من البئر التي
كانت ترد منها الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر عند قول د
امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هذا ثمود سالوا رسولهم
فبعث الله الناقة كانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج يوم ورودها وارادهم شرب الفصيل
والغار بفتح العين المعجمة وسكون الراء بعدها فاء تحت اديم السماء منه بمنقار الى الارض
ومقارها الف رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان بالحرم فمنعه حرم الله
وعذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه بذلك البرود فمر معه غصن فدفنوه وارادهم فبعث
اليه غصن فنزل القبر فابتدروا باسيافهم وجعروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن د
وكانت العرفطة المومئة مرفوعة صالح اربعة الا من خرج مع صالح الى حضرموت فلما دخلها
مات صالح بمسجد حضرموت ثم بنى الاربعة الا مدينة وسموها حاضورا وقال د
قوم من اهل العلم نزل صالح عليه السلام مكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وافاء قومه
عشرين سنة قوله عز وجل ولوطا يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد

لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابراهيم وابراهيم عمه اذ قال لقومه
يعني اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك لوط عليه السلام لما هاجر عمه ابراهيم
عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم اريحا فلسطين ونزل لوطا الاردن فارسله الله
الى اهل سدوم يدعوهم الى الله ويتنهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى اتاتون
الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وما انتم
فاحشتم اتيان الذكران في ادبارهم ما سبقكم بها احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد
النفي والثانية بمعنى الاستفهام والثالثة للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها الفوم بهذه
الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم
تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما زنا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط ائنكم
لتأتون الرجال يعني في ادبارهم شهوة من دون النساء يعني في ادبار الرجال استغنى
عندكم عن فروج النساء بل انتم يعني ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال
الى الحرام والمأدم وغيرهم ومن جملة هذا الفعل الخبيث ان الله تبارك وتعالى خلق
الانسان وركب فيه شهوة النكاح لتبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا لتلك
الشهوة ومنبع النسل فاذا اتى الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد ابطل
واعتدى كأنه وضع الشيء في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة التي
هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط
على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كان قوم لوط وثمود
واد وزبد عالم كثير في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذا هم وضيعوا قد عرض لهم ابليس
في صورة بشر شاب وقال لهم اذا جعلتم بيد كذا وكذا فجوموا منه فاتوا ملكا الى الناس عليهم
فقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا وصبايا فاشتهوا واستحكم ذلك فيهم فقال الخبيث
سحقا لكم اتنكحون الرجال وتدعون النساء وقيل ان عمل عمل قوم لوط استحكم ذلك الفعل فيهم حتى كان بعضهم
يقضي بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك ان بلادهم اخصبت وفضلتها
الناس اهل البلدان فيتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد جعدا الى ان يفسد فكان اول من نكح
في دبر ما ذكر الله تعالى ان تخصيصهم بالذكر ان تخصيص بعد قوله تعالى وما كان جواب قومه
يعني وما كان جواب قوم لوط لنهيه اذ ونصبه على تقدير حذف الخافض وتقديره ما حذف الله
تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

تعالى عليهم من العمل الخبيث. الا ان قالوا. يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من قريتكم. يعني
اخرجوا آل لوط واتباعه واهل دينه من بلدكم. انهم اناس يتطهرون. يعني انهم
اناس يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر
وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام
فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون من فعل المعاصي والاثام. فانجيناه واهله
يعني فانجينا لوطا ومن آمن معه واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به
بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه. الا امرأته. يعني زوجته. كانت من الغابرين
يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين
قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل
من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين وامطرنا عليهم
مطرا. يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت
وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا
الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه
تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها
ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اوليك فينزجروا بذلك الاعتبار
عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا
يعني ارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان
ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا
الى مدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذي
كانوا عليه وقيل اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح
هو الاول وقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو ابن دية بن مائير
من ذرية مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطاء. وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن مكيل
ابن شخر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام مكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب

المتصلون

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عليه السلام بن تيرون بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب عمر وكان يقال له
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان
قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يعني قد جاءتكم
حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد
لكل نبي من معجزة على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب
لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة في القرآن وقيل اراد بالبينة مجيء
شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله تعالى فاوفوا الكيل
والميزان يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله تعالى ولا تبخسوا
الناس اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل
والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا انتقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث
الى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل وترك
الظلم والبخس خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم مؤمنين يعني
مصدقين بما اقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار
ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو
قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون
ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى
عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم وتبغونها عوجا يعني
وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون
بها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه
كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف ووجه ذلك انهم كانوا فقراء
ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى ان كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمه
عليكم وآمنوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني وانظروا نظر اعتبار ما انزل بمن

وتهددونهم

بالقوة

قبلها

قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله. من العذاب والعقاب
وافرد الامم فقوله بانكروا بها اى عليهم مجازا من السما. لما عصوا وكذبوا رسلهم
وان كل طايفة منكم. امنوا بالذى ارسلت به وكايفة لم يومنوا. يعنى وان اختلفتم فى رسالتى
فبعضهم فى فترة من امنتم بى وصدقتم رسلى ومن فى كذبتم وجحدتم رسلى. فاصبروا
فيه وعيد وتهديد. حتى يحكم الله بيننا. يعنى حتى يفصل الله ويميز بيننا فينجز
الوعد لعباده فيفرج وينصرهم ويقتل المكذبين بما احل بهم ويعذبهم. وهو خير الحاكمين
يعنى انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والجهل بالحكم وانما قال خير الحاكمين لانه
قد يسمى بعض المخلوقين حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم بالحقيقة فلهذا
قال وهو خير الحاكمين. قال الملا الذين استكبروا من قومه. يعنى قال الجماعة من اشراف قومه
الذين تكبروا عن الايمان بالله ورسوله وتعاظموا عن اتباع شعيب. لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا. يعنى ان تو شعيب اجابوه بان قالوا لابد واحد
من امرين اما ان تخرج معك عن بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما امر عليه وهذا
فيه اشكال وهو ان شعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كانوا عليه فما معنى
قوله او لتعودن فى ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل
الايمان به على ملتهم او لبعد الكفار بعضهم بعضا كانوا شعيبا واتباعه جميعا قد دخل بعضهم الخطاب
وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوضع العود على معنى الابتداء.
كما تقول قد عاد على بما اكره اى قد لحقنى ذلك منه وان لم يكن قد سبق منه مكروه قبله
كما قال الشاعر حنانيك بعض الشر اهون من بعض. اى قد عادت لبعض شر.
اراد ليه صارت لبعض شر. واذا كان نوبا كان لبعض قبل الاحسان وقوله تعالى قال اولو كنا
كارهين. يعنى لا نعود فى ملتكم ولو اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها ما قبل ولا
ندخل. قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها. يعنى ان شعيبا
اجاب قومه اذ عرض عليهم العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعنى قد
اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه بالقول باطلا ان عدنا فى ملتكم وقد علمنا
فسادها وانها عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا منها
خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما فى الاول وهو ان شعيبا عليه السلام

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ما كنا به ملتبسين فكيف نعود له بعد اذ نجانا الله منها والجواب
عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان يقال ان الله نجى قومه الذين امنوا به
وتلك الملة الباطلة على ان شعيبا لم يكن يعلم بجملتها وانما كان يرضى بما كانوا عليه من
الكفر واجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها فما علمنا فيها ملتكم
وبعد اذ انقذنا فكانه خلصنا منها وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا به علم الله ان نعود فيها بمعنى قضى الله وقدر
علينا وتقدم سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود ههنا الابتداء والذي
عليه اهل العلم والسنة به بعد الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم
بعد اذ وفقنا الله لمعرفة بطلانها ثم اثبت دخول الكل الا ان يريد الله ذلك لما امورنا راجعة
الى الله غير خارجة عن مشيئته فيسعدنا ويشقي من يشاء بالمعصية وتقدم
شعيب وقومه استسلموا لمشيئته ولم يزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانظر
الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال
الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق به علم الله ومشيئته ان نعود
فيها وتصديق هذه قوله وسع ربنا كل شيء علما يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون
وما سيكون وانه تعالى كان عالما به الازل بجميع الاشياء بالسعيد من سعد بعلمه والشقي من
شقي بعلم الله تعالى على الله توكلنا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فان
الكافي لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب وفوض الى
مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي اقض بيننا وبين قومنا بالحق
وقد اجابه الله في هذا الدعاء فقال ربنا افتح اي اقض واحكم وافصل بيننا وبين قومنا بالحق
يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين
قال الزجاج اهل عمان يسمون القاضي الفاتح وقال غيره من اهل اللغة تقول لغة
مراد وانشد بعضهم الا ابلغ بني عمرو رسولا بان عرانكم عني
اراد عني عمرو حاكمكم وقاضيكم وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك

ترجع الى ملتكم
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان

يعني اما ضيقة وهذا قول قتادة وابن جريج وجمهور المفسرين ان العاتي هو الغاضب والحالم يسمى بذلك لانه يقع اعلاه على الاشكال من الخطوب تفصيلا وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه رخاء كثيرا مرتا حتى يبعثه بينا وبين ما يريدونه وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على انهم مبطلون وعلى كون شعيب ونوح مخبرين وعلى هذا القول فالبغتة يراد به الكشف والتبيين. وقال السدي الذين كفروا من قوم شعيب لما اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون. يعني وقال جماعة من اشرافهم لشعيب يحذرهم به. لان من اتبع نبيا اتبع شيطانا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم تغبنون بهلاك ما اخذتم الى جهنم. يعني الى النار الشديدة. فاصبحوا في دارهم جاثمين قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلا ينفعهم ظل ولا ماء. فدخلوا الاسراب ليجدوا فيها من الحر ما هو اشد من حر الظاهر فخرجوا هاربين الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهم الظلة فوجدوا الروح ونعيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم انجاب الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وقيل ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والمدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما مدين فاخذتهم الصيحة وصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا قال عبد الله بن البحلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعيب تبكيه وترثيه به

كلمن هدم ركنه. هلكت وسط المعمعة. سيد القوم اتاه. هلكه نار تحت ظله.

جعلت نارا عليه. دارهم كالمضمحلة. وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا فيها ولم يتنعموا بها يوما والدور يقال غنيت بالمكان اذا قمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة. في كل سالفة الاوان تاد. اراد فيها اقاموا

وقيل معنى الاية كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى

شعيب

كونه مبطلين

العلم للخبر وصل الله عليه وسلم
على لسان الانبي بعده

وهو الغنا الذي هو ضد الفقر الذي كذبوا شعيبا كما نواع الخاسرين بعض خسروا البضع بعقلاكم. فتولى عنهم. يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم. يعني لانه قال لهم ذلك قبل ان يقع نزول العذاب بقومه واختلفوا هل قال هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين تبعا لما قصه صالح عليه السلام وقوله تعالى فكيف اسى. يعني احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان فكلما زال بهم ما نزل من العذاب عزوا بنعمته فقال كيف احزن على قوم كافرين لانعم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل بمعنى الاية انا شعيبا قال لقد اعذرت اليكم بالابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تنتفعوا فلم تقبلوا فكيف يكبر احزن عليكم بعد ان لم تستجيبوا فمستحقين بان يحزن عليكم على القول الاول انه حصل للشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني يجوز عليهم والله اعلم قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي. قيد اخبار وحذف نقدير فكذبوه فاخذنا اهلها بالباساء والضراء. قال ابن مسعود الباساء الفقر والضراء المرض وبهذا المعنى قول قتادة الباساء كل ما ناكم من الشدة في اموالكم والضراء كل ما ناكم من المواشي وقيل الباساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال لعلهم يضرعون. يعني انما يفعل بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخشوع والانقياد لله والله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع امم المكذبة ونص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه بهذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وقيل تخويف وتحذير للكفار فيما فعل بغيرهم ليزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة. ان ورود النعمة على البدن والحال بعد الشدة والضر يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه والفعل من السيئة ساء والحسنة بمعنى الشدة والرخاء والمعنى

انصع

ثم

انه بدل على مكان البأساء والضراء. النعمة والنعمة والخصب والعمة بالابدان
فاخبر الله تعالى بعد هذه الآية انه يأخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة
وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله حتى عفوا يعني انه بعد ذلك بهم
حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت
اموالهم واولادهم وقالوا يعني مع كفرهم وعملهم بعد ما صاروا الى الرخاء والنعمة هذا من
ابائنا الضراء والسراء يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قد بلونا وجربنا آباءنا ولم يصبنا
ولم يكرما منا من الشدة والضر فعفونا لنا ما رآه علينا فكونوا على ما انتم عليه
كما كان آباؤكم من قبل فاخبر الله انه لم يؤاخذهم بما قالوا ولا بما فعلوا من الكفر
تعالى ما اخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجأة امن اهل القرى ان يكون ذلك عن فحص منهم
وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها
ليزجر عما عليه من العذاب فقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا يعني
لما ذكر الله تعالى هذه الآية انه لو امنوا بالله ورسوله واطاعوه فيما امروا به واتقوا
يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض يعني لكانت
السماء المطر والارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الحبوب والانعام والازواج
والمنافع والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة
ثبوت الخير الالهي في الشيء ويسمى المكان بركة لثبوت البركة فيه وكذا
ثبوت البركة في نبات الارض لانه تنشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي
اصل البركة المواظبة على الشيء اي لزمنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض وقرئ
فتحنا عليهم بالتخفيف والتشديد ولكن كذبوا يعني بعثنا فيهم رسلنا فامنوا وكذبوا
يعني الرسل فاخذناهم بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بقبيح كسبهم
الاعمال الخبيثة فقوله عز وجل افامن اهل القرى هو استفهام يعني الانكار وفيه
وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل
القرى الذين عصوا وكذبوا ان يأتيهم بأسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون او امن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم
والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهو غاية الغفلة وهو اتى بالبل

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

يعبث الذكر

وحال الضحى بالنهار وانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور
الدنيا كلها ولجمعهم ان يكون المراد خوضهم بكفرهم وذلك لعبهم ايضا انه يضر ولا ينفع
اما منوا مكر الله يعني استدراجه اياهم عذابه حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون
التدبير وتسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهو غفلة عنه لا يشعرون بها ما يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ان يكون ما اعطاهم من النعم مع كفرهم استدراجا
الامر خيره آخرا وهلاكهم اولا بعد يعني اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد
اهلها الذين كانوا قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم بحيث
لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون اثرا ونطبع مستقبل عما قبله والمعنى
ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل
والمعنى ولم ينبئنا كتبنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد
اي نعاوانبا اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من
انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وهلاكهم ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات الذين
الى قوم الذين رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الساطعة
على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا لما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل
معناه بما كانوا عليه من الكفر والتكذيب لرسلهم من لدن نوح الى زمان محمد صلى الله
عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يعني
كما جاء هذه القرى

يحق على العباد ان يأخذوا من العلم ما أبدى لهم وألا يقولوا لعلم ما لم يفتح عنه وان علمنا ما قد
فيما كان وما يكون وبعد ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فقد سبق علمه فيهم انهم الكفرة والعاصي
حيث خلقهم في صلب آدم عليه السلام. قال الكسائي وأولى الأقوال بالصواب قول أبي كعب
والربيع بن انس وذلك ان معنى قوله علم الله انه لا يؤمن من قومك أحد فكان سبق علم الله
لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا
ليؤمنوا بما جاء به رسولهم سابق علمه فيهم. الهمداني عند مجيء البينة كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين يعني كما طبع على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك. وما وجدنا لأكثرهم من عهد. يعني
وما وجدنا لأكثر الامم الخالية الوفاء لما ضمنت الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء
بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم أخذ الميثاق. وقال ابن عباس انما يعلك الله
اهل الفرقان ليكونوا اصفوا ما وصاهم به. وما وجدنا اكثرهم لما سبق. اي وما وجدنا
اكثرهم الا ما سبق خبرهم كما عشاوا ونا. قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى
يعني ثم بعثنا بعد النبيين الذين ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب
عليهم السلام. بآياتنا. يعني بحجتنا وادلتنا الدالة على صدقه. الى فرعون وملائه. والقبط وغرق لك من
الآيات التسع. بعد موسى عليه السلام. الى فرعون وملائه. قيل ان كل من ملك مصر كان
يسمى فرعون كذلك الروم كل من ملك منهم كان يسمى ملك الروم كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي. وكان اسم فرعون الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب
ابن الريان وكان ملك القبط والملأ اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف
اتبعهم الاتباع. فظلموا بها. يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه. ولما كانت
هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فقد وضعوا الكفر موضع الايمان. فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين. اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم.
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين. يعني لما دخل موسى عليه السلام على فرعون
دعاه الى الله وقال له اني رسول مرسل اليك والى قومك رب العالمين. يعني أن الله الذي
خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم. هو الذي ارسلني اليك. حقيق. اي واجب على ان لا اقول على الله

الحمد لله حمدا وصلى الله
على من كان بعدنا

الا الله. يعني أنه رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق وصدقه وتوحيده وأنه لا اله غيره. قد جئتكم ببينة من ربكم. يعني ببرهان على صدق فيما أدعي من الرسالة والمراد ببينة معجزة وهي العصا واليد البيضاء. ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته ترتب على ذلك الحكم فقال موسى فأرسل معي بني اسرائيل. يعني خل عني واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة. قال فرعون ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين. يعني أن فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من أرسلك ببينة تدل على صدقك فأتني بها وأحضرها عندي لتتم دعواك وتثبت صدقك فيما قلت. فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين. أي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بأنها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان. قال ابن عباس والسدي انه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء جاءت فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها ووضعت لحييها الاسفل في الارض ولحييها الاعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون فوثب فرعون من سريره هاربا واحدث. وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعة آنية. وقيل انها لما أخذت قبض فرعون بيديها وحملت على الناس فلم يبق منهم أحد الا وضع يده على فؤاده مما دهمه من هول ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وعاد الثعبان مينا وجسده الاول فذلك قوله تعالى فاذا هي بيضاء للناظرين. يعني بيضاء نقية من غير سوء ولا برص. وقيل انه لما أخرج يده من جيبه كان لها شعاع كشعاع الشمس يغلب ضوءه ضوء الشمس وذلك قوله تعالى فاذا هي بيضاء للناظرين. يعني بيضاء من غير

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وقيل أخرج يده من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان
موسى عليه السلام أدم اللون ثم ردها إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي لما كانت ولما
كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرج بيضاء من غير
سوء يعني من غير برص والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا
كان بياضها خارجا عن العادة يتعجب منه فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على
صدق الرسول اعلم أن الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والإيمان في قلوب
عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل إليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكاليفه
وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه
وجائز أن يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء وجائز أن يكون الواسطة
من جنس البشر كالأنبياء مع أممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل وإذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت
الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز
مع التحدي قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه لأن معجز النبي
شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لأن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها
وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل
على أنه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله تعالى فتمنوا
الموت إن كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم أنه من عند الله ودل على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى
وقلب العصا حية وإخراج ناقة من حجر وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين
الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فإذا أتى النبي بشيء من المعجزات
الخارقة للعادات علم أن ذلك من عند الله وأن الله عز وجل هو الذي أظهر ذلك للعجز على نبيه
ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان
القاطع أن الله تعالى قادر على خلق الأشياء وإبداعها من غير أصل سبق لها وإخراجها
من العدم إلى الوجود وأنه قادر على قلب الأعيان وخوارق العادات والله أعلم
قوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون إن هذا يعني موسى لساحر عليم يعنون أنه
ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل لهم أن العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

كما اراه يد بيضاء وهو ادى اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك
الزمان فلما اتى بما يعجز عنه خروا قالوا انه لساحر عليم بما فعلت فذا خبر الله به هذه
السورة ان هذا الكلام قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال الذين من قوم فرعون للملا
حوله ان هذا لساحر عليم فيكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون
اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل
يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه ومن خاصته سمعوا منه ثم
انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هناك الملا واخبر هنا ذكر فرعون وقوله
بسحرهما تخرجاكم من ارضكم يعني بسحرهما تخرجاكم ايها الفبطي من ارضكم فماذا
تامرون يعني بماذا تشيرون تفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا
كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا لفرعون فماذا
تامرون قالوا ارجه واخاه بلفظ الجمع وهو احد معاني المولى التعظيم والتفخيم والمعنى
فماذا تامرون ان نفعل به والقول الاول اصح لقيام الاية الى بعد هذا وهو قوله
تعالى قالوا ارجه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء
التاخير في اللغة وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء
في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ما راى امر
العصا ما رأى واريد بالمدائن جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اذا اقام به
يعني مدائن صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك السحرة جمع مدائن
الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل الى هذه المدائن رجالا امرا عوانا وهم الشرط
يحشرون اليك مهرة السحرة وكان رؤساء الشعراء بارض الصعيد فاما غلبهم
موسى صدقنا وتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر مثلهم فولد يا توك يعني الشرط
وقرئ بسحار والمراد بالساحر والسحار ان الساحر هو المبتدئ بصناعة السحر
فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره
وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل به كل وقت عليم يعني ماهر
بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان الملا من قوم فرعون اشاروا على فرعون
وسلكانه بالعصا قال ابن اسحاق لا تقابل موسى الا بمثل ما جاء به فلما غلب في اعين الناس
الى مدينة

المدينة يقال لها الفرما يعلمونه السحر معلوم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا
ثم بعث الى السحرة فجاءوا معهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ما اذا صنعت قال علمتهم سحرا
لا يكيفه سحر اهل الارض الا ان يكون امرا من السما. فاندلا كما فقد لهم بدثم بعث فرعون
في مملكته فلم يبق ممن يحسن السحر الا اتى به واختلعوا بعدد السحرة الذين جمعهم فرعون
فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان من مع الفيطم وهما روسا القوم .....
وسبعون من اسرائيل وقال الكلبي كانوا الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل سوس
وكانوا سبعين غير رؤسايهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق
كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا بيضعة عشر الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا
ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا وقال ابن عباس شعوذة وقيل
بوحشة قوله عز وجل وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاءوا الى فرعون
قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطاء ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال
الماوردي معنى الذي يقول اي يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون يقالوا ان
لنا وجوبا به هو على نقد بين سائل سأل ما قالوا اذ جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم يعني قال لهم فرعون نعم لكم الاجر والعطاء وانكم لمن المقربين
يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة انه لا اقتصر بكم
على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة انني اجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون اول من
يدخل على واخر من يخرج من عندي. قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي يعني عصاك
واما ان نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا هذا ابتداء قصة اخرى ومعنى
السحرة ان عوامهم موسى عليه السلام خير الادب فدعوه الى ان يبدأ بالالقاء فاجابهم
الله عز وجل حيث تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان امره عليه بالايمان والهدايه
ولما راعوا الادب اولا اظهروا ما يدل على رغبتهم به له. قال لهم موسى القوا يعني انتم
فقد سمح على نفسه بالالقاء فالقوا حبالهم وعصيهم وقد علم الله
سحرهم وفعل السحر كيف خيل لموسى انها تاتي بالالقاء. ذكر العلماء عنه اجوبة احدها ان معناه ما انتم
محضرون به فعلكم باطل فالقوه والا فما تلقفوا الجواب الثاني انما امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانه
اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى وعصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم

عز وجل

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في التقديم والتاخير فاذن لهم في التقديم
لتظهر معجزته ايضا عليهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم
بالالقاء اولا فلما القوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس يعني صرفوا اعين الناس عن
ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي
هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها
عن ادراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته كقلب عصا موسى عليه السلام حية
تسعى واسترهبوهم يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى
وجاءوا يعني السحرة بسحر عظيم وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي
حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال
بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها
تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت
سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه
خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام
على ثقة ويقين من الله انهم لم يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة
لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف لموسى
من ذلك بل كان خوفه عليه السلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف
موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى
قوله تعالى واوحينا الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها فاذا هي تلقف تبتلع
ما يافكون يعني ما يكذبون فيه فيه السحر لان اصل الافك قلب الشيء عن غير وجهه
ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون
اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى
سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية
من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شيء اتوا به
من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم
الذين حضروا المجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا

من السحر

على ما قيل في العصا

ثم اخذها

ثم أخذها موسى وصارت بيده عصا كما كانت أول مرة فلما رأوا السحرة ذلك عرفوا
أنه رأس السحر. ليس وراءه بغية وفوقه بعد ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا
برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق يعني ظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل كانوا
يعملون يعني السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا و
عصينا كما بقيت وتكاشفت عصا موسى علموا أن ذلك أمر الله وقدرته. فغلبوا
هنالك يعني عند ذلك غلبا وهزموا وصغروا وجوعوا. وانقلبوا صاغرين يعني ورجعوا
أذلاء مقهورين. وألقي السحرة ساجدين يعني أن السحرة لما عاينوا أمر الله قدرة الله وليس
بقدرة من غالبته بسحر خروا لله ساجدين وذلك أن الله عز وجل ألهمهم معرفته والإيمان
به فقالوا آمنا برب العالمين فقال فرعون يا ثعبور فقالوا بل رب موسى وهارون قال مفاتل
قال موسى ليكسر السحرة تويريا وغلبتك فقال: لأني بسحر لا يغلبه سحر وليرغلبنك
لما ومتربك وقيل إن الحبال والعصي التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلاثمائة بعير
فلما ابتلعتها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا وخارج عن السحر وما هو إلا
أمر السماء. فآمنوا وصدقوا لما رأوا كان يجب أن يأتوا بالإيمان قبل السجود
لما جاءت تقديم السجود على الإيمان فلما لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الإيمان والمعرفة
خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم إليه وألهمهم به من الإيمان بالله وتصديق رسوله و
ثم أظهروا بعد ذلك إيمانهم وقيل لما رأوا أمر عظيم قدرة الله وسلطانه علموا أنه
ليس بقدر على ذلك أحد من البشر وأن كل شيء صنعه كان باطلا فلما رأوا السجود لله تعظيما
لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم إنهم أظهروا الإيمان بالله فقال ابن عباس لما رأوا أن السحرة
ما رأت عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا. آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون قوله عز وجل قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم. قال يعني قال فرعون للسحرة
آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن آذن لكم. أترتم بذلك وأذنتم فيه. إن هذا لمكر مكرتموه بالمدينة
يعني إن هذا الأمر صنعتموه أنتم وموسى بمدينة مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع وذلك أن
فرعون رأى موسى حدث كبير السحرة بكفر فرعون أن موسى وكبير السحرة تواطؤا عليه وعلى أهل
مصر وهو قوله لتخرجوا منها أهلها وتستولوا عليها أنتم. فسوف تعلمون فيه وعيد
وتهديد يعني فسوف تعلمون ما يحل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من خلاف وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فخالف بينهما بالقطع. ثم لاصلبنكم اجمعين يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع اليدي والارجل فرعون قالوا يعني مجيبين لفرعون حين وعد بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا الى ربنا راجعون والينا صائرون الا تنقم منا. يعني وما تكرهنا منا وما تنقم علينا وقال عكرمة معناه وما انكر علينا وما رد بنا تعذبنا عليه. الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا. ثم قالوا لله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون ايانا فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا. اي اصبب علينا صبرا كما ملأتنا ما وتوفنا مسلمين. يعني وافيضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس كانوا اول النهار سحرة وآخره شهداء وقال الكلبي آمن فرعون فقطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره لانه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه. يعني وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتترك موسى وقومه وبني اسرائيل ليفسدوا في الارض. يعني ارض مصر وارادوا بالافساد فيها انهم يأمرون بخلاف فرعون وهو قوله ويذرك وآلهتك. يعني ويذرك ليذرك وآلهتك ولا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كان لفرعون بقرة وكان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة امر بعباده نفسها ولذلك خرج لبني اسرائيل عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم وربكم هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال انه امر قومه بان يظهروا له الوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمرهم بعبادتها وكان يقول بلغني انه هو الذي يأتي بالخصب والجدب فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر اللام وبعناه ويذر الناس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

واعملنا انا لتلهة اربنا

اراد بالالهة الشمس. قال يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم. يعني نترك كهن احياء وذلك ان فرعون لما اراد ان يحمل فرعون على قتل موسى وقومه اوحى الله تعالى الى موسى ان يأمر قومه بالصبر ووعده ان يهلك فرعون وقومه فلما اراد فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا مما اراد وا به لقوة موسى بما معه من المعجزة عاد الى قومه فقال

سنقتل

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرائيل
بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل
فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى قال فرعون الما تقوى موسى بقومه فنحن نسعى
في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله
وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا
الى موسى ما نزل بهم. قال موسى لقومه يعني لما شكوا اليه استعينوا بالله واصبروا يعني
استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء. فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما
نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم. ان الارض لله يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله
يورثها من يشاء من عباده. وهذا اطماع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه
ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين يعني ان
النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة
قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة تبع
موسى ستمائة الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون
ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك
ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة
الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان
يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة
فظاهر هذا الكلام موهم بان بني اسرائيل كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب
عن هذا الايهام بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة
فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه. فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم
ان يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه. ويستخلفكم في الارض يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم
بعد هلاكهم. فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج
فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم
قوله عز وجل ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول العرب

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على سيدنا ونبي بعده

صنستم السنة يعني اخذهم الجدب والسنة ويقال أسنتوا لما يقال الجدبوا
قال الشاعر وهو رجل مكة مسنون عجاف وفيه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف ومعنى الآية ولقد اخذنا آل فرعون
بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني وإتلاف
الغلات بالآفات قال قتادة أما البدو وأما نقص الثمرات
فلأهل الأمصار لعلهم يتذكرون يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر
والمعاصي وذلك لأن الشدة تزهق القلب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير
ثم يثبت الله تعالى أنهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا إلا تمردا
وكفرا فقال تعالى فإذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والخير والسعة والعافية
والسلامة من الآفات قالوا لنا هذا أي نحن مستحقون لها على العادة التي جرت لنا
به سعة الأرزاق وصحة الأبدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على نعمه
وإن تصبهم سيئة يعني القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهون يقولوا
بكسروا يعني يتشاءموا واصله يتطيروا أو التكسر التشاؤم به قول جميع المفسرين
يطيروا بموسى ومن معه يعني أنهم قالوا ما أصابنا بلاء إلا لأجل إتباع وما ذاك إلا بشؤم موسى
وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وكان ملك فرعون أربعمائة وعاش
ستمائة سنة وعشرين سنة لم ير مكروها فكان لو حصل له تلك الشدة جوع
يوما أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما دعا إلى بوبيته فكان هذا كالرمز عند الله
يعني أن ما يصيبهم من التغيير والجدب والنقص كلها من الله قال ابن عباس
كل شيء ما في القرآن ليعلمون فهو ليتوبون عنه شؤمهم عند الله ومعناه
ألا إنما حالهم يكشف بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار
ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني أن ما أصابهم من الله تعالى إنما قال أكثرهم ولا يعلمون
لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب ولا يضيفونها إلى القضاء والقدر فقوله
تعالى وقالوا يعني فرعون وقومه لموسى عليه السلام مهما تأتنا به من آية
يعني وعندما جاءنا به من سحر وهو قولهم لتسحرنا بها يعني لتغلبنا فما نحن
لك بمؤمنين فما أخبر الله تعالى عنهم أرسل عليهم الطوفان وكان موسى عليه السلام رجلا آدم جعدا

مستجاب الدعوة

معه
على ملك فرعون
وهو أربعمائة
سنة

بيان
أنبي

مستجاب الدعوة بدعائه فيما استجاب الله دعاءه فقال تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كل واحد بعضهم في بعض فقالوا آمنا السحرة ورجع سحرهم مغلوبا أي بهوان وفسد الا الا قامة على الكفر والتمادي على الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالآيات فأخذهم أولا بالقمل وهو القمل ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى فقال يا رب عهد عهد عهدك فيهم عند الأرض وبغى وعتا وان فرعون قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومه عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت القبط وبيوت بني اسرائيل مختلطة متشبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا الماء الى نزاقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء بيوت بني اسرائيل شيء وركد ذلك الماء على وجه لم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعكرمة الطوفان الموت وقال وهب بن منبه الطوفان الكامن بلغة أهل اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدري وهو أول عذاب نزل بهم ثم بعث الله على الأرض وقال مقاتل الطوفان الماء كقول الجمهور وفي رواية عن ابن عباس أن الطوفان الماء أمر الله عز وجل كان بهم بعد ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الماء المكم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان فأنبت الله لهم تلك السنة شيئا لم ينبت قبل ذلك الكلأ والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الا نعمة علينا فلم يؤمنوا فأرسل عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة حتى أكل مسامير الحديد التي في الأبواب وغيرها وأتى الجراد بلاء لم يكن قبله مثله لا يشبع وامتلأت منه البيوت وبيوت بني اسرائيل فلم يدخل شيء من ذلك عجموا وعجنوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك ليرفع عنا هذا الجراد لنؤمنن لك ولنعبدن معك الله وميثاقه فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وهو الخبر مكتوب على كل جرادة جند الله الأعظم وقال لما موسى عليه السلام خرج الى الصحراء فأشار بعصاه

SULAC

العسر لله عز وجل
على ما كانوا بعد
يعودوا

هو المشرق والمغرب وجميع الجراد فرجعت جنودا وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية
فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن تاركي ديننا فلم يؤمنوا ولم يعودوا بما عاهدوا عليه
وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فلما رأوا الضفادع عامة ثم بعث الله عز وجل عليهم الدم
واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه الدم هو السوس الذي خرج من الحنطة
وقال مجاهد وقتادة والسدي والكلبي الدم الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة
له وقال ابو عبيدة هو الحميان وهو وباء يأخذ الجراد وقال عكرمة الخراسانيون هو الدم
نفسه وكان الدم بفتح الدال وسكون الميم فقال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل
موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب رمل اصفر بناحية مرفوق مصر يسمى عين الشمس ومشى
الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانفلق عليه الدم فتبع ما بقي من جذور نبات وزروع
وثمارهم فاكلها كلها ولحصر الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل
احدهم طعاما امتلأ دما فقال سعيد بن المسيب الدم السوس الذي يخرج من الحبوب
وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اجربة فلما رأوا ذلك
كذا اشتد عليهم من الدم واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم وتولد عليهم
كانه الجدري ومنعهم النوم والقرار فصرخوا الى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف
عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم الدم بعد ما اقام عليهم سبعة ايام
من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى خبثهم ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا
ما كنا قط احق ان نستيقن انه سحر منا اليوم فجعل الرمل دواب فدعا موسى
عليهم بعد ما اقاموا شهرا عامة ما رسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم
واقنيتهم واطعمتهم وابنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم ثب الضفدع فدخل فيه
وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم وكان احدهم اذا اراد ان يضجع
لكبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان يتقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل
تسبغ الضفدع الى فيه ولا يجد لطعم مذاقا امتلأ ضفادع ولا تفتح قدر الا امتلأت ضفادع فلقوا
من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع بريه فلما ارسلها الله
عز وجل على من مر وسعتا واكاعتا وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي على النار

وقع التنانير

وهي التنانير وهي تفور وأتى بها الله عز وجل بفسرها عنها بزد الماء فلما رأوا ذلك بكوا
وشكوا إلى موسى ما لقوا من الضفادع وقالوا هذا الذي نتوب ولا نعود لما أخذ موسى عليهم
المواثيق والعهود ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت سبعة أيام إلى السبت
فلما استشعروا عافيته نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله
عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً وصاروا يشربون الدم حتى كلما يستقون من الآبار
والأنهار وجدوه دماً عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب إلا الدم فقال سحركم
فقالوا والله ما سحرنا وما نجد إلا دماً عبيطاً فكان فرعون يجمع بين القبطي
والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً ويقوم الماء فيما الإناء
فيخرج للقبطي دماً وللإسرائيلي ماء حتى إن المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل فتجهد
جهد العطش فتقول لها اسقيني فتأخذ شيئاً من فيها فتجعله في فيها فيصير دماً حتى كانت
تقول اجعليه في فيك ثم تجيء هي فتفعل ذلك فيصير دماً فشكا فرعون إلى قومه العطش حتى
إنه ليضطر إلى شرب الماء الآجن فإذا مضغها صار ماء وكادوا عند ذلك يسلمون إيماناً
لا يشعرون إلا أن فرعون قال وقال زيد بن أسلم إن الذي سلط الله عز وجل عليهم كان الضفادع فأتوا
موسى وشكوا إليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشفها عنا هذه المرة فنحن نؤمن بك ونرسل معك
بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا بذلك فقوله تعالى فأرسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها
أن كل عذاب كان يقيم عليهم أسبوعاً ويمهل عذابين مدة شهر فما استكبروا يعني عن إيمانهم
فلم يؤمنوا وكانوا قوماً مجرمين يعني آل فرعون فقوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز يعني
ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير
الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى
مات منهم سبعون ألفاً واحد وسبعون ألفاً وبقيت أمتهم قال وعن أسامة بن زيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم
به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه فقوله تعالى قالوا
ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني نبياً وصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك في إجابة
دعوتك لئن كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل

ما يلقون

فعل بعد الحديث يشار الطاعون

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا. فلما كشفنا
عنهم الرجز. يعني بدعوة موسى. الى اجل هم بالغوه. يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت
اهلاكهم بالغرق في اليم. اذا هم ينكثون. يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به
واعلم ان ما ذكر الله تعالى من هذه الايات فهي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى
عليه السلام. ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه
بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وبلاء
وعذاب مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم حال آل فرعون
انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب
على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على
قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك
المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده. قوله عز وجل فانتقمنا
منهم يعني كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة
بالعذاب. فاغرقناهم في اليم. والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم
يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله
فاغرقناهم في اليم. يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه
قال الازهري اليم معروف لغة سريانية عربته العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح والبحر
العذب ويدل على ذلك قوله فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب. بانهم كذبوا باياتنا
الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا. وكانوا عنها. يعني عن اياتنا غافلين يعني معرضين
وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها
كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون. يعني ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهو
ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصاروا
مستضعفين تحت ايديهم. مشارق الارض ومغاربها. يعني ارض الشام ومصر واراد
بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض ومغاربها
الارض المقدسة وهي بيت المقدس وما يليه من المشرق والمغرب وقيل اراد جميع جهات

الارض

الارض وهو اختيار الزجاج قال لانه داود وسليمان كانا من بني اسرائيل وقد ملكا الارض
وقوله التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار
والانهار والزروع والخصب والسعة. وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل يعني
وجبت كلمة الله وهي وعده بالنصر على عدوهم والتمكين في الارض بعدهم وقيل كلمة الله
هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية والحسنى صفة للكلمة وهي
تانيث الاحسن وانما منها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا
يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم
على دينهم وآذاء فرعون لهم وقوله ودمرنا يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال ما كان
يصنع فرعون وقومه في ارض مصر من العمارات والبنيان وقال مجاهد كانوا ينشرون
من البيوت والقصور وقال الحسن ما كانوا يعرشون من الكروم والاعناب قوله عز وجل
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه
واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال الكلبي عبروا
موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني مروا بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون
اي يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال مقاتل كانوا
اولاد الفرس ولخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة قرب ساحل البحر وقيل كانوا اولاد الافرام
والكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قالوا يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا
ذلك التمثال يا موسى اجعل لنا الها يعني صنما نعبده ونعكف عليه كما لهم الهة يعني كما
لهم اصنام يعبدونها ويعكفون عليها واجعل لنا انت الها نعبده ونعكف عليه قال البغوي
ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعكف عليه
ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضاد الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال
غيره هذا يدل على شدة جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله
بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الايات التي توالت على فرعون
وقومه حتى عرفهم الله البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم
موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة فرد عليهم موسى عليه السلام بقوله انكم

وادى

ثم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه لأنه هو الذي أنجاكم
من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها
ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي
بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذي وقوله تعالى إن هؤلاء متبر ما هم فيه
أي مهلك والتتبير الهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة عن عدم الشيء إما بعدم
ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا
يدفع عنهم ضر لأنه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه قال أغير الله أبغيكم إلها لما قال
بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل
التعجب والإنكار عليهم أغير الله أبغيكم إلها يعني أطلب لكم وأبغي لكم إلها وهو فضلكم على العالمين
والمعنى أن الإله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الإله هو الذي فضلكم على العالمين
لأنه القادر على الإنعام والإفضال فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى
قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي
لم تحصل لغيرهم وإن كان غيرهم أفضل منهم قوله تعالى وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه الآية تقدم
تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه
النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة
قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة
وهي ذو القعدة وأتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال
المفسرون إن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب
من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه عز وجل
أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت
أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب وقيل أكل من ورق الشجر فقالت بنو إسرائيل
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة

وقال له

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل
في تلك العشر التي زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين
يوما ويعمل فيها ما يتقرب به اليه ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر التي زاده فلهذا
قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة
وهو قوله وواعدنا موسى اربعين ليلة فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته
اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل
مواقيت الحج وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم
من بعدي حتى ارجع اليك واصلح يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى
وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا
تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون عليه
السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد
اقعد بمعنى دم على ما انت عليه من القعود قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني
الوقت الذي وقتنا له ان ياتي فيه لمناجاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفي الاية دليل على
ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري
كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك او تكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام
كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه
وفساده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة
لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله
حروف واصوات منقطعة وانه قديم وذهب الجمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى
صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا القول
قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا كما انه لا يبعد رؤية
ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف
ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من الخلف والسلف ان الله تعالى يتكلم بكلام قديم
وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى
عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفي القصة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ان الله تعالى انزل ظلة فغشيت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان
وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش
بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه
واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى
كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته فقال رب ارني انظر اليك قال الزجاج فيه اختصار
تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سال
موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق
وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سال الرؤية وقيل انما سال
الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى له لن تريني يعني انه ليس
لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا مات فقال موسى
عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب
الي من ان اعيش ولا اراك وقال لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاص عدو الله الخبيث
ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال
موسى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تريني

السدي

فصل وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع الخوارج والمعتزلة وبعض
المرجئة بهذه الاية وهي قوله تعالى لن تريني قالوا ولن تكون للتابيد والدوام ولا حجة لهم
في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوا في ان لن للتابيد خطاء
بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية
ولم يقل به احد منهم ويدل على عدم صحة ذلك قوله تعالى في صفة الموت اليهود ولن يتمنوه
ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيد النفي كلا التي
تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل فيكون معنى لن تريني محمولا على الدنيا
اي لن تريني في الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث
الصحيح ان المومنين يرون ربهم يوم القيامة في الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه
السلام كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الاية دليل على انه

سال الرؤية

سأل الرؤية ولو كما تأتي الرؤية ممتنعة على الله عز وجل لما سأل موسى وحيث سأل فعلمنا أن الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضا فإن الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية بعد وقوعها جائزة وإنما قلنا ذلك لأنه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن الوجود فلو لم تكن الرؤية جائزة الوجود لما كان استقرار الجبل عند التجلي إذا جعل الله تعالى له قرارا مستحيلا والمعلق بالمستحيل لا يكون محالا والله أعلم بمراده قال ونصب ومحمد بن إسحاق لما سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الصباء والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى احدقت بالجبل الذي عليه موسى أربع فراسخ من جوانبه وأمر الله ملك الموت أن يعترض على موسى عليه السلام بمر به ملائكة السماء الدنيا كثير أهل البقر فلما رأى موسى عليه السلام ما رأى من الصواعق والظلمة والرعد الشديد والبرق الشديد قال يا رب إني كنت أرى هذا شيئا أم الله تعالى ملائكة السماء الثانية اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثل الليل الأسود لهم زجل بالتسبيح والتقديس فلما رأى موسى ما رأى وسمع ما سمع اقشعر كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد تهت على مثل هذا فهل يخبرني مكان ذلك أنا فيه شيء فقال له خزنة الملائكة ورءوس يا موسى أصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه كما مثال النسور لهم صفير وزجل ولجب شديد وأفواههم بالتسبيح والتقديس يسبحون بجلال الجبار العظيم الذي ينبع كل العباد النار فبرع موسى واشتد فزعه وابتدر الحياء فقال له خزنة الملائكة ورءوس يا موسى مكانك يا ابن عمران حتى نرى ما أمر الله عليك ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبهون شيئا من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهم النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس يسبحون بما وصفت من أصوات الذين مروا به قبلهم ما حكيت لك بكاء وارعد قبله واشتد بكاؤه فقال له خزنة الملائكة ورءوس يا ابن عمران اصبر لما رأيت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان

تنبيه

تنبيه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يلم يستطع موسى أن ينتعش بصره ولا يبرق ولا يسمع مثل أصواتهم فما مثلها جوبه
خوفا واشتد حزنه وعشي بكاؤه فقال له خير الملائكة ورد يبشم يا بن عمران مكانك و
حتى ترى ما لا قبل عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على
موسى فهبطوا عليه وبه كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار تشد
ضوء الشمس وليها شيء كالصيب النار إذا سمعوا وقد سواجا وسمع مرتجل فسلم
على الملائكة فلم يرد عليه أصواتهم تشبه قدوس رب العزة أبد الآبدين تبارك اسمه كل ملك
منهم أربعة أوجه فلما رفع موسى رفع صوته يسبح معهم ويهوي ويقول يا رب
اذكرني ولا تنسى عبدك فلما أدرك ما أنعلت مما لا يسعه لما ان خرجت احترقت وإن قلت
مت فقال له خير الملائكة ورد يبشم هذا وشكت يا بن عمران تنشكم فقد وبخلع
فليك فاصبر لما سألت ثم أمر الله تعالى الجبل أن يجعل عرشه ملائكة السماء السابعة
فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم
جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الآبدين فارتج الجبل لشدة أصواتهم
وانهدم كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس بعد
روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح فنعشته وقلب عليه الحجر الذي كان جالسا
عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة ليدا يحترق موسى فامتلأ الروح عليه
مثل فلما أفاق موسى قال يسبح ويقول آمنت بك وصدقت أنه لا يراك أحد
فيحيى ومن نظر إلى ملائكتك فجعلت فداءك ما أعظمك وأعظم ملائكتك تبارك الكريم
ومالك الملوك والآلاء العظيم لا يعدل شيء ولا يقوم لشيء. رب ثبت اليقين لك
لأنزيد لك ما أعظمك وما أجلك يا رب العالمين وذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا قال ابن عباس كنظر نور الرب للجبل فصار ترابا وأسم الجبل زبير
وقال الضحاك انفجر الله عز وجل نور العجب مثل منخر الثور وقال عبد الله
ابن سلام وكعب الأحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى إلا مثل سم الخياط حتى صار
دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الأعلى
من الخنصر وساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا

عن أنس

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ
الجبل وخر موسى قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث
حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين
الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن
عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر وهو يذهب فيه
وقال عطية الصوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسر
اجبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة
بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء
وقوله تعالى وخر موسى صعقا قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال
قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق
من غشيه قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي
التورية يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قال
ملائكة السماء ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة
السموات اتوا موسى وهو في غشيه فجعلوا يركلونه فلما افاق يعني من غشيه
ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له قال سبحانك يعني
تنزيها لك من النقائص كلها تبت اليك يعني من مسئلتي الرؤية بغير اذنك وقيل
من سؤال الرؤيا في الدنيا وقيل لما كانت الرؤيا مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم
فصنعها قال سبحانك تبت اليك من سؤالي ما ليس لي وقيل لما سال الرؤيا
ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابرار سيئات
المقربين وانا اول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقي في الاية سؤالان الاول
الرؤيا غير النظر فكيف قال ارني انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك
والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى انظر اليك واراك السؤال
الثاني كيف قال لن تريني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك
والجواب ان النظر لما كان متعلقه الرؤيا كان المقصود هو الرؤيا لا النظر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الذي لا رؤيا معه **السؤال الثالث** كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى
الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم امر الرؤيا وان احدا لا يقوى على
رؤية الله تعالى الا من قواه الله بمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي
اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا لانه يدل على تعظيم امر الرؤيا والله اعلم بمراده
قوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي يعني
قال الله لموسى يا موسى اني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء استخلاص
الصفوة والاجتباء والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية
لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي انعم
بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت
فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
وانظر الى سائر النعم التي خصصتك بها وهو الاصطفاء على الناس برسالتي وبكلامي
يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك
فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالتي مع ان كثيرا من الانبياء ساواه
في الرسالة **قلت** ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين **احدهما** ذكره البغوي
فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على
الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد
شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لان من جملة
من اصطفاه الله تعالى برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام
فلا يستقيم هذا الجواب **الجواب الثاني** ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى
بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل
لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص هاهنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما
كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك
المعظم من فيه كان اعلا واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه
نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة
وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده

ما اوحى

ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف (اقلام) وهذا كله يدل على مزيد الفضل
والشرف على موسى وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي نعتقده
في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس
الذين كانوا في زمانه وذلك لانه لم يكن ذلك الوقت اعلم منه ولا اتقى ولا افضل منه
وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة فيدل ذلك على انه اصطفاه على اهل زمانه
كما اصطفى محمدا على عالمي زمانه وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم
وقوله تعالى فخذ ما اتيتك يعني ما فضلتك وشرفتك به وكن من الشاكرين
يعني على انعامي عليك وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
لما يستكمل احدا ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع
حتى مات وقال له ربه اني اريد منك كذا فيكشف البرقع ويجعله ما عنده
مثل شعاع الشمس يضع يده على وجهه فيصعق ويخر ساجدا وقال ادع الله
ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوج بامرأة في الدنيا فاخبر ازواجه
قوله تعالى وكتبنا له في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى
وكتبنا لموسى في الواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة
طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله اربعة وكتب
التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال
الكلبي من زبرجد خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج
من صخرة امر الله جبريل حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر
والسند من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب
ان الله بعث الالواح من غير صانع بتسعة اذرع فكسرها بيده ثم شققها باصبعه
وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان
في الالواح عشر اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه
الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي انها
كانت سبعة الواح وروي عنه انها لوحان واختاره البراء قال وانما جعلت على عادة العرب

معه على ما قيل في الالواح

اي الله جبريل

صريف

عن ابن عباس

سبعة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

مراد الملاء الجمع على الاكثير **وقال** وقد كانت عشر الواح **وقال** مفاتل كانت
تسعة **وقال** الربيع بن انس نزلت التورية وهو وقر بعير يقرأ الجزء منها
في سنة ولم يقرأ الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد
بلم يقرأها يعني لم يحفظها وبقرأها عن ظاهر قلب الا هؤلاء الاربعة **وقال** الحسن
هذه الاية في التورية بالعامية **قوله** وكتبنا له في الالواح من كل شيء يعني يحتاج
اليه من امر ونهي وموعظة يعني تفصيلا لكل شيء **وتفصيلا** الموعظة التذكير والتحذير
مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شيء يعني وتبيينا لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام
والحدود والاحكام مما يحتاج اليه امور الدين **روى** الكبري بسنده عن وهب بن منبه
قال كتب له يعني في التورية ما تعبد به بنو اسرائيل من اهل السماء وما اهل الارض وما
كان في الخلق والحلف بما سمى كاذبا ما ان ترحلها بما سمى كاذبا ما ان يكبه ووقر الوالد

وروى البغوي بسنده الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية
فقال اني اجد امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون
بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال
فاجعلهم امتي فقال هي امة **محمد** يا موسى فقال اني اجد امة هم الحمادون رعاة
الشمس يحمدون الله اذا ركبوا واذا نزلوا وافعل ان شاء الله فاجعلهم امتي فقال هي امة **محمد**
فقال اني اجد امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاول يخير فيوجد فاتهم
بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي فقال هي
امة **محمد** فقال اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط
وادي حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد وحيث ما كانوا يتطهرون ومن
الجنابة يتطهرون بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرة محجلين من اثر الوضوء
فاجعلهم امتي فقال هي امة **محمد** فقال اني اجد امة مرحومة ضعافا يقرؤون الكتاب
الذي صحيفتهم في صدورهم كما كان يقرأ في الكتب ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله لا يجحد احد
منهم الامر حرما فاجعلهم امتي فقال هي امة **محمد** فقال اني اجد امة مصاحفهم
في صدورهم يلبسون الوانا ثياب اهل الجنة يطهرون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم
في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا ما شاء الله ويرى الحساب مثل ما يرى البحر

لا اله الا الله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

49

من وراء البحر فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب
محمد فاوحى الله اليه فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالتي وبكلامي الى قوله سأوريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى فخذها بقوة يعني بقوة
قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور وامر
قومك يأخذوا باحسنها قال ابن عباس يحللوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا
امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة
من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك يأخذوا باحسنها يدل
على ان بين الكلمتين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد
كانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله يأخذوا
باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا
باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو
عنه احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان يأخذوا بالاشد على انفسهم
ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معنى باحسنها بحسنها
وكلها حسن وقوله تعالى سأوريكم دار الفاسقين قال مجاهد يعني مصيركم
في الآخرة وقال مجاهد وعطاء يريد جهنم يحذر ان يكونوا مثلهم وقال قتادة
سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا بها وقال عطية
العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال
الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله
عز وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين
يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها
حتى يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة
سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما

يحذرهم
الحسن

العسر للعسرى وصل الله
على من كان بعده

والايات والعبر وقيل حجج الآية للاهل مصر خاصة واراد بالايات الآيات التسع
التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الآية عامة وقيل دليل لمذهب اهل
السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وتيسير آياته وقبول الحق
من يشاء وتوفيق للتفكر في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء كما يفعل
ما يفعل وهم يعلمون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم الحق
ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له الخلق
والفضل الذي لا يشبهه احد كما قال التكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة
المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس
على غيرها فهو صفة ذم جميع العباد وقوله يتكبرون في الكبر ذم ابدا ينتفون
التكبر ويرون انهم افضل وغيرهم ولذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل
وان يروا سبيل الرشد يعني كل ما فيه الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا
يعني لا يختارونه لانفسهم يسلكونه الى الهداية وان يروا سبيل الغي يعني
كل ما فيه الضلال يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يعني ذلك انهم اختاروا
لانفسهم ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده
وعاندوا عنها فاعرضوا عن التفكر فيها والاتعاظ بها والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب حبطت اعمالهم
يعني بطلت وصارت كأن لم تكن والمعنى انه فد يكون الذين يكذبون بآيات الله
يعملون البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الآية انه لا يبقى لهم معه شيء
وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث هل يجزون الا ما كانوا يعملون
يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه من حليهم
يعني التي استعاروها من فرعون وقومه وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا
من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فلما غرقوا فرعون وقومه بقي الحلي
لبني اسرائيل فلما كان ليلة ذلك العيد قال لهم السامري ان الذي جمع لكم هذا الحلي
وكان رجلا صواغا من بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ

هو واحد

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه برضاهم فكانهم اجمعوا عليه وكان السامري
رجلا صايغا فصاغ لهم عجلا جسدا من ذلك الفعل الحلي وهو الذهب والفضة
والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو
صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل
كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيف
الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت
الريح في تلك الانابيب سمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول اصح انه كان يخور
وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له
واذا سكت رفعوا رؤوسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال
السدي كان يخور ويمشي الم يروا يعني الذين عبدوا العجل وقيل ان بني اسرائيل
كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد
العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم
موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا
يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح
لان يعبد اتخذوه وكانوا ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر
وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب
قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا على عبادة العجل لكل نادم
على امر قد سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده حتى
يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من اعلا الى اسفل وراوا
انهم قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا يعني يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم
بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب
وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران
ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام التايب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك

تقول العرب

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لما رجع موسى عليه السلام اليه وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله تعالى كان
قد اخبره انه قد فتن قومه وانا السامري قد اضلهم فكان موسى عند رجوعه غضبان اسفا
قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف
الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب والحزن والحزن الغضب فاذا جاء ما تكره
من يعود ونحوه غضبت واذا جاء ما يهمه ويوجد حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا
والاخرى غضبا فلما كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل حزينا
حزينا لان الله بشره وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لذلك. قال يعني موسى بئسما
خلفتموني من بعدي اي بئس العمل عملتم بعد مرأى مني ومنظر ايلي وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبادة
العجل من السامري واتباعه والكفار ومن المؤمنين من بني اسرائيل بل على الاحتمال الاول وانه
كان لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى
الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب للكفار ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتموني
حيث لم تمنعوهم من عبادة العجل غير الله وقد رأيتم مني الامر بعبادة الله واخلاص العبادة له
ونهي الفشار كما عنه وحملت بني اسرائيل على ذلك ورحتي الغلبا ان يغيروا ويبدلوا مستخلفيهم
وقوله اعجلتم امر ربكم معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة
والشر عندهم مذموما لان معناها عمل الشيء قبل اوان وقته ولقائل ان يقول لو كانت
العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد
ربكم ام لم تصبروا له وقال ابن عباس اعجلتم وعد ربكم ان وعدكم مرة اربعين ذلة ايام فقد رأوا انه
اتاهم بيات على رأس الثلاثين فعدمات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل قبل اتيانكم
امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبانا ذكر بعده ما اوجب الغضب فقال تعالى
والقى الالواح يعني التي فيها التوراة وكانت سبعا فلما القاها رفعت الغضب فالقى
الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح وتكسرت رفع
منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ
والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرفه موسى انها من الله
بوحي وصدق وبين ذلك بقوله التوراة يريد فلما رجع الى قومه وعاين ذلك اوشك قد القى

التوراة

التوبة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ برأس اخيه يجره اليه وقيل انما اخذ
بشعر رأسه ولحيته رشدة غضبه وقال يا ابن امي لما رجع موسى ووجد قومه
مقيمين على العصية اكبر ذلك واستعظمه وأقبل على اخيه هارون يلومه ويذيده الى رأسه
لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به ويعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع ويبتلغ ما علمه
هارون انه اتى فاعتذر لهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله ان القوم استضعفوني
اي ظنوا اني ذليل وان كادوا يقتلونني وقيل استضعفوني استذلوني وقهروني وكادوا يقتلونني اي وفاربوا
او قاموا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء اصل الشماتة الفرح ببلية ونعاديه ويعاديك
يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما نالني من
مكروه ولا تجعلني مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي يعني آخر موسى
عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هارون قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون يريد
ما ظهر من الموجدة عليه عند وقت الغضب ولاخي يعني واغفر لاخي هارون ان كان وقع
منه تقصير في الانكار على عبدة العجل وادخلنا يعني جميعا برحمتك يعني في جملة رحمتك
وانت ارحم الراحمين وهذا ايضا دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين يؤمل
منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته ان الذين اتخذوا العجل يعني
الذين عبدوه وهم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعني سينالهم
عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين في هذه الآية قولان احدهما المراد بالذين اتخذوا العجل بنو اسرائيل
عبدته وعلى هذا القول في الآية سؤال وهو ان اولاد الذين اتخذوا
العجل تابوا الى الله بقتل انفسهم فما وجه الله بتاب عليهم بقتل انفسهم والذلة
مع التوبة والجواب ان الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو بعض القتل فكان ذلك
ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم لنفسهم للقتل واعترافهم على
انفسهم بالضلال والخطأ فان قلت البشرى قوله سينالهم الاستقبال فكيف
يكون الماضي فلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام
حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبر الله بذلك الوقت انه سينالهم

وفي معنى الشماتة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي امرهم الله به بعد ذلك
وقال ابن جريج في هذه الاية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن
فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول
الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وءاباؤهم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الاخرة
وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال اولئك الذين عبدوا العجل وهم الذين
كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير وبني
قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان الاول ان العرب تعير
الابناء بقبائح افعال الاباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلتم كذا
وانما فعل ذلك من مضى من ابائهم فلذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا
في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا الوجه ان تكون الاية
من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم ثم
حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين يعني وكما جزينا
الذين اتخذوا العجل كذلك نجزي كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره قال ابو قلابة هي والله
جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم
القيامة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية
قال والمبتدع مفتر في دين الله والذين عملوا السيئات يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل
في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى اللغو فما دونه ثم تابوا من بعدها يعني رجعوا الى الله من بعد
اعمالهم السيئة وءامنوا يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب
ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التائب من بعدها يعني من بعد توبتهم لغفور رحيم يعني انه
تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الاية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها
مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الاية ان من اتى
بجميع السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله تعالى يغفرها له ويقبل توبته وهذا
من اعظم البشائر للمذنبين التائبين قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب يعني سكن لان

الثاني

وتقرير الاية

السكوت

السكوت اصله الامساك عن الشيء. ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير له سكن الغضب
لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان يقوده الى العمل ما به يسكن الغضب كان بمنزلة الناطق
فاذا سكت تلك القوة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت
موسى عن الغضب فحذف المفعول كما تقول ادخلت القلنسوة في رأسي والمعنى ادخلت رأسي في
القلنسوة والقول الاول اولى لانه قول اهل اللغة والتفسير. اخذ الالواح: يعني التي القاها
قال الامام فخر الدين ظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر وارتفع الالواح بتلك
وبه نسختها. التقدير نسخ ما في النقل والتحويل ما اذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف وقد
نسخت ذلك الكتاب وهو نقل ما في الاصل الى الفرع جعل بعضهم قيل اراد بها الالواح التي اخذها
موسى بعد ما تكسرت لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتوبة
من الالواح التي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما القى موسى
الالواح فتكسرت طار اربعين يوما ارد الله عليه علومه فجيء بها في الالواح الاولى بعينها فيكون نسخها
وعمل قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفي نسختها
المكتوب فيها هدى ورحمة. قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب. للذين هم
لربهم يرهبون يعني لكي يصيروا برهبة ربهم قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا. الاختيار افتعال من الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى
واختار موسى من قومه فحذف الجار وايصل الفعل اليه ويدل عليه قراءة من قرأ اختار موسى قومه
قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من اسباط قومه ستة نفر فكانوا اثني عشر
فقال لينتخب منكم رجلا رجلا فتشاحوا فقال من فعد منكم اجر من اجر خرج فعد فوقع على سبعين
وكانوا بمريوفا وقيل انه لم يجد الا سبعين شيخا فاوحى الله اليه انك اخترت من قومك اثني عشر
فاختارهم فاصبحوا بشيوخا فاوحى اليهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب
بهم الى الميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه
فيه ربه وسال فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى الطور سينا. خرج معه بعض هؤلاء السبعين فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى حاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم
ادنوا بدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه
افعل كذا ولا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

مثال جراية

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي إن الله أمر
موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار
موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك
يا موسى حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو
الله ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم
من قبل وإياي وقال محمد بن إسحاق واختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال
انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا
ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر
حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم
ادنوا فكان موسى إذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر
إليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى
يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا له لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب
إليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه
سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا
ما لم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك فأخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
أهلكتهم من قبل وإياي وقيل إنما أخذتهم الرجفة من أجل أنهم ادعوا على موسى أنه قتل هارون
قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهارون إلى سفح جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله
فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن
الخلق محببا في بني إسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا
إليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكن الله توفاني فأخذتهم الرجفة فجعل موسى
يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي الآية قال فأحياهم الله عز وجل
وقيل إنما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا لأنهم كانوا من عبدة العجل قال ابن عباس إنما
تناولتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا القوم حتى نصبوا العجل وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه قال

حسدتنا

العجل

ابرجريج فلما خرجوا وعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الوعد فلما اخذتهم الرجفة بعدان خرج
موسى بالسبعين مع قومه يدعو الله ويسئلونه ان يكشف عنهم الطاعون فلم يستجب لهم علم
موسى انهم قد اصابوا بالمعصية ما اصاب قومه وقال محمد بن كعب الغرض لم يستجب لهم من
اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يأمروهم بالمعروف فلما اخذتهم الرجفة لم نواشم احياهم الله
وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجفة الاضطراب الشديد الذي يحصل معه
التغير او الهلاك ولهذا اختلفوا هل تلك الرجفة التي حصلت لهم هل كان معها موت او
لا ومعلوم من الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه
لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن الغوا لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وفلقوا ورجفوا حتى
حسبت ان تسير معاصلع فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم
وما توالد وزراءه على الخبر سأل ربه فقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل ونا شدربه فكشف الله
عنهم تلك الرجفة فلما كشفوا وسعوا كلام الله بعد ذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال
يعني موسى رب اي يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل يعني من قبل عبادتهم العجل واياي وذلك
انه لما كان يتهمة بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم ومعهم وما بعد فوجدوا انهم يعني
ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل
يعابون بنو ذلك ولا يتهمونه اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال ابن عباس لم يرد موسى انهم
اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما
اهلكوا بسبب مستلتج الى ذنبه وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة
وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن بموسى ان الله تعالى يقتل قوما بذنوب غيرهم
ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول
ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا ان نفعل الا فتنتك قال
الواحدي الكناية في فتنتك ترجع الى قوله ارنا الله جهرة والمعنى ان تلك الفتنة التي
وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتداء اختبارتها بها وابتلاؤك وهذا تأكيد لقوله اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا ان معناه لا تهلكنا بفعلهم ما تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء
اضللت بها قوما وهديت قوما عصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله

تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء. قال الواحدي وهذه الآية مرجحة الظاهر على العذوبة
التي لا يبقى لهم معها عذر. انك ولينا. يعني انك يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر
اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت. فاغفر لنا سأل موسى عليه السلام لنفسه ولغوه الغفران
أما لنفسه فلقوله إنا نعوذ بالله ونشهد وهذا يفيد أن الحضرة المقدسة وأما لغوه فلقوله
أرنا الله جهرة وبهذا أفدا على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى الغفران له ولغوه
وارحمنا. أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء. وانت خير الغافرين يعني أن كل من سواك
انما يغفر الذنب كلا للشيء الجميل او لدفع ضرر وأما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب
عوض بل محض الفضل والكرم وانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الآخرة. يعني قال موسى بعد دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له
حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الآخرة اي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا. انا هدنا
اليك قال ابن عباس معناه إنا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهدى الرجوع
سبب تسمية اليهود بني قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل ذلك ثم بعثت فلما نسخت
ثم بعثتم صار اسم ذم وقولان لهم. قال. يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي أصيب
به من اشاء. يعني من خلقي وليس لاحد عليّ اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن يتصرف في ملكه
فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شيء. يعني أن رحمته وسعت سبحانه وتعالى
عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا مراد أريد به الخاص من رحمة الله عمت البر والفاجر
في الدنيا ولهذا نص للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل لما منين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر
يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له واذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين
خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء. تطاول ابليس لعنه الله
وقال أنا من ذلك الشيء. فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون فلما سمع ابليس منعها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكوة
ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اخذ موسى قومه ليعبر بهم جاء فقال الله تعالى
لموسى جعلت لك الارض مسجدا وطهورا يصلي حيث ادركتك الصلوة الا عند مرحاض او
حمام واعبر واجعل له سكينة في قلوبكم واجعل تعزون التوراة عن ظهر قلوبكم فيها الحلال والحرام

والحد والعهد

والمرو العبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا الا زيدا فصل الله الكنايس
وكانت تشكيع حمل السكينة فلو بناؤها لانتشكيع ان تقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا زيد
ان تقرأها الا نظرا قال الله تعالى وما اكتبها للذين يتقون الرفوله اولئك هم العلمون
فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى يا رب اجعلني نبيهم فقال نبيهم منهم قال اجعلني منهم
قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب انك لترى قد بني اسرائيل مجعلتني وما دتنا لغيرنا
فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التبعيس
فقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة
في نوعين الاول الشروك وهي الاشياء التي يجب على العبد الانسان يتركها واحتراز
عنها ولا يقربها والبه الاشارة بقوله الذين يتقون والثاني الاعمال المامور بفعلها
وتلك الاعمال بدنية وقلبية اما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكوة
وهذه واما شاء حق المال لكن تختص البدنية باخراجها والاعمال القلبية والايمان
والمعرفة واليه الاشارة بقوله والذين هم بايانا يومنون فقوله عز وجل الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ذكر هذا
فخر الدين في معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد
نبوته حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه شرعا بعد ان بعث الى
الخلق قال وهو قوله والانجيل اذ المراد سيجدونه مكتوبا في الانجيل لان المحال ان يجدوه
فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد ومن بني اسرائيل ومن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبيح تعالى في قوله الا حقير انا كتبت لهم رحمة الا خبرا لهم اذا اتبعوه
قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فيبقى بعد الاية ان هذه الرحمة
لا يجوز بعضها من بني اسرائيل الا ان تكون واقعة في الدنيا والاخرة وامر بالايمان به من موسى وكما كانت هذه
صفته في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم فكذا بعد
فعلى هذا التقدير يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة
وجمهور المفسرين على خلاف ذلك قالوا المراد به جميع امة الذين امنوا به واتبعوه
سواء كانوا من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه

PULAS

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا
من اعلا المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله المخبر عنه
ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا
ولا يحسب وقال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امه العرب لان العرب
اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله
تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب
ولا نحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته
واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق
فصاحته وبلاغته وكان يقراه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه
ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقريك فلا تنسى وقيل انه لو كان
يحسن الكتابة ثم اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه
ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات
دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على
الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة والاداب الحسنة
مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد دل ذلك
على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى امه
كانه لم يخرج بعد عما ولدته امه وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي
مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يعني يجدون
صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا
ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا
يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان خ عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية
فقال اجل انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفوا

ويغفر

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه الفظ السيئ
الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والصاد وهو
الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجاء الكفر
والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شيء ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى
البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التورية مكتوبا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفوا ويصفح امته
الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يا ايا تزرون على انصافهم ويرضون
اطرافهم صفتهم في الصلاة وصفتهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في
جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله
يامرهم بالمعروف يعني بالايمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك بالله وقيل
المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء
يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة
الاوثان وقطع الارحام ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التورية
من الطيبات وهو لحوم الابل وشحوم البقر الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه
على انفسهم اهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحامي وقيل هي المستلذات
التي تستطيبها الانفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم
ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في
المضار الحرمة الا ما له دليل مفصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم واصل
الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد
والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التورية من الاحكام وكانت تلك شديدة
والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت في الدين والشريعة
وذلك قتال النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض النجاسة عن البدن والثوب
بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم
لا تجوز الا في الكنائس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل

بيان
يا تزرون

مثل

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الغل يمنع من الفعل وقيل
شبهت بالاغلال التي
تجمع اليد الى العنق كما ان اليد

شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل
كذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام
فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزوه
يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه
واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله ونصروه يعني على اعدائه واتبعوا النور الذي انزل
معه يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة
الى ضياء اليقين والعلم اولئك هم المفلحون يعني هم الناجون الفائزون بالهداية قوله تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته
الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله
عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس
ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطها احد قبلي
كان كل نبي يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى
حيث كان ونصرت على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية
اعطيت خمسا لم يعطها احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة
وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود
العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم
عامة الى كافة الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى الذي له
ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول

خاصة

بالرعب

يا ايها الناس

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي
له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني ان اقول
لكم اني رسوله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالاهية وانه
لا شريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على
ارسال الرسول الى خلقه فآمنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله
وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله
ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي
وتقدم معناهما الذي يؤمن بالله وكلماته قال قتادة يعني آياته وهي القرآن وقال
مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على
العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به يا ايها الناس فيما يأمركم به
او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال
اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما يأمر به المتبوع على طريقة الامر
والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله
وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصائصه فلا متابعة
فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون يعني كي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في
متابعتكم اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة اي جماعة
يهدون بالحق يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه
يعدلون يعني بالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هؤلاء
من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم آمنوا
بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا
قليلين ولفظ الآية يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز
اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق
الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي
وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

سبطا تبر اسبك منه ما ضعفوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يغفر لهم وان يبعد عنهم
يبعثه الله كيف يعقاب الارض فيها رواية حتى خرجوا من وراء البصرة فيهم فقال الجنباء
مستقبلين فسلنا فقال ابن جريج فقال ابن عباس سمعته يقول سنة ونصف وراء الكبرى
وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع فالوا هم قوم خلف الصين يقال لهم المشك على
نهر يجري الى البحر يسمى نهر الرد ان ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يبكرون بالليل ويتجرون
بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا ولا يصل الينا احد منهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي
اليهم
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون فقالوا لا فقال
هذا محمد النبي الامي الذي منا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان ادركنا احمد
فليقرئه منا عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام واقرأ عشر
سور من القرآن فانزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا
يستشيرونها ان يجمعوا ويتركوا البيت وهذه الحكاية ضعيفة مرجوحة والاول
قوله ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن اين وصل خبرهم الينا الوجه الثاني
قوله ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يذكر في نقل صحيح
ولا رواه احد من ائمة الحديث ولا ثبت في قول اخبارهم والله اعلم وهذا الوجه
الثالث قوله انه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى وصى في حديث المعراج انه سلم عليه
في السماء السادسة وايضا قوله اقرأ عشر سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وكان
فرض الزكوة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضها واذا ثبت هذا ذكرنا بطلان هذه
الاية
الرواية فالمختار في تفسير هذه انها اما ان تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى
قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده فقوله تعالى وقطعناهم بمعنى
وفرقناهم في اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا بمعنى قبائل اولاد يعقوب لان يعقوب هو ابو اسرائيل
واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما بمعنى جماعات وقبائل واوحينا الى موسى
اذ استسقيه قومه بمعنى في التيه اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه بمعنى انفجرت
وقيل عرفت وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا بمعنى لكل سبط عين
فعلم كل اناس مشربهم بمعنى لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام

بمعنى

يعني به التيه ففيه حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الغزبيل والسلوى
جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك كله مما اليه به التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اي
وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون به الكلام حذف منه ذكر لاستغنا عنه
ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم ذلك وتأمروه وقالوا لن نصبر على
طعام واحد وسألوه غيره لان المن كان اذا أمسى بقي فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله
ذلك فلذلك قال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا به ملكنا وسلطاننا فنمنعهم
ما سألوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما أوجبه وقد تقدم بسط الكلام على
هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل ادع لنا ربك واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم
يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة اذ خلوا
هذه القرية والمناجاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه وكلوا منها رغدا
حيث شئتم وادخلوا الباب سجدا وقال في البقرة فكلوا منها رغدا حيث شئتم والبقرة بينهما أن
الدخول حالة مقتضية للاكل عقب الدخول بخلاف دخول الباب والاكل حالة ممتدة
وقتا ما فالسكنى حالة استمرار فخذف دخول الواو عقب السكنى بخلاف الاكل حالا صالا
منها شاءوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول آكد والاكل
في السكنى والاستمرار ليس كذلك فخذف دخول الفعلة رغدا هنا بخلاف هناك
وقولوا حطة اي احطط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة البقرة عكس
هذا اللبك والمناجاة بذلك لان المقصود من ذلك تعظيم الله والله اعلم فالخضوع والتذلل
له يلم بتقاوت الحال بتقديم والتأخير تغفر لكم خطيئاتكم يعني تغفر لكم ذنوبكم
ولا تؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود هناك ذنوب
سواء كانت قليلة او كثيرة اذا تابوا بالدعاء والتضرع وسنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة
وسنزيد بالواو ومعناه انه وعد بتشهير بالغفران وبزيادة للمحسنين من الثواب
واسقاط الواو والتحيل بذلك المعنى لانها استئنافية وتب على تقدير قول القائل وماذا
بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امر ربهم اسرائيل بدلوا قولا غير الذي قيل لهم
وأمروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة شعيرة فيما ذكر لذلك يلهم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وتغيير هم ما رسلنا عليهم رجزا من السماء. يعني بعثنا عليهم من السماء عذابا اهلكهم وكل مناجات
بين قوله فعتوا رسلنا وقوله بالغة انزلنا لانها لا يكون الا واحدا الى اسبعل وقيل
بينهما فرق وهو ان النزال لا يستعمل بالكثرة والارسال يستعمل بذلك فكانه تعالى بدا بانزال
العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا. بما كانوا يظلمون. يعني ان ارسال العذاب عليهم بسبب
ظلمهم وهذا يعضد امر الله وقال بالغة بما كانوا يفسقون الجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم
بما غيروا وبدلوا وصفوا بذلك وخروجهم عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة
ايضا بتغيير سورة البقرة فصل عز وجل ونسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر.
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية
وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع للسؤال استبعادا لانه صلى الله عليه وسلم كان قد
علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياه حالها والمقصود من هذا السؤال تقريع
اعتداء اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وانا اصرارهم على الكفر محمد صلى الله عليه وسلم
وانكارهم نبوته ومعجزاته ليس بشيء فقد حدث الابناء زمانه بل اصرارهم على الكفر كما رجا صلة
بالاسلام به قديم الزمان وقد اخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا
لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعلم ما اخبار الاولين ثم اخبر هم باجرا الاسلام به قديم الزمان بما تبين
بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل ضيعوا فرضه واختلفوا به هذه القرية بعد اهل ايلة
بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري هي كبريد الشام وفي رواية
عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينونا التي كانت حاضرة البحر.
يعني عن القرية التي كانت على شاطئ البحر وقريبة منه اذ يعدون في السبت. يعني يتجاوزون
حد الله فيه وما امروا به من تعظيمه. مخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا. يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا
وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض ويوم لا يسبتون لا تاتيهم. يعني
الحيتان كذلك نبلوهم. يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونعاملهم بما كانوا
يفسقون يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به
قال اهل التدبير امروا يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فحرم الله عليهم
تعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان

تظهر لهم

آمر عباس

تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تزر
الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما
نهاكم عن الاكل وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل
البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا
ثم انهم تجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار
اهل القرية احزابا ثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا
ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين
خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون
لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار وللناهين باب يدخلون ويخرجون منه
وللعاصين باب ولعنهم داوود عليه السلام وكانوا في زمانه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج
من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد
مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف
الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم
اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم قوله تعالى
واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم واختلفوا في القائلين هذه المقالة
فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت
الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة
المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم يعني انهم لا موهم على موعظة قوم
يعلمون انهم غير متعظين ولا متزجرين فقال الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة الى ربكم
يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا
فموعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله ولعلهم يتقون اي وجائز عندنا ان ينتهوا بالموعظة
فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة
نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله انتهوا
مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية قبل ان ينزل الله
بكم عذابا شديدا ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او مستأصلنا بعذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا للناهية للمتعدية وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما تركوا ما وعظوا به انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية واخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة العاصية بعذاب بئيس اي شديد وهو البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني انا اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اتبع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس والله ما ادري ما فعلت الفريقة الساكتة وجعل يبكي فقال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك الا ترى قد ذكروا ما وعظوا به وقالوا ما نعظ قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لم تقل الله انجيتهم لم تقل اهلكتهم قال ما عجبك قول ابن عباس رضي الله عنه وامره ان يرد بصره فكساهما وقال نجت الساكتة وقال جبان ابن جبان نجت الكابتان الذين قالوا لم تعظون الذين قالوا معذرة والى ربكم ولعلهم يتقون وهلك الله الذين اخذوا العتاة وهذا قول الحسن وقال نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذا اشد ما يتوجه على المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان واعتدائهم في السبت واستمالهم ما حرم الله عليهم صيد السمك في يوم السبت وأكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله بصيرهم قردة تنتاج وبعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس رجل الله منهم الفرقة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة والمشيخة صاروا خنازير فبئس انهم بقوا ثلاثة ايام ينكر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى واذ تأذن ربك اي اخبر بما فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن اذن واذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حتم ربك وقيل تألى ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تأذن جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا

الفرقة

ابن الزبير

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين
مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم
وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين
والذي بعثه الله على اليهود هو بخت نصر وسنحاريب وملوك اهل القرية الروم
فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لهم الى يوم القيامة
واورد على هذا بان في اخر الزمان تكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود
اتباعه واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية
الذلة لانهم يدعون الالاهية للدجال فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا هلك الدجال
اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله ليبعثن
عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهو نص في ان هذا العذاب انما يحصل لهم
في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة
واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى
ان ربك لسريع العقاب يعني لمن اقام على الكفر وفيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة
فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى وانه لغفور
رحيم يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل
وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد
بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض ندخلها قوم من
اليهود منهم الصالحون يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من امن
بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل
ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكره غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين
عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا
به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان
بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل وقوله ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميعا الصالح وغيره ونصب بلوى اختبار
وامتحان بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيئات يعني الجدب والشدة
لعلهم يرجعون يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحدة
من الحسنات والسيئات اذا قرنتا بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة
فتزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف منه فتنتهي فيها منها
قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف يعني من بعد قولهم الذين وصفناهم خلف يعني خلف
سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح
اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد
تعرف في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت يمدح آل الغساني الاولين اليد وخلفنا
لا وكتابه كاعة الله تابع بسكون قوله وخلفنا وهو المدح وقال ليد في الذم
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
بسكون اللام وهو من يد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير
في السقاء ويقال للردي من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف الصائم والمعنى
جاء من بعد قولهم الذين وصفناهم خلف والخلف الرديء الذي بعد فرط كل قبله ورثوا
الكتاب يعني اشتغل اليهم الكتاب عن ابائهم والمراد بالكتاب التوراة يأخذون عرض هذا
الادنى العرض بفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدنانير والدراهم والمعنى انهم كانوا يأخذون الى شيء
الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك بأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء
الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها بأبيه حقير والراغب فيها حقير منها واليهود ورثوا
التوراة وعلموا ما فيها ومنعوا العمل بها فيما تركوه واخذوا الى شيء الاحكام ويعلمون
انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا يعني
ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال به قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني
حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية

فلم

60

قوله وتمنى على الله الا اليه كانوا يجترؤن على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان يأتهم عرض مثله يأخذوه هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا العود مثله اخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون فاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له مالك ارتشيت فيقول سيغفر لي فيتكفر عليه الآخر ما دامت او نزع الحكم وجعل مكانه اخر فمن كان يتكفر عليه ارتشى ايضا فيقول الله عز وجل وان يأتهم الآخر يعرض الدنيا يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني الم يؤخذ على هؤلاء الذين سميناهم احكام المعقود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فبدلوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قوله ليبيننه للناس والمراد من هذا التوبيخ والتقريع للمعهود به ادعاءهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غير اذن نوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وذرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم تركوا ما اخذ عليهم من المعهود والمواثيق في الكتاب لانهم درسوه لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به والدار الآخرة خير يعني وما في الدار الآخرة مما اعد الله لاوليائه واهل طاعته العاملين بما امر الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام للذين يتقون يعني يتقون الله ويخافون عقابه افلا تعقلون يعني افلا تعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الآخرة خير وابقى لانها دار التقين والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول وما غيروه وما بدلوه وما داخل ذلك التمسك الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن واقاموا الصلوة يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها افضل العبادات بعد الايمان بالله ورسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل رفع كانه قلنا يعني واذكروا يا محمد

الحمد لله حمدا وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى

اذ رفعنا الجبل فوقهم بعنا فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلنا بوقهم كالظلة والظلة كل
ما اظلك من سحاب ونحوه وظنوا يعني وعلموا او تيقنوا انه واقع بهم يعني الجبل خذوا
يعني وقلنا لهم خذوا واصغوا القول كثير في الواو وكان العرب ما اتيناهم بقوة يعني التوراة بقوة
يعني بجد واجتهاد واذكروا ما فيه يعني واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب الاخبار
انا بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة اوحى الله جبريل فرفع
جبلا عظيما حتى صار على رؤوسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل هووى وسقط خروا سجودا
مسجد كل واحد على حاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط
عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم
من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الاية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي
سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سئل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج
منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت
على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك واحمد وابو داود والترمذي وقال
حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد عن مسلم بن يسار
وعمر رجلا فلتسكن الصبر بعد ذكر هذا الحديث الى جل فقال عن مسلم بن يسار عن عمر
ابن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه عمر ابن ربيعة هو ابن ربيع فقال قال رسول الله صلى الله عليه
لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة
وجعل بين عينيه كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هؤلاء فقال هؤلاء ذريتك
فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب فمن هذا فقال داود فقال رب ما جعلت عمره
قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم
الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعون قال اولم تعطها ابنك داود قال فجحد
ادم فجحد ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته

اخرجه

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فأما** تفسير الآية بقوله تعالى **وإذ أخذ ربك** يعني **وإذ** كما **أخذ ربك من ظهور** ادم **ظهورهم** يعني من ظهر كل واحد من ولده **ذرياتهم** اي واما يذكر **ظهورهم** اي واما يذكر **ظهورهم** اي اخرج جميع الذرية من ظهره لما ان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء والآباء وذلك قال تعالى من بني ادم من ظهورهم بما استغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فتذكر ظهر ادم استغنى **ثم** للعلماء في تفسير هذه الآية مذهبان **احدهما** وهو مذهب اهل التفسير والاثر وما جاءت به الروايات عن السلف فيما **روى** عن ابن عباس رضي الله عنهما وروايات مختلفة رواها عنه الكبير بأسانيد **فمنها** عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **وعن** ابن عباس ايضا في هذه الرواية قال مسح ربك ظهر ادم فاخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الوادي عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا **وعن** ابن عباس ايضا قال اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبط بدهنا ارض الهند بمسح ظهره فما خرج منه كل نسمة هو باريها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **زاد في رواية** عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة **وفي رواية** عنه قال لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه فاقر به بنيه وكتب رزقه واجله ومصايبه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم **وفي رواية** عنه قال لما الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق اعادها في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ عليه الميثاق يومئذ مراد ومن اخبر بوفي بعهد الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق ولم يف به ما بعد الاول ومات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخير مات على الميثاق الاول على الفطرة **وروى** الكبير بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الله ادم من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى فالقت الملائكة تشهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **وقال** ابن عباس اخرج ذرية ادم من ظهره فكلمهم قبلا وكلمهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اعادها في صلبه فليس احد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لن تقوم حتى
يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه
من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة
برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي
فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه
طايفة طايعين وطايفة كارهين على وجه زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقر له بالايمان والمعرفة
الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية
بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا كهيئة
الذر يتحركون فقال يا ادم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء
للجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للبيض هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم
جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى
قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم
ممن اشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتابا
فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب اجالهم
وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم عليه السلام فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون
ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قروهم بتوحيده واشهد
بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال
الزجاج وحاشا ان يكون الله عز وجل تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما يعقل به كما قال
في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكثير من اهل العلم في هذه الاية ان الله
تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم
وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض
عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا
حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك للشجرة حتى سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله

للسود

وجايز

الست بربكم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا
بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف
على انفسهم بالعبودية وفي قوله شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية
قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن
الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول
الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا
يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا قرئ بالتاء على خطاب الذرية
معناه لئلا تقولوا ايها الذرية انا كنا عن هذا الميثاق غافلين وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة
ومعناه لئلا يقول الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الاية وهو
مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء
وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما
ركب فيهم من العقول واراهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا
الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل
اياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وباريهم وربهم ونافذ الحكم فيهم
فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا
انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على
الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد
اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي به يؤخذ الميثاق وهو العقل والتكليف
فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي
به يكون التكليف والفهم ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت
فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول هو المختار
لانه مذهب جمهور المفسرين من علماء السلف وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى
اخرج الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير
الفاظ هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

ما خرج ذريته واخذ عليهم الميثاق والمناسبات بين الاية والحديث كما ستعرفه تعين العام
الاية من ان الله اخرج ذريته اذ مرضهم على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما يخرج النحل
بالجمع من ظهر اذ الذي هو اصلي في هذا الكلام بيان الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في
معنى العام الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وفي ورود الحديث بثبوت ذلك وصحته موجب
المصير اليه والاخذ به فجمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال
ليس في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر اذ ما خرج منه ذريته وبين الاية اختلاف
لحمد الله لانه تعالى اذا اخرج من ظهره اذ وقد اخرج من ظهور ذريته لان ذريته اذ
كذريته بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل ان الله تعالى اثبت الحجة على كل
منفوس بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلايل
التي نصبها بالرسل المبعوثة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ قال غيره فايدة اخذ
الميثاق عليهم هو انه لو مات منهم صغيرا دخل الجنة بالاقرار بالميثاق الاول وهذا على قول
من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم له بالجنة فانه يقول
مكلف راهق الشقاوة من الذرية السوداء انما اقر بالوحدانية كما هو مركوز في عقله ذلك فيما
بلغ وعقل ولم يغير عنه اقراره الاول بالميثاق فيما حتى يبلغ ويجد من عند بلوغه وعقله
بالله ربه وخالقه ويصدق رسله بما جاءوا به من عنده وانما فعل ذلك ليلا يقول الكفار
يوم القيامة انا كنا عن هذا الميثاق غافلين او لم يبين لنا غافلين او ليلا يقولوا انما اشرك اباؤنا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فلذلك الميثاق لا
يذكر احد اليوم وكيف يكون حجة عليه اليوم وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى تحتج عليه به
قلت لما اخرج الذرية من صلب اذ ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق بما اعدوا
الى صلب اذ بكل ما ركب فيهم فتوالدوا فاسير لذلك الميثاق لما اقتضاه الحكمة الالهية
نسيانه له ثم ابتدأ به بالخطاب على السنة الرسل واصحاب الشرايع فعلى ذلك ما ذكر في
الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لما انقطعت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة
عليهم كما مر ذكره بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا
يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق وبه الدنيا فبرأ ذكر كان معاندا ناقضا للعهد
ولزمته الحجة ولا تنقطع الحجة عنه بنسيانه وعدم حفظه بعد اخبار الصادق

صاحب الشرع

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او تقولوا يعني الذرية انما اشرك
اباؤنا من قبل يعني انما اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك اباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا يعني
افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع
احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما اشرك اباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق
وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا
ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم
الرسل وذكروهم به وتثبت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى
الاية على ان المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه
ان الله نصب هذه الدلائل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد
لاباينا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد
الاباء في الشرك وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا
الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله ولعلهم يرجعون
يعني من الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه
ويعملوا بموجبه ومقتضاه التوحيد قوله عز وجل واتل عليهم يعني واقرا
على قومك يا محمد نبأ يعني خبر الذي اتيناه اياتنا اختلفوا فيه فقال ابن عباس
هو بلعام بن باعورا وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو
بلعم بن ابتر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية
اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وكانت قصته
على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير
قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام
اتى قوم كنعان وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه
جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنو اسرائيل
وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله
ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت

بلعام

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

هذا ذهبت دنيا وآخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى آمر به وكان
لابد منها حتى يؤمر به المنادي فأتى به المنادي فقيل له لا تلحوا عليه فقال لقومه
إني أمرت ربه فبنى فأراد عمر عليه ما شاء الله وأتاه عدد فبنوها وراجعوه فقال
حتى آمر ربي فلم يجبه إليه بشيء فقال قد أمرت ربي فلم يجبني. فقالوا له لو كسر
ركبك لا تلحوا عليه لنعاد كما نحن أول مرة فلم يزالوا به حتى قضى عمر إليه حتى قضى وافتش
مركبه أتاه أتاه فتوجها إلى جبل يكلفه على سكينة أمره. بل يقال لذلك الجبل جبل
حسبار فلما سار على أتانه غير بعيد ركضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها
فلم تسر به كثيرا حتى ركضت فضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ركضت فركبها
فضربها حتى أدلعها فإذا الله عز وجل لصاحب الكلب وأنطقه الله فكلمه فجعل عليه
فقال ويحك يا بلعام انظر أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي تردني وعن يميني هذا
ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فجعلوا عليه فلم ينزع. فخلى الله سبيل الأتان فانطلقت
حتى إذا أشرفت على جبل حسبار ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلا يقع عليهم شيء. فالتفت
الله به لسانه إلى قومه وأبى أن يدعو لقومه فجعل يخبر الناس به لسانه إلى بني إسرائيل فقال له
قومه يا بلعام انظر ما تصنع لنا تدعو إليه وتدعو علينا فقال هذا ما لا أملك هذا
شيء قد غلبنا الله عليه وانطلق لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت
الدنيا والآخرة ولم يبق لي إلا الشر والجهد فلما رأى ذلك قال احملوا
النساء وانتهبوا وانحروا عسكر هذا الملك فأرسلوا عسكرين إلى بني إسرائيل بل ليتقحما عليهم
ومروهم كما تمنع امرأة فيقتحم رجل إذا دخلها فإذا زنا رجل منهم بواحدة منكم
فيقتلوه به فيفعلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر من امرأة مرالكنعانية فيرا بنت صور
كنعنى بنت صور على رجل رعظما. بني إسرائيل فقال له زمري بن شلوم وكان
رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام إلى المرأة وأخذ بيدها فجيء بها حتى وقف على موسى عليه السلام وقال إني لا أحسبك تقول هذا حرام علي فقال أجل
هو حرام عليك لا تقربها فقال والله لا أطيعك بهذا ثم دخل بها القبة فوقع
عليها فأرسل الله عز وجل الطاعون على بني إسرائيل فمات في ذلك الوقت وكان فنحاص
ابن العيزار بن هارون وهو صاحب موسى وكان رجلا فظا غليظ القلب

وفي البطن

وفوة البكشر وكان غايبا حين صنع آمرى بن شلوم ما صنع بها والكاعور تحوش
بنى اسرايل بما جرى الخبر فاخذ حربته وكانت مرهفة بيده كلها ثم دخل عليهما
القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما
الى السما. وفاخذ الحربة بيده اليمنى واعتمد بها فوقه على خاصرته واسند
الحربة الى الخيمة وكان بكر الجبار وجعل يقول اللهم هاكذا نفعل من عصاك
وربع الكاعور من بنى اسرايل فجعلت ترمان منه بذلك الكاعور فيما يرايان صاب ذلك
الرجل المرتة الى قتله فقتلا من يوجد واحد فذلك سبعون الفا سوى من
انهزم فمن هناك يعكف بنو اسرايل لولد فنحاص من كل ذى يحذيذ يومها القبة
والذراع والتحى كما عتمادى بالحربة على خاصرته واخذ ايابها بيده الى فيه واسنادى
ايابها الى الخيمة ويعصوفح البلد جميع امواليم كما نه كان بكر الجبار وبه بلعام انزل
الله عز وجل واتل عليهم نبا الذى اتيناه. ايا منا الاية وقال ملك البلقاد
قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه مرافقل دينى ولا ادعو عليه فغضب له
خشبة فبصقت عليها فما راذلك خرج على آثار له فبدعوا على موسى فلما ماى عسكره
قامت الاتان ووقعت فى بعض بها فجعلت تضربها بالسوط وهذا ما امامى فذهب
ان امشى فرجع الى البلد فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه اولا جبذنك فدعا على موسى
بالاسم الاعظم الا يدخل المدينة فاستجيب له ووضع موسى ومن معه من بنى اسرايل
فى التيه فدعا بلعام عليه فقال موسى يارب بارى ذنب وفعتنى التيه فقال ادعا بلعام
قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعاءه على فجد عا موسى عليهما ان ينزع عنه
الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت رصدر كحامة
بيضاء فذلك قوله تعالى. اتيناه. ايا منا فانسلخ منها فلقد هذه القصة
ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان
فان قيل كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه النبوة ان يدعوا على
انسان بالكفر بعد الايمان او ينزع له بذلك فلقد الجواب من وجوه احدها
منع صحة هذه القصة لانها من الاسرايليات ولا يلتفت الى ما يذكره اهل الاخبار اذا خالف
الاصول الوجه الثانى ان نسب وفوع بنى اسرايل فى التيه هو عبادتهم العجل

مفاعيل

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

او قولهم لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقوعهم به اليه لادعاء بلعام عليهم
الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام و
ان موسى عليه السلام يدعو عليه الابعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعاء
على موسى وايثاره الحمية الدنيوية بدعائه عليه مقابلة لدعائه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله
والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار كثيرا من غير نكير منهم
ولا بحث عن حاله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم
نزلت هذه الآية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كما وفد وفد قريش
الكتبة الغدية وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في هذا الاوان بكون مولده بالحرم فلما
ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية
صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع من عند قتلى
بدر قال عنيبة بقبل له قتلى محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقول له فلما مات
امية اتت اخته هند عائشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ابيها فقالت بينما نحن اذ اتانا آت فنزل فشق البيت
ونزل فوقعد بينما عند راسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه
اهو هو قال نعم قال ازكى قال لا قالت بسالته عن كذا فقال خير اربع بصر قد عش
ثم عش عليه بلى اباه وعشيته قال

كل عيش وان تطاول دهرا صائر مرة الى ان يزولا
بينما كنت فيل ماقد بدالي بفناء الجبال ارعى الوعولا
اذ بني الحساب بن عكيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدني من شعر اخيك فانشدته بعضها فيدله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شعره وبعض قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم
نبا الذي آتيناه ايانا فانسلخ منها الآية وروى ابن عباس انها نزلت
في بلعام بن باعور وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت
لهم امرأة اسمها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين
فقالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت اجمل النساء فلما
علمت ان لبلعام بن باعور بين اسرائيل منزلة رغبت عنه فبغضت ودعا عليها فصارت كلبة نباحة

فخبر

اظاربه

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى ابيهم وقالوا له ليس على هذا الامر قرار قد صارت امنا
كلبة نباحة والناس يعيرونا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت
كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن
كيسان نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته
وصفته كما يعرفون ابناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه
الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر
وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي
رواية اخرى عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقيل ان الله آتيه بحجة وادلته وهي الآيات التي
اوتيها فانسلخ منها يعني فخرج من الآيات التي كان الله آتيه اياها كما تنسلخ الحية
من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم فاتبعه الشيطان يعني لحقه وادركه وصيره
الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله ويخالف امر ربه ويطيع الشيطان وهويه فكان من
الغاوين يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه واطاع هويه وشيطانه قوله تعالى ولو شئنا
لرفعناه بها يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التي اوتيها وقال ابن عباس
لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه
بالآيات ولكنه اخلد الى الارض يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله
من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاوز والقفار
وفيها المدن والصنائع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا
كلها هي الارض واتبع هويه يعني انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع
الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من اشد
الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك ان الله
عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه الاسم الاعظم وجعل دعاءه مستجابا
ثم انه لما اتبع هويه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة فنزع عنه ما كان اعطيه وانسلخ
من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله
بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والتسوف

والمعادن

قف على هذا الكلام يا اخي واتعظ به

الحمد لله حمده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لدينه. اخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي اتيه اياته فانسلخ
منها واتبع هويه فقال تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعيا والتعب
وهذا مثال ضربه الله عز وجل لمن اتيه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هويه
وترك اخرته واثر دنياه باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهي اللهث لان الكلب
في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذي يتبع هويه لا يقدر على نفع
نفسه ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه او تركته كان
لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللهث دايما فكذلك من اتيه الله
العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حاله
كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه
عند غير اهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده
من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة
الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث اي ان شددت عليه واهجته لهث او تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة
اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يعقل الوعظ ولا
ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة
له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايتنا يعني
ان المثل الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بايتنا
فعم بهذا المثل جميع من كذب بايات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب
اللاهث انهم ان جاءهم الرسول ليهديهم فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم
ضلال في كل حال ثم قال تعالى فاقصص القصص هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني فاقصص القصص على قومك يا محمد اخبار من كفر بايات الله لعلهم يتفكرون
يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم
ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى
طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه وانفسهم كانوا يظلمون.

ترى

يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي يعني من
يرشده الله الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو
المهتدي ومن يضلل يعني ومن يتول اضلاله فاولئك هم الخاسرون يعني في الآخرة
وفي الآية دليل على ان الله تعالى هو الهادي المضل ولقد ذرأنا يعني خلقنا لجهنم
كثيرا من الجن والانس اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم
الكلمة الاولى بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل
البغوي على صحة هذا التاويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة
لم يعمل السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها
وهم في اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم اخرجه مسلم
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين
ان من مات من اطفال المسلمين فهو في الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به
لحديث عائشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها
عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص اغلظه
اني لاراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم
ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب
قال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم الثالث وهو الصحيح
الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس قالوا
يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول
قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الآية دليل وحجة واضحة
لاهل السنة في ان الله خالق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله بين بصريح اللفظ
انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه
دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب

اهل

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم
ثم وصفهم فقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها
واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على
غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الاية لهم قلوب
لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق
وتركهم قبوله ولهم اعين لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في ايات
الله وادلة توحيده ولهم اذان لا يسمعون بها يعني لا يسمعون ايات القران ومواعظه
فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا
ولهم اعين يبصرون بها المرئيات ولهم اذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما
وصفهم الله عز وجل بكونهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة
علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا
الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امر الدين والعرب تقول
مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول الشاعر

وعور الكلام صممت عنها ... واني ان اشابها سميع

فانه اثبت له صمما مع وجود السمع
قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الاخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان
لا يسمعون الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى اولئك كالانعام يعني ان الذين ذراهم لجهنم
وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهم البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك
لان الانسان وسائر الحيوانات مشترك في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع
وانما فضل الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من الباطل
والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا
ثم قال تعالى بل هم اضل يعني ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها
والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها
فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة
لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال مقاتل

الرجل

بيان المرئيات

المدركة

بها

مشتركون

ان وجلا دعا الله بصلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قد كان ينهانا هذا عن عبادة الهين وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان ايا ما تدعوا الله او الرحمن فهو على مذهب التوحيد لان الله تعالى اسماء كثيرة ليست باسماء متباينة كاسماء الاعلام المتباينة بل هي اسماء مترادفة على ذات واحدة فكانها كلها اسم واحد فلذلك قال فله الاسماء الحسنى اي فله هذا الاسم الواحد الذي هو مسمى بهذه الاسماء الكثيرة وكلها حسنى وليس المراد ان بعضها ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لا يشاركه فيها غيره وقيل ان اللام للاختصاص اي اختص نفسه بهذه الاسماء الحسنى فلا تسموا بها غيره وقيل ان اللام بمعنى الباء اي تسموا بها وتمجدوه بها والمعنى للتعريف اي الله تبارك وتعالى الذي يجمع صفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدد اشتمل على الوتر الثاني اشتمل على الشفع وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وفي رواية من حفظها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية من احصاها وفي رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي هكذا في كتابه غير واحد عد نحو ما في صحيح ابن حبان في صحيحه وفي بعض ما روي في الحديث ما ليس في صحيح ابن حبان وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث غير واحد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا فيه من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابو عيسى وروى بعضهم هذا الحديث عن ابي هريرة ولم يذكروا فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله لله الاسماء الحسنى

احصاها

بيان وتفسير

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال
ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين
النووي رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه
وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة وتسعين وانما المقصود
من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار
عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث الاخر اسئلك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ
ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله
صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه من حفظها وهو
قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد
من الاحصاء العدد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة
لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل
معنى احصاها احضر بباله معناها عند ذكرها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا
ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وانه
يحضر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر
الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل
الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه
وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف من اسماء الله ولا يقال
من اسماء الرؤوف او الكريم او اللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم
قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت
الاسماء لغيره لقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان
الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع
بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله
واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى
به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم

والتسمية

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين الشيء المعين لتعريف ذات الشيء .
والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء كما يجب تنزيه الله
عن جميع النقائص كذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها .
يعني ادعوا الله باسمائه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على
ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول
ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا
يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعاء
شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه
عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل
والتقديس لله تعالى ويعزي المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية
وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له اثر عظيم
وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه . معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد
والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه
ما ليس منه يقال الحد في الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون
الالحاد يقع في اسماء الله على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك
ان المشركين سموا اصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من اسماء الله فسموا اللات
والعزى ومنوة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومنوة من المنان وهذا معنى
قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله
هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله كلها
توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعوا الله باسمائه التي وردت
في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه مراعات حسن الادب في الدعاء فلا يجوز
ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي
يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع الا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما
سماه باسم لا يجوز تليق اطلاقه على جلال الله تعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة
وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد

الثالث

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

باسماء الله عز وجل قوله عز وجل ومن خلقنا امة يعني جماعة وعصابة
يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر معاوية قال وهو يخطب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال هذه الامة قائمة بامر الله كاظهرهم
لم يخذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك وفيه الآية دليل على انه لا يخلو
زمان من قوم يهدون بالحق ويعمل به ويقضي اليه والذين كذبوا بآياتنا يريد به جميع الكفار
بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول
الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الزهري
نسبغ عليهم النعم ونؤخر عنهم النقم وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون
به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرة منهم اعمل ما يكونون وقيل معناه سنبيح لهم ما يهلكهم
ونطيل اعمارهم فيزدادوا اثما حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بمعصية واقدموا على ذنب جددنا
لهم عليه رأيا ابيح والنعمة الدنيا فيزدادون بذلك تماديا في الغي والضلال ويتدرجون
بالذنوب والمعاصي فيأخذهم الله اخذة واحدة اعمل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه
كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزيد لهم في العمر ثم يهلكهم هرما وقال
سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم يسلبهم الشكر روي ان عمر بن الخطاب لما جعل اليسير
كثيرا قيل له يا امير المؤمنين فما الكثير قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فانه سمعتك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يدرج الشيء الى الشيء خفية قليلا
قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا
بعد شيء وأملي لهم يعني وأمهلهم وأطيل مدة اعمارهم والاملاء اللغة الامتداد
والاطالة المدة والمعنى انه يطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا عاجلهم
بالعقوبة ولا اغلق عنهم باب التوبة ان كيدي متين يعني ان اخذي شديد والمتين في اللغة
هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون لما نزلت
هذه الآية بمكة استهزأ بها المستهزئون من قريش وكذبوا بها فانزل الله تعالى اما عليها ثم قتلهم ببلة واحدة

(يتبع)

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

69

وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله
عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان
إني لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون
بات يصوت إلى الصباح فأنزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التأمل وإعمال الخاطر
في عاقبة الأمر والمعنى أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
من جنة والجنة حالة من الجنون وإدخال لفظة من في قوله من جنة توجب ألا يكون به
نوع من أنواع الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون وهو بريء منه لأنهم رأوا أنه صلى الله عليه وسلم
خالفهم في الأقوال والأفعال لأنه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها
ومشتغلا بالدعاء إلى الله عز وجل وإنذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملل
ولا ضجر فعند ذلك نسبوه إلى الجنون فبرأه الله من الجنون فقال تعالى إن هو يعني ما هو
إلا نذير مبين ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم بالوحدانية فقال تعالى أولم ينظروا
يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء والمقصود
التنبيه على أن الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات
والأرض بل كل شيء خلقه الله وبدأه فيه دليل على وحدانية الله تعالى وآثار قدرته
كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وأن عسى أن يكون قد
اقترب أجلهم والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل أن يؤمنوا فيصيروا
إلى النار وإذا كان الأمر كذلك وجب على العاقل المبادرة إلى التفكر والاعتبار والنظر المؤدي
إلى الفوز بالنعيم المقيم فبأي حديث بعده يعني بعد القرآن يؤمنون يعني يصدقون
والمعنى فبأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد
نبي ولا بعد كتابه كتاب لأنه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي
بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة إعراضهم عن الإيمان فقال تعالى من يضلل الله فلا
هادي له يعني أن إعراض هؤلاء عن الإيمان لإضلال الله إياهم ولو هديهم لآمنوا ونذرهم
في طغيانهم يعمهون يعني ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين

لا يعتد بنسبها فقوله عز وجل يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة
قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة
فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قال جعل بن سراقة فشير وشمول بن زيد
وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت
نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الساعة يعني
عن خبر القيامة لم سميت ساعة لانها تقوم ساعة غفلة وبغتة وقال حساب
الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سؤال استعجال عن الوقت الذي تقوم فيه
الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها
قال والساعة الوقت الذي يموت فيه الخلايق واصل الارساء الثبات يقال رساء
يرسو اذا ثبت قل اي قل يا محمد انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم
فيه الا الله استأثر الله بعلمها لم يطلع عليها احدا ومنه الحديث الايمان وسؤال جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم كان جاء جبريل عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل
قال المفسرون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف
وحذر منها لانه اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها
فيكون ذلك داعيا لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو
قال مجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية
اظهار الشيء بعد خفاء والمعنى لا يظهرها لوقتها غير الله ولا يقدر على ذلك غيره
ثقلت في السموت والارض يعني ثقل وصفها وخفي علمها على اهل السموت والارض كل
شيء خفي وهو ثقيل شديد وقال المفسرون اذا جاءت ثقلت على اهل السموت والارض
وانما ثقلت عليهم لان فيها فناؤهم وموتهم وذلك ثقيل على الخلق لا تأتيكم الا بغتة يعني
مجئة على حين غفلة من الخلق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن
الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة الغزيرة اللبن
بالتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه بمعنى يطينه ويصلحه يقال لاط

حوضه

اللهم صل على سيدنا وآله وسلم

حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة
وقوله تعالى يسئلونك كانك حفي عنها. يعني يسئلك قومك عن الساعة كانك حفي
بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما
سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سؤال قوم كانهم يرون ان محمدا
صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها
فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها اي عالم
بها من قولهم احفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمها. قل يعني قل
يا محمد انما علمها عند الله. يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل
فان قلت قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها وقوله يسئلونك كانك حفي عنها
فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال
الثاني سؤال عن احوالها من ثقلها وشدايدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في
السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله علمها عند الله
فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال
الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما
كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدايدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك
عند الله لانه اعظم الاسماء. ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه
استاثر بعلم ذلك حتى لا يسئلوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون الذي من اجله اخفي
علم وقت قيامها المعبر عن الخلق قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال
ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلوا فتشتريه
فتربح فيه عند الغلاء او بالارض التي تريد ان تجدب فترحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله
قل لا املك لنفسي. اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة
واترك الجدبة. الا ما شاء الله. يعني ان املكه واقدر عليه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال. وما مسني السوء. يعني الضر
والفقر والجوع وقال ابن جريج معنى لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت

بالغ

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اعلم الغيب يريد وقت الموت لا استكثرت الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان الملائكة لما سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله الاية الاولى وهذا ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم
عرفت فيها الساعة وذلك لما كانوا سألوه بالاخبار عن الغيب فذكر ان هذا مما لم يعلم الغيب
فان قلت فقد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث بها صحيحة بذلك
وهو اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا
اعلم الغيب الا ان يطلعني الله عليه ويقدرني له ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله
عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهر الله تعالى
على اشياء من المغيبات فاخبر عنها فيكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اجيء بحيث لا يمسني السوء وقيل
معناه ولو كنت اعلم الغيب لا علمت فيما الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت
نبيا لعلمت متى تقوم الساعة انما انا نذير يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم
عقابه لعلكم تؤمنوا وبشير يعني وابشر بثوابه لقوم يؤمنون يعني يصدقون قوله عز وجل
هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق
منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء مرضع اول سورة النساء ليسكن
يعني ليأنس بها ويأوي اليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع
احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها
حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها فمرت به
يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها فلما اثقلت اي صارت
الحمل الثقيل وكبر ولدها في بطنها دعوا الله ربهما يعني آدم وحواء دعوا الله
ربهما لئن اتيتنا صالحا يعني ابرا سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لندعن انعامك
علينا قال المبرد لما انفصح اي وهو الارض الفيت الشهوة به يعني ادم فاصابها حواء
فحملت فلما اثقلت حملها الولد اتاهما ابليس فقال لهما الذي خلقكما اولا
قال انا الخ

بوقت

قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا اتى من قبل الارض او البهيمة او نحوها قالت
انوا خاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج اذن فرك او رجل او يشق بطنك و
يقتلك فخافت حوا. فذكرته لادم فلم ينزل الله عليهما في ذلك شيئا فعاد اليهما ابليس فقال
لهما اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت ذلك حوا. لادم فقال لعله
صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فيهما حتى غرهما فلما ولدت سميا عبد الحارث
فقال ابن عباس كانت حوا تلد كل بطن فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم
الموت فاتاهما ابليس فقال ان تركما ان يعيش لكما ولد فسميا عبد الحارث فولد لهما فسميا
عبد الحارث فعاش فعرفا ان ذلك من امر ابليس ووعده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوا
كان يعايشها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال تسميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث وكان ذلك
من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث
عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد روى بعضهم هذا ولم يرفعه وقوله وذلك من الشيطان يعني
ان لم يسموه عبد الحارث كما جاء انه قد عبر وتميز به الجنة ومنه به الاوثان قال ابن عباس
لما ولد له اول ولد اتاهما ابليس فقال اني سأنقذ لدبه فان ولد ذكرا سميه عبد الحارث
وكان اسمه في السماء الحارث فقال اذهبا عوذ بالله مني كما عتد اني اصنع به الا تشجر له
فاخرج حتى مر الجنة فلما كبعد بمائة ولد ثم ولد له بعد ذلك ولدا آخر فقال آلهتي والآلهات
كما مات الاول فعلها فمات ولده فقال لا ازال اقتلع حتى تسميه عبد الحارث فلم ينزل به حتى سماه
عبد الحارث بذلك فقوله عز وجل فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتيهما قال ابن عباس
اشركه به كما عنه به غير عباده ولم يشركا بالله ولكن كما عمه قال قتادة اشركا في الاسم ولم
يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشركا في دين ولا عبادة وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان
فقال ان تركما ان يعيش لكما ولد فسميا عبد الحارث فذهب قوله جعلا له شركا فيما اتيهما
فرزقا بشركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا
وقرئ شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس غير ان الواحد بلفظ الجمع يعني
جعلا له شركا اذ سميا ولدهما عبد الحارث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا في العبادة
ولا ان الحارث رب السماء اذ عليه السلام كانا معصومين من الشرك ولكن قصدا بتسميته الولد

لم ينزل بهما

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

بعبد الحارث لان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد
على من لزم ذبه انه مملوك كما قال الشاعر وان لعبد الضيف ما دام ثاويا اخبر عن نفسه
انه عبد الضيف ما اقام عنده مع تعاليه عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف
والقيام بواجب حقوقه كما يفعل العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب
بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به
السيد وما يريد به انه ربه ومعبوده بذلك وانما اخبر عن اذن بقوله جعلاله فيما
فيما اتاهما كان حسنا في الباري سبحانه المقدر لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها
جعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسراره كتابه
قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتداء الخبر عن الكفار
بقوله فتعالى الله عما يشركون ثم نزل تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون المشركون بعد
مكة وغيرهم وهذا على العموم واراد الكل وحوا قال فتعالى الله عما يشركون على التثنية
لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني واراد به ما سبق ومعنى الاية مستقيم ايضا حيث
انه كان الاولى بهما ان لا يجعلا ما اتاهما الا شركا في اسمه وقيل الاولى ان قيل هما عبد الله
وعبد الحارث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو
قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعلا اولادهما له شركا بحذف ذكر الاولاد واقامة اسمائهم
مقامهم كما اضاف جعل الاباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعيروا بعبادة
اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بفعل اسلافهم وقال
عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة اي كل واحد من ابويه
وجعل منها زوجها وجعل من جنسها زوجها ادمية مثلها وهذا قول حسن الا ان القول
الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين
وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو في اليهود والنصارى وذريتهم لان
اولادا يهود ونصروهم وقال ابن كيسان هو في الكفار سموا اولادهم بعد الغزى
وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى اليشركون فيري بالتاء على ذكر الكفار
وقرئ بالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني الاصنام وهم يخلقون اي وهم
مخلوقون بنار فلت كيف وحد يخلق ثم جمع بفعل وهم يخلقون فلت

الخطيب

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتملة
للجمع بحسب الوضع فوحد قوله ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون
رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو لمن
يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا
الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا
يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة
على الاعداء والمعنى ان المعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر
وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم
ينصرون يعني ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها يقدر
عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى وان تدعوهم
الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى
حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية سواء عليكم ادعوتموهم الى الدين
والهدى الهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يومنون
وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم
لها بشيء البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعا الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا في شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم
فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم
عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم يعني ان الاصنام التي يعبدها هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم
وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله
عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول
اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب
ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة
فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال فادعوهم

وقعوا

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ
انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها
انها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد لله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم
وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها التي
يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون
عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد
الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين المبصرة افضل من العين العاجزة عن
الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان
الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة
وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان
يشتغل بعبادة الاخس الاذون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع
بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اي قل يا محمد
لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى تبين عجزها ثم كيدون
يعني انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فزعوا
لعبادة من لا يضر ولا ينفع قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع
فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني قال الحسن كانوا يخوفونه
بآلهتهم فقال تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون لا تمهلوني واعجلوا في
كيدكم انتم وشركاؤكم ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله الذي
نزل الكتاب يعني القرآن والمعنى كما ايدني بانزال الكتاب علي كذلك يتولى حفظي
ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرهم عداوة من عاداهم
من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء او كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين
الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه
فلا يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم

ينصرون

الارذل

من لا يملك ضرا ولا نفعا

ينصرون. هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى
مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز
له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الأصنام ليست كذلك
فلا تكون معبودة. وقوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون
إليك وهم لا يبصرون. قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وإن تدعوا أيها
المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لأن آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم
ينظرون إليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم. وذهب أكثر المفسرين
إلى أن هذه الآية أيضا واردة في صفات الأصنام لأنها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر
قوله تعالى خذ العفو. العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور
من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستنقصوا عليك فيتولد منه العداوة والبغضاء.
وقال مجاهد يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل
قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الأشياء. والعفو المساهلة في كل شيء. خ عن
عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف إلا في أخلاق الناس وفي رواية قال
أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس كذا في جامع الأصول وفي
الجمع بين الصحيحين للحميدي قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أموال
الناس أو كما قال. وقال ابن عباس خذ ما عفا لك من أموالهم فما أتوك به من شيء فخذ وكان
هذا قبل أن ينزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه. وقال السدي
خذ العفو أي الفضل من المال فنسختها آية الزكاة. وقال الضحاك خذ ما عفا
من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الزكاة المفروضة وأمر بالعرف يعني وأمر بكل ما أمرك الله
به وهو كلما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكلما يعرفه الشرع. وقال عطاء وأمر
بقول لا إله إلا الله وأعرض عن الجاهلين. أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين
وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالإعراض عنهم منسوخا بآية
القتال. قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها
أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكاة والأمر بالعرف محكم والإعراض عن الجاهلين
منسوخ بآية القتال. روي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

واردة

BULAC

العسر للحسنى وصلى الله
على من كان بعده

لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى ايتك ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس شيء اذل من ابليس واجمع لمكارم الاخلاق
من هذه عن عائشة قالت ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي ورواه البغوي
بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق
وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد
لما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
فكيف بالغضب يا رب فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وسوسته وتخسيسه بالقلب وقيل النزغ الازعاج
واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالمهمز الى الشر والافساد يقال نزغ بين القوم
اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون من الشيطان ادنى وسوسة
والمعنى واما يصيبنك يا محمد وبعض ذلك من الشيطان وسوسة ونخسة فاستعذ
بالله يعني فاستجر بالله والجأ اليه ذبعه عنك انه سميع يعني لدعائك عليم بحالك
وقيل ان الشيطان يمد مجاله بحمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر
الله بالالتجاء اليه والتعوذ به في تلك الحالة وهي بئر العلاج لذلك المرض فصل
واختلف العلماء في عصمة الانبياء بعد الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان
عليه سبيل حتى ينزغه فقلبه ويحتمل الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه
الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك البتة
بهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك البتة والوجه الثاني انه على تقدير ان حصل وسوسة
من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وبالتعاء قلبه م عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني
الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار ان المراد بالنزغ عباد البعث قال الامام وهو
المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القفال عباد وا على ان الامة مجمعة على عصمة النبوة صلى الله عليه وسلم

بعد تمام
من الشيطان

من الشيطان
بجسمه وذكره ولسانه وبهذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة الوسوسة
واغوائه اعلم انه معنا لتحذر منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان
يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله وهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قوله تعالى
ت ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وقرئ طيف الشيطان وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالانسان
وقيل بينهم في الطائف ما يطوف حول الانسان وهو كالطيف والوسوسة وقيل
الطائف ما كان من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس قال الازهري الطيف كالطائف
العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب
والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان يشبه لمة الخيال وقد ذكرنا الاية الاولى النزغ وهو
اخف من الطيف المذكور بعد هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبياء اضعف من حاله مع غيرهم
تذكروا يعني عند ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير يعني
الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر
الله فيقلع ويدعه فاذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتيقظ وقال
مقاتل السدي اذا زلوا تابوا وقال اذا اصابه نزغ الشيطان تذكروا عن ما انه معصية فابصروا ونزع
عن مخالفة الله عز وجل واخوانهم يعني واخوان الشياطين من المشركين يمدونهم اي يمدهم
الشيطان بالغي قال الكلبي كل ما مر ذكره من الشياطين يمدونهم اي يحملونهم على الغي
حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يكفون عن الضلالة
ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المتقين المتفكرين لان المؤمن اذا اصابه طيف الشيطان تذكر
وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يبصر عوى
وقال ابن عباس الكفار لا يقصرون عن ذنب الا ركبوا ذنبا اعظم منه والشياطين لا يمسكون عنهم فعلى هذا القول
يجعل قوله لا يقصرون على فعل الكفار والشياطين جميعا قوله تعالى واذا لم تاتهم بآية
يعني واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومعجزة باهرة قالوا يعني قال المشركون لولا
اجتبيتها يعني افتعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختلقتها من قول العرب قد
اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
الآيات تعنتا فاذا تأخر اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا اخذتها وانشأتها من
اخترعتها

BULAC

العلم للخبر وصلى الله
على من كان نبيا بعد

رعند ذكر فلان اي فليا **محمد** لقوله السنة كبير الذين يسألون الايات انما أتبع ما يوحى الي
من ربي. يعني القرآن الذي انزله على وليس لما اقترح الايات والمعجزات. هذا بصائر من ربكم. يعني
هذا القرآن ابرهين حجج وبيان واصل البصائر الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان
وأما كان القرآن سببا لبصائر العقول به دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه
اسم البصيرة مجازا على تسمية السبب باسم المسبب. وهدى يعني وهو هدى ورحمة.
يعني وهو رحمة من الله لقوم يؤمنون **وهنا للطبيعة** وهي التي بعد هذه المراتب الثلاث
وذلك ان الناس ينقسمون درجات العلم فمنهم من يبلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد
وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من يبلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم
المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن بالنسبة الى الاولين وهم البصائر
والى القسم الثاني وهم المستدلون هدى وهي في القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة
فقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا
معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع
يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد **واختلف العلماء** في الحال التي أمر الله
عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرئ القرآن فقوله فاستمعوا له وانصتوا امر
بظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين والعلماء في ذلك قولان
القول الاول وهو قول الحسن وابن سيرين ان تجري هذه الاية على العموم في كل وقت
وفي كل موضع فرض القرآن فيجب على كل احد الاستماع اليه والسكوت **القول الثاني** انها نزلت
في تحريم الكلام في الصلاة **روى عن ابي هريرة** انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا
بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن **وقال** عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة فسمعنا
رجلا ورسلا على رجل فقال فلما القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا **القول**
الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام **روى عن ابي** بصريح قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات
وفي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعن ابن مسعود** انه سمع قوما يقرؤون وراء الامام فلما انصرف
قال اما ان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله **وقال الكلبي**
كانوا يقرؤون بعد اصوات من الصلاة خير بذلك فسكتوا وذكر الجنة والنار **القول الرابع** انها نزلت
في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء **قال مجاهد**

الانصات

الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت اذا تشهر عند الرجل بغير القراءة وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات وقت الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى انها بدعة سواء جهر الامام بالقراءة او لم يجهر وذلك قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الثوري رحمه الله وذهب قوم الى انه يقرأ فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الرأي حجة من لم ير القراءة خلف الامام ما روى بعد الآية وحجة من قال يقرأ فيما يجهر به الامام قالوا ان الآية تدل على الامر بالاستماع وذلك السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعا بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من رأى وجوب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام وتتبع سكتاته ولا ينازعه القراءة ولا يحقر خلفه ويدل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال لعلكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين فصرمنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا بما تسمعون مما أمرتم به من ذلك وغيره وقوله واذكر ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من امته

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وآله وصحبه

وابعده

لمانه على لسان المكلف **فالبر عاجل** يعني بالذكر المقارنة به الصلاة يسرع اقربه نجاحا
والبعيد فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس
اقرب الى الاخلاص وابعد عن الرياء. **وقيل** المراد بالذكر ان النفس ان يستحضره فيه عظمة
المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر
حضور القلب واستشعار عظمة المذكور تعالى. **تضرعا** يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة
اذا خضع وذل واستكان لغيره. **وخيفة** يعني وخوفا والمعنى يتضرع الى ويخاف عذابه
وقال مجاهد وابن جريج اوان يتذكره بالصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت
وهاهنا الخيفة وهي ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بفضل العبد والله عز
وجل وهو هنا الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا
تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه بعث ذلك على قوة الرجاء. ثم اتبعه بقوله تضرعا
وخيفة وهذا اشارة الى الخوف فاذا حصلت قبل الجد داعية الخوف والرجاء قوي ايمانه
والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا فاجأه الموت وهو
اخر جلده فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه **عن انس** رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله
ما يرجو وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي **وقوله تعالى** بالغدو والاصال الغدو والاصال جمع غداة
والاصال جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب **والمعنى** اذكر ربك بالليل والعشيات
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يغفل بالغدوات عن النوم الذي هو اخو الموت فاستحب
له ان يستقبل حالة الانتباه عن النوم وهو وقت الحيوة عن موت النوم بالذكر ليكون اول
اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الاصال وهو اخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم
الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يغفر
من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله عز وجل ولا تكن من الغافلين يعني
عما يقربك الى الله عز وجل **وقيل** ان اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل
عند صلاة العصر ويصعد عمل النهار بعد صلاة العصر الى المغرب فاستحب له الذكر بهذين
الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر **وقيل** لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح

وبعد صلاة العصر

وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله بعد ادبار الوقتين ليكون جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة او ذكر قوله عز وجل ان الذين عند ربك يعني الملائكة المقربين الى الله عز وجل رسوله والمومنين بالذكر حالة التضرع والخوف اعني ان الملائكة الذين عنده مع علو رتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته لانهم عبيد خاضعين لعظمته ويسبحونه يقولون وينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله وبحمده ولله يسجدون لانهم مأمورون بالتسبيح والسجود داخلا به قوله لا يستكبرون عن عبادته لانها من جملة العبادة فكيف امروهما بالذكر فكلت اخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء ونعوت الاعتقاد الفاسد عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن ويستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها سجدة فسجد وسجدنا معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته غير وقت صلاة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتى امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار رواه مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الانفال مدنية كلها الا سبع ايات منها ان الذين كفروا الى اخر سبع ايات والا فهي نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون اية والف وخمسون وسبعون كلمة وخمسة الاف وثلثمائة وحرفها بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسئلونك عن الانفال ذكر سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت ببدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس

كتب بخط الفارسي

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

لما كان يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرع فلان وفلان وفلان وترى مكان كذا وكذا وترى مكان كذا وكذا وفقد فقيل فقيل فلان وفقيل فلان وفقيل فلان وف

ان الفتيب الفيء لما مشى بعيسى مر جعت اليه فعلت اعكنيه فال بشدة صوته رد من
حيث اخذ ثم ما قرأ الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وفال ابن عباس كانت المغانم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ. وما اصاب سرايا المسلمين يرشح. د
اتوا به. فمر جبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك
عن الانفال استيقنا يعني يسئلك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استيقنا
لا سؤال كلب وفال الضحاك وعكرمة هو سؤال كلب وقوله عن الانفال مرالانفال وعن بعضهم
وقيل عن صلة اي يسئلونك الانفال والانفال هي الغنائم. قول ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة وا صله الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه
الامة على المنصوص واكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وفال عكرمة. هو ما
ما يفدى
مر المشرك كثير الى المسلمين بغير قتال رعبدا وامة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يضع فيه
ما يشاء.. فل الانفال لله والرسول اي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله
يقسمها كيف شاء. واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة
والسدي هذه الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شئ. فان لله خمسه
وللرسول الاية كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء. ولم يشأ. فنسخها
الله بالخمس وفال بعضهم هذه الاية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم
كانت حراما على الامم الذين من قبلنا ثم اباح انبياءهم واباحها الله لهذه الامة بهذه الاية
وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وفال عبد الرحمان بن زيد هي
محكمة وهو احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لمن
وللرسول يضعها حيث امر الله وقد بين الله مصارفها بقوله واعلموا انما غنمتم من شئ. فان
لله خمسه وللرسول الاية وفي حديث عبادة بن الصامت قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا
ما اصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا الى المدينة فقسم بيننا على هذا فكانوا الاية
محكمة وللامام ان يفعل ما يشاء. فعلى التفسير فاتقوا الله يعني اتقوا الله بكاعنه
واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم. واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا الحال فيما
بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله. واطيعوا الله ورسوله فيما
يامركم به وينهاكم عنه. ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده. قوله تعالى

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الاية
المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الاية صفات المومنين
واحوالهم فقال تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين
يخالفون الله ورسوله انما المومنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت
وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف
على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون
عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف واما العصاة فيخافون عقابه فللمومن اذا ذكر الله وجل
قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت
قلوبهم بمعنى وقال في اية اخرى وتطمين قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين
هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العصاة والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة
والتوحيد وهذا معنى الخوف والرجاء وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم من خوف
عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المومن
ثم قال تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادهم
تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك
ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو
الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد
لان عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد
ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا
وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان اكثر ممن صدقه في شيء واحد فقوله
تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار
جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان يقبل الزيادة والنقص اولا
فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان
هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع

خافت

امور ثلاثة

امور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد
استدل على ذلك بهذه الاية من وجهين احدهما ان قوله زادهم ايمانا صريح في ان الايمان
يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال
تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان
وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك كان
قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له
فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصه
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا
وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى
وعلى ربهم يتوكلون معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم
ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية
ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من اموره الا على الله عز وجل
واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران
والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال
الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة المفروضة
بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون من اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه
النفقة في الزكوة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى
اولئك يعني من هذه صفته هم المومنون حقا يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس
يريد امن الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه
لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف
مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة اصولية
وهي ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا

ان يقول

الحمد لله حمدا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فقال اصحابنا ابو حنيفة الاول ان يقول انا مومن حقا ولا يقول انا مومن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القاعد وكذا في هذه المسئلة يجب فيها ان يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله الوجه الثاني ان تعالى اوجب على المومن حقا بقدح في ان يكون مؤمنا حقا وهو قوله آمنا بالله ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله به وذلك لا يجوز قال اصحابنا يعني الاول ان يقول الرجل انا مومن ان شاء الله واحتجوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وهو الاتيان بالاعمال الصالحة المقبولة او مشكوك فيه والشك في احدهما يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان بل يلزم حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس بقول سيء الشك والكراهة فان الرجل اذا مدح نفسه باعظم المدائح مرارا حصل له بذلك عجب واذا قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل الانكسار روى ان ابا حنيفة قال لقتادة تم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا افتديت بداود حين قال بلى ما نفطع فقال قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وطلب مزيد الطمانينة الوجه ان الله تعالى ذكر في اول الاية انا المومنون وبعضه انما تفيد الحصر يعني انا المومنون الذين يفعلون كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله واياها امرهم بذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني ان مجموع هذه الاوصاف كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شاء الله فان ابراهيم عليه السلام سأل رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بهذه امومن وان كنت سألتني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا فقال علقمة كنا سبعين فسألنا فوفقنا الجواب فقالوا نحن جميعا حقا مومنون ندري ما نحبيبه حتى نعلم ما جوابك يا عبد الله بن مسعود فما خبرنا بما قالوا فقال ما رددت عليهم فلما لم يرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم اوليس اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سعيد الثوري

الخ

بقوله

الثالث

من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر
الوجه الرابع ان قلنا قولنا انا مومن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا
ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون
مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن
ان يقال انا مومن ان شاء الله فالمراد بصرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا
القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا
متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان
يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل فجهل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم ان الله
تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر
احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان
مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعني
لهم مراتب بعضها اعلا من بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة
فلهذا تفاوتت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة
يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس
الضامر سبعين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم ومغفرة يعني ولهم مغفرة
لذنوبهم ورزق كريم يعني ما اعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم
دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا
في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك
في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك
خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل
هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى

الثاني

كذا في الاصل
المضمر

كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالصبر والظفر **وقيل** نصب على الحال
بعد ما تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم ذلك يكرهون القتال
ويجادلونك فيه **وقيل** الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك ربك من بيتك بالحق
وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك ربك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق
وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكروا نعمة اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق **وقيل**
المراد بعد الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة **وقال** جمهور المفسرين المراد
بعد الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما اوجب ربك بالخروج من بيتك
بالمدينة بالحق يعني بالوحي لكلب المشركين وان فريقا من المؤمنين لكارهون يعني للقتال
وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم يجادلونك في الحق
وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا انما خرجنا للعير فذلك جدالهم بعد ما تبين يعني تبين لهم انهم لا تصنع
بشيء الا بامر ربك وتبين لهم صدق الوعد كانما يساقون الى الموت يعني لشدة كراهتهم
القتال وهم ينظرون يعني الى الموت نبه حالهم بحال من عاين ما يخاف من القتل
ويساق الى الموت وهم ينظرون اليه وعلم انه اتيه **قوله عز وجل** واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين يعني احدى العيرين فيء ابو سفيان مع العير وفرقة اجتمعوا مع النفير
انتصارا يعني احدى العيرين لكم **قال** ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدي
اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام بعير فلما دنا من بدر جاء الخبر منه عمرو
ابن العاص وحمزة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي الليكند يريد بها الكثيبة
الجبال التي تحل العقل والبرة عند البيرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
خبرهم فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدد وقال هذه عير قريش فيها
اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فمخف بعضهم وثقل بعضهم
وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان
يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا واصحابه قد عرضوا لعيرهم فخرج ضمضم سريعا
الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال

فعرفت

فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رأيت البلية
ازوياد افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها قتل وقصيمة فقال لها وما رأيت
فقالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلا صوته الا انفروا
يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فاذا الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس
يتبعونه فبينما هو حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بأعلا صوته
الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على ابي قبيس فصرخ
بأعلا صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس
ابي قبيس فصرخ بأعلا صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم
اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت
فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخل منها فلقة فقال العباس والله
ان هذه لرؤيا ما كتمتها ولا تذكروا منها الا حدثا ثم خرج العباس حتى اتى الوليد بن عتبة
وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة لهم واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه
عتبة فجلسا الحديث حتى تحدث به في بيوتهم. فقال العباس فجئت اكون
بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فجئت اكون
معهم فاتى ابو جهل فقال يا ابا الفضل اذا فرغت من هؤلاء فأقبل الينا فقال العباس فلما
فرغت من هؤلاء اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى
حدثت هذه فيكم فقلت وما ذاك فقال الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال تنبئوا
يا بني عبد المطلب ما رضيتم ان تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها
انه قال انفروا في ثلاث فستتربصون بنا هذه الثلاث ما يدل ما قالت حقا فسيكون وان
تمض الثلاث ولم يكن مما قالت شيء نكتب عليكم كتابا بانكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس
فوالله ما كان مني اليه ولا عنه الي شيء الا اني جحدت ذلك وانكرته وقلت ما رأيت ولا سمعت
ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا اتت فدخلت علي فقالت
للعباس اخجلتني ان فعل بها رجالكم حتى تناولن النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة ولا نبأ
مما سمعت قال فقلت والله قد فعلت ما كان مني اليه ولا عنه ولا عنكن ولكني امرأة
فاكتمنني فقال فخرجت اليه الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب اريد قد فاتني شيء
احب ان ادركه منه فقال قد خلت المسجد فوالله ما برحته حتى طاف به ثلاثا يقول
لبعض ما قال جاء به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديدا فوجد حديد الناس حديدا الى

الحمد لله حمدا وصلى الله على من لا نبي بعده

١٠ بحمد الله وحده

اذ خرج من باب المسجد يستشد فقال العباس فقلت يا نفسي مالك لعنك الله أكل هذا
فرفعت رأسي فقال واذا هو قد سمع ملء أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو
يصرخ ببطن الوادي واقعا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول
يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد
واصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث فقال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء والله وقال
فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ابا لهب فانه تخلف وبعث مكانه
العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت في بئر لبيس وذكرت التي بينها وبين بني بكر بن عبد
مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثبطهم فتبدى لهم
ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم ان تأتيكم
كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت في بئر سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
باصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن عير
في بئر ليمتعوا عيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء اخذ عينا
للقوم فاجتمع خبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له رجعت فلما للانصار يريد ان
ان يعطف اتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام
وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما نفيرا فكره اما العير واما نفير وكانت العير احب اليهم
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فقام ابو بكر فقال واحسن وقام
عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك والله
لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن نقول
اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما فقاتلوا فمضى الى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد
يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار
وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى
تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فنمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى ان لا تكون الانصار ترى عليها حقا ان لا ترد عدوه بالمدينة
من عدو وان ليس عليها ان يسير واليه الى عدو من بلادها فقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له سعد

فقال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال آمنا بك وصدقناك و
وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع و
والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وعدوك إنا لصبر عند الحرب
صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله
وأبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم م عن
أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا
مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان غدا إن شاء
الله قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حددها رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم
فقال يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فقال عمر
يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح لها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعوا
أن يردوا علي شيئا فذلك قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين يعني طائفة أبي سفيان
مع العير وطائفة أبي جهل مع النفير وتودون أي وتريدون وتتمنون أن غير ذات الشوكة
تكون لكم والمعنى وتتمنون أن العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة
والقوة وتقال للسلاح ويريد الله أن يحق الحق أي يظهر الحق ويعليه بكلماته يعني و
بأمره إياكم بالقتال وقيل التي سبقت لكم من إظهار الدين وإعزازه ويقطع دابر
الكافرين أي ويستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد ليحق الحق يعني ليثبت الإسلام ويبطل
الباطل يعني ويفني الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركين وفي الآية سؤالان وهو أن قوله يريد
الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير لما معناه والجواب أنه ليس فيه تكرير
لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء والمراد بالثاني
تقوية القرآن والدين وإظهار منار الشريعة لأن الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم و
وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لإعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل
الباطل يعني الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد

سؤالان

BULA

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق
حقا والمراد من ابطال الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق
وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم اي
واذكر يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين
قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهري والقول
الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له م عن ابن
عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
وهم الف واصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد
يديه فجعل يصف يديه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ائتني ما وعدتني اللهم ان تهلك
هذه العصابة من الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه
فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذلك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل
من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت
الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد
خطم انفه وشق وجهه كضربة السوط ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين
واسروا سبعين وقوله تعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاءكم اني ممدكم اصله
باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم بالف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى
يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في
خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العرش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا
جبريل اخذ بعنان فرس يقوده على ثنياه النقع خ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس

كان

كما يسمى الملائكة يوم بدر عمائم بيض وجبنوا خضر وما قاتل الملائكة يوم
سوى يوم بدر والبقية وما كانوا يكونون فيما سواه مددا ومددا وروى عن ابن أسيد مالك بن ربيعة
وكان قد شهد بدرا أنه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم
الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد نقدم الكلام في سورة آل عمران على قاتلت الملائكة
في يوم بدر وأنهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي ضربه بالسوط فخطم
أنفه وشق وجهه وكما نزلوا فيما سوى يوم بدر مددا ومعونة وقيل إنهم لم يقاتلوا وإنما نزلوا
ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى يعني وما جعل
الله الإمداد بالملائكة إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وهذا يقتضي أنهم ما نزلوا لذلك للقتال والصحيح
هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام وقوله تعالى وما النصر إلا من
عند الله يعني أن الله هو ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدتكم بأسلم
وفيه تنبيه على أن الواجب على العبد المسلم ألا يتوكل إلا على الله في جميع أحواله وما يأتي ويذر
بالله تعالى يعني النصر والإعانة إن الله عزيز يعني أنه تعالى قوي منيع لا يغلبه شيء ولا
يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه حكيم يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء
ويخذل من يشاء بحكمته وقوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه أي واذكروا إذ يلقي عليكم
النعاس وهو النوم وفيها أمنة منه أي أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن
مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والجملة في كون النعاس أمنة
في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا للناس
وإزالة الخوف وقيل إنما خافوا من الجمع لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة
عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال
والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدهم
العدو لعلموا وصوله إليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله
أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع
العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل إن ذلك النعاس كان
في حكم المعجزة لأنه أمر خارق للعادة وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء يعني المطر
ليطهركم به وذلك أن المسلمين لما نزلوا على كثيب رمل أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الخيل

BULAC

العسر لليسر وصل الله وسلم
على سيدنا محمد وآله وصحبه

وكان المشركون قد سبقوا إلى الماء فنزلوا عليه وأصاب المسلمون على غير ماء وبعضهم محدثون وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس إليهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون أن تظهروا عليهم ودعا ربه فأنزل الله مطرا سال منه الوادي فشربوا منه وتطهروا واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملئوا الأسقية وأكفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام وزال عنهم وسوسة الشيطان وطابت النفوس وعظمت النعمة فالله عليه بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر بذلك فقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الأحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني وسوسته إلى الغافلين فلوبهم وليربط على قلوبكم يعني بالصبر واليقين وأصل الربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما وعد فيه صابر اليقين وقيل إن لفظة على ليست بصلة لأنها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى أن الله ألهم قلوبهم مثلا ما ربط الرجل حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الأقدام يعني أن ذلك المطر لبد الأرض وقوى الرمل حتى ثبتت عليه الأقدام وجرى الدواب وقيل المراد به يثبت الأقدام بالصبر وقوة القلب لئلا يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند القتال وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أن معكم يعني أن الله تعالى أوحى إلى الملائكة الذين أمدّ بهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أني معكم بالنصر والمعونة فثبتوا الذين آمنوا أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت وقيل كان للشيطان قوة بالقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فذلك الملك قوّاه بالقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة وإلهاما فهذا هو التثبيت وقيل إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال وتعوينهم إياه أي تبشرهم بقتالكم معهم للمشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر وكان الملك يتشبه بصورة رجل آمن الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عليهم سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين حتى صاروا هم والأعداء قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الأعناق قال عكرمة يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق وقال ابن عباس الأعناق

بعض

الضمير

هي صلة

وهو صلة وقيل معنا، جاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على واضربوا منهم
كل بنان يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاكف وهي جمع بنانة وهي اكر اف
اصابع اليد ويشهد بذلك الرجز الصحاح الذي يذكر الانسان ان يتبرم ما يدان يعمله
بيديه وانما خصت بالذكر لانها اكثر ما يباشر بها القتال وبها يتصرف
السلاح بالحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجسد وهو الرأس وهو اشرف الاعضاء وبضرب
البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو من الجسد وقيل امرهم بضرب الرأس
وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تكميل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يتكثر بها
السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله وروى عمر بن داود الماز نوكان
شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر اضربه اذ وقع رأسه قبل ان اصل اليه بسيفي علمت
انه قد قتله غيري وعمر بن سهل بن حنيف قال لقد رأيتني يوم بدر واحدا نا البشير بسيفه الى
المشرك يتبع رأسه جسده، قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام
قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكتم خلافهم
وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل اصحابه بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في
انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح واحتذيها في حجرة زمزم
فو الله اني لجالس في حجرتي اعمل قداحي وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه
حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس
قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي كيف كان امر الناس فقال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم
فمنحناهم اكتافنا يقتلونا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض والله ما تبقي شيء ولا يقوم لها شيء. قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة
بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضربني ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم
برك علي صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل فعمدت الى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعف غلامه اذا غاب عنه سيده فقام

BUSAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن
عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة وكان أبو اليسر
رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر كيف
أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا
وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم كانت وقعة بدر
في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثالثة من الهجرة النبوية وقوله تعالى
ذلك يعني الذي وقع من الأسر والقتل يوم بدر بأنهم شاقوا الله ورسوله يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله
والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبة كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم
وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن
يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر
شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى ذلكم إشارة إلى القتل
والأسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلاً في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعد
الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله وأن للكافرين عذاب النار يعني في الآخرة عن ابن عباس
قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شيء قال فناداه العباس
من وثاقه لا تصلح لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين
كفروا زحفاً يعني مجتمعين متزاحمين بعضكم إلى بعض والتزاحف التداني في القتال وأصل الزحف
مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل أن يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم إلى بعض في
القتال زحفاً لأنه تمشي كل طائفة إلى صاحبتها مشياً رويداً وذلك قبل التداني للقتال
وقال ثعلب الزحف المشي قليلاً قليلاً إلى الشيء فلا تولوهم الأدبار يعني فلا تولوهم ظهوركم
منهزمين منهم فإن المنهزم يولي بظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني ومن ينهزم
ويول دبره يوم الحرب والقتال إلا متحرفاً لقتال يعني إلا منقطعاً إلى القتال يرى عدوه من نفسه
الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها
ومكايدها أو متحيزاً إلى فئة يعني أو منضماً وصائراً إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال
فقد باء بغضب من الله يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في هاتين الحالتين وهي التحرف

متزاحفين
جر

للقتال

للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله وماوه جهنم وبئس المصير
فصل في معنى هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد
الخدري هذا بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانصراف يوم بدر لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها وان النبي صلى الله عليه وسلم ولو انهزموا
الا عمر كيف وقد اول من انهزم عتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون بعده
وشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فما بعد ذلك اليوم فان المسلمين
بعضهم فئة لبعض فيكون العائد متحيزا الى فئة فلا يكون فرارا كبيرا وهذا قول الحسن
وقتادة والضحاك **قال يزيد** بن ابي حبيب او حبان الا من فر يوم بدر فلما كان
يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان
يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء. **وقال**
عبد الله بن عمر كنا نبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا
فقلنا يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم الكارون انا فئة المسلمين **قوله** فحاص الناس
حيصة يعني جالوا جولة يطلبون العراز من البعد وهو المنحاز المتحرف **وقال** محمد بن
سيرين قتل ابو عبيدة يوم الجسر ابن عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت له فئة انا فئة
كل مسلم **وقال** بعضهم محكم الاية على ما هو كل مرة لظهور من فر منهما بدليل قوله
يا ايها الذين امنوا وهذا خطاب على يتناول جميع وان كانت الاية نزلت بعد
بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **وجاء في الحديث** من الكبائر الفرار من
الزحف **وقال** عكرمة ابن عباس هذه الاية منسوخة بقوله الان خفف الله عنكم فليس
لقوم ان يفروا من فلسم فنسخت بذلك الاية بعد العدة وقيل بعد الكثرة اعلم ان المسلمين اذا كانوا
على النصف من عدد وهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم او يولوهم ظهورهم وان كان العدو اكثر من المسلمين
جاز لهم ان يفروا منهم **قال** ابن عباس من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر **قوله تعالى** بما عمد
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم **قال** نسخ بعد هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قال احدهم
كان الرجل يقول انا قتلت فلانا وبقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم **وقيل** معناه ولكن
الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة **قال** الزمخشري العائد في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط

BULAC

اللهم لك الحمد وصل الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

عليهم

العقنقل

محذوف الجواب وإما أن تخرجهم بقتلهم أو تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى **قال أهل التعبير** والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
انكفوا حتى مر بهم أبو سفيان وورد رواياً فريش وفيهم أسلم غلام الأسود بن المطلب الحجاج وأبو بختري
غلام ابن العاص بن سعيد فأخذوهما وأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يسألهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قريش فما لهما وراء الكثيب الذي ترون بالعدوة القصوى والكثيب
العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم فالكثير قال ما عدد هم فما لا يكاد يحصر قال
كم ينحرون كل يوم فقالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش فقالا عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر ونضر بن الحارث
والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيهة ومنبه ابنا الحجاج
ونوفل بن عمر **فقال رسول الله** صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ
كبدها فلما انفلت قريش ورجعوا **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم نصب العقنقل وهو
الكثيب الرمل وجاء إلى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك
وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال له خذ
قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصبا
فاستقبل بها وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك
إلا دخل في عينيه ومنه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم **وقال قتادة** وإن زيد ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر
ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة في أثر القوم
وقال شاهت الوجوه فذلك قوله عز وجل وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى إذ ليس في
وسع أحد من البشر أن يرمي كما رمى حصبة وجوه جيش ما يبقى منهم غير الوهن دخل فيما
رذل الله. فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثير مقاصد رمي الله عز
وجل ملحق المعنى بالتبعيض والإثبات **وقيل** بمعنى الإبانة وما بلغت إذ رميت
ولكن الله بلغ رميك **وقيل** وما رميت الرعب إذ ملأ به قلوبهم إذ رميت بحصباتك ولكن الله رمى
بالرعب فملأ به قلوبهم حين انهزموا. وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا يعني وليتم على المؤمنين

نعمة عظيمة

نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين ان البلاء هنا
بمعنى النعمة. ان الله سميع. يعني لدعائهم. عليم. بأحوالهم وقوله تعالى ذلكم. يعني الذي
ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الكفرة بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وان
الله يعني واعلموا ان الله مع ذلك موهن كيد الكافرين يعني مكرهم ويبدعه قوله
عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح. هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك انهم لما التقى الجمعان اللهم ايتنا اهدى الفئتين
وأنجح يعني بعثا ومحمدا صلى الله عليه وسلم فانجح الرحم بما جئته اليوم وقيل انه قال اينا
كان خيرا عند ذا فانصره وقيل قال اللهم انصر اعدل الفئتين وخير الفئتين واكثر الجمعين اللهم
وكان اجمعوا فانجح لرحمه ما جئته اليوم جاء النصر الله ان تستفتحوا ومعنى الاية ان تستحكموا
الله على انجح الحي يبشر للرحم وانجح الفئتين ينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم
حكم الله بنصر المظلوم على الظالم والمؤمن على الكافر والمقهور على القاهر وعمر عبد الرحمان
ابن عوف قال لي ابو عبد الصديق يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار
حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف
ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي سوادي حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك
قال وغمزني الاخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا ترى
هذا صاحبكما الذي تسئلاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال
هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله
وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء قال انس بن مالك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فه

بسم الله
الرحمن الرحيم

فقال ابعد مرجل فتله فوثبه فضربته بسيفه غير كاهل فعرشيا حتى سقط سيفه
من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال ابو عيسى ابا جعل يوعد بعر
وبه رمق فقال نعل اعمد مرجل قتلتموه فقال عكرمة قال المشركون والله ما تعدنا ما جاء به
محمد الا بغتة بينا وبينه بالعوا جائز الله عزوجل ان تستبعتموا جفه جاء الغيث يعني ان
تستفتحوا فقد جاء الفتاح فقال والله ذوا الكلبين كان المشركون خرجوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وافضل الدينين فيما نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وهو على ما سألوا وكان النصر لهدى الفئتين وهو اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عدوه واستمر به جعل بن هشام ان يلتمس به القتل وقال الله
لما
سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة خفيفة وضربني فقدم بنصف ساقه فاذا وضع بنو
ابنه عكرمة على عاتقه فضربني بها متعلقة بجلدة رجلي واجتففت القتال عنه فلقد قاتلت
عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذا نبي جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها
ثم مررت اي جعل وهو بعير يعود بر بعيرا فضربه حتى اثبته وركد وبه رمق فمر به عبد الله
ابن مسعود قال عبد الله وجدته بآخر رمق ومعرفته موضع رجل على عنقه ثم قلت هل
اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد مرجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة قلت
لله ولرسوله ثم قال ابن مسعود انه قال لي ابو جعل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقيا
صعبا ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا
راس عدو الله ابي جعل فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابن كعب فهذا خطاب الاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل للمومنين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح
اي النصر ح عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان الرجل فيمن قبلكم يؤخذ
الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله

هذا الامر

ليتم الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب
على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل المغربي بهذا الحديث على ما قدمه ابن ركب
الاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كما شاهدناه والاية مدنية فلا تعلق
للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كما دعا الله بيدر وسأله انجاز ما
وعده رأى الكفار يستشرفون لجهة الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه فقال الله تعالى مجيبا له
ان تستعجلوا يعني ان تكسلوا النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما
طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول الاولى لان
قوله فقد جاءكم كما يليق الا بالمؤمنين بهذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والنصر على الاعداء اما
اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله عز وجل وان تنتهوا فهو خير
لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في
الدين والدنيا اما في الدين فبان تؤمنوا به وتكفوا عنه فتحصل لكم بذلك الفوز بالثواب
والخلاص من العقاب واما في الدنيا فبهذا الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان
تعودوا للقتال محمد صلى الله عليه وسلم بعد تسليطكم عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم يعني
جماعتكم شيئا يعني لا تغني عنكم شيئا وان كثرت يعني جماعتكم وان الله مع المؤمنين يعني بالنصر
له عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله يعني بامر
الجهاد لما فيه من بذل المال والنفس ولا تولوا عنه يعني عن رسول صلى الله عليه وسلم لما ان التولي
لما يليق الا بحق الرسول صلى الله عليه وسلم كما به حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته
في الجهاد وانتم تسمعون يعني القرآن يتلى عليكم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين
ان شر الدواب عند الله يعني شر ما دب على وجه الارض من خلق الله عز وجل عند الله الصم
يعني عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يعقلونه الذين لا يعقلون يعني لا يستعملون عقولهم
امره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دوابا لغفلتهم انتهى يعقوبي قال ابن عباس رضي الله عنهما
ومعنى عبد الدار ومن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا
جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول الحق ومعنى لو علم الله

الحمد لله وحده وصلى الله على
على من لا نبي بعده

قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله بعد علم الله بوجوده
ولو ان عدمه جائز حتى يتغير عدمه بنفسه بعد علم الله بوجوده وتقدر الكلام
لو حصل فيه خير لاسمعه الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ولو اسمعه يعني بعد
علم انه ما جاء فيهم ليتبعوا ما يسمعون من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني
ولتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل ان
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ائت لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى نشهد له بالنبوة
فيومئذ قال الله تعالى ولو اتى لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد
لاوامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة
الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد واستدل
اكثر المفسرين بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
يجعل بعد دعاءه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة بكل ما دعا الله ورسوله
اليه روى عمر بن سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه
ثم اتيته فقلت يا رسول الله انا كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
ذكر الحديث عمر ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان
تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي ان استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد آخر وقيل لو دعاه احد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله ان
يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو
الايمان لان الكافر ميت فيحييه بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة
والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لدين الله اعز به
بعد الذل وقيل هي الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول

بين المرء وقلبه

بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر
وبين الإيمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي
يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإذنه وقد دلت البراهين العقلية
على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد
أن تتقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك أن المتصرف
في القلب كيف شاء هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث
شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن
أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل يخاف علينا قال نعم إن القلوب بين إصبعين
من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات
فيجب على المرء المسلم أن يعمل بما جاء مع الاعتقاد الجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم
وقيل في معنى الآية إن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا
وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم
وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل
الخوف أمنا والجبن جرأة وقوله تعالى وأنه إليه تحشرون يعني في الآخرة فيجزي كل عامل
بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا
فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد
بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم
قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما درينا
وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل
والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة
يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة
بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك
عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عرس بن عميرة
الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن
غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه ابو داوود عن جرير بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون
على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داوود قال
ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير
من الساعي من يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به فان قلت
ظاهر قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم
تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى
مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف شاء لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع
المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد لمن
واقع الفتنة التي حذره الله منها قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
لما امر الله عز وجل المومنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم
نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد
مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني
كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم فآويكم
يعني الى المدينة وايدكم بنصره يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة
ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون
الله على نعمه عليكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول قال الزهري
والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه ع الصلح على ما صالح عليه اخوانه بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات وارجا
من ارض الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه ع ان يعصيه ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاء بني النضير لان ماله وولده وعياله كان
عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه ع فلما رأوا ابا لبابة قاموا اليه والنساء تبكين في وجهه
فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة ترى ان ينزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة
والله ما زالت قدما ي مكانهما حتى عرفت انه قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
ولم يات رسول الله صلى الله عليه ع وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه ع خبره قال اما
لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام
لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب
عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه ع هو الذي يحلني بيده ثم قال ابو لبابة ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال رسول الله صلى الله عليه ع يجزيك الثلث ان تصدق به وانزل فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه ع فيفشونه حتى يبلغ
المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة حتى جاء جبريل النبي
صلى الله عليه ع فقال ان ابا سفيان بمكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه ع لاصحابه ان ابا سفيان
بموضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من انصار الى قريش ليحذرهم فانزل الله
جل ذكره يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ما جعلتم من الاسلام الى الملك خيانة واصل
الخيانة النقص ومنه النقص للرجل شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل معنى الآية
لا تخونوا الله والرسول كما انكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله
بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سننه ولا تخونوا اماناتكم فقال ابن عباس ما يبقى على احد
الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان ذنوبكم امانة
فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرايضه وحدوده ومما خان عليه امانته فليود ها الى من ائتمنه عليها
ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه ع ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك

الاجشا

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب **وقوله عز وجل** واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة **قيل** هذا امتنان لهم بابانة ذلك لان امر الله واولاده كانت
به بنو قريظة بذلك فقال ما قال خوفا عليهم **وقيل** انه عام في جميع الناس وذلك انه
لما كان الفداء على الخيانة بالامانة هو سبب كسب المال والولد نبه الله تعالى بقوله
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من الضرر المتولد من حب
المال والولد لانه قد يشغل القلب ويصير محجوبا عن حضرة المولى وهذا امر عظيم الخطر
روى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمال فقسمه وقال اما انه ما من غنيمة
منه شيء مجتمعة وانما لمن يجاء الله **واخرج** الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت امرأة
الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو مختضب
احد ابنيه وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال
الترمذي ولا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا من خولة **قوله** لمن ريحان ابي من رزق الله
والريحان هو النعمة الرزق **وقوله تعالى** وان الله عنده اجر عظيم. يعني لمن ادى الامانة ولم يخن
وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرى وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال
والولد **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله. يعني بكفه عن معاصيه
يجعل لكم فرقانا. يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا به تفرقون بين الحق والباطل
والبخل فاصله البرق بين الشيئين لكنه ابلغ منه لانه يستعمل في البرق بين الحق والباطل
والجهة والشبهة **قال** مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة **وقال** مقاتل مخرجا في الدين
من الشبهات **وقال** عكرمة نجاة يفرق بينكم وبين ما تحذرون **وقال** محمد بن اسحاق وصلا
بين الحق والباطل يكفر الله به خطاياكم ويغفر لكم ذنوبكم **وقيل** يفرق بينكم وبين الكفار
بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ويكبت عنكم بيتانكم. اي ويجعل ما سلف
من ذنوبكم ويغفر لكم ويستر عليكم ما لا يصلح في امر الدنيا ولا في امر الاخرة. والله ذو الفضل العظيم
كانه هو الذي يجعل ذلك لكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه وهو كذلك فانه
اذا وعد يفي. وقيل معناه ان يزد الفضل العظيم فلا يكتب وعند غيره
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله اذكر الله تعالى النبي من نعمه عليه بقوله
واذكروا اذ انتم قليل الى قوله ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه لمكة

لقوم

من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة
والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس
وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة
ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤساؤهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام
وربيعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيهة ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف
واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت
باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال
ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه
وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب
المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ
النجدي بئس الراي رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي غلقتم الى اصحابه دونه
فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي
وقال هشام بن عمرو من عامر بن لؤي فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين بني
اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا
لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدوهم الم تروا الى
حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم
ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجوكم من بلادكم فقالوا
صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي ما ارى غيره اني ارى ان
تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما
ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا اظن
هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا ارادوا ذلك قالوا العقل
فتؤدي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول ما قال
لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم

العمر الشريف وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فاخبره بذلك وآتاه بيت به مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له
عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يبيت
بمضجعه وقال له توشح ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر
التراب على رؤسهم وهو يقول انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى
الى الغار فدخله هو وابو بكر وخلفا عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلهما وكانت
الودائع تودع عنده لصدقه وامانته فالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه
ليقتلوه فرأوا عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما
بلغوا الغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسيج العنكبوت على بابه اثر
فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة بذلك قوله واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر
احتيال في خفية. ليثبتوك اي ليحبسوك وقيل ان حملوك لم تستطع شيئا واوثق منه
اثبت لانه لا يقدر على الحركة او يقتلوك يعني كلما اشار عليه ابو جهل او غيره يعني
مكة. ويمكرون يعني ويحتالون وقد مر في اول ويكيد الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم
سمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة من يخدع والمكر هو
التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا بالباطل او مكر صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اظهره ونصره وقواه فضاع بعلمه وتدبيره وظهر بفعل الله وتدبيره. والله
خير الماكرين جل فلانا يجعل فلان والله خير الماكرين ولا خير به مكر فلان
يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه نفيه على ان كل
مكر يتصل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكره فيه خير من مكر فعال تعالى
فمقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا
قوله عز وجل واذا تتلى عليهم ايانا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا. نزلت
في النضر بن الحارث بن علقمة وبني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى فارس والحيرة
ويسمع اخبار ملوكهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يتجر بالعباد من اليهود
والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويكون قلما جاء مكة

وجد النبي صلى الله عليه وسلم

وجد النبي صلى الله عليه وسلم فداوى اليه وهو بغيرا ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا
يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا عذ سمع الله بذ يعني الحق الذي
ما نشهد فيه بادعاء يهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم
عن ذلك ولو قدروا ما تعللوا عنه وهو اهون العطاء حتى وفر سال الساعة فقال بذ لذ بسيء
قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين يعني اخبار الماضين فقوله تعالى
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم نزلت بالنضر بن الحارث ايضا قال ابن عباس لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم شأن
الفرس الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت قلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون
قال اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق فان محمدا صلى الله
عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله والملائكة بنات الله يعني الاصنام
ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل يعني الاسلام الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد وادعاء النبوة وغيرها
هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء. يعني كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم
يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وبه النضر بن الحارث نزل سأل سائل بعذاب
عشر واقع قال عكرمة لما نزل به النضر بضع عشرة اينة فجاء به ما سأل من العذاب يوم بدر
قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة وعشرين صبرا فكانت
ابن عدي وعتبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وروى انس رضي الله عنه قال ذلك ابو جهل في
عن النضر قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء.
الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما خرجوا نزلت وما لهم الا يعذبهم
الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فقوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق هذه الاية متصلة بما قبلها وهي
حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله عز وجل لا يعذبنا ونحن نستغفره وتابعه على هذا
وبسببها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بدر حالتهم وغرتهم والمستغفرون
على الجمع واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وانت

الحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد

بدر الصفر وهم كانوا يستفتحون ويدعون بنصر من عند الله وقال آخرون هذا كله
متتابع بقول الله عز وجل إخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم واختلفوا بمعناه فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت
يا محمد مقيم فيهم بدر الصفراء فلما أنزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم
بمكة ثم لما خرج منها بقي فيها رجال من المسلمين يستغفرون فأنزل الله وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج آخر المسلمين من بدر الصفراء وهاجر أذن الله
له بفتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها
منها والذين آمنوا معه ويلحق فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم ألا يعذبهم الله
وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف
غفرانك غفرانك زيد بن رومان فكانت قريش تقول كان هذا هو الحق عندك فما منعك علينا
بحجارة من السماء فلما أمنوا فذهبوا على ما قالوا بقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
أي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو آمنوا بالذين واستغفروا لكانوا من المؤمنين
وقيل معناه ادعهم إلى الإسلام والاستغفار بعده الكلمة كما الرجل يقول لعبده لا أعاقبك
وأنت تستحق أي أعفو عنك إذا عاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي
يسلمون يعني لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وجميع من تبعت له والله العناية
أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل
ابن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أبناء أصلابهم ويستغفر
وقيل معناه إن الله بارك الكفار لما بقوا وقالوا إن كان محمد صادقا فليأتنا بما نخافه قوله فأمكن علينا
بحجارة من السماء فأخبر الله أن محمدا صلى الله عليه وسلم يخرج من بين أظهرهم
فيهم قوله وأنت مع ذلك لا يعذبهم على أعدائه وهم كفار مكة
فيهم بحجارة من السماء فأداه بدر الصفراء وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد
على هذا أنه لما كان فيهم مانع من نزول العذاب بهم فكيف قال بعد هذه الآية
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون والجواب أن المراد من العذاب الأول هو عذاب الاستئصال
والمراد من العذاب الثاني هو قوله يعذبهم الله بأيديكم وهو عذاب القتل والسبي والأسر

فذوقوا العذاب

وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار
امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه الترمذي
وقوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله يعني اي شيء يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني
بعد خروجك من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم و
وبين في هذه انه يعذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر
وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بهذه
الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب
عذاب الاخرة وقال الحسن الاية الاولى وهي قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة
بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخله النسخ ثم بين ما
لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون المؤمنين
عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام
عام الحديبية وما كانوا اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد
الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اولياء المسجد الحرام ان اولياؤه
الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ولكن اكثر المشركين لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر
والمكاء اسم طائر ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة
مكائه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدا
وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شيء الثاني قال ابو عبيدة اصله
تصدديا ابدلت الدال الواحدة ياء قال الازهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله
اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت
صلاتهم التصدي والمكاء قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون
ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق

الاخرة

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية
فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم
صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول
غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك صلاة فان قلت
كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك
المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو ان من كان
المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقوله
تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية
ذكر عقبه عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت
في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة
ابن عبد شمس ونبيهة ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث
وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد
المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر اسلم من
هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عقبة
نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان
واربعون مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة
فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان
بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش
قد اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك
العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا
بهذا المال على حربه لعلنا ندرك ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون

اموالهم

اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم
على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فسينفقونها
يعني اموالهم ثم ذلك الوجد ثم تكون عليهم حسرة يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة
وندامة يوم القيامة كما ان اموالهم تذهب ويغلبون والذين كفروا بايمانهم والذين كفروا
يعني منهم كما منهم تراسل لهذا قال والذين كفروا يعني من تبقى من اموالهم الى جهنم يحشرون
يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب. يعني ليفرق الله بين اهل الكفر وبين اهل
الايمان الخبيث وهم اهل الكفر من المؤمنين وهم اهل البغي والطيب المؤمنين وهم اهل العدل
وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه قال يميز
اهل السعادة من اهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب. يجازي على العمل
الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار يوم بدر على الشيطان وانفاق
المؤمنين في سبيل الله. ويجعل الخبيث بعضه على بعض. يعني بعضه فوق بعض يتركه جميعا
يعني يجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم. فيجعله في جهنم. يعني الخبيث اولئك
اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان والطيب هم المؤمنون يعني خسروا الدنيا والآخرة لانهم
اشتروا اموالهم بعذاب الآخرة فوله تعالى قل يعني قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا
يعني عن الشرك. يغفر لهم ما قد سلف. يعني ما قد مضى ويغفر لهم ذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا
بعد مضت سنة الاولين. يعني اهلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الآية ان تنتهوا
الكفار الى شهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والشرك ايقع غفر الله لهم ما قد سلف من غدر
وشركهم وان عادوا الى الكفر وقاتلوا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك اعدائه ونصر انبيائه
واوليائه واجمع الله. على الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يؤاخذ برفضا.
العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه. يعني بذلك انه ليس عليه
ذنب فان تعبيس بن معاذ الرازي توحيد لم يجتمع مع بعد ما قبله من غير رجوع الا يجتمع
مع بعد ما بعد من ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس يعني حتى لا يكون شرك
وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله. يعني تكون الكلمة والعبادة كلها لله
خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله والمسلمون
وقال محمد بن اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. يعني لا يعبد
من دون الله ولا يعبد شيء دونه من الانداد والاوثان كل

بان اتبعوا يعني عز الشرك وامتار المومنين واذا يبصر بان الله بما يعملون بصير يعني بان الله
لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد وثوابهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وارتولوا يعني وان اعرضوا
عن الايمان وآثروا على الكفر وعادوا الى قتال المومنين واذا يبصر ما عملوا يعني ايضا المومنون
ان الله مولاكم يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وهو خير المولى ونعم النصير يعني ان الله نعم
المولى ونعم النصير قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء بان لله خمسه وللرسول
الغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما وغنما واختلف العلماء هل الغنيمة
والفيء اسمان لشيء واحد او يختلفان في التسمية فقال قوم كل ما اصيب من المشركين
المسلمون عليه من اموالهم المشركين فهو غنيمة وكل ما اخذ منهم عفوة وامّا الارض وهي فيء
وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من اموال الكفار عنوة بقتال يجب فيه الخمس واربعة اخماسه لمن شهد
الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال مما يجب فيه خمس يصرف مصرف خمس الله وقيل الغنيمة
ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب
كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل الفيء والغنيمة معناهما واحد
وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان فالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير
ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل
وركاب فذكر الله في هذه الاية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء يعني
اي شيء كان حتى الخيط والمخيط بان لله خمسه وللرسول فذكر الشيء المبهم
والمبهما آخر فوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه لنفسه تعالى لانه هو
الحاكم فيه يقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان شيئا منه لله مع ان الدنيا والآخرة كلها
لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وان ابهم الجمعي قالوا سمى الله وسهم رسوله واحد
والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماس لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي
خمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال
ابو العالية تقسم خمسة اخماس اربعة اخماس لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي
خمسة اصناف يقسم خمس الخمس على سنة اصناف اسهم سهم لله عز وجل فيصرف
الى الكعبة والقول الاول اي ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
كان له في حياته واليوم هو لصالح المسلمين وما فيه حوزة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد

الى

بجعلان

وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم رسول الله
بالخراج والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي
صلى الله عليه بعد موته رد ذلك الخمس ويقسم الخمس على اربعة اصناف المذكورين
في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله تعالى ولذي
القربى يعني آل محمد خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلفوا فيهم فقال قوم جميع قريش وقال قوم الذين لهم الصدقة
وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله هم
بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وانما كانوا
اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة
واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد
وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم
النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود
ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من
الخمس من بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله فضعت لاخواننا بني المطلب
ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو
هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل
وبني عبد شمس مما تركك انا وعثمان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا
يا رسول الله اتركنا بني هاشم لا ينكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال
اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين
اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت الا يذهب
اكثرهم الى انه ثابت ويعطى بعضهم دون بعض واغنياؤهم من خمس الخمس المذكور مثل فقرائهم

وسلم

الا بني اخ

اليهم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الاثنين وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت
قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الخمس
على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه
الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي
القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضل فقير
على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده
كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انه يعطون
القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله تعالى
واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس اليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو
الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة
من المسلمين وابن السبيل وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا
مصرف خمس الغنيمة وتقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة
وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما
واحدا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللراجل
سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه
وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي
واحمد واسحاق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان
والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول
وعند ابي حنيفة يخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر
الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق
سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا
له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل
والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام

ان يفعل

ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة غناء وبلاء يكون منه في الحرب يخصه به من سائر الجيش ثم يجعلهم كسوة الجماعة بسهام الغنيمة في عمر ابن عمر اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى قسمة الجيش عمر حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود وقد اختلف العلماء في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي رحمه الله وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا من المغنم ثم قال ان هذا لا يحل لي مما اباء الله علي الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي

أبراز

وقال قوم هو من الاربعة بعد ابراز الخمس لسهم الغزاة وهو قول احمد واسحاق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كما نشلب للقاتل وأما الخ وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب فان صالحهم على ما يؤدونه الى المسلمين عن رؤوسهم واراضيهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يمونوا منها احدى دارنا سلما وللوارث له بعضها كله فيء وقال الخ كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقال عمر ان الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الخ بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر ما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الخ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه كالمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم في ديوان الجهاد للانهم الغاية من اجلها النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا بالفاقة فيعطى منه كفاية بشيء ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الخ فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا وجميع المسلمين فيه حق عمالها وفي قال ذكر عمر يوما الخ فقال ما انا بأحق بهذا الخ منكم وما احد احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته
اخرجه ابو داوود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه
الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله
يعني واعلموا ايها المومنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا
عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم بوحدانيته
وما انزلنا على عبدنا يعني وامنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة
تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسئلونك
عن الانفال الاية يوم التقى الجمعان يعني جمع المومنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال
عروة بن الزبير الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او
لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم
مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المومنون مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله تعالى
اذ انتم اي واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المومنين اذ انتم بالعدوة الدنيا يعني بشفير الوادي
الادنى من المدينة والدنيا هنا تانيث الادنى وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى يعني
بشفير الوادي من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى والركب اسفل منكم يعني ابا
سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع اسفل من موضع المومنين
الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم يعني انتم والمشركون لاختلفتم في الميعاد
وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد
والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني
ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه
واهلاك اعدائه واعداء دينه ليهلك من هلك عن بينة يعني ليموت من مات عن بينة راها
وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى من حيي عن بينة يعني ويعيش من عاش على بينة راها
وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت
عليه ويومن من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحيوة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل

قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان

على بينة

على بينة ويهتدي من اهتدى على بينة وان الله سميع عليم يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا يخفى عليه خافية **قوله عز وجل** اذ يريكهم الله يعني واذكر يا محمد ايا نعمة الله عليك اذ يريك المشركين في منامك يعني في نومك **قيل** فال مجاهد اراه الله قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك فثبتوا **وقال** محمد بن اسحاق فكان مما اراه الله ذلك نعمة من نعمه عليهم يتحقهم بها على عدوهم فكفاهم منهم ما تخوف عليهم ليعلم بأسه **وقيل** لان الله اري النبي صلى الله عليه وسلم في منامه قليلا ما حبب ذلك لاصحابه فصدقوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حتى فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم **وقال** الحسن لقد ذكرهم الله اياه وانه كان به ليفكلتهم والمراد من المنام العين لا نفس موضع النوم ولو اراهم كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم في اعينكم كثيرا وذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنه ولتنازعتم في الامر يعني اختلفتم في الانفال او الانصراف عليه او لاجبنا عنه **وقيل** معنى التنازع هو الاختلاف الذي تكون معه خصومة ومعاداة لكل واحد الناحية والمعنى لاختلفتم ايها المؤمنون واختلفت كلمتكم ولكن الله سلم يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم **وقيل** ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما يحيط به الصدور من الجرأة والجبن والصبر والجزع **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد الفشل ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه **قال** ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في اعين المشركين **قال** السدي قال ناس من المشركين ان العير فد انفلتت فارجعوا فقال ابو جهل الله اذ يريكم محمدا واصحابه قليلا ارجعوا حتى تستأصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واريكموهم في المثال لعوله والقدرة على نصره **والحكمة** في تقليل المشركين في اعين المؤمنين قصد بقاء رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ويقوي بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جرأتهم عليهم ولا يمتنعوا عند قتالهم **والحكمة** في تقليل المؤمنين في اعين المشركين ليلا يهربوا واذا استقلوا عدة المسلمين طمعوا في الغلبة فلا استعداد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والتأنيث لغة الى فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير وبكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزات هي خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا. يعني امرا كائنا لا محالة. كلمة الاستقبال وتصير الفعل واذ لال كلمة التحقيق وخذلان الفعل فان قلت قد قال في الاية المتقدمة ولكن الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود مذكور في الاية المتقدمة بجعل استيلاء المؤمنين على الكفار على وجه القصر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود مذكور في هذه الاية لانه تعالى قلل عدد المؤمنين وغيرهم غير بعض بعضا للحكمة التي قضاها لذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور. يعني في الاخرة فيجزي كل عامل على قدر عمله فالمحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة

قد

او يغفر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة. يعني جماعة كافرة فاثبتوا. يعني لقتالهم وهو امر بالصبر عند لقاء العدو وقتاله والثبات ثم قال واذكروا الله كثيرا. يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصابرين بان يذكروه باشد الاحوال وذلك عند العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز له ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله عباده ان يسئلوه النصر على العدو عند القتال ثم قال تعالى لعلكم تفلحون. يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان هذه الاية توجب الثبات على كل حال وذلك يوجب انها ناسخة. لاية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات بالمحاربة بل كان الثبات بالمقصود لا يحصل الا بعد التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك واطيعوا الله ورسوله. يعني في الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا. يعني ولا تختلفوا فان النزاع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن قوله تعالى وتذهب ريحكم. يعني قوتكم وقال السدي يعني جدكم وحدكم وقال مقاتل حربكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن البعاد اي وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر وكان نصر الله الريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد

بالدبور

بالدبور وعمر النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل اول النهار
أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود وقوله تعالى
واصبروا. يعني عند قتال عدوكم ولا تفروا عنهم. ان الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة وعن
عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى
مالت الشمس ثم قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم
فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل
الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا قوله عز وجل ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم
اذا كثرت من الله على العبد فلم يقابلها بالشكر حملته على الاشر والبطر وحالت بينه وبين الانقياد
لطاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة واما من قابلها بطاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك
شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها. ورئاء الناس الرياء.
الكفار بالجميل ليراهم الناس مع ارتكاب القبيح والصد عن سبيل الله. والبغاء ان البغايا والكفار
الابتاء مع ارتكاب الكبائر والرياء الكفار الكاملة مع ارتكاب المعصية. ويصدون عن سبيل الله. يعني
ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر
الى محمد ومن معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها
تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به فقال جبريل ان ابا سفيان كمن
انه فاحرز عيره وارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم وقد نجاها الله
فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم
بها سوق في كل عام فقال بئس ما رأيت تقيم عليه ثلاثا وتنحر الجزر وتشرب الخمر وتضرب علينا
القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا قدما فقال فلم وقوله
تسقوا كئوس الردى عوض الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين
ان يكونوا مثلهم والمعنى لا تكونوا امثالهم ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن
اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا احتسابا نصرة دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا
تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله والله بما يعملون محيط فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين
ويعاقب المسيئين قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المومنون
نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يعني ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته
وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا
لما اجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم
فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم
من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر
في جيل من الشياطين معه راسه في صورة رجل من رجال من بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم
فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام
الى ابليس لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا
وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد
العقاب وذلك حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي
التقى الجمعان راى ابليس الملائكة نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم نكص على
عقبيه يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف
المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله
ابليس على عقبيه فقال له الحارث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم
الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني
هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا ما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف
لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل عليه
السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة
قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة
له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم
وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه

وقيل

وقيل معناه انه اذا خاف الله أعلم صدق وعده لما وليا به لانه كان على ثقة مما رأى وقيل
لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة والله شديد العقاب قيل معناه
انه اذا خاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون مرتبا قول ابليس وقيل ثم كلامه عند قوله
انه اذا خاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف
الله وعصاه عن كعب بن عبيد الله بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى الشيطان
يوما هو فيه اصغر ولا اذحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وذلك لما يرى من تنزل الرحمة
وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر قيل انه قد رأى جبريل يزع الملائكة اخرجه
مالك في الموطأ قوله ولا اذحر يقال بالدال والحاء المهملتين الذحور وهو الابعاد والطرد
مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي يكفهم ويمسكهم ليلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو
الذي يتقدم ويتأخر به الصف ليضبطه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة
البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه
قوة وقدرة على ذلك كما اعطى الملائكة قوة وقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن
البشر اذا كانت تتغير فمن يلقى من تغير الصورة تغير الصفة قوله عز وجل واذ يقول
المنافقون يعني رأى اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة
تكلموا بالاسلام ولم يقروا الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر
هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء غرهم دينهم لما سلكوا على ذلك
وحملهم على قتال اعدائهم وما هم الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر قال مجاهد ارتابت
مرة بنو هاشم وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الحارث بن السائب بن عبد بن عمرو بن
ابن مخزوم وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش مكرهين وهم على
اكمل ارتياب فحين عاينوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم
ثم قال تعالى ومن يتوكل يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه
فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يعني فيما قضى وحكم فيرزق المتوكل
الولاية والعطاء والاعداء قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يعني
ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

رأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم
وأدبارهم في ذلك الوقت واختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة
وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل إن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت
الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت
الملائكة وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقيل ابن جريج يريد
ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم وذوقوا عذاب الحريق قيل كان
مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلهب النار في جراحاتهم وقال
ابن عباس تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق
بما قدمت أيديكم يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت
اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر
الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة
لأن اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله
وأن الله ليس بظلام للعبيد يعني أنه تعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم واجترمه لأنه لا يظلم
أحدا من خلقه وإنما نفى الله الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والعاصي على
عصيانه لأنه متصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا
يتوهم متوهم أنه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظلم فلهذا قال تعالى وأن الله
ليس بظلام للعبيد لأنهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف شاء قوله تعالى
كدأب آل فرعون يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء
بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالإغراق وأصل الدأب في اللغة إدامة
العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا داوم عليه وسعت نفسه فيه ثم سميت العادة
دأبا لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه أن آل فرعون
أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه كذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله
عليه وسلم بالصدق كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من
قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني أن عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله فأخذهم
الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم إن الله قوي يعني في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب

هي

(نسله

رسله. شديد العقاب. يعني لمن كفر به وكذب رسله. ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. يعني أن الله تعالى انعم على آل مكة بأن اكرمهم برجوع وابنهم ورزقهم ويعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فما بدلوا بعد ذلك النعم بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب. فقال الحسن نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم بمعد فبشر بكفروا به وكذبوه فنقله الله الى الانصار وان الله سميع. يعني لاقوال خلقه لا يخفى عليه شئ. وبكل مسموع عليم بمعتقد صدوره من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله. كدأب آل فرعون. يعني أن دأبهم يشبه دأب آل فرعون والذين من قبلهم. يعني الكفار الذين قبل آل فرعون كانوا بعد ما غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم. يعني اهلكنا بعضهم بالحجارة وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين. يعني الاولين والآخرين فان قلت ما العائد في تكرير هذه الآية مرتين قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يفسر مجمل التفصيل للكلام الاول كان الآية الاولى فيها ذكر الاخذ وفي الآية الثانية ذكر انواعه فهذا تفسير للاول العائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى ان الامم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها العائدة الثالثة ذكر بعد هذه النقمة الثانية وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود المنعم وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب. قوله تعالى ان شر الدواب عند الله. يعني في علمه وحكمه. الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب والانعام الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة وعاهدهم كعب بن الاشرف الذين نقضوا العهد فان قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان العاهدة مع بعض الكفر وهم الرؤساء والاشراف. ثم ينقضون عهدهم في كل مرة فان المعاهدين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلما عاهدناك نقضت قريظة والنضير ونحن لا نقدر على مقاومتهم فاعطنا من سلاحك حتى نقاتلهم فاذا ظفرنا بهم لم نعاهد بعدها ابدا فلا يفون بما قالوا وهم لا يتقون الله في نقض العهد. فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم. يعني فان تظفر بهم في الحرب فنكل بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. يعني ان تفعل بهم ذلك يتعظ بهم غيرهم من الناقضين فيخافون ان يصيبهم ما اصابهم فيرتدعون عن النقض وان خافت من قوم خيانة. يعني امارات خيانة بدت لك منهم بان لاح لك شئ من ذلك فانبذ اليهم على سواء. يعني فاطرح اليهم عهدهم واعلمهم بنقضه وكن انت وهم على سواء في العلم بنقض العهد حتى لا تكون خائنا مثلهم ان الله لا يحب الخائنين. يعني الذين يخونون عهود الله ومواثيقه ولا يفون بها ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا. يعني فاتونا وافلتوا منا فلم نقدر عليهم انهم لا يعجزون. يعني انهم لا يفوتون الله ولا يسبقونه بل هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء على الخبر عن الغيبة وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب وأعدوا لهم. يعني لقتال الكفار من قريش وغيرهم ما استطعتم من قوة. يعني من كل ما يتقوى به في الحرب من السلاح والكراع وغير ذلك وقال عقبة بن عامر الجهني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ومن رباط الخيل. يعني ومن اعداد رباط الخيل ترهبون به. يعني تخوفون بذلك الاعداد عدو الله وعدوكم. يعني كفار مكة وآخرين من دونهم. يعني وترهبون بذلك الاعداد قوما آخرين من دونهم من غير اهل مكة وهم بنو قريظة وقيل فارس وقيل الجن لا تعلمونهم. يعني لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم. يعني ان الله تعالى يعلم من اهل مكة بأن الكفر منهم راسخ وانهم لا يؤمنون وقيل هم المنافقون من اهل المدينة وما تنفقوا من شئ في سبيل الله. يعني في الجهاد يوف اليكم. يعني يعطكم جزاءه وانتم لا تظلمون. يعني لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وان جنحوا للسلم. يعني وان مالوا للصلح والمسالمة فاجنح لها. يعني فمل اليها وتوكل على الله. يعني ثق به في امرك انه هو السميع. يعني لاقوال خلقه العليم. بمعتقد صدورها من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله. كدأب آل فرعون. يعني ان دأبهم يشبه دأب آل فرعون والذين من قبلهم. يعني الكفار الذين قبل آل فرعون كانوا بعد ما غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم. يعني اهلكنا بعضهم بالحجارة وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين. يعني الاولين والآخرين فان قلت ما العائد في تكرير هذه الآية مرتين قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يفسر مجمل التفصيل للكلام الاول كان الآية الاولى فيها ذكر الاخذ وفي الآية الثانية ذكر انواعه فهذا تفسير للاول العائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى ان الامم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها العائدة الثالثة ذكر بعد هذه النقمة الثانية وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود المنعم وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب. قوله تعالى ان شر الدواب عند الله. يعني في علمه وحكمه. الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب والانعام الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة وعاهدهم كعب بن الاشرف الذين نقضوا العهد فان قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان العاهدة مع بعض الكفر وهم الرؤساء والاشراف. ثم ينقضون عهدهم في كل مرة فان المعاهدين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلما عاهدناك نقضت قريظة والنضير ونحن لا نقدر على مقاومتهم فاعطنا من سلاحك حتى نقاتلهم فاذا ظفرنا بهم لم نعاهد بعدها ابدا فلا يفون بما قالوا وهم لا يتقون الله في نقض العهد. فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم. يعني فان تظفر بهم في الحرب فنكل بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. يعني ان تفعل بهم ذلك يتعظ بهم غيرهم من الناقضين فيخافون ان يصيبهم ما اصابهم فيرتدعون عن النقض وان خافت من قوم خيانة. يعني امارات خيانة بدت لك منهم بان لاح لك شئ من ذلك فانبذ اليهم على سواء. يعني فاطرح اليهم عهدهم واعلمهم بنقضه وكن انت وهم على سواء في العلم بنقض العهد حتى لا تكون خائنا مثلهم ان الله لا يحب الخائنين. يعني الذين يخونون عهود الله ومواثيقه ولا يفون بها ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا. يعني فاتونا وافلتوا منا فلم نقدر عليهم انهم لا يعجزون. يعني انهم لا يفوتون الله ولا يسبقونه بل هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء على الخبر عن الغيبة وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب وأعدوا لهم. يعني لقتال الكفار من قريش وغيرهم ما استطعتم من قوة. يعني من كل ما يتقوى به في الحرب من السلاح والكراع وغير ذلك وقال عقبة بن عامر الجهني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ومن رباط الخيل. يعني ومن اعداد رباط الخيل ترهبون به. يعني تخوفون بذلك الاعداد عدو الله وعدوكم. يعني كفار مكة وآ

سفيان المخندق وركب بعضهم الليل حتى أتوا إلى مكة وهو أقبح على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم لا يشعرون يعني أنهم لا يخاطرون اللعب نقض العهد لما عادة ويرجع الأدبر وعقل وجبن
أن يشعر نقض العهد حتى يكسر الناس قوله ويشعر بكلامه فبيس الله عز وجل أن رجع
بسر الكعبة ونقض العهد أنه يشر الدواب. وأما تثقفنهم الحرب يعني فإما تجدنهم. الذين
نقضوا عهدك وظهروا بهم الحرب. فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم من
وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع إقلاق
ومعنى الآية إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فاجعل بهم فعلا من القتل
والتنكيل يعرف به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافوا مثل ما فعل بهم فعل من بعدهم
لعلهم يذكرون. يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد. وأما تخافن. يعني وإما تعلمن
يا محمد من قومه. يعني معاهديك خيانة. يعني نقضا للعهد بما يظهر لك من قرائن الكفر
كما ظهر من قريظة والنضير. فانبذ. اطرح. إليهم. يعني عهدهم وارم به إليهم. على سواء. يعني
على كلمة سواء يعني أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى أنت
وهم على العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون أنك نقضت العهد أو لا تنبذ إليهم. معنى الآية
الخائنين. يعني ناقضي العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم
عهد وكان يسير نحو بلادهم ليغزوهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء. رجل على فرس أو برذون
وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فإذا هو عمرو بن عنبسة فأرسل إليه معاوية يسأله
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدن عقدة ولا يحلها
حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي
عن سليم بن عامر نحوه بلا زيادة رجل من حمير وعند الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على ابنة أو فرس
وأما حكم الآية فقال أهل العلم إذا ظهرت آثار نقض العهد من بعض أهل الصلح من المشركين
بأن ظهر مستفيضا استغنى الإمام عن نبذ العهد بإعلامهم بالحرب وإن ظهرت الخيانة بأمارات
تلوح وتلحق له وغيرها مستفيضة فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب
وذلك لأن قريظة كانوا نقضوا عهده والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأتهم جاءوا أبا سفيان ومعه المشركين
إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه
فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم على سواء أو يعلمهم بالحرب وأما إذا ظهر نقض العهد ظهورا

تكون

معظم عامة

مذكور عابه فلا حاجة للامام الى فند العقد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العقد بقتل خزاعة وهو فذ مة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعها الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربعة فراسخ من مكة **وقوله تعالى** واغلظ عليهم فرق بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واستغن واغلظ يا **محمد** الذين كفروا واسبغوا يعني خلصوا بالقتل والاسر سيوفهم بدرا نهم لا يعجزون يعني انهم بعد اليوم لا تشفع فيهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بعذاب النار **وفيه** تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يناله من المشركين ولم ينتفع منهم بما علمه الله انهم لا يعجزونه **قوله عز وجل** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه **والمراد** بالقوة اقوال **احدها** انها جميع انواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على عدوكم **الثاني** انها الحصون والمعاقل **الثالث** الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ ع عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني اغشوكم وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كتبوكم بفتح النبل م ع عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجزن احدكم ان يلهو بأسهمه م ع عن عقبة قال قلت لعقبة بن عامر اختلفنا بيننا بعذيرا من ضربات شديد يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعانيه قال قلت وما اذا قال سمعته يقول من علم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى ت عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به والممد به **وفي رواية** ومنبله فارموا واركبوا واجتنبوا ان ترموا وان تركبوا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من الخير ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه وابله ومن علم الرمي ثم رغب عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود

لا يعجزون الله

يعني ما تقدم

يا ايها على الغيبة ومعناه والله اعلم

الذين كفروا واسبغوا يعني خلصوا الخ

وفرق

فقال

العلم للخبر وصل الله
على من لا نبي بعده

بالشروب

واخرجه النسائي مختصرا الى قبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
على نفر من اسلم ينتضلون بالسوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم
كان راميا ارموا وانا مع بني فلان لاحد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالكم
لا ترمون قالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم **الغول**
الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد
يصور من جملة القوة المامور باستعدادها **وقوله** صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لما فيه من
تعيير الرمي بالقوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة **وقوله** الخ تنبيه بعد الامر
اعتبار تعيين بزيادة على ان هذا المذكور من افضل المقصود داخله وكذا اتى هنا بجمل عقب الامر
على الاستعداد للقتال بالحرب وبعداد العدو وبجميع ما يكون من الالات كالرمي بالنبل والنشاب
والسيف والدرع ونحو ذلك مما مر به الامر مرور الكرام **وقوله** تعالى
ومن رباط الخيل يعني اتخاذها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد البر سرج غيره بالمكان
للحبس وسمي المكان الذي يحبس فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلم بالثغور
الحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به **وروى** انه رجلا قال للزبير بن
ان فلانا اوصى بثلث ماله للمصور فقال الزبير بن يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله **وقال** الاناث
عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الخيل بالابنية
للنسل **وروى** ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لفلة صهيلها **وعن** ابن جبير بن
قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات من العدو
وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو وكانت الصحابة عليها
اولى من الاناث **وقيل** ان ربط الخيل على ما يتناول الفحول والاناث فان ذلك ربط بنية
الغزاة كما في سبيل الله **عن** عمرو بن الحمق الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل
معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة **وعن** ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة **خ عن** ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس
فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه ورية وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيامة يعني حسنات **ق عن** ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة
هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما التي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله

الادب وابن

زاد به رواية الاصل الا سلاحا كان لها بمنزلة او روضة فما اصاب به كيصاذلك المرج
او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له
اثارها وارواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له
حسنات فهذا لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها
ولا ظهورها فهذا لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء الاهل الاسلام فهي
على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه
الاية الجامعة الفاذة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطيل الحبل
الذي يشد به البهيمة في المرعى والاستنان الجري والشرف الشوط الذي يجري فيه البهيم وقوله
تغنيا يعني استغنى بها عن الطلب لها بايدي الناس واما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها
في سبيل الله وآما حق رقابها فهو ان يراد بها الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها
فهو عبارة عن الرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النوى العداوة يقال ناوأت الرجل
مناواة اذا عاديته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني تخوفون به اعداء الله
وبذلك ارباب عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس به عدو
الله وعدوكم وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له ضعفوا عن جميع
الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل وربوطة الجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول الاسلام
بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى
واخرين من دونهم يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم
بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمونهم
الله يعلمهم يقولون لا تستحق لا اله الا الله الله يعلمهم يعني انهم منافقون وذهب
القول الاول الى ان المراد من هؤلاء غير الذين كانوا يظاهرون كفار مكة على هذا
القول آية المنافقين لا يقاتلون الكفار مع كملة الاسلام وكيف يغزوهم وربما عداد القوة وربما
الخيل واجيب عن هذا بان المراد من المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرتهم الناس
والسلمين كان ذلك لهم بمنزلة جيش ثم كان ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام وقال الحسن كفار
العرب وهذا القول الاخير قال الله تعالى قال لا تعلمونهم والله اعلم ان المؤمنين كانوا
على الحرب بعداوة في بضعة وعشرين رجلا منهم من ذكرنا والناس حولهم من المؤمنين آما الحرب فلا يعلمونهم
الله يعلمهم يعني بعلم احوالهم وآما كثرة عددهم وقد يعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم

تحتمل نون بعد

قال في البحر وان الشيطان لا يجيل احدا به داء فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي
وغيره والمعنى بغير اسناد وقال الحسن صعقة الخيل يذهب البس وقوله تعالى
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله فيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو على
عمل وجه الخير والكلمة تتدخل فيه نفقة الجهاد وغيره يوف اليكم اجره يعني في الاخرة
ويجعل له عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون ثواب اعمالكم يشاء
قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما
يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا
يعني مالوا الى السلم يعني المسالمة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني
الى المسالمة روي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة بآية السيف وقيل انها
غير منسوخة لانها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام ان يصالح
العدو الكفار وبهم قوة فلا يجوز ان يعاهدهم سنة كاملة وان كانت القوة للمسلمين كثيرة جاز
ان ينقضها ان يعاهدهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح
اهل مكة مدة عشر سنين ثم انتقضوا العهد وقوله تعالى وتوكل على الله يعني فوض
امرك الى الله فيما عاهدته عليه ليكون ذلك عونا لك في جميع احوالك انه هو السميع يعني
لاقوالهم العليم باحوالهم قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك يعني بعقد الصلح
قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى واراد وا بابطانهم الصلح وقد عقدت لهم عقد
فان حسبك الله يعني فان الله كافيك بنصره وتقويته هو الذي ايدك بنصره يعني هو
الذي اعانك بنصره يوم بدر وبسببه يا محمد وبالمؤمنين يعني وايدك بالمؤمنين يعني
الانصار فان قلت اذا كان الله ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول
وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر هو الله عز وجل وحده لكنه يكون بالاسباب باكنة
غير معلومة وبالاسباب ظاهرة معلومة فالذي يكون بالاسباب الباكنة هو المراد
بقوله هو الذي ايدك بنصره كان اسبابه باكنة غير معلومة واما الذي يكون
بالاسباب الظاهرة هو المراد بقوله وبالمؤمنين فان اسبابه ظاهرة بوساطتهم وهم
المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي الهامهم لنصرته ثم يتركيده ايدك
بالمؤمنين فقال تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الف بينهم وذلك ان العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس
القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم
لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يتألف منهم
قبيلتان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك
الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت
تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وكانوا
انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج
وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعادات ثم زالت تلك الحروب وحصلت
الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهديكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة
فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك
لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى
ختم هذه الاية بقوله انه عزيز حكيم يعني انه تعالى قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها
من العداوة الى المحبة ومن التفرقة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون
الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت
بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني
الى غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل
اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك
من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء
بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ان يكن

BULAC

السهم الذي رمى وصل الرمي
على ما ذكر في بعض
الآية

منكم عشرون يعني رجلا صابرون يعني عند اللقاء يغلبوا مائتين يعني
مرعدوكم وكاهر لفظ الآخر ومعناه الأول كأنه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا ولتعتقدوا
به قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين وبدل على ان المراد بهذا الخبر الأول قوله الآن خفف
الله عنكم لان التخفيف لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر وبدل ذلك على ان الله تعالى اوجب
اولا على المؤمنين هذه الحكم وانما خفف هذا التكليف لان الله تعالى وعدهم بالنصر وان تكفل الله
لهم بالنصر تسهل عليهم لقاء الاعداء وان تكن منكم مائة اي صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا
بما صلة وجوبا ثبات الواحد من المؤمنين مقابلة العشرة من الكفار ذلك بانهم قوم لا يفقهون
يعني ان العشرة كبير لما يقاتلون لطلب ثواب ونحو عقاب انما يقاتلون حمية واذا صدقتموهم
بالقتال فانهم لا يثبتون معكم الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله خ عن ابن عباس قال لما نزلت
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة من المشركين
فشق ذلك عليهم فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية
اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثقل ذلك على المسلمين
فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف
عنهم وفي هذا دليل على ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم به الآية الاولى وكان بعد
الامر بوجوب فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال مائة من الكافرين فثقل ذلك على
المؤمنين فنزل الآن خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني به قتال الواحد
للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة تحدثه نفسه بغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله فرد الله العشرة الى المائتين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عددهم لا يجوز لهم ان
يفروا من ثلاثة فمن فر من ثلاثة فقد فر من الزحف فقد تعرض لسخط الله والله مع الصابرين بالنصر والمعونة
قال سيبويه قال ابو عبيدة واي الامر بالعزم والحض على الشكر مثل قوله تعالى
ما كان لنبي ان يكون له اسرى روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاساري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك
استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار
وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل

فضرب عنقه

فضرب عنقه وجئت آنا ورجلان نسيب لعمر فأضربه عنقه فبارهؤلاء ايتنا الكبير وقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب ثم أضرمه عليهم نارا فقال له
العباس مكفت رحمك بسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه ثم دخل فقال ناس
يا خذ بقول ابي بكر وقال ناس يا خذ بقول عمر وقال ناس يا خذ بقول ابن رواحة
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن
ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال من تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا ينفلتن احد منكم الا بفداء او ضربة عنق
قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانه سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما رايت شيئا يومئذ اخوف عندي ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فجعلت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان من الغد
جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني
من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان
يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال هذا حديث
صحيح وهذه القصة التي ذكرها البغوي واخرج مسلم وابو داود من حديث عمر بن الخطاب
قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء
الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة
على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذي رأى ابو بكر ولكني ارى ان تمكنا
فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه

BULAC

ما يعزل. اية البقرة وصاديه، مقصور رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر وان يبكوا
قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان فقلت
يا رسول الله اخبرني ما يبكيك. لبكاء انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك اخذ هو
الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل
الله عز وجل ما كان لنبي. ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم زيادة فيه اما
تفسير الاية بقوله تعالى ما كان لنبي. ان يكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي
وقال ابو عبيدة معناه لم يكن. ذلك قبل ان يكون لهم محمد والمعنى ما كان لنبي. ان يحبس كافرا
فدى عليه ويصير به اسيرا للعدا. واسرى والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع حتى يثخن الارض
الاثخان في كل شيء. عبارة عن قوته وشدته تقول العرب اثخنه المرض اذا اشتد قوته عليه والمعنى
حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك جاز ان يقعد عن الاسر فيما بعد
الاسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب للاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المؤمنون
عرض الدنيا باخذ الفداء من المشركين وانما سمي متاع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام
كعرض ثم عرض تزول فكذلك متاع الدنيا جائعا دائما لا انقطاع لها وقوله تعالى والله
يريد الاخرة. يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصر الدين لانها دائمة بلا
زوال ولا انقطاع. والله عزيز لا يقهر ولا يغلب. حكيم. يعني في تدبير مصالح عباده قال ابن عباس
كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم اثر الله الاسارى اما
منا بعد واما فداء. فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاءوا قتلوهم وان
شاءوا استعبدوهم وان شاءوا فادوهم وان شاءوا اعتقوهم قال اما فمن الدليل على هذا
الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء. ينزل على الاية التي نحن بتفسيرها وليس الامر كذلك
فان كلتا الايتين منسوختان بقتال المشركين كما يدل على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء.
قال العلماء. كان الفداء لكل اسير اربعون اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع
ذلك الفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة آلاف اربعة آلاف
فصل فقد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبياء. وبيانه من وجوه،

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك
يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما
لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر
قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العقاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان
قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه كان له الاسر مشروعا ولكن
بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين
وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه الاية
على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما
كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه
واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم
والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم عليه
فنقول لا نسلم ان اخذ الفداء كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وفيه
عتاب لطيف لعرض اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه فلا يدل ايضا على تحريم الفداء اذ لو كان
حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر
استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم
بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفداء والله اعلم قوله عز وجل لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا
اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع
المؤمنون في اخذ الغنائم والفداء انزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق
في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد
وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه
لا ياخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب عظيم

BULAC

الحمد لله وحده، وصلى الله
على من لا نبي بعده

قال محمد بن الحسن لم يكن المؤمنون أحقّ بمن حضر بدرًا لو أوجب الغنائم للأمير المحكم
فإنه استشار عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسارى وسعد بن معاذ فإنه قال يا رسول الله كان
الإثخان في القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب والله
ما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يعني فقد أحللت لكم
الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ذكروا أنه لما نزلت هذه الآية الأولى كفّ
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
فأحلّ الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وكانت قبل ذلك حراما على سائر الأمم الماضية
صح حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم تحلّ لأحد قبلنا ثم أحلّ الله لنا الغنائم
ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا وقوله تعالى واتقوا الله إن الله غفور رحيم يعني
وخافوا الله أن تعودوا أو أن تفعلوا شيئا مما فعلتم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما
قد مضى عليه من هذا الذنب ورحمكم وقبل قوله واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله إن الله
غفور رحيم إشارة إلى الحالة الماضية قوله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى
من عبد المطلب يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يكفوا الناس الذين
خرجوا من مكة إلى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية فذهب ليكفّ بها إذا جاءت نوبته
فكان بين الوقعة بدر نوبته فأراد أن يكفّ ذلك فقالوا له يكفّ شيئا وبقيت العشرون
أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما لي خرجت به
لتستعين به علينا فلما أن كذا وكذا فدعه فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث
فقال العباس يا محمد تتركني أتكفّف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأين الذهب الذي دفنت أنت البضل وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني
في وجهي هذا فإن حدث بي حادث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله والبضل وقثم
يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني ربي قال العباس أشهد
أنك لصادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله لم يطلع عليها أحد إلا الله وأنا
ابن أخيه عقيل ونوفل فما سلما فذلك قوله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى يعني
الذين أسرتم تنوعوا واختتم منهم الفداء إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يعني إيمانا وتصديقا يؤتكم خيرا مما

أخذ منكم

ما اخذ منكم يعني من المال. وبغير لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله غفور يعني لمن آمن وتاب رحيم وهاصيه رحيم. يعني باهل الطاعة قال العباس ما أبدلنا الله خيرا مما اخذ منا عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير اداناهم يضرب بعشرين الفا درهم مكان العشرين اوقية واعطانا مكانها ما احب أن لي بها جميع اموال اهل مكة وانا لنكبر المغفرة من عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك. يعني ان يكفروا بعد خانوا الله. يعني بعد كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر بعد خانوا الله بدلك. فامكن يعني فامكن المومنين منهم. بعد حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من احد يعودوا وينقض عهده. والله عليم. يعني بليد بما كسبوا وهم حكيم. يعني حكيم بانه يجازيهم على اعمالهم وتصديق اوخيانته ونقض عهده. حكيم. يعني حكيم بانه يجازيهم على اعمالهم الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله. يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاء به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا. يعني وبذلوا انفسهم في سبيل الله. يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه والذين آووا ونصروا. يعني واووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اولياء. يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء. بعض يعني في العز والنصر دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم ودون ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا بمكة. ما لكم من ولايتهم من شيء. يعني من الميراث حتى يهاجروا. يعني الى المدينة. وان استنصروكم في الدين يعني ان يستنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا. فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم. الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق. اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصرة والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا اعداء لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير قال ابن عباس الا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تتعاونوا وتتناصروا
وقال ابن اسحاق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل
الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المومن الكافر دون المومنين تكن
فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا
يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حفظوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر
الدين لهم مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار
قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا
ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد
اخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم
وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح
ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المومنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى
حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول
ان من فارق اهله وديارهم التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا حقا النوع
الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة واي مغفرة لا ينالها
غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق
كريم فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا يلحقهم
فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة
وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب
الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولى اصحاب
الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح
الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح
ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة

لانها صارت

109

لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح
ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن البصري هي منقطعة وهذا
عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فانها كانت واجبة بلد
تجاوز على الكفار ديارهم كثرة الكفار وجب عليهم ان يهاجروا الى بلد لا يغلبون فيه على اظهار دينهم
وقوله تعالى ما وليتهم من ولايتهم شيء حتى يهاجروا يعني انتم منهم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان رتبة المهاجرين
الاولين اشرف واعظم من رتبة المهاجرين الذين هاجروا بعد الفتح كما ان الله تعالى اثنى على المهاجرين
الذين هاجروا بعد الفتح ايضا بقوله وجعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين فدل على ان رتبة المهاجرين
المتأخرين بالهجرة بعد الفتح ايضا بقوله وجعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر

سميت بذلك لما فيها من ذكر المنافقين وهي المبعثرة سميت بذلك لانها تبعثر ما في قلوب المنافقين فتظهرها وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن اسرارهم وفضائحهم استدرك عمر سعيد بن جبير فقال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظننا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين **فصل** في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت ان تكون منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن **قال** الزجاج والشبه الذي بينهما انهما الانفال ذكر العهود وبراءة نقضها **وكان** قتادة يقول هما سورة واحدة **وقال عمر** ابن الخطيب قلت ما يبقى على هذا الا ان يكتب براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال بانهما براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان **وسئل** ابن عيينة عن هذا فقال كان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة لما نبذ العهد بالسيف لم تجئ بالامان **وقال المبرد** لم تجئ هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح الشيء وانزل بعد السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تجئ بالتسمية **وسئل** ابن الاعرابي عن هذا فقال انها نزلت بعد آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر ببراءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها **وقيل** ان الصحابة اختلفوا في آن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة او سورتان **فقال** بعضهم سورة واحدة لما نزلت بالقتال ومجموعهما ما يقارب

وخمس آيات فكانت هي العشرة السابعة من السبع الطول وقال بعضهم هما سورتان
ولما حصل هذا الاختلاف هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من
يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم بينهما على قول من يقول انهما
سورة واحدة فقوله تعالى براءة من الله ورسوله بمعنى هذه براءة واصل البراءة
في اللغة انقطاع العصمة يقال برأت وهلال أبرأ براءة اذا انقطعت العصمة بينك وبين
بينا علقة وقيل معناها التأهب لما يكره مجاورتك قال الشاعر ولما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الارجاف ويجعل الشر لو تيقنون
عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شرط الله عز وجل بنقض عهودهم
وذلك قوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة الآية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
بعد وتبذ اليهم عهودهم فقال ان جاء ان قد تبرئ الله ورسوله منها عهدا بهم العهود والمواثيق
بعد اذ انكثوا الى الذين عاهدتم من المشركين الكفار مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي
صلى الله عليه وسلم عاهد من عاهد منهم وعاقد الا انه يوم فتح مكة وامنهم وعاقدهم
عقد واوعاهدوا وقوله تعالى فسيحوا في الارض اي فسيروا في الارض حيث شئتم
امنين غير خائفين من غدر وأصل السياحة الذهاب في الارض والابتعاد فيها والبعد عن
مواضع العمارة قال ابن عباس في قوله فسيحوا فيه مضمر اي قل لهم سيحوا وليس هذا
باب الاول المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بعصر المدة وزوال الخوف يعني سيحوا
في الارض واسلموا من القتل والقتال اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف
العلماء في هذا الاجل وفي هذا الذي برئ الله ورسوله اليهم من العهود التي كانت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا الاجل برأة من الله للمشركين جميعا كانت مدة عقد،
اقل من اربعة اشهر بعد الاربعة اشهر وكانت مدته اكثر حكمه الى الاربعة اشهر وكانت
مدته بغير اجل محدود عند، باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ورسوله يقتل حيث أدرك
ويؤسر الا ان يتوب، ويرجع الى الايمان وقيل المقصود بهذا الاجل ان يتبرأوا ويتباعدوا
من التعرض ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى
الدخول في الاسلام وليلا يتسبب المسلمون الى الغدر وفك العهد وكان ابتداء هذا الاجل
يوم الحج الاكبر وانقضاؤه في عشر من ربيع الآخر وقيل كان ابتداء هذا الاجل انسلاخ الاشهر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون وقال انما كانت
الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم له الاربعة اشهر فاما من
كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر
من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار
في السنة المستقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
فكان لا يقاتل الا من قتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر
فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر ولا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له
عهد فكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم
بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين
يامن فيه الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في
عهد قريش ثم غزا بنو بكر على خزاعة ونقضوا عدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هم اني ناشد محمدا حلفا اتينا وانتم الا
نبذ كنت لنا ابا وكنا ولدا ثمة اسلمنا ولم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا
عتدا وادع عباد الله ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ان نسم خطا وجهه يزبدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم اسسا بالهجير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة
فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون
ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج
وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا

على ناقته

فنالوا منهم واعانهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا الخ

على ما فتنه العضاليون على الناس صدر خلافته وأركانه يؤذن لكتومنا وعن مسند
أحمد بن حنبل مذ الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كان مشركا فلا يحجن بعد عامه هذا ولا يطوف
عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل فيّ شيء قال لا
ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الرجل إلا رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار
وأنك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فمضى أبو بكر أمير على الحاج وعلى أبي بكر كما كان
يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مناسكهم وأذن للناس الحج وهو أول حج حجه المسلمون بعد ما فتح الله عليهم مكة وأظهرهم على
المشركين وأذن للناس الحج وهو بتلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية
في الموسم حتى إذا كان يوم النحر قام على أبي بكر كما كان يؤذن الناس في أمره وفرائضه
أول سورة براءة وقال يزيد بن هبيرة سألنا عليا بأي شيء بعثت به في الحج قال بعثت به في
بأربع لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته
ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون
والمسلمون بعد عامهم هذا بعد ما حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر وهي
حجة الوداع فعن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل حجة الوداع يؤذن في رهط يؤذنون الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة
قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى ببراءة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان وفي رواية ويوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر الحج وإنما قيل الحج الأكبر من أجل قول الناس
العمرة الحج الأصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك فحج في العام الذي حج فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله الآية فصل فدل بتوقيت متوقت أن بعث علي برأة كان بعد أول براءة
عزل أبي بكر عن الإمارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جعل ما بعد المتوقت وبدل على أن أبا بكر لم
يزل أمير الموسم تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط
يؤذن في الناس الحديث وفي لفظ لأبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن
يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فمعلوم بعثي أبو بكر فيه دليل

بعد عامهم هذا

العمر الاخر، وصل الله ع
على ركل نبي بعد،

على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس مجتمعهم وعلمهم مناسكهم **واجاب**
العلماء عن بعثه صلى الله عليه وسلم عليا ليبلغ عنه الناس ببراءة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى
تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان على من اقارب محمد اقرب
الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه وربيبه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغ عنه
ببراءة اذا حدث لهذه العادة ليلا يقولوا هذا على خلاف ما تعرفه وعادتنا به عقد العهود
ونقضها **وقيل** لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ الرسالة تطييبا
لقلبه ورعاية لجانبه **وقيل** انما بعث عليا بهذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون جاريا
مجرى البيعة على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
ابا بكر اماما على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس ببراءة فكان ابو بكر الامام
وعلى المؤتم وكان ابو بكر الخطيب وعلى المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم واميرا على الناس
ولم يكن لعلي مع ذلك على نفوذ ابي بكر على وفصله عليه والله اعلم **وقوله تعالى** واعلموا
انكم غير معجزي الله يعني ان هذا الامهال ليس بعجز منكم ولكن لمصلحتكم ولطفا بكم ليتوب تائبكم
وقيل معناه بشروا يا ايها الناس بعذاب اشهر على ايمانكم انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم
لا محالة بملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه **وقيل** معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا
يخلص العبوت ولا يعجز منه وان الله مخزي الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الاخرة **قوله**
عز وجل وأذان من الله ورسوله الاذان بمعنى اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام
بدخول وقتها والعامل في اعلام صادر من الله ورسوله وأذان الناس يوم الحج الاكبر **اختلفوا**
في يوم الحج الاكبر **فروى** عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة **ويروى** ذلك عن عمر وابن الزبير وهو
قول علقمة وكعب وسروق ومجاهد وسعيد بن المسيب **وعن** علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذي **ويروى** مرفوعا عليه وهو واضح
وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات بمنى في حجته التي حج فيها فقال اتى يوم
هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود **ويروى** ذلك عن عبد الله بن اوفى
والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي **ويروى** ابن جريج عن مجاهد
ان يوم الحج الاكبر حين اجتمع ايام منا فيها وكان شيبان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منا كلها
لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولهم صير يوم الجمل لا اخرج وذاك في هذه الايام

(يطلق عليها

ويطلق عليهما يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل بعثنا الحجاج الأكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فبعضهم ذلك اليوم عند المؤخر والكبائر واختلفوا لم سمي الحج الأكبر فقال مجاهد الحج الأكبر القران لأنه قرن فيه الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعكرمة الحج الأكبر الحج والأصغر العمرة وإنما قيل لهما الأصغر لانقضاء أعمالها الحج وقيل يسمى الحج الأكبر لسوابقه حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوافق الجمعة ووقف الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكره خطبته أن النهار قد استدار وعاد بكمال الليل وجميع أحكام الجاهلية وقيل الحج الأكبر اجتماع أعياد جميع الملل به ذلك اليوم وقوله تعالى أن الله بريء من المشركين فيه حذف والتقدير وأذان من الله ورسوله بأن الله بريء من المشركين وإنما حذفت البراءة لدلالة الكلام عليه ورفع رسوله وجهان الأول أنه رفع بالابتداء وخبره محذوف التقدير أن الله بريء من المشركين ورسوله أيضا بريء الثاني تقديره أن الله بريء من المشركين ورسوله بريء والثالث أن الله بريء محمول على موضع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدأ الأول فإن تبتم لما قرن بيرفوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله ما يدفع هذا التكرار فلتم المقصود من الآية الأولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى التحذير والوعيد والذي يدل على صحة هذا القول أنه قال في الأولى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم ولم يقل في الثانية بريء منهم وقوله تعالى فإن تبتم يعني عن الكفر ودخلتم في الإسلام وتركتم الشرك فهو خير لكم يعني من الإقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والإقلاع عن الشرك والرجوع إلى دخول النار وإن تولوا يعني أعرضتم عن الإيمان والتوبة من الشرك فاعلموا أنكم غير معجزي الله يعني فيما أراد بكم من العذاب وبشر الذين كفروا بعذاب أليم بعني في الآخرة فوله تعالى إلا الذين عاهدتم من المشركين هذا استثناء راجع إلى قوله تعالى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ثم نقضوا الذين عاهدتم من المشركين ولم ينقصوا حق من عهدهم المدة التي كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغا عهدهم المدة وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقصوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم أحدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض الكلام فكأنه قيل وقطع الله ورسوله

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

الى الذين عاهدتم من المشركين منهم لم يعاهدوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين. الا مستثنى من قوله براءة الى الذين عاهدتم من المشركين ولم ينكثوا عهدهم فاتموا اليهم عهدهم ولا تخرجوهم من حرمكم ولا تجعلوا الوفاء بالعهد ذريعة الى الغدر بهم. ان الله يحب المتقين. يعني ان فضيلة التقوى تقتضي ان يبالغ المرء في الوفاء بالعهد والناكث له والغادر به. قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم. يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها. ومن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما. وقيل ما قبل المحرم على المؤمنين مما. المشركين والتعرض لهم. قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم. قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم. فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. يعني في الحل والحرم وهذا من الاطلاق. يعني فاقتلوهم في اي وقت وفي اي مكان وجدتموهم وخذوهم. يعني وبالغوا في حصرهم. ايوا حيثما وجدتموهم. وقال ابن عباس يريد احصروهم وامنعوهم من الخروج. وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام. واقعدوا لهم كل مرصد. يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو. يقال رصدت الشيء ارصده اذا رقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تخرجوهم من ديارهم توجفوا. وقيل معناه اقعدوا لهم بكل ثنية حتى لا يجدوا خلوها. فان تابوا. يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلاة. يعني واتوا اركان الصلاة المفروضة. واتوا الزكوة الواجبة عليهم كهيئة بعثها فخلوا سبيلهم. يعني في الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم. ان الله غفور. يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة. رحيم. يعني بأوليائه وأهل طاعته. قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء. قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله. يعني وان استنصرك مستغيثا بك احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمعه ويعرف ما اله من الثواب او ما عليه من العقاب ان اصر على الشرك. ثم ابلغه مأمنه. يعني ان لم يجب ابلغه الموضع الذي يأمن فيه وهو داره وقومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله. ذلك بانهم قوم لا يعلمون. اي لا يعلمون دين الله

ونوجيه، فسيح بحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله ثم بعد ذلك استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم في بني بكر وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن اسحاق هم بنو خزاعة وبنو الديل قبائل من بني بكر الذين دخلوا في عهد قريش وعقد يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة. فما استقاموا لكم يعني على العهد. فاستقيموا لهم. ما قاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة وضربوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البيعة اربعة اشهر يختارون ايما ان يسلموا واما ان يخرجوا من بلدهم. وامهلوا بعد الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من بني بكر وهم خزاعة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر الله تعالى بالوفاء بالعهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة واما قول من قال الصواب هذا القول الذي ذهبنا اليه بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والدليل على ان الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب الذين يفون بالعهد اذا عاهدوا ولا ينقضونه كيف وان يظهروا عليكم. قيل هذا ورود على الآية الاولى كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقاتلونهم وهم ان يظهروا عليكم ان يظفروا بكم ويعلوكم عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا يحفظوا وقيل لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا فقال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا يعني قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الا الحلف وقال السدي هو العهد وذلك الذمة والمكرر للتاكيد ولاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز وعاصم الا الله هو الله ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج الا من اله اى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه وذمة يعني ولا يحفظون عهدا. يرضونكم بافواههم. يعني يطيعونكم بالسنتهم خلاف ما في قلوبهم

الديل

الديل

ويعلوا

محمد

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

واكثرهم فاسقون قال قلت اما الصغير بعضه الصغة كفار والكبار خبث وافسق
والعسق فيكفر وجمع بالعسق مع ذكر الذي وما الجامعة له قوله واكثرهم فاسقون يعني ان
الكفار كلهم فاسقون قلت فيكون الكافر عندك بعضه وقد يكون فاسقا خبيث
العسق وبعضه فاسقا فما المراد بوصفهم بكونهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالعداوة
هو جمع بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون
كان منهم من آمن بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون
وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا بايات الله والايمان بها عرضا قليلا
من متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
قتلة كعب ابو سفيان بن حرب ذمم الله بذلك قال فلما قعدا كعب ابو سفيان مجلسه وترك
مجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد واعن سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله
قال ابن عباس وذلك ان اهل الكتاب اعدوهم بالاموال لينقضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم ساء ما كانوا يعملون يعني من النقض وتضييع العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا
عليه فلهذا لا تشفعوا انتم عليهم كما لم يشفعوا عليكم اذا ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون يعني
بنقض العهد قوله عز وجل فان تابوا يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد
الى الوفاء به واقاموا الصلاة يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها واتوا الزكوة يعني
وبذلوا الزكوة المفروضة عليهم كما امنتم بها جميع اخوانكم في الدين يعني اذا فعلوا هذا اخوانكم
لهم مالكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان ايماننا
لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت بهذه الاية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود
اقيموا الصلاة والزكوة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الزكوة والصلاة جميعا لا يفرق
بينهما وابى ان تقبل الصلاة الا بالزكوة وقال ابن رحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكر
ابو بكر حين منع الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيء جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكوة وعن
ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب
لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله عز وجل

فقال ابو بكر

ايا ها

بس

فقال ابو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني
عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله
ما رأيت الا ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق عمر انصرف قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الى آخره

رواه البخاري ومسلم

قوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم بعد عهدهم يعني وان نقضوا عهودهم
من بعد عهدهم يعني من بعد ما عاهدوكم عليه الا تقاتلوكم ولا تظاهروا عليكم احدا من اعدائكم
وطعنوا في دينكم يعني وعابوا دينكم الى آخره اثم عليه وقد حوافيه وتثبت وبعد
دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام وعابه كان ناقضا للامان لعهد والمراد بهؤلاء
الذين نقضوا العهد كما ذكرنا في بني بكر وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر يعني رؤساء الشرك
وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو
وابي جهل وابنيه عكرمة وسفيان بن اسيد. قوله تعالى انهم لا ايمان لهم يعني ان من نقض
العهد وطعن في الدين لا يؤمن ان يعاود ما فعل فلا امان لهم. وقيل لا تعطوهم امانا
فتأمنوهم على انفسكم. وقيل لا دين لهم. وقيل لا وفاء لهم بالعهد. وقرئ لا ايمان لهم
بكسر الهمزة ومعناه لا تصديق. وقيل هو من الايمان اي اقتلوهم حيث
وجدتموهم ولا تؤمنوهم لعلهم ينتهون اي لكي يشتغلوا عن الكفر ويرجعوا عن الكفر
الى الايمان ثم حض النبي صلى الله عليه وسلم على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى
الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح
بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول يعني من مكة حين
اجتمعوا في دار الندوة وهم بدءوكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا
لا ننصرف حتى نستأصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدءوا بالقتال خزاعة حلفاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخشونهم يعني اتخافون ايها المؤمنون فتتركوا قتالهم
خوفا من الله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم مصدقين

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم يريد بالتعذيب القتل
يعني يقتلهم الله بأيديكم فإن قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بأيديكم وبين قوله
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم يعني الذين نقضوا وبدءوا بالقتال فأمر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين أن عذاب
الاستئصال يتعدى إلى المذنب وغير المذنب وإلى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى إلا
المذنب المخالف قوله تعالى ويخزهم يعني ويذلهم بالقتل والأسر وينزل بهم الذل
والهوان وينصركم عليهم يعني بأن يظفركم بهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني ويبرئ
داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الأذى منهم ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه
الله منه فإنه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة
قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت
قريش بني بكر على خزاعة حتى فتكوا فيهم ثم شفا الله صدور خزاعة من بني بكر حتى أخذوا آثارهم
منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويذهب غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه
من بني بكر وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف إلا خزاعة من بني بكر
إلى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشاء وهذا كلام
مستأنف ليس له تعلق بالأول والمعنى ويهدي الله من يشاء إلى الإسلام فيمن عليه بالتوبة
عن الشرك والكفر ويهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن
عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالإسلام يوم فتح مكة فأسلموا
والله عليم يعني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الأزلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه
إلى الإسلام حكيم يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل أم حسبتم أن تتركوا هذا من الاستفهام
المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى
أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم المراد بالعلم المعلوم لأن وجود الشيء يلزمه معلوم الموجود عند الله
لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الإمام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي

ع

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

عن الزجاج أي العلم الذي يجازى عليه لأنه إنما يجازى على ما عملوا. ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم
يفشون إليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة
وقال عطاء أولياء يعني لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين
وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم
وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة أمره دون الناس وقال
الراغب الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم
إذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وأن يفشوا
إليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يعني من موالاة المشركين أو إخلاص العمل لله وحده
وقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد
الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وإنما ذكره بلفظ الجمع لأنه قبلة المساجد كلها
وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم
العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني يعني الأسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين
أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لأن المساجد إنما تعمر لعبادة
الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في العمارة على قولين
أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند
خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد
بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل
بغير إذن مسلم عزر وإن دخل بإذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي
صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن أثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر والأولى
تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى شاهدين على أنفسهم بالكفر يعني لا يدخلون

BULAC

العمر للخبر وصل الله وسلم
على من كان بعده

المساجد حال كونهم شاهدين وفيل تقديره وهم شاهدون فلما حذف وهم نصب
قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد
نصبوا اصناما خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما كانوا
تلك الاصنام يسجدون للاصنام ولم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا انهم كفار
ولكن كلامهم يدل عليه والمراد بالكفر شهادتهم عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني
اذا سئل ما انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس
في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه وانفسهم اولئك حبطت اعمالهم يعني الاعمال
التي عملوها في حال الكفر اعمال البر مثل القرى الضعف وتفك العاني وفك العاني لا تصلح ان تكون لله
فلم يكن لها تاثير مع الكفر وفي النار هم خالدون يعني دائما منها على الدوام فوله عز وجل انما
يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله
بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من امن بالله فان الايمان شرط في ان يعمر
المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فلم يكن مومنا بالله امتنع ان يعمر موضعا
يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر وانما خص كما بين ان عمارة المسجد لاجل عبادة
الله وجزاء اجر انما يكون في الاخرة ثم ذكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت
لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت لان الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله لان وجوب
عمل الايمان بالله واليوم الاخر لانه هو الذي الزمه ويقال انه المشركين كانوا يقولون انما محمد
انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك بما خبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما
دعا الى الايمان بالله واليوم الاخر لا للطلب الى الرياسة والملك بدليل قال انما يعمر مساجد الله من امن
بالله واليوم الاخر ولم يذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله
واليوم الاخر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام
الصلاة وآتى الزكوة فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلم ان الاعتبار باقامة الصلوة وايتاء
الزكوة في عمارة المساجد ان الانصار اذا عمر المسجد لزمه اقامة الصلوة فيه ولا يشتغل
بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكوة لان الزكوة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل
الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى ولم يخش الا الله يعني ولم يخف

من للازمه

في العين

بعد الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس بعسى وليت أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني وليطيع المهتدون المستقيمون بطاعة الله التي توجب الجنة
عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله عز وجل إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمد المسجد وراح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح أنزل الله له نزلا يعني الضيف عند نزوله بالقوم وفي عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وفي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي وعن عمرو بن عبسة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يذكر اسم الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية
عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر إلى آخرها وقال ابن عباس قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية كلا شيء مع الكفر بالله وبالإيمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي وهو مذهب الفرض نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالعمارة والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب يلي سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الإسلام واتسع الناس أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام بناؤه وتشييده وقيل سمر بالليل والناس نيام

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فيه حذف تقديره كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله أي وكجهاد من جاهد
في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله يعني لا يستوي حال
هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم
على شركه وكفره لأن الله لا يقبل عملا إلا مع إيمان به والله لا يهدي القوم الظالمين خ عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستقى فقال العباس يا فضل اذهب إلى أمك فأتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشراب من عندها فقال أسقني فقال يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه قال أسقني فشرب
منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا
لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس
عند الكعبة فأتيه أعرابي فقال ما لي أرى بني عمكم يستقون العسل واللبن وأنتم تستقون النبيذ
أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
على راحلته وخلفه أسامة فاستقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال
أحسنتم أو أجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في
الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فإن غلا وحمض حرم
قوله عز وجل الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند
الله يعني أن من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس
كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وإنما لم يذكر القسم المرجوح
لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في
الآخرة وأولئك يعني من هذه صفته هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والآخرة يبشرهم ربهم
يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه
عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي يبشرهم به فقال برحمة منه ورضوان وهذا
أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها
نعيم مقيم يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم أبدا
يعني لا انقطاع له إن الله عنده أجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها

نزلت

نزلت بعد فتح العباس وكلمة وامتنا عمار الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم العباس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون له ننشدك بالله أن تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في الثمانية الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء يعني بالمعونة والصداقة تبشروا إليهم أسراركم وتوثروهم على المقام مع على الهجرة قال بعضهم جعل هذه الآية على ترك الهجرة مثل ما بعد السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولا وقال الفراء أن يفعل ما الله تعالى أمر المؤمنين بالتبرء من المشركين قال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يأتون نبي الله فيسلمون ويهاجرون فإذا رأى الرجل أهله وقرابته في الدين واجبة عليه ما لم يؤل الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى إن استحبوا الكفر على الإيمان يعني اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام مع على الهجرة والجهاد بعد كل نعتبر فما لبثوا والله أعلم واختيار الكفار على المؤمنين ولما أنزل الله هذه الآية قال الذين أسلموا وبايعوا وهاجروا إن نحن أسلمنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وفقدت أرحامنا فأنزل الله تعالى قل إن كان يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هي الأدنون من الرجل والنساء الذين يعاشرونه دون عشيرته وأموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني بوارها لعدم الربح ومساكن ترضونها يعني تستحسنونها وأنتم بها راضون فتسكنونها أحب إليكم من الله ورسوله يعني أحب إليكم الإقامة مع الهجرة إلى الله ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى أنه يجب تقديم أمر الآخرة على الدنيا فإن الدين سليما وإن خيرا فإنه إذا كان رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من رعاية الله ورعاية رسوله ومن الجهاد في سبيل الله فتربصوا أيها المتخلفون حتى يأتي الله بأمره يعني بفتح مكة وقيل بعذابه وتهديده وتخويفه وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفيه دليل على أنه وإن وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب العمل بترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الأعداء بالظفر على المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني أماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

مختصر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

بريد

على ما ذكره الصحيحين من حديث زيد بن أرقم بضع عشرة غزوة زاد بريد في حديثه فقاتل
ثمان منهن وقال جميع غزواته سبعا وبعوثه ثمانون وقيل ثمانون
وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني وقد نصركم الله يوم حنين أيضا
ما علم الله أنه يعني بقوله نصر المؤمنين في كل موطن ومواطن يوم بدر ويوم حنين فنصر الله نبيه
وخذل أعداءه وادي فريق من الكتائب بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو إلى جنب
ذي المجاز وكانت وقعة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة
وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج إلى حنين للقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا
عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وقال عكرمة كانوا اثنا عشر ألفا وقال
الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن
وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان
عن ثعلب الخ
قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش ليشدن اليوم غلبة بسبب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا إلى الكلمة الرجل وفي رواية فلما بزغ الله قوله ووكلهم إلى
أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب أن القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى الكلبي أن
القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد
لأنه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت إلى كثرة عدد ولا إلى غيره بل نظره
إلى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والعونة فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا
فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حماة النساء اذكروا المضارب فجرا جعوا وانكشف
المسلمون وقال قتادة ذكر لنا أن الطلقاء لما جعلوا يوجد بالناس رعلما انجعل الفوار يصرخ فعن
عن أبي إسحاق قال جاء رجل إلى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله
حشر
صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء الناس وحسر هذا الحي من هوازن رماة
جمرموع بن شيبان ليس كانهم رجل مرجراد فانكشفوا فأقبل الفوار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل فدعا واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب اللهم فنزل نصرك قال أبو خيثمة ثم صفق قال البراء كنا والله إذا احمر البأس
نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عن أبي إسحاق قال
رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه

خرج

خرج بشباب الصحابة وأخلاطهم جشر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن بنو نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون ما فثاروا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحاق قال قال البراء هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم او انهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فوله ولكنه انطلق أيضا فرأى الناس الايضا جمع خيفه وهم الشرعون فرأى الناس الذين ليس معهم ما يشغلهم الحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى الفرسان بأسرهم الى جهة واحدة رميا واحدا وشنا وآل جاءوا بالجراد القطعة الكثيرة منه وفوله كنا اذا احمر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالباء الموحدة مرفت الشدة والقوة قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وابن عمه ابن فضل بن عتبة بن ابي لهب وقد اخذوا بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة مولاته رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته ام ايمن العباس بن عبد المطلب فالتفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء فعدا عليه هوازن بريدون الغرة على المسلمين والكفار وكان المسلمون قد انهزموا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار فقال العباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ ركاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا لبيك لبيك فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وآله وصحبه

آري

قال فذهبت الكي باذ القتال على هيئته فيما قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته
فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم بديدا قوله حمى الوطيس اذا اشتد الخ قال الخطابي
هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يتفوه بها النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب وهي مما افتضبه وانشأه
والوطيس التنور قوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا وعن سلمة بن الاكوع
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن
بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما
خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وهزمهم الله وقسم
غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم زيادة فيه قال سعيد بن جبير امدوا الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بخمسة الاف من الملائكة منهم وروى ان رجلا من بني نضر يقال له شجرة قال للمومنين
بعد القتال ابرا الخيل البلق والرجال عليها بيض ما كنا نرى في هذا الوجه هيئة الشامة
وما كان قتلنا الا بايديهم يا خبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى
ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما انهزمنا واصحاب محمد لم يقبلوا الى احد شاء ان كشفنا فعلنا
ثم نزلوا فجعل يتبعنا حتى اتينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نحن
عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا
وركبوا اكتافنا فما كانت الا هنيهة واذا هم فاتتلت الملائكة بوجه خيل على فريق والتقى
انفاذ تقاتل الناس يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري
قال بلغني ان شيبة بن عثمان وعثمان برأ يوم كلمة وكانا قد قتلا يوم احد باصابع المد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما به نهض فالتفت الى وضرب بيده صدري وقال اعيذك بالله
يا شيبة فما زعدت فرايت منظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت استغفر لي
رسول الله فدعا لي فعاد على ما به نهض فلما نصر الله المشركين وولوا مدبرين اقتحموا حتى انتهوا
وكانوا سرعا عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الشعبين يقال له
ابو عامر واوه على الجيش فسار الى اوطاس فقتلوا جمعا وقتل دريد بن الصمة ونفل الله المشركين
وسبى المسلمون عيال المشركين وضرب امير جيش مالك بن عوف النصري فاتى الكابية فتحصن بها
واخذ ما لهم واهلهم فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب
انهم اصابوا يومئذ ستة الاف صبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الكابية فحاصرهم

بقية ذلك الشعر

وان اريد الشعث قد قتلوه يعني عثمان وعثمان برأ يوم كلمة وكانا قد قتلا يوم احد باصابع المد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما به نهض

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة
فاحرم منها بعمرة وقسم غنائم حنين واوطاس وتألف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحرث
ابن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ناسا من
الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يا رسول الله
لم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد
بكفر اتألفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله فوالله
ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة
شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس
فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة
قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر
الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي
كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال فما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا
الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير
وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس واديا
او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن خديج
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن عيينة بن حصن والاقرع بن
حابس كل انسان مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس
اتجعل نهبي ونهب العبيد ما بين عيينة والاقرع فما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لم يرفع
قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي من جلد

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

فلما جبر جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بكم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر هو بضع عشرة ليلة حين قفل راجعا من الطائف فلما تبين لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا فإنا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لك يا رسول الله فقال لهم إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم يعني فلم تغن عنكم شيئا يعني أن الكثير بالعدد ليس بكثير العدد ولكن إنما يكون بنصر الله ومعونته وضاقت عليكم الأرض بما رحبت يعني بسعتها وفضائها ثم وليتم مدبرين يعني منهزمين ثم أنزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والأمنة وهو تفعيل من السكون وذلك أن الإنسان إذا خاف وجف فؤاده فلا يزال مضطربا وإذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل بعض السكينة كناية عن الأمن وقوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين أما على رسوله فإن السكينة على المؤمنين إنما كانت على رسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الغلب ليشرح صدره لأمر الله كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والإضطراب به بعد الواقعة ثم أمر الله عليه بإنزال السكينة عليهم حتى رجعوا إلى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتقوية المشركين وتجبينهم لا للقتال لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال وذلك جزاء الكافرين يعني في الدنيا ثم إذا مضوا إلى الآخرة كان لهم عذاب النار وذلك العذاب لهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء من عباده يعني يهديه إلى الإسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يفعل عليم يعني بمن يستحق التوبة والله غفور لمن تاب رحيم بعباده فوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فيه إرادة بالمشركين جميع الأصناف دون بعض فمن أراد الكفر

(في الهامش) زيد

وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم كاليهود والنصارى والنجس الشئ
القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين
سموا نجسا على الذي كان لهم قبل هذا. اتفقوا على كفارة ابدانهم وقيل هو نجس العين كالكلب
والخنزير حتى قال الحسن سبع من سبع مشركا ملبنوطا وقد روى هذا في الجزية والشيعة والقول
الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون ولا يغتسلون ويتعمدون ان يجنبوا. فلا
يقربوا المسجد الحرام. والمراد منعهم من دخول الحرم اذا اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام
وقد بين هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسرى به
صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني قال العلماء وجملة بلاد الاسلام على الكفار ثلاثة اقسام
احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال
الشافعي واحمد ومالك في رواية. الثاني سائر المساجد الحرم فلا يأذن في دخول الحربي يدخل
اليه بتجسس او يبعث اليه مريد مع رسالة خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة لهما عهد
دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وهذا ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة
التي بها قيل نصفها تهامة ونصفها حجاز وقيل كلها حجاز وقال ابن الطيب حد الحجاز
ما بين جبلي طي وبين العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد
والسواد وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والغور قال العربي ويمنع الكافر من الحجاز فيجوز للكافر
دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من ارتفاع المسافر وهو ثلاثة ايام م ع عن ابن
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع
منهم الا زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب مع يتتبع لذلك
ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجلى لم يفعل تاجرا ثنا عمرو بن شعيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطأ مرسلا م ع جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن التحريش
بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن ومن العراق الى البحر
وقال غيره حد جزيرة العرب من ارفى عدن ابين الى العراق في الطول وجدة وما والاها
من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد المسلمين الاسلام يجوز
للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى

العمر للخير وصل الله وسلم
على من كان بعد

بعد عام سمي هذا العام الذي حج فيه ابو بكر الصديق بالناس وذلك في سنة تسع من الهجرة. وان يأتي بعد
العام مشركا وهو سنة تسع من الهجرة. وان خفتم عيلة. يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل
مكة كانت معايشهم من التجارة وكان المشركون يحملون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا
من دخول الحرم جاء اهل مكة الفقر وضاق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله
بان انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وحرض واليمن
وجلبوا اليه الكثير الى مكة فجاءهم الله بما كانوا يجابون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله
منها الجزية فاغناهم بها ان شاء. قيل انما شرط المشيئة به الغناء المكلوب ليكون
الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد
امله من كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء. وقيل ان المقصود من ذكر هذا
البعض تعليم رعاية الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله. ان الله عليم حكيم
يعني ما يصلحكم. حكيم. بمعنى انه تعالى لا يفعل شيئا الا لحكمة وصواب ثم حكم ان منع
المشرك من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال مجاهد نزلت الآية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتال الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت به فريضة والتخيير
من اليهود بطل بها فكانت اول جزية اصابها المسلمون واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي
المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون
القوة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم
يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت
انهم لما لم يأتوا بالايمان على الوجه المعتبر وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى
يعتقدون الحلول وان اعتقاد ذلك ليس بمؤمن بالله وقيل ان اعتقادهم ان العزير ابن الله وان المسيح
ابن الله ليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل ان تكذيب رسول الله ليس بمؤمن بالله
واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله واما ايمانهم باليوم الآخر فليس
كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة
لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يتغوطون وان اعتقاد ذلك ليس ايمانا كايمان المؤمنين ولزعم انه من

اصحابه

وقوله تعالى

وقوله تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله به في القرآن ولا ما حرم رسوله به في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل يحرفونهما وتأولوا كما مر قبل أنفسهم ولا يدينون دين الحق يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودين الإسلام بدليل قوله إن الدين عند الله الإسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كما علمتم والذين أوتوا الكتاب يعني أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهو ما يعطى العاهد من أهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رؤوسهم بسببه جزية لانتزاعها بقهر منهم عليد يعني عن قهر وغلبة يقال لكل واحد على شيء كرهاً غير كبير نفسه على عربد قال ابن عباس يعطون نقدا يدا بيد ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطون نقدا وقيل يعطون نقدا مع إقرارهم بانقياد المسلمين عليهم بغبطة لهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والإهانة يعني يعطون الجزية وهم أذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال مجاهد تؤخذ الجزية من الجميع وهو كما تقدم وقال الكلبي إذا أعطى يصفع قفاه وقيل معناه يؤخذ بلحيته ويضرب بها لعزته ويقال له أد حق الله يا عدو الله وقال الشافعي الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

فصل

في بيان حكم الآية أجمعت الأمة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى واختلفوا في الكتابي العربي وغير أهل الكتاب من عجم العجم فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أن الجزية تحل على الأديان كلها فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من عبدة الأوثان من جميع العرب والعجم لما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود قال الشافعي وهو رجل من العرب يقال إنه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وهم عرب وذهب مالك والأوزاعي إلى أن الجزية تؤخذ من جميع الكفار إلا من المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب من العرب والعجم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العرب كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا واحتجوا بما اتفقت الصحابة على جواز الأخذ منهم وبدل عليه ما روي عن عمر أنه قال عبد لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخاري عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

أن عمر بن الخطاب ذكر الخمر فقال ما أدري كيف أصنع بها وقال عبد الرحمن بن عوف
أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه
مالك في الموطأ وعن عمر بن شعاب قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من
مجوس البحرين وأن عمر أخذها من مجوس فارس وأن عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه
مالك في الموطأ وبهذا اشتهر عن عمر أخذ الجزية حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي
صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تؤخذ من كل مشرك
وإنما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن علي رضي
الله عنه أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فصحوا فأتيهم على كتابهم فرفع فرأت الخمر هم
وانعفوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم فحلها أهل الكتاب وأما من ذهب من اليهود
والنصارى ومن هم من الدهريين كبني تغلب فإنهم كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل ويقرون
بالجزية ويحل مناكحتهم وذبائحهم وأما من دخلوا فيه بعد النسخ فلا. عمم صلى الله
عليه وسلم ونسخ شرائع من بعثه فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن
شككناه أهو ممن دخل فيه قبل النسخ أو بعده يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل
ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء ومن تغلب فإن عمر
رضي الله عنه لم يقبل منهم إلا الجزية أو السيف وحيث منعنا أهل الكتاب
فمنع به أهل الكتاب كأهل البدع من المسلمين وأما أخذ الجزية فإنها دنانير ولا يجوز
أن ينقص منه ويقبل الدنانير من الغنم والبقر والمتوسط ويدل عليه ما روى معاذ
بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم يعني محتلم
دينارا أو عدله من المعافري ثياب تكون باليمن أخرجه أبو داود وبالنص صلى الله عليه وسلم
أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل
على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين وذهب قوم إلى أن على
كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينار وهو قول أصحاب
الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير
وعلى أهل الورق أربعين درهما مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ
قال أصحاب الشافعي أقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار إلا بالتراضي وإذا ضرب أهل الذمة

بالزيادة

بالزيادة ضربا على التوسكه دينار يرد على الفقراء بعدد دنانير قال العلماء انما أمر
اهل الكتاب على دينهم الباطل فحلال اهل الشرك حرمة. لانهم الذين أمروا على الدين
شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وانصافا بايديهم كتبا فديمة قريبا
تبركوا فيها فيقولون صدق محمد صلى الله عليه وسلم ونحن نبوته بما فعلوا لعنهم الله ليس
المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك تحقيرهم وامهانهم
رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بالكلية فمنوا ويصدقوا اذا رأوا محاسن الاسلام وقوته
دلائله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الاية لما ذكر الله في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى
لا يؤمنون بالله واليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق بين في هذه الاية
وأخبر عنهم انهم اتخذوا الله ولدا
ومن جوز على الله ذلك فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان
بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وانما يسلم
على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ويتعلمون ويتبركون بها ويعرفون الحق فيرجعون
اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من
اليهود فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا نسأل محمدا لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا كيف نتبعه
وقد تركت قبلتنا وانت لا ترى ان عزيرا ابن الله فما تقول في هذه الاية وقال محمد بن كعب انما قال
هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن
اغنياء فعلى هذا يكون القول القليل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى
اليهود وهو قالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول
العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يحل الحرام ويملك ولعله
لم يحل الا واحدا منها وروى عكرمة العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك لان رجلا
ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فلما تركوا التوراة وعملوا بالمعاصي رفع
الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه
التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه
فلما خرج قومه يأتيهم فدعا لهم التوراة ورد الى كل واحد منهم ما كان يعلمه ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان
التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرفوا ما كان يعلمهم عزير على ما جاء التابوت

الخبر للجبر وصل الله ع
على من لا نبي بعده

موجود مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال الكلبي إن بخت نصر لما غزا
بيت المقدس وقهر بني إسرائيل وقتل فيهم التوراة وكان عزير إذ ذاك صغيرا فلم
يقتل فيمن قتل فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا
ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله مائة سنة فأتى قومه فقال يا بني
فيم ما
بقي منه فقيل التوراة في صدر جلف فقال أنا عزير فكذبوه وقالوا إن كنت كما
تزعم فأملل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم أن رجلا منهم قال إنه حدثني عن جدي
أن التوراة جعلت في خابية ودفنت بكرمة فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما
كتب لهم عزير فلم يجدوا غادر حرفا فقالوا إن الله لم يقدر التوراة في قلب عزير إلا أنه ابنه
فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعل بقاء التوراة في هذا القول كان ما شاء اليهود جهلا
ثم أنه انفجع ودرسها خبر الله عنهم وأكفرهم عليهم ولا عجب بأفكار اليهود ذلك فإن
خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من إنكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان
السبب فيه أنهم كانوا على الدين الصحيح بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثلاثين سنة يصلون
إلى القبلة ويصومون شهر رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان بالبيعة رجل
شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود
إن كان المسيح عيسى بعد كفرنا والنار مصيرنا فبئس ما فعلتم فأدخل النار وأدخلوا الجنة
فإني تائب وأصلح حتى يدخل النار معنا ثم إنه عمد إلى قرية كان يقاتل عليها فخربها
وأكثر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم إنه أتى النصارى فقالوا له ما شأنك
قال إنا عدو لكم بولص قد تنصرت وقد تبت
وأتيتكم لأدخل الكنيسة وأتنصر ودخل بينا فيها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل
ثم خرج وقال قد تنصرت إن الله قد قبل توبتي فصدقوه وأحبوه وعلمتا أنه قيصر
ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال اسم الواحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكا فعلم نسطور
أن عيسى ومريم والإله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس ببشر ولكنه ابن الله وعلم ملكا
أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استكمل تعليمهم دعا كل واحد منهم على انفراد وقال له
أنت خليفتي وادع الناس كما علمتك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني رأيت
عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم إن نسائح نفسي تقربا إلى عيسى ثم ذبحها

إلى

الى النسخة

الى المذبح يذبح نفسه وتفرقوا اولئك الثلاثة يذهب واحد الى بيت
المقدس والآخر الى ناحية اخرى واكفر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس البيعة
فتبعه هؤلاء كما ترى الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب
قولهم المسيح ابن الله قال الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب
عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن والاكيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل
في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية
والجعال فقالوا ذلك منهم وبشاهد الذهب العالمة باتباع عيسى عليه السلام
والله اعلم بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك القول
بألسنتهم وغير عالم بحقيقته بل هو الحق يذكر الله تعالى انهم لما تركوا ما امروا به
والتزموا ذلك كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له يضاهون قال ابن عباس
يشابهون والمضاهات المشابهة وقال مجاهد يوافقون وقال الحسن
يوافقون قول الذين كفروا من قبل قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى
قول اليهود فقبلهم قالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد
معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله
وقال الحسن شبه الله بعض اليهود والنصارى بكبر الذين تقدموا من الامم الخالية الكافرة
وقال الخليل يريد آباءهم كان بعض اليهود والنصارى يقولون
ما شاء الله وابليس فاتكل الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله
وقيل ليس هذا على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب ايحقا ان يقال لهم هذا القول
تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن يعمل عملا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب عمله انى
يؤفكون يعني انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل وإقامة الحجة بأن الله واحد
لا يجعل له ولدا تعالى الله عز ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا
يتعجب من شيء ولكن هذه الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم بالله تعالى نبه على الله
عليه في ترك الحق واصرارهم على الباطل فقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
ارباباً من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم ورؤساءهم وآلاحبار العلماء اليهود
والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى ارباباً من دون الله يعني انهم اطاعوهم بمعصية الله تعالى

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وذلك انهم احلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها
فاتخذوهم كالارباب لا انهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالاهية عن عدي بن حاتم قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا
الوثن وسمعته يقرا في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم
شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك
وهل بدل الدنيا الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والمسيح ابن مريم
يعني اتخذوه الاها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالاهية
وما امروا يعني وما امروا في الكتب الالاهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم الا ليعبدوا
الها واحدا لانه هو المستحق للعبادة لا غيره لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله
وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في الالاهية يستحق
التعظيم والاجلال يريدون يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى ان يطفئوا نور الله
بافواههم يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه
وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها
المعجزات الباهرة الخارقة للعادة التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه
وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد الدال
على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام وليس فيه شيء سوى تعظيم
الله والثناء عليه والانقياد الى امره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من
كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله تعالى وعد
نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث
به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله
بالهدى يعني ان الله الذي يابى الا ان يتم دينه هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم بالهدى يعني بالقرآن الذي انزله عليه وجعله هاديا اليه ودين الحق يعني دين

النور

محمدا

الاسلام

الاسلام ليظهره يعني ليعليه على الدين كله يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الضمير في ليظهره عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الضمير راجع الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو الا يبعث الله الا بذلك فقال ابو هريرة والضحاك وقد ذكر عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عمر ابو هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم ويتبين في زمانه الملل كلها الا الاسلام عمر الفساد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به او اما ان يذلهم فيدينوا له اخرجه البغوي بغير سند م عمر عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان او خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم فهم تتوفى

قال الشافعي رحمه الله معنى اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بالايمان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل فاظهره بان جماع الشرك ديانان دين اهل الكتاب ودين المجوس فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس حتى كانوا بالاسلام كتوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى هتود ان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكم بعض هذا ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفيه دليل كثير على ان اكثر الاحبار والرهبان ياكلون اموال الناس بالباطل وانما خص الاكثر بالذم لعلم الله تعالى انه سيكون من الاحبار والرهبان من لا ياكل اموال الناس بالباطل وهم الذين اسلموا منهم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتعتبر عن اخذ الاموال بالاكل لان معظم المال الماكول يسمى الشيء باسم معظم اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي لاجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم في تحريف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

كانوا يكتبون بأيديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها
ثمنا قليلا وهي الأكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته
من كتبهم لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل إن التورية
كانت مشتملة على آيات دالة على بعث النبي صلى الله عليه وسلم فكان الأحبار والرهبان يذكرون
في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الأموال ومنع
الناس عن الإيمان وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس
عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الإسلام والذين يكنزون الذهب والفضة
أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز أي مجموع واختلفوا
في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية
ابن أبي سفيان لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم
بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي
نزلت في مانعي الزكوة من المسلمين وذلك أنه لما ذكر قبح طريقة الأحبار والرهبان في الحرص
على أخذ الأموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه
وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول أن الله وصف أهل
الكتاب بالحرص على أخذ المال بالباطل ثم ذكر بعده من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه
سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين خ عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فإذا بأبي ذر فقلت
ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت
نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان
أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك
لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريبا فذلك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي
حبشيا لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت
فيه الزكوة فلم تؤد زكاته روي عن ابن عمر أنه قال له أعرابي أخبرني عن قوله عز وجل
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر
من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكوة فلما نزلت جعلها الله

طهرا للأموال

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

121

طهرا للاموال اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت
عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكوة ورواه
الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال
لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروي عن
علي بن ابي طالب قال اربعة آلاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل ما
فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل
من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر
فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض
الزكوة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما
فرضت الزكوة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون
الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي
الله انه كبر على اصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا لتطيب ما بقي من اموالكم
وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون من بعدك قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما
يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها اسرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته
اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب
والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان
ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس
بكنز فلا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه
وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكوة ويستحق على منع الزكوة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله
عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت
له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت
اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة

على افضل كسب المرء

BULAC

العمر للخبر وصلى الله
على من لا نبي بعده

وأما الى النار فقيل يا رسول الله ما الابل قال ولا صاحب الابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها
حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة يبطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد
منها فصيلا واحدا تكلأه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد
عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة
واما الى النار فقيل يا رسول الله ما البقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها
الا اذا كان يوم القيامة يبطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء
ولا عضباء تنطحه بقرونها وتكلأه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه أخراها في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار آخر جه
مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت
بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاول هي رواية الجمهور
قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر
وهو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها
لانها لا تؤكل بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة
القرن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له
ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم
يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية
الشجاع الحية والاقرع صفة له يقول العمران قال عمر لما نزلت هذه الآية في الذهب والفضة
اخبئ المجبات والزبيبتان هما النابان الشديدان والتطوق ان عضما بالبيض
تحت الاذنين وقوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال
ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو عيار الذهب والفضة
وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس فيبشر هم بعذاب اليم يعني الكافرين
الذين لا يؤدون زكاة اموالهم عن ابي ذر قال اتيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل
الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم
اتمكن ان قمت فقلت يا رسول الله ما شأني اقرأ في شيء قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا
ورمى بيديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها

الا جاءت

الاجابة يوم القيامة اعظم ما كانت واشتد تشوقه بقربها وتطاوله بآخرها كلما تقدمت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في غير موضع وقوله تعالى يوم يحمى عليها يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة فتكوى بها جباههم يعني بالكنوز جباههم كما تربيها وجنوبهم وظهورهم قال الربعي لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني ما حب المال اذا اتيه السائل تكلح منه فيشيح بوجهه وينأى بجانبه عنه فاذا تكلح وجهه وتجهم وتجلى وتجمع اساريره وجهه فيتعقد حينئذ ثم اذا كرر السائل الطلب شاجانبه عنه واستقبله جبهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدالين على كراهة العطاء والبذل وهذا دأب من منعه البر والاحسان وعادة البخلاء بذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة وقوله تعالى بعد هذا ما كنتم تكنزون كنز نفسك اي يقال لهم ذلك يوم القيامة. وذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا عذاب ما كنتم به في الدنيا من المال ومنعتم حق الله منها وعن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينما انا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الشعر خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت احدا منهم رجع اليه شيئا قال فادبر وما تبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري فقلت له وهذا قال ابو ذر فقمت اليه فقلت ما شيء سمعتك تقول قبل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الاخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يتعبد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم

وقال عز جبهته وذكر انه كرر الطلب والجبهة الشوال وقال ظهره واعرض عنه واستقبله

الرضف هو الحجارة المحمية

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

واحكامهم وايام هذه ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور
الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص
السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة
الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول
هذه الاية من اجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته
وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة
المسلمين التي تعبدوا بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة
الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ الذي
كتب فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القرآن لان فيه ايات
تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اجابه وامر عباده بالاخذ
به يوم خلق السموات والارض يعني ان هذا الحكم الذي حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض
ان السنة اثنا عشر شهرا منها يعني من الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت
تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه او اخيه في هذه الاشهر لم يهجه
ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف
وكذلك السيئات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ذلك الدين القيم
ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اللبيس من دان نفسه بمعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم
الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين
الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم من سائر
وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على الشهور ق عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بين جمادى وشعبان اي شهر هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذو الحجة قلنا بلى قال
اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام

قلنا بلى

فلنا بلى قال فما يحرم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه
فقال البيت هذا ابو النمر فلنا بلى فجاء دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا
في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسئلكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب
بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض
من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى
فلا تظلموا فيهن انفسكم قيل الكناية ترجع الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم في جميع
اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من المعاصي والفساد
مكلف به جميع الاوقات الا ما خصه الدليل وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر
المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما
سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم بترك القتال
الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا
كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الضمير مجرور تقديره بصبغها على الظلم والفساد
مما لا امتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس فجاز ان يخص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام
ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات ثم ربما كان فعل بعض الاوقات
كفارة لبعض الذنوب وقد يكون بعض الاوقات مظنة لقبول الطاعات وفعل الخيرات ومظنة
لسهولة الطاعة فيه وقد يكون بعض الاوقات مظنة لغلبة الشيطان على الانسان وتسويله له
المعصية فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم
وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا
المشركين جميعا مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا
على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين
متوافقين غير متفرقين ومتقاتلة اعداءكم المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال الا في الاشهر الحرم
فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم
وفي غيرها وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسعيد بن المسيب قالوا لان النبي صلى الله
عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال
آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلفت بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا الحرم
ولا الاشهر الحرم وما نسخت الا ان قاتلوا فيهما واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصر

BULAC

والعونة على اعدائهم **قوله تعالى** انما النسيء زيادة في الكفر النسيء في اللغة عبارة
عن التاخير من الوقت ومنه النسيئة في البيع **ومعنى** النسيء المذكور في الاية هو تاخير
شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر
الحرم وتعظمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة
معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر
متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يحرمون تاخير حرم بعضهم
الى الشهر الحلال فينسئون يعني يؤخرون شهرا حراما الى شهر اخر فكانوا يؤخرون تحريم
المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر وربما احتاجوا الى تحريم صفر اخروه
اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هذا كل سنة يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في الحجة عامين
ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في شهور السنة فوافقت
حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية وفي القعدة ثم
حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهور الحجة
وهو شهر الحج المشروع فهو قوله يعني النسيء قد تناسخ باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع
عليه الله حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض **وبهذا قوله** صلى الله عليه وسلم
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتفق على صحته وانهم
بالحاقه على ذلك ليتبدل به منسأ نعم الليل **فقال** ابن عباس والضحاك وقتادة
ومجاهد اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف
ابن امية الكناني **وقال** الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم
ابن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا دفع الناس بالصدر قام فخطب
الناس فيقول انا وقد قضيت ما الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون ليلة
ثم بين لنا ان ننسئ شهرا نغزو فيه فيقول اناسئ صفر هذا العام حراما فاذا
قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا

تحريم
تاخير

عليه

124

أو نار النفيس وركبوا الاستة بالرماح واغاروا وكان ربعد نعيم وربعهم
رجل يقال له جنادة بن عمرو وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمان
ابن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له الفلس فقال لنا عمر
وبينا نحن في الشهر الفلس وكانوا يجعلون ذلك اذا اجتمعت العرب الموسم
وروى جرير بن حازم عن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سير النسي عمرو بن لحي بن قمعة
ابن خندف والله اعلم وحديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب
وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار بهذا ورد
في تفسير النسي الذي ذكره الله في قوله انما النسي زيادة في الكفر يعني زيادة في كفرهم
على كفرهم وسببها هذه الزيادة انهم اذا وافوا بلدا بتباع الحج وفتحوا الاشهر
الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروا الوقت فاخر بسبب ذلك النسي
ما وقعوا به غيروا الاشهر الحرم فكان ذلك العمل زيادة في كفرهم يضل به الذين
كفروا فمن قرأ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسي الذين كفروا اتباعهم والناس
معهم ايضا ضلال بانفسهم وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان رؤساءهم
اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه
يضل الله به الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل
معناه يضل به الذين كفروا اتباعهم والآخذين بأقوالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين
في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني
يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر الحرام عاما فيجعلونه
حلالا فيغيرون فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما مما يغيرون بيع ليواطئوا
عدة ما حرم الله يعني انهم لما احلوا شهرا من الحرم الاجلوا مكانه شهرا من الحلال وما حرموا
شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة
كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الجمع فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله
زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل والله لا يهدي القوم
الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو كذا ثم لما بين له الازل انه لا يفعل الخير
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الى الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
رجع من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر
حين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت
غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا
وعددا كثيرا فخلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل
الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا يعني قال لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج
الى الجهاد وحثهم عليه ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم والاسم
النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطاتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني ولزمتم ارضكم
ومساكنكم وانما استثقل ذلك الزمان الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد
المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار
المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله
بقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتما
من نعيم الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان
زايل ينفد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة
الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى قص
على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد
هذا الوعيد المذكور في الاية الاتية وهي قوله تعالى الا تنفروا يعني ان لم تنفروا ايها
المومنون الى من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم عذابا اليما يعني في الاخرة لان العذاب
الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن
نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء
العرب فتثاقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ويستبدل قوما غيركم يعني
خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن تنبيه
على ان الله تعالى قد تكفل بنصرة نبيه واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث
استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه

حصلت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم وليلا يتوهم أن إعزاز رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونصرته لا تحصل إلا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا قيل الضمير راجع
إلى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لأنه غني عن العالمين وإنما تضرون أنفسكم بترككم
الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فإن الله ناصره على أعدائه ولا يخذله والله
على كل شيء قدير يعني أنه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه
قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة
وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ينفروا كما ينقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل إلا تنصروه
فقد نصره الله يعني إلا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل
عن الخروج معه إلى تبوك فأعلم الله عز وجل أنه هو المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه
وإعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف
به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد إذ أخرجه الذين كفروا يعني أنه تعالى نصره في
الوقت الذي أخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله ثاني اثنين يعني هو إحدى
اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل
وهذا الغار هو في جبل ثور وهو قريب من مكة إذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لا تحزن وذلك أن أبا بكر خاف من الطلب أن يعلموا بمكانه فجزع
من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال
الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن
الفضل من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لإنكاره قص القرآن
وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ق عن أبي بكر الصديق قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على
رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال
يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والعقوبة والحبس والتهديد ويدخل فيه قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وفيه بيان عظيم من توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة
لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة مراتب منها اللفظ الدال على أن الله ثالثهما
ومنها ما تدل عليه ومعرفته الله ومالك وما سواه بأسمائه وكما عنه وكما عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن ملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الكافرين ومنها جعله نفسه وقاية
عنه وغير ذلك روى عمر بن الخطاب أنه ذكر عند أبي بكر فقال وددت أن عملي كله مثل عمله
يوما واحدا وليلة واحدة وكيف به أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار
فلما انتهينا إليه قال والله لا تدخله حتى أدخل فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخل
فكسحه فوجد في جانبه ثقبا فشق إزاره وسدها به وبقي منها ثقبان فألقمهما
رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه
في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبي
وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجد ثم انتفض عليه وكان سبب موته
وأما أبو مسه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو
منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال
أخبار في الجاهلية وخوار في الإسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي أخرجه
في جمع الأصول ولم يرقم عليه علامة لأحد قال البغوي روي أنه جبريل كان يمشي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال إذكر الطلب فأمشي خلفك ثم إذكر الرصد فأمشي
بين يديك فلما انتهينا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أنزل وقال لعلك أن أقبل حتى أستبرئ
الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال لعلي أن أقتل فداك نفسي ورجلي
وإن قتلت أنت هلكت الأمة ذكره في بيان حديث الهجرة وصور أبو داود البخاري عن
عائشة قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا
نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال

أين تريد

اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة
فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه
ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون
رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب
قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا
لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها ويفعل ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا
يستعلن فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر
بذلك فعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا
بفناء داره وكان يصلي فيه فينغصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه
وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين
فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره
فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بصلاته والقراءة فيها وانا قد خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا فاته فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان
يعلن فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت
عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر
على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني خفرت في رجل عقدت له
فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم بسبخة بين لابتين وهما
الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة
وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن
لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق الشجر وهو الخمط اربعة اشهر قال ابن شهاب
قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحو الظهيرة قال قائل هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي وامي

ف
فافزع

السمر

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

والله ما جاء به هذا الساعة الا وقد نبئ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له
فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر اخرج عني فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت
وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فإني قد اذن لي في الخروج قال
الصحبة بأبي أنت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت
يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما
أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرتهما في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت
به فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار في جبل ثور
فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن يدلج
من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك
حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر بمنيحة من غنم فيريحها عليهما حين
تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة
من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد
ابن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس يمينا في آل العاص بن وائل
السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث
ليال براحلتيهما صبيحة ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فأخذ بهم
طريق الساحل وفي رواية طريق الساحل فقال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك
المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا
رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره
فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس
فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة
فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت
في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء الأكمة
فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه
حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها
فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها

الى ما

فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام فقربني حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين
فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر
يديها غثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره
فناديتهم الأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس
عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم ما يريد
الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا أخف عنا ما
استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب قال عروة بن الزبير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي
الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر
ثيابا بيضا وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون
كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانطلقوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم
فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال
بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون إلى السلاح فلقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف
وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا
فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على
التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فصار يمشي معه الناس حتى بركت
عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا
للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
بركت راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد
ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

جـ سعا

آجر الآخرة يتفعل معه البر بنا يه ويقول ويعوينفل البر بهذا المحال لا خمال خيبر هذا ابر ربنا ،
والكعبة يقول اللهم لا الآخرة الآخرة . جارحم الانصار والمهاجرة . يتمثل بشعر رجل من المهاجرين
لم يسم له قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه تمثل ببيت شعر
قال الحافظ هذه الابيات اخرجه البخاري بلفظه شرح غريب الفاظ الحديث قوله لا عيش الا عيش
الآخرة بفتح الهمزة والخاء ويجوز كسر الهمزة وسكون الخاء وبفتح الهمزة والمد ايضا يقال
عاش يعيش عيشا وعيشة ومعاشا ومعيشا ومعاشة ومعيشة والمراد بالعيش هنا ما يتعيش به
من المطعم والمشرب وغيرهما قوله اللهم اغفر للانصار وللمهاجرة بفتح الهاء وكسرها
وقيل بالكسر للمؤنث وبالفتح للمذكر وقيل بالكسر للمخاطبة وبالفتح للغائبة والاول
اشهر وقيل هما لغتان بمعنى واحد قوله فاكرم الانصار والمهاجرة بالنصب على المفعولية
وقيل بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مغفورون ونحو ذلك قوله يتمثل بشعر رجل من المهاجرين
لم يسم له قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه تمثل ببيت شعر
قال الحافظ هذه الابيات اخرجه البخاري بلفظه شرح غريب الفاظ الحديث قوله لا عيش الا عيش
الآخرة بفتح الهمزة والخاء ويجوز كسر الهمزة وسكون الخاء وبفتح الهمزة والمد ايضا يقال
عاش يعيش عيشا وعيشة ومعاشا ومعيشا ومعاشة ومعيشة والمراد بالعيش هنا ما يتعيش به
من المطعم والمشرب وغيرهما قوله اللهم اغفر للانصار وللمهاجرة بفتح الهاء وكسرها
وقيل بالكسر للمؤنث وبالفتح للمذكر وقيل بالكسر للمخاطبة وبالفتح للغائبة والاول
اشهر وقيل هما لغتان بمعنى واحد قوله فاكرم الانصار والمهاجرة بالنصب على المفعولية
وقيل بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مغفورون ونحو ذلك قوله يتمثل بشعر رجل من المهاجرين
لم يسم له قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه تمثل ببيت شعر
قال الحافظ هذه الابيات اخرجه البخاري بلفظه شرح غريب الفاظ الحديث قوله لا عيش الا عيش
الآخرة بفتح الهمزة والخاء ويجوز كسر الهمزة وسكون الخاء وبفتح الهمزة والمد ايضا يقال
عاش يعيش عيشا وعيشة ومعاشا ومعيشا ومعاشة ومعيشة والمراد بالعيش هنا ما يتعيش به
من المطعم والمشرب وغيرهما قوله اللهم اغفر للانصار وللمهاجرة بفتح الهاء وكسرها
وقيل بالكسر للمؤنث وبالفتح للمذكر وقيل بالكسر للمخاطبة وبالفتح للغائبة والاول
اشهر وقيل هما لغتان بمعنى واحد قوله فاكرم الانصار والمهاجرة بالنصب على المفعولية
وقيل بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مغفورون ونحو ذلك

ح صار

ح آزت

والصلع. والألهم البناء المرتفع كالبيض. وقوله مبيضير هو بفتح الباء أي ذو ثياب بيض. والسربد الموضع الذي يوضع فيه التمر كالبيدر. وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من التمر أبر عند الله وأكثر وأنفس ذخرا وأذرى منفعة من الآخر الحمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والكعاء المحمول منها والمعنى أن ذلك الحمل الذي يحمله من التمر إلى المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي بهذا الحمال بالجيم والجمال والرواية الأولى أشهر وأكثر والله أعلم. وقال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضا أسفل الثقب ونسجت العنكبوت بينا وقيل إنه حما منذ على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعل الكلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتمزقت بيت العنكبوت ووجد ثم بعض التباعين شعرا وقد نسبه الى أبي بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله

قال النبي ولم يجزع بوعري ... وقد شد بي الله ظلمة الغار

وقد تكفل لي منه بإظهار ... ثانيا ثالث الاثنين

وابنا كيذ مرتحش بوادي ... كيد الشيطان مكر كادت لكفار

والله مذلهم كسرا بأصغرا ... وجاعل المتقين منهم الى النار

وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عباس على أبي بكر كان النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه السكينة قبل ذلك. فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اتبعه في الغار من الكفار كان مطلعا على أبي بكر الصديق بسره وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله. ومنها أن هذه الهجرة كانت بأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره. ومنها أن الله عاتب أهل الأرض بقوله إلا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الصديق وهذا دليل على فضله ومنها أن أبا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته
له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا
دليل على فضله ومنها أن الله تعالى جعله ثاني رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين
إذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لأبي بكر وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان
ثاني النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال فمنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق
إلى الإيمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له
عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يد أبي بكر ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها
أنه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الإمامة فكان ثانيه ومنها أنه ثانيه
في تربته وفي هذا دليل على فضل أبي بكر ومنها أن الله تعالى نص على صحبة أبي بكر
دون غيره بقوله إذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها أن الله تعالى كان ثالثهما ومن
كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها إنزال السكينة على أبي بكر
واختصاصه به دليل على فضله والله أعلم وقوله تعالى وأيده بجنود لم تروها
يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بإنزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم
عن رؤيته وقيل ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي
أعانه بالملائكة يوم بدر فأخبر الله تعالى أنه نصره وصرف عنه كيد الأعداء وهو
في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى يعني كلمة المشركين فهي سفلى إلى يوم القيامة وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس
هي قول لا إله إلا الله فهي باقية إلى يوم القيامة عالية وقيل إن كلمة الذين كفروا
هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما
وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا قوله تعالى انفروا
خفافا وثقالا يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم
وهذان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما
فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا

قدروه

وقال

وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال
ابو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة
له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا
اهل المال وثقالا اهل العشيرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين به وثقالا
يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء او مرضى وقيل
عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الحشمة والاتباع وثقالا مستكثرين منهم
وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني
بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها
داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت
فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى
هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت
هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية وقال السدي نسخت بقوله
ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان
ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف
عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا
خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب
وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف
والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت
واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد
الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفر الله
خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة
ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان
النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد
من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده

الآية الثالثة أن الجهاد ونفسه سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن كل له مال وهو بصير وموسر وضعيف لا يطيق الحرب فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره من يصلح للجهاد فينصروا بماله فيكون مجاهدا دونه ذلك خير يعني ذلك الجهاد خير لكم من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه أن الجهاد خير حاصل لكم لو أنكم تعلمون يعني أن ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل بالمنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه أضمر تقديره لو كان ما تدعوهم إليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة المتناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا لا تبعدوا يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المشاقة والشقة البعد بعيد لأنه يشق على الإنسان سلوكه ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك لتمتعهم بتلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وشاقا استعظموه وتثاقلوا عن الخروج أي تخلفوا عن هذا السفر ثم أخبر الله تعالى عنهم أنه إذا رجع من هذا الجهاد أنهم يحلفون بالله وهو قوله سيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني إلى هذه الغزوة يهلكون أنفسهم يعني بسبب هذه الأيمان الكاذبة والإثم دليل على أن الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها والله يعلم إنهم لكاذبون يعني في أيمانهم وإيمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج فقوله عز وجل عفا الله عنك لم أذنت لهم قال الكسائي هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إيذانا منه أن ما أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين تخلفوا عن الغزو لم يكن ينبغي له أن يأذن لهم وقال الزجاج معنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك إذ لم تأذن لهم فقولا لم أذنت للمنافقين الذين استأذنوك في التخلف عن الخروج معك فقال عمر بن ميمون الأودي اثنتان بدأ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر فيهما بشيء أذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر بعاتبه الله كما تسمعون وقال سهل بن عبد الله يومئذ انظروا إلى هذا اللطف ابتدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الآية قوم على جواز صدور الذنب من الأنبياء وبأنه روي عن أحدهما أنه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سبقية الذنب الوجه الثاني أنه تعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الإنكار والجواب عن الأول أنا لا نسلم

أنه تعالى

آ قوله تعالى عفا الله عنك بوحي صدور الذنب بل نقول آذنك بدل على انه انفعه
ء التعظيم والتوقير بحسبما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما
صنعت بامرء رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وعفو الله عن هذا الجواب
ء ابتداء الكلام وابتداء حد تدل على تعظيم المخاطب به قال علي الجعفي فخاطب المتوكل
عفا الله عنك الا تجود بفضلك يا بن العلا الم تر عبدا عدا كوزى
ومولى عفا ورشيدا هدى افضت افاد ولم يزل يفيد ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذ تتابع الانكار عليه
وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب بعد النبوة او لم يكن قد صدر عنه
ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو
وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه
ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار ممتنع وقد صلى الله عليه وسلم
وقال القاضي عياض رحمه الله عند قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فانه لو لم يقع للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي يقع معصية ولا عد الله
تعالى عليه معصية بل لم يعد اهل العلم معاتبة وعلموا من ذهب الى ذلك فان تعمد
وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امور فالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء مما لم ينزل عليه
فيه وحي فيكيفيا وقد قال الله له ما اذن لهم تشبث منع فلما اذن لهم اعلمه الله بما يطلع عليه من سرهم
انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله عن صدقة الخيل والرقيق وليس عليه فيها ان يزكي ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله
عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي انما تكرمة وقال غيره هو استفتاح بمعنى
مثل علمك الله وعرفك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه اداك الله
لك العفو لم اذنت لهم يعني بالتخلف عنك وهذا فيه دليل على ترك الاولى والاكمل للاسيما وهذه
كانت رخصة فيما يتعلق بالغزو ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا في عذرهم
وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف المنافق من المؤمن حتى نزلت براءة فقوله تعالى ما يستأذنك الذين يؤمنون بالله

BULAC

اللهم لك الحمد وصل الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والبوا الاخرار بما عهدوا بايمانهم والبيعة. اي بان يعاهدوا وانما كسر هذا الحذف للضرورة
والله عليم بالتخلف يعني الذين يتخلفون عنها بقلبه ويبادرون الى الكاعنه. انما يستاذنك
يعني به التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر. الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. وهم
المنافقون لغفوله وارتياب قلوبهم. يعني شكت قلوبهم بالايمان وانما ضاف الشك
والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا. فهم
في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف
علما. الناسخ والمنسوخ به هذه الاية فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة
النور وهي قوله تعالى انما يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا استاذنوك
لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمة كلتاهما ووجه الجمع بين هذه
الايات ان المؤمنين كانوا يبادرون الى كاعنة الله وجهاد عدوه من غير استيذان فاذا عرض
لاحدهم عذر استاذن به النبي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا به الاذن له. بقوله
فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله
بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر ولو اراد والخروج. يعني الى الغزو معك لاعدوا له عدة
اي لتهيئوا له اعدادا. الات السفر والات القتال والكراع والسلاح. ولكن كره الله انبعاثهم
يعني خروجهم الى الغزو معك. فثبطهم. يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معك والمعنى ان الله تعالى
كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه ويقال بوجه سوال
وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم انما كان يكون فيه مصلحة
فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وكان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم
باذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السوال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا. فعفى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم. فنقول انه صلى الله
عليه وسلم اذن لهم قبل تمام التامل والتدبر حالهم فلهذا السبب قال تعالى اذنت
لهم وقيل انما عاتبه لانه اذن قبل ان يوحى اليه بالخروج بالقعود. وقيل القعود
مع القاعدين بمعنى انهم لما استاذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء
والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل فقيل هو الله وقيل قال بعضهم لبعض

اقعدوا

افعدوا مع القاعدين واعتذروا بذلك وقعدوا وقيل الخذائل ذلك هو الله تعالى بأن ألقى في قلوبهم القعود كما ذكرنا اتباعا لسنة الله في العباد ثم يخبر تعالى ما به خروجهم والمفاسد فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا يعني لو خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادا وشرا وأصل الخبال أضعف الأمور وأخبره الفعل كالجنون قال بعض العلماء هذا مما استثنى. المعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الإفساد وإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمور وشدة البأس وكثرة العدو وفوتهم وأوضعوا خلالكم يعني ولأسرعوا بينكم بالفساد النميمة والأحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع الكفار لكم وكذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وأنكم ستنهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي تخبر وقيل معناه يطلبون العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون إليهم أخباركم وما يسمعون منكم وقيل الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلامهم فيبلغونه ويطيعونهم وذلك بأنهم يلقون إليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فينقلون نحاصنهم فإن قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين ليس فارقا من المنافقين وما يسمعون منهم إذا قالوا أو لعلهم أثر ذلك في قلوب بعض المؤمنين بعض الأحوال والله عليم بالظالمين هذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الشر والشبهات بين المؤمنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا هذا عابد يا محمد من الدبور وذهابه إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي سلول يوم أحد حين انصرف بأصحابه عنك وقلبوا لك الأمور يعني راجعوا فيك أمرك وهيأ لك الأباطيل وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدوا تشتيت أمرك حتى جاء الحق يعني النصر والظفر وظهر أمر الله وهم كارهون يعني ذلك فقوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك هذه الجلاد بنو الأصفر يعني الروم فتتخذ منهم سراري ووصائف فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم

BULAC

بالنساء وإذا آخشن إن رأيت بنات يبنى الأصوات من عنصر إذ رأيته القعود ولا تقفني
بقبر وأعبد تمال قال أبو عبد الله عتل الجدير فيه ذكر له علة الالتحاق بأعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنك بإذن الله عز وجل فيه ومنع يعني وراء المنابر
مرفوعا إذ رأى يعني به التخلف والقعود بالمدينة ولا تقفني يعني بنات بني الأصوات
الزور. أما بعد العشية سفرا. يعني أني وفعوا بعد العشية العظيمة وهي البعاق ومخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه. وأريد هنا تحميكة بالمنابر يعني يوم القيامة
يحبك بهم وتجمعهم بها قوله تعالى إن تصبك حسنة تسؤهم. يعني إن تصبك
يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تغير المنافقين وإن تصبك مصيبة يعني هزيمة
أو شدة. يقولوا يعني المنافقين قد أخذنا أمرنا. يعني أخذنا أمرنا بالحزم والصبر بالقعود
عن الغزو من قبل. يعني من قبل هذه المصيبة. ويتولوا وهم فرحون يعني مسرورين بما نالك
من المصيبة وسلامتهم منها. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. يعني قل يا محمد للمنافقين
الذين فرحوا بما يصيبك من المصائب والمكروه. لن يصيبنا إلا ما قدر الله لنا وعلينا وكتبه
في اللوح المحفوظ لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن
يدفع عن نفسه مكروها نزل به ويجلب لنفسه نفعا إن أراد ما لم يقدر له هو مولانا. يعني
أن الله هو ناصرنا وحافظنا وهو الذي يلي أمرنا في الدنيا والآخرة وعلى الله فليتوكل
المؤمنون. يعني به جميع أمرهم. قل هل تتربصون بنا. يعني قل يا محمد للمنافقين
هل تنتظرون بنا أيها المنافقون إلا إحدى الحسنيين يعني إما بالنصر والغنيمة. وإما الشهادة
والمغفرة وذلك أن المسلم إذا ذهب إلى الغزو والجهاد في سبيل الله إما أن يقتل فيفوز
بالنصر والغنيمة والأجر العظيم في الآخرة وإما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي
الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله
لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيماني وتصديق برسلي
فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة
أخرجاه في الصحيحين. وقوله تعالى ونحن نتربص بكم. يعني ونحن ننتظر بكم إحدى السوءتين
أن يصيبكم الله بعذاب من عنده. يعني يهلككم كما أهلك من قبلكم من الأمم الخالية. أو بأيدينا
يعني أو يصيبكم بأيدي المؤمنين بأن يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم. فتربصوا إنا معكم متربصون

قل لعمر

فال المفسر يقربصوا مراعد الشيطان أنا مقربصور مراعدة الله والاضطرار دينه والتبصال مرة أبعد. قل انفقوا طوعا أو كرها فلن تتقبل به الجد بر فيفسر النابي وذلك أنه انتادن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال أنا أحميكم ملك فما ترك الله رد عليه قل يا محمد لمنافقين وأمثاله به النيابة أنفقوا طوعا أو كرها. يعني أنفقوا كما يغير قبل انبسكم أو مكرهين بالمانع بالنزاع الله ورسوله إياكم بالانفاق لن يتقبل منكم. لم هذا الانفاق والمال وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة بانفاق المنافقين وهي عامة في كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفق رياء أو سمعة فإنه لا يقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله إنكم يعني لأنكم. كنتم قوما فاسقين والمراد بالكفر هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله لما المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله وما يأتون الصلاة إلا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين به الأنهم لا يصلون وذلك لأنهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم على فعلها. ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم كانوا ينفقون لا لابتغاء وجه الله تعرما ومنع ذلك الانفاق مقبول. فلا تعجبك يا محمد أموالهم ولا أولادهم وهذا الخطاب وإن كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تتعجبوا يا سوال المنافقين وأولادهم وأما عجائب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استقرار التحسر بذلك الشيء. ويكون سببا لغضب الله عز وجل فينبغي للانسان ألا يعجب بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فإن العبد إذا كان مرضيا لله عز وجل به استدراج كثر ماله وولده فيكثر إعجابه بماله وولده. فيتبكر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى إنما يريد الله ليعذبهم ببلاء الحياة الدنيا بل قلت كيف يكون المال والولد عذابا بالدنيا وفيما اللذة والسرور بالدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير تقديرها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم ببعض المال فيها والولد. فيها في الآخرة وقيل المراد بكون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل للتاعب والمشاق في تحصيلهما فإذا حصلا زاد التعب وتحمل المشاق في حفظهما وتزداد الغم والحزن بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة إلى التقديم والتأخير فكم الآية وارد على هذا القول بأن هذا التعذيب حاصل لكل أحد من حيث إنه في الدنيا مؤمن وكافر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا الإيراد بأن المنافقين
مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة وأنه يثاب
بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق
فإنه لا يعتقد كون الآخرة وأنه ليس له فيها ثواب فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب
والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار
أن المال والولد عذابا على المنافق في الدنيا دون المؤمن وقيل إن تعذيبهم بها في الدنيا
أخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب
الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه
والكره في إنفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره
قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين إنهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم
وما هم منكم يعني أنهم كاذبون في أيمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني أنهم يخافون أن
تظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجأ يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجئون إليه
وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا إليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم
منكم لصاروا إليهم ولفارقوكم أو مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي
يغور فيه الإنسان أي يستتر فيه أو مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو
السرب في الأرض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها ويدخلونه على خلاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا إليه والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة
أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الأمكنة وأضيقها لولوا إليه لرجعوا
إليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون إلى ذلك المكان والمعنى أن
المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا
منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياكم قوله تعالى ومنهم من
يلمزك في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير
وهو أصل الخوارج ق عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن جلوس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول
الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل إذا لم أعدل وفي رواية

يأمنون

قد خنت

قد خنت بعد وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لي فيه فاضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم
وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام
وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الليثي قال رجل من المنافقين
يقال له ابو الخويصرا كما لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا
ان رجلا من اهل البادية حدث نفسه بامر فيه اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله ليس يعلم الله ان تعدل فيما عدلت فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل عليك بعد وقال ابو زيد قال المنافقون
والله ما نبصيبها محمد الا ترابا ولا يؤثر بها الا قومه فانزل الله تعالى ومنهم من
يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات ويتهمك فيها ويطعن
عليك فيها يقال لمزه يلمزه ولمزه يلمزه بمعنى واحد اي عابه وطعن عليه يعني من الصدقات
رضوا يعني رضوا عنك في قسمتها وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم
منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا
رضوا ما قسم الله لهم وقنعوا به وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله
سيؤتينا الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني ان يوسع
علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها وامر الناس وجواب لو محذوف تقديره
لكان خيرا لهم وامروا عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية
اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات
بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية
ومصرف فيها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ولا يأخذ لنفسه منها شيئا
ولم يكن يرضوا ويعطوا عليه فلا معنى لمن فيه بعيب قسم الصدقات عن زيد بن الحرث
الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من
الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات
حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك فرجه
ابو داود **فصل** في بيان حكم الاية وفيه مسائل **المسئلة** الاولى

منها

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه
الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع
واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
المقربة الى الله فاقتضت الحكمة الالاهية بايجاب الزكوة في ذلك المال الذي هو سبب
البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكوة منه الوجه الثاني ان كثرة المال
توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكوة
ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكوة
امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال يشق
على النفس فاوجب الله عز وجل الزكوة على العباد ليمتحن باخراج الزكوة المطيع المخرج
لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء
خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله
فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المنفق على عياله ويعاقب العبد
العاصي المانع لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن
المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به
نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما
تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال
تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك
بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكوة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك
المال معطلا بالكلية المسئلة الثانية الاية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات
الا لهؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة
من ان وما كلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما تفيد الحكم المذكور وصرفه
عما عداه فدل بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسئلة
الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون
الذين لا يبقى خروجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين

فقال

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل
قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والثمرة الى الثمرة ولكن الفقير من انفق نفسه
وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج
الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة يقع منه موقعا
زمنا كان او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا لكفايته سائلا
كان او غير سائل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الرأي
الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي
ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الزكوة الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا
لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين
لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد لما رأى لبيد النسور تطايرت
رفع القوادم كالفقير الاعزل قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار
فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجة شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب
في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان
المسكين اسوأ من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا
من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع
اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان
والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة
ومن وافقه على ان المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين
بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان
الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له
واحتج ايضا بقول الراعي ان الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له
واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له
وكذا قال القيلي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى
شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر

الصدقات

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

وجد المال **والجواب** عن هذا انما قوله او مسكينا ذا متربة فهو محمول على ما ذهب اليه الشافعي لانه قيل المسكين المذكور هنا يكونه ذا متربة يدل على انه قد يوجد مسكين لا يهدد الصفة والله يقول لعبده الفقير بايدي **والجواب** عن قول الجماعة للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة **والجواب** عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فلما فرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به

بسقط

وأما الروايات المذكورة فهي معارضة لما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المعتبرين وبه الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقاره فصار كالمقصر والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة به كلب الفقر

وبه

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي تعتمل اخرجه الخمسة وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي **عن** عبيد الله بن عدي الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ونحوه وفيه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب **واختلف** العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك

معناه صحيح والله اعلم

لذي مرة

وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم **وقال** سفيان الثوري حده خمسون درهما او قيمتها لما روي

روى

ان عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة ومسألته في وجهه خموشا او خدوشا او كدوحا قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكوة **وقيل** اربعون لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية يومئذ اربعين درهما **الضعف** الثالث **قوله** والعاملين عليها وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها

حقوقها

في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء
وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من
الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجرة عمل فيقدر
بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روي
عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فأراد أبو رافع
أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي
والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم وهم قسمان قسم مسلمون وقسم
كفار فأما قسم المسلمين فقسمان القسم الأول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن بدر بن حصين والأقرع
ابن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليقوي رغبتهم في الإسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الإسلام
وهم أشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم
تألفا لقلوبهم وترغيبا لأمثالهم في الإسلام فيجوز للإمام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس
الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم
من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونون بإزاء قوم
من الكفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين
بإزائهم من المسلمين لا يجاهدونهم إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للإمام أن يعطيهم من
سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بإزاء جماعة مما
من مانعي الزكوة فيأخذون منهم الزكوة ويحملونها إلى الإمام فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة
من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي أن عدي بن حاتم جاء أبا بكر بثلاثمائة من الإبل
من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا أما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم
أو يرجى إسلامهم فيجوز للإمام أن يعطي من يخشى شره أو يعطيه رجاء إسلامه فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى
من ميله إلى الإسلام أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن أن يتألف
عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

وروا أن المؤلفة منفكعة وسمي سافلة يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول
الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي وإسحاق بن راهويه وقال قوم سهم
ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وبه جزم محمد بن علي بن شور وقال
أحمد يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى وفي الرقاب قال
الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الأول أن سهم الرقاب
مصروف إلى المكاتبين يعان به المكاتبون وهو مذهب الشافعي وهو قول أكثر الفقهاء منهم
سعيد بن جبير والنخعي والزهري واللث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله
الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد وإسحاق أن سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب
فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن يعتق الرجل الزكوة
القول الثالث وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن
يعطى منها في رقبة ويعين بها مكاتبا لأن قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول
الرابع وهو قول الزهري أن سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا
وصاموا وفي الإسلام فيعتقون من الزكوة قال أصحابنا الأحوط في عتق الرقاب أن يدفع إلى
السيد بإذن المكاتب ويدل عليه أنه تعالى أثبت الصدقات للأصناف الأربعة المتقدمة بلام التمليك
فقال إنما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلابد لهذا الوجه من زيادة وهي
أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاءوا وأما
الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا بد مع الدفع إليهم ليتمكنوا من التصرف فيه وكذا القول
في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون إليه في الغزو
وكذا في ابن السبيل فيصرف إليه ما يحتاج في سفره إلى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى
والغارمين أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الإنسان والمراد
بالغارمين ههنا المديونون وهم قسمان قسم أدانوا لمصالحهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات
بقدر ديونهم إذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فإن كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم أدانوا لإصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يفضون به ديونهم وإن كانوا أغنياء لما روي عن
عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله
أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى

المسكين

المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عكاما لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وروى
معمر عن زيد بن اسلم عن عكاما بزيادة ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بعطاء
اما اذا كان بنية معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا الصنف السابع قوله تعالى
وفي سبيل الله يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من الصدقات
فيعطون اذا اراد والخروج الى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة
والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عكاما وابي سعيد
الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف
سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل
واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان البعض عما لا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا
اجاز بعضهم البعض عما. صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون
وعمارة المساجد وغير ذلك قال لانه قال وفي سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف
دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى
وابن السبيل يعني المسافر يريد البلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق قال الشاعر انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكملت لداتي
فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يفي به من مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه
لمؤنة سفره ذهابا وايابا. كان له مال في البلد الذي يقصده او لا وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف
وقال بعضهم ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى فريضة من الله يعني
ان هذه الاحكام التي ذكرت في هذه الاية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء
فريضة والله عليم يعني بما يصلح خلقه حكيم يعني فيما فرض لهم لا يدخل حكمه وتدبيره
نقض وخلل المسئلة الرابعة في احكامه متعرفة تتعلق بالآية اتفق العلماء على ان
المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هم الذين كرة المسئلة بدليل قوله تعالى ومنهم من عاهدوا
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فسماهم فقراء قبل ان يعطوا ثم اختلفوا في كيفية قسمها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة
من العلماء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة
واليه ذهب الشافعي رحمه الله قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الاقل من ثلاثة
الاصناف الذين سماهم الله تعالى فيقسمها بينهم ثلاثية فيقسمها على العدد. كما يقسم الموقف سافل

اذا قسم وكانه بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى اقل من ثلاثة
منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو دفع اليهم او الى اثنين من الثلاثة جاز ولا يجد دفع بعض الاصناف
الى واحد اذا دفع حصة ذلك الصنف اليه سلم ليخرج من حد الاستحقاق فان انتفت حاجته وفضل
شيء رد الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه
الاصناف او الى شخص واحد منه جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية علما لمن منه
ان الصدقة لا تخرج من هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس
وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري والحسن البصري واحمد بن حنبل قال
احمد بن حنبل يجوز ان يضعها في صنف واحد ويصرفها اولا وقال ابراهيم النخعي ان كان
المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك
يتحرى موضع الحاجة منهم ويبدأ بالاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان الخلة هي الفقر
على قدر ما يراه عليه من ضعف او قوة ثم حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد
على قدر الاستحقاق فلا يزيد الغني على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فيما يحصل ادنى اسم الغنى فلا
يعطى بعده شيئا وان كان فقيرا لكنه لا يجد الذي حرفته يعطى قدر ما يحيط به الذي حرفته
والمعتبر عند الشافعي ما يدفع الحاجة لا غير حد وقال احمد لا يعطى الغني اكثر من خمسين
درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى واحد من الزكوة ما يبلغ مائتي درهم فان اعطى جاز ولا يعطى
غنيا الا ان يكون غارما او غازيا او ابن سبيل ولا يجوز ان يعطى صدقته لمن تلزمه
نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطى الاباء والاجداد
والاولاد وان سفلوا ولا الزوجة ويعطى من عداهم وتحل الصدقة لذوي القربى وهم بنو
هاشم وبنو المطلب بلا خلاف لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا
الصدقة وقال ابو حنيفة تحل من بني هاشم ولا تحل من بني المطلب دليلنا
قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يعارفونا في جاهلية ولا اسلام
وتحل الصدقة من بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم
وقال مالك لا تحل واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحق
في بلد المال فكره اكثر اهل العلم لتعلق فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله
عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم

الجزء

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر واداه الى فقراء
ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت
من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تقولوا فانا نخاف
ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا
ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة
كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق
نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان اديم شاني الشعر احمر
العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر
الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا
ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن
انه ليس بعبد بل هو سليم سريع الاعتذار كل ما يسمع فاجاب الله عنه بقوله
قل اذن خير لكم يعني هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل
والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين
ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعني انه يصدق المؤمنين
ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين
باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين
معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله انؤمن لك وقوله آمنت
له ورحمة اي هو رحمة للذين آمنوا منكم وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يدعون انهم
مؤمنون فبين الله تعالى انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله
عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا يبحث عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الآخرة قوله عز وجل يحلفون بالله لكم

أدم

آمنتم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة
ابن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان
عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم
وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم فسالهم
فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال
مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المومنون
هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله
احق ان يرضوه اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عايد على الله تعالى
لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله احق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص
وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل معناه والله
احق ان يرضوه وكذلك رسوله ان كانوا مومنين يعني ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله
ووعيده في الاخرة قوله تعالى الم يعلموا قال اهل المعاني الم يعلم خطاب لمن علم شيئا
ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه فخاطب المنافقين
بقوله الم يعلموا يعني من شرايع الدين التي علمهم رسولنا انه من يحادد الله ورسوله يعني
انه من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه
من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله
ورسوله اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله فان له نار جهنم اي فحق انه له نار
جهنم خالدا فيها يعني على الدوام ذلك الخزي العظيم يعني ذلك الخلود في جهنم هو الفضيحة
العظيمة قوله عز وجل يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون ان تنزل عليهم سورة
يعني على المومنين تنبئهم يعني تخبر المومنين بما في قلوبهم بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين
من الحسد والعداوة للمومنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسوء ويسترونه
ويخافون الفضيحة ونزول القران في شانهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى

الفاضحة

الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني فضحت المنافقين وبعثرت اخبارهم وأثارتها
وعن عكرمة ربع ومنا ليع **وقال** ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من
المنافقين باسمائهم وأسمائ. ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا
يُعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين فلما استهزءوا اكد تهديدهم بقوله
اعملوا ما شئتم ان الله مخرج اي مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر الموجود
مما كان المنافقون يستهزءون به ويخفونه عن المؤمنين **قال** ابن اسحاق نزلت هذه الآية
في اثني عشر رجلا من المنافقين وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة
تبوك ليفتكوا به اذا اعلاها وتسكوا به ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما اضمروا واراه ان يرسل الى ناقته فيضربها وجوهها وكان معه عمار بن ياسر
يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فبينما هما كذلك اذ وجها قد غشيا
قد ضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة قد عرفت القوم قال لا عرفت منهم
احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فهل
تعلم لهم ان يقتلهم فقال اكره ان يقول العرب لما ظهر بمحمد اقبل يقتل بني عمه فقال
الله يكفينا هم **م عم** فيسر بن عماد قال قلت لعمار اراهم قد كانوا يقولون جهالا اي
يخلطون ويصيبون عهدا عهدا ايكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا يعهده الى الناس كافة وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في امتي اثني عشر منافقا
واحدهم قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا
لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة خراج
من نار تظهر في اكتافهم حتى ترصد ورهم **قوله تعالى** ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الآية **ر سبب** نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك غزوة تبوك
ما ارغبنا بطونا ولا اكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق
لاخبرن رسول الله صلى الله عليه فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد
سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يحني الحقب وهو متعلق بحقب ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ما ترد **قال** محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة

BULAC

اللهم للبر وصل الله
على من كان بعد

فيما بلغني ورود بعد بن ثابت اخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال فتادة يشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير بغزوة تبوك وبين يديه بنا نفر فقال بغير بغ لوا يرجوا هذا الرجل
ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب ما نافع فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا
نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير بغزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين يستهزئون بالقرآن والرسول والثالث
يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم وقصورها هيهات ذلك وقيل
كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل باصحابنا قراء نا هؤلاء فقوله وكلامه فاطلع الله نبيه
صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فجاء فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا
نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألتهم عما قلنا يا محمد لنقولن انما كنا نخوض في الحديث
ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون
الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في الماء كالماء والبحر ثم كثر استعماله حتى
صار يستعمل في كل دخول في شيء وابتداء وقل يا محمد لهؤلاء المنافقين أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزئون فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على
ارتكاب الاستهزاء بالله يعني بقرآن الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتاب الله
ورسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد
على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين ما يقتضي بالقدح
في قدرة الله والمذكور ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا باطل ومعنى الاعتذار محو الموجدة
وقلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر فصح الملائكة والجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان
الاستهزاء بالله كفر والافدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم ان المنافقين يكونوا مؤمنين فيما بينهم فقال قد كفرتم بعد ايمانكم
فلتم معناه كفرتم الكفر بعد ما كنتم الكفرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا
يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم قيل لهم كفرتم
بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى

ان نعف

أي بعد عن كل بعيد منكم تعذب كل بعيد ذكر المفسرون أن الكل يشير كما إلى ثلاثة فالواحد كل بعيد والاثنان كل بعيد والعرب توقع لفظ الجمع على لفظ الواحد فلذلك أطلق لفظ الكل البعيد على الواحد قال محمد بن إسحاق الذي عُني عنه رجل واحد وهو ابن حمير الأشجعي تعالى الله هو الذي كان يضحك ولا يخبر وقيل إنه كان يمشي مجانبا للسمع ويكبر بعضه ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب ورفعه ورجع إلى الإسلام وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ عني بما تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم وفقه فيقتله سيفك لا يقول أحدا عمدا إلا كنت أنا كفتك فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه قوله تعالى الذي مغفور والمنافقات بعضهم من بعض يعني أنهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والأعمال الخبيثة كما يقول الإنسان لغيره أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد للمباينة فيه يأمرون بالمنكر يعني يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وينهون عن المعروف يعني عن الإيمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ويقبضون أيديهم يعني عن الإنفاق في سبيل الله وعن كل خير نسوا الله فتركوا طاعته فنسيهم هذا الكلام لا يكون جزاء على كلامهم لأنا لو حملنا على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لأن النسيان ليس في وسع البشر بعد وأيضا فالنسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الأول معناه أنهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسيين من ثوابه ورحمته فخرج على مخرج المجازاة الكلام بنحو قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني أن النسيان قد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فسمى ذكره بالرحمة والإحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر كأن مرتكب شيء لا يذكر وقيل لما تركوا طاعة الله والإيمان به تركهم من لطفه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى إن المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نفاق وعد بالشر وعدا بالوعد يكون بالخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه حذف تقديره يأتيهم نارا خالدين فيها يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وكتمهم الإيمان والطاعة ولعنهم الله يعني وأبعدهم من رحمته ولهم عذاب مقيم دائم لا ينقطع جار فلت قوله خالدين فيها حال ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار في المعنى فلت ليس كذلك بتكرار وبيان الجزء مرة جميع

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الاول ان معناه لهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التاويل
مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار واجيب عن
هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس
النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل
لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم
وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى كالذين من قبلكم هذا رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور
والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار
الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى
شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف
الكفار بانهم كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال كانوا اشد منكم قوة يعني
بطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
الشهوات ورضوا بها عوضا من الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير
كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق
في حق الاولين مرة واحدة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا
قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم
بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال
من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد ان تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه
فتقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم وانت تفعل مثل ما كان يفعل
فالتكرير هنا للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله وخضتم كالذي
خاضوا فمعطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل
والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم
في الدنيا والآخرة يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم
الخاسرون والمعنى كما بطلت اعمال الكفار وخسروا تبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع

ومنعة

معطوف

حتى

حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن قوله تعالى
الم يأن ذهب رجع الخطاب الى القبيد يعني الم يأت نحو لا المنافقين والكفار وهو استفهام معنى
التقرير يعني قد اتاهم نبأ يعني خبر الذين من قبلهم من الامم الماضية الذين خلوا وقبلهم
كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا فقال تعالى قوم نوح يعني انهم اهلكوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالصيحة وقوم ابراهيم اهلكوا
بسلب النعمة وكان تمالك نمرود بعوضة والحباب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا
بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المؤتفكات التي جعل الله عاليها سافلها وهم مدائن
قوم لوط واتاهم ذكر الله عز وجل هذه الصيحة لان اخاهم بالنبوة والدعاء بالشام
والعراق واليمن وكذلك ذلك فرب مرارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويمرون اخبارهم فتتضح
رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا
امرنا كما فعلتم انتم يا معشر الكفار فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتفعل بكم النقمة كما فعلت
بهم وما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني الذي استحقوه
من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعد ما اعد لهم من انواع
الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المؤمنين وما اعد لهم من انواع
الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت ان قال تعالى في وصف المنافقين
بعضهم من بعض وقال هنا في وصف المؤمنين بعضهم اولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان
بين المتابعين وبين ما حصل بتقليد المتبوعين من الفرق ما لا يحصى والاكابر من كل فئة يقتضي الطبيعة
ايضا فان جميع بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه
وهدايته لا يقتضي الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض يظهر الفرق بين الفريقين
وظهرت الفائدة قوله تعالى يأمرون بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف
كل ما عرف بالشرع مرغوبا فيه وينهون عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر
كل ما ينكره الشرع وينهى منه الشرع ويعذب عنه ما وصف به المنافقين ويقيمون الصلوة يعني
الصلوة المفروضة ويؤتون الزكوة التي هي احد دعائم الاسلام ويؤتون الزكوة يعني الواجبة عليهم ومعنى يؤتون

BULAC

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد النبي الأمي وعلى

ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما أمرهم به وهو مقابلة نسوا الله فنسيهم
أولئك يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفون بهذه الصفات. سيرحمهم الله. لما ذكر الله ما وعد به
الناس بغير من العذاب بالنار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين من الرحمة والرضوان وما أعد لهم بالجنان
والتبشير بسيرحمهم الله لمبالغة والتوكيد. إن الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة بالترغيب
والترغيب لأن العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء أراده فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أراد وإيصال
العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والإنصاف. وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. لما ذكر الله بالآيات المتقدمة وعيد
الناس بغير ما أعد لهم بالنار جهنم وبهذه ذكر بهذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب
والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي تجري فيها وصفها الناظم بأنه تعالى
قال ومساكن طيبة في جنات عدن والعطف يجب أن يكون غير المعطوف عليه
فتكون مساكن في جنات عدن وما ظرف الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن
التي يسكنونها والجنات الأخرى هي البساتين التي يتنزهون فيها وهذه بإجماع المفاسرين
بين المعطوف والمعطوف عليه والبون بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة
في جنات عدن يعني في بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به روى الطبراني
بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفنا الأبنية
ومساكن طيبة في جنات عدن فما قصر من لؤلؤة في ذلك الغرف سبعون ألف مدينة حمراء
في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا
من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام
في كل بيت سبعون صبية وبعض الرجل من الفوة في عدات ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه نبي أو غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء
يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هنا كذا رواه البخاري وما صح هذا الرواية فلا بد من تأويلها
فقوله عدن دار يعني دار الله هو من باب هذا ملك زيد يعني عدن دار الله التي أعدها لأوليائه
وأهل كرامته والمؤمنين من عباده عمن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم

إلا رداء الكبرياء

من عباده

الدار الآخرة على وجهه جنات عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود
عدن نهر في الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص إن في الجنة قصرا يقال له
عدن حوله البر والبحر وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبر وصديق وشهيد وقال
عكرمة بن الصايب عدن تنهر في الجنة حيثما نظر في جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة
في الجنة فيها عين التسنيم والأنهار حولها محدقة بها وهي مقصورة على خلقها الله حتى
يتزين لها هذه الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت
والذهب فتنفتح ريح كثيبة فترفع العرش فتدخل كل كثيب البيت الأبيض قال صاحب الكشاف
وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعدها الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال
الأزهري العدن ما خوذ من قولك عدن بالمكان إذا قام به يعدن عدونا فسمي العدن الإقامة فالجنات
كلها جنات عدن وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر يعني أن رضوان الله الذي ينزله أكبر من كل ما
سلف ذكره من نعيم الجنة ذلك هو الفوز العظيم الإشارة إلى ما تقدم من نعيم الجنة والرضوان عن
أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة
فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير بيديك فيقول رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد
أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك
فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده عليكم أبدا قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار
يعني بالسيف والمحاربة والقتال والمنافقين يعني وجاهد المنافقين واغلظ عليهم صفة جهاد
المنافقين وتثبيت هذا الاختلاف أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ولما كان الأمر
كذلك لم يجز مجاهدته بالسيف والقتال لما كانوا عليه الأصل قال ابن عباس أمر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك
أيضا وقال ابن مسعود يده فما لم يستطع فبلسانه فما لم يستطع فبقلبه فما لم يستطع
فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة بإقامة الحدود عليهم يعني إذا تعاطوا
أسبابها وهذا القول فيه بعد لأن إقامة الحدود واجبة على المسلمين سواء تعاطوا
الأسباب أو لم يتعاطوها وإنما قال الحسن وقتادة ذلك لأن غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الكلبي وأبو روق هذا قول ابن مسعود لأن الجهاد
عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين ولم تبين الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد

أي يعبس

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فلا بد من دليل متصل وقد دلت الدلائل المنفصلة لان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف
ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالاشهار تارة وهذا
قول ابن مسعود واغلظ عليهم يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب وماويهم جهنم
وبئس المصير يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف
ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت
انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها
فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه
في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امر
باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل
سرائرهم الى الله لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الاخرة بما يستحقونه قوله
عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اختلف المفسرون
فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن
امراته مصعب من قبا فقال الجلاس حقا ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من حميرنا هذه
التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت
وخفت ان ينزل في القران او ان تصيبني قارعة او ان اخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقللت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط
بخطيئته او تصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب
فحلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي عن مجاهد نحوه
وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم
انسان فينظر اليكم يعني الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال غلام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم
جميعا الى اخر الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من
غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي
ابن سلول للاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك

اسلمهم

لعله بقي كلام هنا

وقال

وقال ليس رجعنا الى المدينة لنخبر خبرا عزمنا الا ان نعسكر بعقار جلولا ليس
الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية
هذه روايات الكبرى وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد
وذلك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وبتبوك وذكر المنافقين فيهم رجعا
وعابهم فقال الجلاس ليس كان محمد صادقا فلنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب
يا رسول الله علي ولقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجلدا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر
بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف
بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه الى السماء فقال اللهم
انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون امين فنزل
جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ يا ايها الذين آمنوا خير لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا
وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت
توبته فذلك يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا الكلمة
الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
ليركان محمد صادقا فلنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن ابي بن سلول لئن
لنخرجن الاعز منها الاذل وتمنوا بما لم ينالوا قال بما هموا به من قتل الجلاس بقتل الذي سمع منه فالله خشية
ان يعيبهم عليه وقيل هو عبد الله بن ابي بن سلول وكان الذي تمنه قوله ليرجعنا الى المدينة
فلم ينالوه وقيل هم اثنا عشر رجلا منافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة
وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه بها جبريل عليه السلام فاخبره واوحى الله تعالى اليه ما يصنعون
وجوه راحلة فارسل حذيفة لذلك وقال لهم فقال انا منافقون اذا رجعنا الى المدينة تعدنا
على ابن عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
والمعنى ان المنافقين عدوا بغض الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه
وقيل انهم بطروا النعمة فتمنوا شرا وبطرا وقال البرقيني معناه ليس ينقمون شيئا

قوله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولا يتعرفون من الله الا الصنيع وهذا كقول الشاعر ما نقم الناس من امية الا انهم يحكمون ان غضبوا
وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي ليس فيهم عيب قال الكلبي
كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له
مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية
فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار
فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم
في العاجل والاجل وان يتولوا يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصدوا يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا يعني بالخزي والاذلال والاخرة اي ويعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
يعني وليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى ومنهم من عاهد
الله لئن اتينا من فضله لنصدقن الاية روى البغوي بسنده عن الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال
جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم
اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في
رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت
ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال
فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها
وهي تنمي كما ينمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه
سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشاهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت
حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة يلتقي
الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا
يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة

منه

خرج

يا ويح ثعلبة

يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا
على ثعلبة برجالكما وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة
وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى
تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة
ثم استقبلهما بها فلما رآهما قالا ما هذا عليك فقال خذاها فإن نفسي بذلك طيبة فمضيا على
الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية
ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي فانطلقا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير ومسح برأسه بالذي صنع
ثعلبة فأنزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية إلى قوله
وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه
فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله
أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثي على رأسه التراب فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ثعلبة بصدقته إلى أبي بكر فقال أقبل صدقتي فقال أبو بكر
لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر أتاه فقال
اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر أنا لا أقبلها منك فلم يقبلها
ثم ولي عثمان جاءه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان رواه الطبراني أيضا بسند
قال بعض العلماء إنما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله تعالى منعه
من قبولها منه مجازاة له على إخلافه ما عاهد الله عليه وإهانة له على قوله إنما هي جزية أو أخت
الجزية فلما صدر هذا القول منه رد صدقته عليه إهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع
من بذل الصدقة عند طيب نفس بإخراجها وبين أنها واجبة عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب
على منعها وقال ابن عباس رأى ثعلبة أن جماعة من الأنصار قد شهدوا له بأن الله
رضيه وأثبت منه كل حق حلف وتصدق منه ووالت الوراثة فجاء ابن عم له فورث
منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن وما عهد نزلت

فلما أبى أن يقبض رسول الله

الحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده

بثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف فمر بهما على ملإ فعودوه فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن منه ولنكونن من الصالحين فلما رزقهما الله من فضله بخلا به وقال ابن السائب إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأتصدقن منه ولأصلن فيه فأتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية

وحاصله أن كل واحد من الآية يدل على أن بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليتصدقن وليعملن فيه أعمال الخير والبر والصلة فلما آتيه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه

ومعنى الآية ومن المنافقين من عاهد الله عهد البر والوفاء فقال لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا بالمال لنتصدقن يعني لنتصدقن بالمخرج من ذلك المال صدقة ولنكونن من الصالحين يعني ولنعملن في ذلك المال بما يعمله أهل الصلاح بما يوافق طاعة الله وإلى ثعلبة وإلى سبيل الله وجميع وجوه البر والخير وإخراج الزكوة وإيصالها إلى أهلها والصالح ضد الفاسد والمفسد الذي يخل بما يلزمه في الشرع وقيل إن المراد بقوله لنتصدقن إخراج الزكوة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين إشارة إلى ما يفعله أهل الصلاح على الإطلاق من جميع أعمال البر والطاعة فلما آتيهم من فضله يعني فلما رزقهم الله ولم يفعلوا من أعمال البر شيئا وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه وهم معرضون يعني عن الوفاء بالعهد فأعقبهم نفاقا في قلوبهم يعني فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا ندامة إذا صيرت عاقبة أمره ذلك وقيل معناه أنه تعالى عاقبهم بنفاق فلوبهم إلى يوم يلقونه يعني أنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيلقونه على النفاق فيجازيهم عليه بما خلفوا الله ما وعدوه يعني من الصدقة والانخراط في سلك الصالحين وبما كانوا يكذبون يعني في قولهم لنتصدقن ولنكونن من الصالحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث إن هذه الخصال قد توجد في المصدق الذي ليس فيه نفاق وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه ومع هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا يخلد في النار قال الخوارزمي يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال وقد توجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا وكله قال الشيخ وهذا ليس بمشكل والله أعلم واختلف العلماء في معنى قوله المنافق

هو

بخلوا به

بالعلم

والاكثرون وهو الصحيح المختار آن معنا ان يفعل الخصال خصال نفاق وصاحبها يتشبث بالنفاق فيفعل هذه الخصال ويتخلق بأخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود فيما جاء بهذه الخصال فيكون نفاقه في حق مرجد ثه ووعده وايمانه وخاصمه وعاهده كالمنافق لانه منافق في الاسلام يتظهر وهو يبطن الكفر وقال رد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا آنه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معنا كان شديد التشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا اذا كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من تردد له منه فليس هذا حاله بهذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين نزلوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا به آبائهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فاخلفوا وعوهدوا فغدروا وخوصموا فجروا وهذا قول بعيد جدا وعكسه براء وباح ورجح اليه الحسن البصري بعد اركان على خلافه وقد روى عن ابن عباس وابن عمر وزوبا ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض والذي مال اليه اكثر ائمتنا وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لابوا جمع بصريح القول بنفوذ فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال (اي) في سر الدين الرازي كما ذكر هذه الآية يدل على ان تفضل العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يتباعد الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد في الوفاء به وقوله تعالى الم يعلموا يعني هؤلاء المنافقين ان الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق ونجواهم يعني ويعلم ما يجاوزه بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هي الخفي يقال نجوته نجوا والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع حوائجهم لا يخفى عليه شيء منها وان الله علام الغيوب وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله علام بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه حوائجهم

الكلام المجمل

قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية في عمرو بن مسعود البدري قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية قال ابن عباس وغيره ما لمعتب بن قشير رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف
لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
في مال عبد الرحمن حتى إنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم
وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه
الحجل بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجريد الماحي قلت صاعين من تمر
فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان
عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فأنزل الله الذين يلمزون يعيبون
المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات
والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني أبا عقيل الأنصاري
والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة
وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله
تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لأن الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير
الذي أخرج القليل إنما أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج إلى المال لغيره رجاء ما عند الله
كما قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم يعني المنافقين كانوا
يستهزئون بالمؤمنين في إنفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم
لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون إنه
لفقره محتاج إليه فكيف يتصدق به وجوابهم أن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب
يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني أنه تعالى
جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله
تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون
لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبإنفاقهم للمؤمنين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون إليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يا محمد وهذا كلام
خرج مخرج الأمر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم
وإنما خص السبعين من العدد في الذكر لأن العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله

على تكبيره صلى الله عليه وسلم في الصلوة
على عمه حمزة سبعين تكبيرة بالذكر

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم تسبيرة ولأن الجاد التسبير تسعة وهو عدد شهور الحمل
تسع والأرض تسع والأيام تسع والأقاليم تسع والبحار تسع والنجوم السيارة تسع
فلهذا خص التسبير بالذكر للمبالغة اليأس من رجوع المغفرة لهم قال النحاس لما نزلت
هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين لعل الله
أن يغفر لهم فأنزل الله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ف عمر
ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك
ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا
تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين فقال إنه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله
فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليه وقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا بالله
ورسوله يعني أن هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم وإنما كان كفرهم بالله
ورسوله اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوفق
للإيمان به وبرسوله من اختار الكفر كما عند الله وكما عند رسوله قوله عز وجل فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني
بقعودهم بالمدينة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى
خلف يقال سمي المجهد المعين لأن الإنسان إذا توجه لأمر قاصد فتركه خلفه بعد تركه بعده
وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى تبوك وأقاموا بالمدينة لأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بالخروج إلى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قوله تعالى وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والمعنى
أنهم كرهوا بعين التخلف وكرهوا الجهاد وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة
والقعود عن المتاعب الأهل والولد وبكره إتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا
في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فجاب الله عز وجل هذا بقوله فل نار جهنم أشد حرا
لو كانوا يفقهون يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلاف عن الجهاد

الحر

به الحر فار رجهنم التي نصر موعدها الاخرة نفس اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون فقال
ابن عباس فاتا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال
يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج ولا ننفر في الحر فانزل الله عز وجل قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون فامرهم الله بالخروج. فليضحكوا قليلا. يعني فليضحك المنافقون الذين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر جهنم فليبك الدنيا الفانية. ليقعدوا خلافه. وليبكوا كثيرا يعني
مكان ضحكهم في الدنيا وقد اوردت بصيغة الامر والمراد الاخبار والمعنى انهم واردون
وضحكهم قليل لان عمارهم في الدنيا وهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية
والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني
ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع
الدموع فتسيل الدما. فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت فقوله تعالى
فان رجعك الله يعني فان رددك الله يا محمد من غزاتك هذه الى المدينة منهم. يعني الى المتخلفين
وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعذار
باستاذنوك للخروج. يعني باستاذنك انت في الخروج الذين تخلفوا عنك وخففت نفائسهم في الخروج
معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا. يعني فقل يا محمد لهؤلاء. الذين كلبوا الخروج وهم
مجبورون على ما فعلهم لن تخرجوا معي ابدا الى غزاة ولا الى سفر. ولن تقاتلوا معي عدوا انكم يعني لانكم
رضيتم بالقعود اول مرة. يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزاة تبوك. فاقعدوا مع الخالفين. يعني
مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا
بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحب خالف اذا كان مخالفا كثيرا خلافه وفي الاية
دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته
لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد منعهم لما ظهر نفاقهم
وذمهم وكرههم وابعدهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات فقوله عز وجل
ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة بعث عبد الله بن ابي رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وتصوير لما تيه فقال فنهاه عمر عن ذلك فانا، نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال اقعدك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتبنيني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ليكفن فيه ابا ها اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث فيه من ريقه وقام فيه فلما فرغ فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية فترك عمر بن الخطاب فقال كيف مات عبد الله بن ابي بن سلول وقد علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما فاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اني اعلم اني ازدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا قليلا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله وهم فاسقون فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى وعن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضع على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه فالله اعلم فقال وكان عباس قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ايبس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك فقال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي باسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي بن سلول يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه

فصل وقد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف الروايات ففي حديث ابن عمر المتفق انه لما توفي عبد الله بن ابي اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب مراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعد ما ادخل حفرته فامر به

هذا به الا صل الله اعلم
لتو بنبي بالصواب

العمر للبصري وصلى الله
على من لا نبي بعده

فأخرج بوضعه على كتفيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات
أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه ليكفن فيه ثم إنه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه
بالكلية والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما في حديث عمرو ابن عمر ثم آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا
بعد ما أدخل جثته فأخرج منها ونزع عنه القميص إذا أعطاه ويقال فيه لينفث عليه من ريقه
ثم إنه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بيده الكريمة فسمى هذا الله بعبد الله بن أبي لغلب
ابنه عبد الله عليه كان رجلا صالحا فاضلا وأما قوله فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاد إلى عرضه وأنه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلي عليه فأعطاه قميصه واستغفر
له وصلى عليه ونفث عليه جلد ودلا على جرته وبعده جمل من القول كما تقدم قبل والمراد
بهذا الترتيب نوع ما من الأحاديث فيكون قوله ونفث عليه جلد ودلا على جرته جملة معترضة
عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم بعثه له بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم
وقال الغرطبي في شرح صحيح مسلم له أن عبد الله بن أبي بن سلول كان ممن خرج يوم
بدر فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف إليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة
غير أن الإسلام غلبه فنافق وكان رأس المنافقين وأعظمهم نفاقا واتبعه بشر وكان المنافقون
كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعون امرأة وكان
ولد عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأحد فيهم إسلاما وأكرمهم عبادة
وأشرحهم صدرا وكان أبر الناس بأبيه ومع ذلك فلما توفي ما النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله إنك لتعلم أني أبر الناس بأبي وإني أخشى أن أبقى في نفسي أن أبقى بر أبي بعثت بقميصك
ليكفن فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعطوا عنه وكان مراد عبد الله من النبي صلى الله عليه وسلم
على الإسلام ابنه وعلى أن يتبرك بريقات النبي صلى الله عليه وسلم بعثه. ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه
فيسأل بركته بإعطائه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك إكراما لابنه عبد الله وإسعافا له
ولكلمه وقول عمر أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول وأن تصل
على أحد منهم مات أبدا ويضعف بعد النبيا أن عمر وقع له خاطر أن الله نهاه عن الصلاة عليه
فيكون هذا من قبيل الإلهام والتقريب الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون
قميصه من سببا في قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا التأويل فيما بعد قال الغرطبي
والذي يضعف والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه بسياقة هي أتم

لفظا

وهذا وليس فيه هذا اللفظ فقال عمر لابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن سلول
دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث
الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت عليه الآيتان من براءة قال الزهري
وهذا مساق حصر وتنزيل متغير ليس فيه شيء مما الاشكال المتقدم منهما الاول وقوله
صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين فإنه بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن عمر فإن فيه
لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فإن الاحاديث
يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو أعلم أني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت
فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم إنما خيرت فاختار مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين
آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يقتضي النهي عن الاستغفار لهم كفارا وهو متقدم على
الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال أن المنهي عنه استغفار لم يمت مصرا
على الكفر والشرك وأما استغفار لم يتبين أنه من غير المصرين فهو مما علم صلى الله عليه وسلم أنه لا ينفع
ولا ينفع وغايته أن وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء مع كفر باطنهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه
عن المخير فيه وارتفع الاشكال فحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله
ليكفنه فيه تكفينا لقلب ابنه عبد الله فإنه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فأجابه إليه وقيل
بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي على المنافق لأنه أبلى بلاء حسنا يوم بدر فيما ورد في الحديث
بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم مما ورد في الآية أنه ومن قابله بالحسنى
والتمس فيه خيرا وصلى عليه واستغفر له فقال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال البغوي
قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أن يكافئه بها وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فعل بعبد الله بن أبي ذلك لأن ابنه عبد الله رضي الله عنه فيما وصلني
والله إني كنت أرجو أن يجعل به إلى مرفوعه فيروى أنه أسلم ألف مرفوعه كما رواه يتبرك
بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره يعني لتقف عليه ولا تتولى دفنه
مرفوعه فإن جلالة باطنه وجلال أذى الجناة أوى وناب عنه فيه إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون وهذا تعليل بسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية
ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها حتى قبضه
الله تعالى لما أمر الكفر ولما ذكره تعليل هذا النهي كونه كافرا فيدخل تحته العصاة فيمنع مما تابوا

به وصفه بكونه باسفا فلنا ان الكافر قد يكون عذابه نفسه بما يورث الاهانة ولا يضر
المنافقون لاحد شرا وقد يكون خيشاء نفسه كبشر الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر
مستنكر عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم باسفين
بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الكلام على هذه الاية مقامان المقام الاول بوجه التكرار والحكمة
فيه ان تعدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده واراد ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل
عنه ولا ينسى وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لغوته فيما يجب ان يحذر منه وهو
ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الا شتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير
منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يفيد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام
به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عندنزولها
وبالاية الاخرى قوما اخرين ممن لم يكن كذلك فيكون هذا من باب ما حصل من التعاون بين الايتين
وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى فلا تعجبك بالواو وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه
عطف الاية الاولى على قوله ولا يتفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة
للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالواو في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما
قبلها فلهذا التي بحرف الواو وقال في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا من هنا
فقال واولادهم والشيء فيه ان حرف لا هنا كما في زيادة التاكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بالاموال
والاولاد وكان اعجابهم بالاولاد اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تعاون بين الاولين وقال
تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والجامع في الشبه
على ان التعليل في حكم الله محال وانه انما ورد حرف اللام بمعنى ان كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله
بمعنى وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا
والجامع في اسقاط بعضة الحيوة تنبيها على ان الحيوة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق
ان تذكر ولا تستحق حيوة بل في جنب الاقتصار عند ذكرها على بعض الدنيا تنبيها على كمال ذاتها فهذا
جملة ما ذكر في هذا المقام والله اعلم بالمراد واسرار كتابه قوله عز وجل واذا انزلت
سورة يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اكثر لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد به
جميع السورة بمعنى ان المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر

بالجهاد

المنافقون

وجه

التنبيه

على عدم كمال ذاتها

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

144

والامر بالجهاد اي بان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله فان قلت كيف يامرهم بالايمان
مع كونهم مومنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد
في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان
ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله
وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب
عليكم ان تومنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فايدة ترجع عليكم نفعها
في الدنيا والاخرة وقوله تعالى استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنا وهم اهل
القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر
قولان احدهما ان الذي لهم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول
بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان وقالوا يعني اولي الطول ذرنا نكن مع القاعدين
يعني في البيوت من النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل
الخوالف النساء اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد
كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنى الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله
بالامر بالجهاد قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني وجاء المعتذرون
من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك
هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا
يا نبي الله ان نحن غزونا معك يغير اعراب طي على حلائنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد انباني الله من اخباركم وسيغنيني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف
ابن ايما بن رحضة وقيل هم من اسد وغفار وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما
اعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة
المعتذرون اذ غمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر
اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك
على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو

BULAC

العلم للخبر وصلى الله
على من لا نبي بعده

التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر وبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين وهو الصحيح من قال انهم كانوا صادقين بدليل أنه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا ليس لهم فلم يعذرهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا تعذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وقوله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين وقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وقوله ومنهم من يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين فهذه الآيات كلها تدل على ان الذين اعتذروا كاذبون وقد ذكر الله تعالى ان الذين اعتذروا من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فهذا يدل على ان المعتذرين من الاعراب كانوا كاذبين وقد ذكر الله تعالى ان المنافقين يحلفون بالله لكم ليرضوكم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وقد ذكر الله تعالى ان المنافقين يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وان يقسموا بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين فهذه الآيات كلها تدل على ان الذين اعتذروا كاذبون وقد ذكر الله تعالى ان الذين اعتذروا من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم. يعني بالدنيا بالقتل وبالآخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص ايمانه باستثناء الله تعالى المنافقين بغير الذين صبروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه فوله عز وجل ليس على الضعفاء. كما ذكر الله تعالى المنافقين بغير الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بالاعذار باطلة عفى بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء. والضعيف هو العاجز ببدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء. ورجل ضعيف اصل الخلقة ضعيفا فيه وبدل على ان ضعفه لا صناعة الضعف: أن الله تعالى عطف عليهم المرض فقال تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فأما المرض فيدخل فيه العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن للجهاد والسير للغزو ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقراء العاجزين عن نفقة الغزو والجهاد بما يجدون الراحلة الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر فالعاجز عن نفقة الغزو معذور حرج ايضا ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج في تخلفهم عن الغزو فقال الحسن: هذه الآية الرخصة في ترك الجهاد ليست بمنسوخة وهي محكمة وقال ابن عباس: هذه الآية ليست بمنسوخة لان الواحد مرهون لو خرج ليس بمعين المجاهدين بمعذور والفقير اذا يجد متاعا او تكثير سواد بشرط ان لا يجعل نفسه كلا وبارا عليهم جاز له ذلك فهذه الآية تدل على ان الضعفاء جواز التخلف عن الغزو بشرط متعينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه انهم اذا قاموا بالبلد واحترزوا عما يشق عليهم من الرحيل والغزو وقعوده ايصال الخير الى اهل الجهاد بالذين خرجوا للغزو وقاموا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تعود بجزي النصح لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل اي ليس على من احسن فيما بينه وبين الله وبين رسوله بتخلفه

للجهاد

عن الجهاد بعذر فداه بأحد الشارع كريف بتصرف عليه يعاقب عليه والمعنى
انه يتأدب باحسانه كريق العقاب عن نفسه وبستنبط مرفوعه ما على المحسنين من
سبيل أي كل مسلم يعتقد لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله خالصا مرتبه ما عليه
سبيل به نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل متصل والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد
بعذر كما هو أباحه الشرع رحيم يعني أنه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت
هذه الآية في عابد بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير
البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الأقسام الثلاثة من العذر وبين أتبعه بذكر قسم رابع
وهو قوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك يعني ولا حرج ولا إثم به التخلف عند على
الذين إذا ما أتوك لتحملهم يعني يسألونك الحملان ليبلغوا الغزو عدوك وعدوهم والجهاد
معك يا محمد قال ابن عباس نزلت في البكائين وهم ناس سبعة وقيل الكلبي عن محمد بن
كعب وغيره قالوا لما جاء نا شر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم
عليه فانزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وبن زيد واقد
حرثي بن عمير وبن زيد مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى وبني المعلى سلمان بن صخر
وبني جارية عبد الرحمن بن زيد أبو عليقة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن
سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم تسعة ثم ذكر البكائين تعقل
ابن يسار وعمرو بن خلدة وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة
ابن غنمة وعبد الله بن معقل المزني قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن الله
عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا فقال لا أجد ما أحملكم عليه وقال مجاهد بنو واقف
من بني بنة وهم ثلاثة أخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن
سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر فقال العرباض سألوا أن يحملهم على الدواب وقيل
بل سألوا أن يحملهم على الخيل الموعد والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد
ما أحملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا بالبكائين فذلك قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم
عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو بلغ
من العبر جعلت كأن كلها دمع وفيض من البيان كقولك أبدك الله رجلا. حزنا ألا يجدوا ما ينفقون
يعني على أنفسهم في الجهاد. إنما السبيل لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل فأبان حين يعتذر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولا عذر له قال انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة على الذين يستأذنونك
يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنياء يعني قادرين على الخروج معك رضوا
بان يكونوا مع الخوالف يعني رضوا بالدناءة والضيعة والانضمام في جملة الخوالف وهم
النساء والصبيان والقعود معهم وطبع الله على قلوبهم يعني ختم عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد
من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم
الدايم الذي لا ينقطع قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هؤلاء
المنافقون المتخلفون عنك يا محمد وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم
اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة الكاذبة
اذا رجعتم يعني من سفركم اليهم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال البغوي روي ان
المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبأنا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف
من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه
وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم
ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني يخبركم بما كنتم
تعملون لانه هو المطلع على ما في ضمايركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين بالمدينة
من المنافقين لترضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا
عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم
ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تكلموهم ولا تجالسوهم قال
اهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب
الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة
ومأويهم يعني في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال
ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف
للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم

ان يرضى عنه

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

149

ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني يحلف
هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون بما حلفوا
لكم وقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق
والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية
يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان
نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط العشب والكلأ ويجمع
الاعربي على الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية
فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب
افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا
لبعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر يعني واحق
واحرى الا يعلموا اي بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرائض والسنن والاحكام والله
عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرائضه واحكامه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما
يعني لا يرجوا على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا او رياء والمغرم الزام ما لا
يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين
او مراياة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدوائر يعني
بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان
فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دائرة السوء يعني بل ينقلب عليهم الزمان ويدور السوء
والبلاء والحزن ولا يروى في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الا ما يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم
عليم بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب
اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر
قال ابن عباس هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم
وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم
هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع
ابن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تتابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم
ف عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها
زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها ف عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم
مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة
اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود
الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند الله
وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمنين المتصدقين بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله
الا وبحرف التحقيق وهو قوله انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعمة
هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمؤمنين المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه
الطاعات قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلف
العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم
الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة
الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة
لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما
لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن
فقال ان الله غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في
اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية
فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين
اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة
دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلماء في اول الناس
اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى قد

فقال

فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله واختلفوا بابن سنة وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح أنه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من اسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والشعبي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من اسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فيقول الأربعة سبقوا الى الاسلام قال ابو اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هؤلاء الثمانية النفر أول من أسلم الى الاسلام ثم تتابع الناس بعد في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وهم ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رياب ثم أصحاب العقبة الثانية من الانصار المقبل وهم اثنا عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حزام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سبقوا الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يديه خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أن الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا وقد قال تعالى للمهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا يوجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة وأيضا الهجرة كلمة عظيمة وهي تبتة عالية مرتفعة لان الهجرة أو شاق

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

على النبي صلى الله عليه وسلم العارفة الوصف العشيرة وقد لقب النصر بانصار رتبة عالية ومنقبة سنية
لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه وآزروه وواسوه وآووا الصحابة وواسوهم
بذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم بقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان قيل بقيبة المهاجرين والانصار دون السابقين الاولين بعد هذا
القول بكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سكنوا بين المهاجرين والانصار بالايمان
والهجرة والنصرة الى يوم القيامة قال عكرمة هم الذين ذكروا المهاجرين والانصار يستغفرون
لهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم وعن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او
ثلاثا وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو
ان احدا انفق مثل احدهم ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن
في الحديث الاول الصحابة والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان
فقيل من عشرين سنة الى العشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة واما المذكور في الحديث
الثاني فهو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل عملا قدر عليه من اعمال البر والانفاق
في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير الذي هو من اعمال الصحابة وافعالهم لانهم انفقوا وبذلوا
المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه يعني رضي الله اعمالهم
ورضوا عنه ما جازاهم عليها من الثواب وقد دخل فيه كل الصحابة وأعد لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب
منافقون ذكر جماعة من المفسرين من المتأخرين من الفقهاء والواحدي وابن الجوزي ان من اعراب
مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ورهطه الاعراب
منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل
المفسرين يحمل قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان العبرة للتبعيض
ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه هذه الاية واما الخبر فيدل انه اطلق القول ولم يعين احدا من
القبائل المذكورة في تفسير هذه الاية من الذين حول مدينكم ايها الموصوفون من الاعراب
منافقون ومن اهل مدينكم ايضا امثالهم اقوام منافقون وقال المفسرون من اهل المدينة

لا نافر

مراد اوس والخزرج منافقون. مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق. يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد به معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابو اسحاق ليس في قوله وابوا غير وقال ابو زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه. لا تعلمهم. يعني انهم بلغوا من النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك وايقاظك على الاسرار. نحن نعلمهم. يعني لكن نحن نعلمهم. لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت سنعذبهم مرتين اختلفت المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا ان الله تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى التي اختلفوا فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم بهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان قيل هذا القول يحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لا ان الله تعالى قال له لا تعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان حكم الاسلام في الكافر كان جاريا على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع وقيل وقال قتادة المرة الاولى هي الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها سراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الآخرة وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابو اسحاق الاولى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام وذخر لهم فيه كرها غير حسنة والاخرى عذاب القبر وقيل هذا ما ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله ثم يردون الى عذاب عظيم. يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم قيل هم قوم من المنافقين تابوا ورجعوا فيما اختلفوا وجهز هذا القول ان قوله وآخرون عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوجب التغاير

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

ما نقله البصري عن ابن عباس انه قال في الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور
المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروى عن ابن عباس انهم
كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير
وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة
احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
ابن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك وتابوا
وقالوا نكون بالاموال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ونزل المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا
بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا
انفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر بهم فرآهم فقال ما هؤلاء
فقيل هؤلاء تخلفوا عنك يعاهدون الله ألا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وتعذرهم
عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر بإطلاقهم
ترغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم اطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال
فلما نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلعوا بذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت
في ابي لبابة حين قال ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان اخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك الثلث
يا ابا لبابة فاخذوا جميعا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى

قال خذ

قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ بعد اتيهم وتلا لبكثرة تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة
وعطاء سوى الذين خلطوا وسيأتي خبرهم وآخرون تقدم تفسير الاية بقوله تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا بذنوبهم وقد
دفيقة وهو انهم لم يعتقدوا على تقبيح ما اعذروا به كلية تقبيح ما انه فيه ولكن اعترفوا على انفسهم
بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلت
مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي والعزم
على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر
سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه بغزوة تبوك وقيل العمل الصالح يعم جميع انواع البر
والطاعة والسيئ ما نهى الله عنه فعلى هذا تكون الاية قد جمع الكل والاحتمال على الوجه الاول
واكمل والسبب مخصوص ما تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الكلبي عن ابي صالح
قال ما بالمدينة اية ارجى من هذه الآية فقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الاية قال فان قلت
قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا بالمخلوط به قلت ان الخلط عبارة
عن الجمع المطلق واما قولك خلطت الماء باللبن فليس بجيد لان الخلط عبارة عن الجمع
الذي لا يتميز كل واحد من المخلوطين عن الاخر وبتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن فتقول الواو عن الباء
فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيئ ذكر غالب المفسرين وان قال
صاحب الدرة الغواص في اوهام الخواص فقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلا
معا بقي كل واحد منهما على حاله كما هو عند قبل ان يقول بالاحباط بالكلية تبقى
موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب بقوله تعالى خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا فيه تنبيه على ان القول بالمخالطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان عسى الله ان يتوب
احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت
الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من الباء لانها تريد معنى الجمع لا حقيقة
الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن فقد يجمع بينهما وقوله
تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

عليه قوله تعالى عسى الله ان يأتي بالفتح وقد يعرف لك وقال اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه اذا بعد زوال الاشكال والاشكال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى لتدل على الطمع حتى يكون العبد بين الرجاء والاشفاق ولكن بحسب قبول ما رجوه فانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم وهذا يفيد ايجاب الوعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال بريدة لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه باتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ منا اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وكفر عنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ شيئا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى قوله الذين تابوا وذلك انهم نذروا اموالهم صدقة فاوجب الله اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بهذه الصدقة الواجبة وقال بعضهم لان الصدقة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكوة امر الله رسوله بان يأخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذ الصدقة والزكوة. وذهب بعضهم الى ان هذا قول اكثر العلماء. واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكوة اما حجة اصحاب القول الاول وهم الذين قالوا ان الامر بالاخذ لا يدل على وجوب الاخذ لان الزكوة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان الصدقة المعينة ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخر فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا وعرفوا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال امروا باخراج الزكوة التي هي طهرة لهم فلما اخرجوها عم عنهم فوائد وعمت توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم وقد قالوا ان الزكوة قد تجب على من لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم فلما لا يمنع هذا عموم ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكوة من هذا اولى ثم في هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم ايام حياته ثم اخذها الائمة من بعده فيجوز للامام ونائبه ان يأخذ الزكوة من الاغنياء ويدفعها للفقراء الحكم

الثاني

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

تقتضي

الثاني قوله خذ من اموالهم ولفظة من للتبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص
القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكوة
الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكوة في جميع المال
حتى في الديون ومال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكوة انما وجبت لكونها
طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكوة
في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم
من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا للعلماء في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ
يا محمد من اموالهم صدقة فانك تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم
متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهر لهم وانما حسن جعل الصدقة
مطهرة لما جاء ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ
وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها
منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة
وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى
تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه
تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين
وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى وصل
عليهم يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلوة في اللغة الدعاء قال الشافعي رحمه الله
السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك
فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب له ذلك
وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب
للفقراء ان يدعوا للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان لما روي عن عبد الله
بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم
صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
ان صلاتك وقرئ صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة
وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه

فانك

وتسكين

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والمعنى ان صلوات تؤجب سكون نفوسهم اليها وان الله قبل توبتهم او قبل زكاتهم والله
سميع بمعنى لما فرالهم اولدعواتك لهم عليم بمعنى بنياتهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده، هذه صيغة استفهام الذات المقصود منها التقرير فيتشر الله عزوجل رسوله
الى يسر بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم رسوله الذين تابوا ان الله يقبل التوبة
الصادقة والصدقة الخالصة وقيل المراد بهذه الاية غير التائبين نرغبهم اليها التوبة
وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا المتخلفين هؤلاء
كانوا معنا بالامس فكلفوا وما بحالهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة
وقوله تعالى عن عباده، قيل الهاء في قوله عن عباده، اوعن عباده، اذ الهاء في قوله اخذت
هذا العلم عنه اومنه وقيل بينهما فرق ولعل في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول
التوبة مع تفصيل سبيلها وقوله تعالى ويأخذ الصدقات يعني يقبلها ويثيب
عليها وانما ذكر لفظ الاخذ في شيء بدل الصدقة واعطاها الفقراء وقيل معنى اخذ
الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ
الى نفسه واكثر ما يكون العفو والسائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتنزيهها
وان الله يقبلها من عبده المتصدق ج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمان بيمينه
وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمان حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله
بعض مسلم وفي بعض النسخ من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية
ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى
تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولبعضهم ان الله يقبل الصدقة ويتقبلها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربوا ويربي الصدقات
وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله
تعالى قد فيلها من المتصدق كما يربي احدنا فلوه او فصيله ونحوهما والمراد بأخذ الصدقة بكفه اليمين هنا اخذ المتصدق
قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو في كفه اي تكثر يقال ربا الشيء يربو اذا كثر
وزاد والفلو بضم الفاء وفتحها المهر اول ما يفطم والفصيل ولد الناقة اذا انفصل
عنها

عنها وقوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم قوله عز وجل
وقل اعملوا اي قل يا محمد لهؤلاء الثلاثة الذين خلفوا اعملوا ايها الله بما عنده وادوا ايضا
فسيرى الله عملكم فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمذنبين كانه قال اجتهدوا
بالعمل بالمستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ورسوله والمؤمنون يعني ويرى
رسول الله والمؤمنون اعمالكم ايضا اما رؤية رسول الله صلى الله عليه باطلاع الله اياه على اعمالهم
واما رؤية المؤمنين فيما يفوض الله عز وجل به اليهم من حكمة الظاهر وبعض المغيبات
وتردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وستجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم
وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء فينبئكم اي فيخبركم بما كنتم تعملون يعني
بالدنيا من خير وشر فيجازيكم على اعمالكم قوله تعالى واخرون مرجون لامر الله مؤخرون
الى ان جاء امر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المخلفين الثلاثة اقساما
اولهم المنافقون ومع الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني الثابتون وهم
الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث مرفوعون ومؤخرون الى ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله واخرون مرجون
لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل
الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يبادروا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت بعد الآية
في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وتسلل فيهم
عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لما بلغوا في التوبة والاعتذار كما فعل
ابو لبابة واصحابه توقفهم رسول الله صلى الله عليه وهجر ليلتهم ونهى الناس عن كلامهم وكانوا
مرتبطين بسواري مسجد المدينة فعلموا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب علينا ويغفر
لنا وهو قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعني اما ان يميتهم على ما هم عليه
بسبب تخلفهم وارتيابهم فيعذبهم واما ان يتوب عليهم يعني بما فعلوا فيغفر لهم
والله عليم يعني بما في قلوبهم حكيم يعني فيما يقضي عليهم
قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت في جماعة من المنافقين بنوا
مسجدا بقباء وهم بنو عمرو بن عوف وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وهم بنو نبتل وجارية
ابن جلد وبنو زيد وقد اخرج هذا المسجد ومتعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل
ابن الحرث وبجاد بن عثمان ومخرج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمومنين
وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا
فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي
بهم مجمع بن حارثة وكان شابا يقرا القران ولم يرد ما ارادوا ببنايه فلما فرغوا من بنايه اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي
العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي لنا فيه وتدعوا
بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا
فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انهم بنوا المسجد ضرارا
وكفرا وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل بناء هذا
المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملايكة وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية
ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جيت به
قال النبي صلى الله عليه وسلم جيت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جيت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا
طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد
قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم
حنين فلما انهزمت هوازن يبس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم
فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني ان ابا عمر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار
وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني ما اردنا ببنايه الا الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى
وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم لكاذبون يعني في قولهم وحلفهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه

فناتي

ان ياتي

أربعين مسجدا ثم دعا بقبيصة ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية واجعل
خبر مسجد الضرار وما فعلوا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن
بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه
واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف ومعهم وحشي فقال مالك بن الدخشم لمعن
انظروني حتى أخرج إليكم بنار فدخل إلى أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون
حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يتخذ هذا الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة وما أبو عامر الذي
بالشام غريبا وحيدا ذكر أن بني عامر بن عوف الذين بنوا مسجد قبا أتوا عمر بن الخطاب
بعد خلافته بما لهم إليا ذكر ليجمع بها زنتهم أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا
أليس بقبا مسجد الضرار فقال مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت فيه
وإني لا أعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا
شيوخا لا يقرؤون فصليت بهم ولا أحسبهم إلا أنهم مستغفرون الله والله أعلم ما به فبعث معه زيد
عمرو صدقة وأمره بالصلاة في مسجد قبا فقال عمر. يا فتى الله على عمر بن الخطاب الإصر
أمر المسلمين أن ينوا المساجد ولم آمرهم أن يبنوا بمرضع واحد مسجدين يضار أحدهما الآخر
وقوله تعالى لا تقم فيه أبدا قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار. لمسجد أسس على التقوى الذي فيه لا الابتداء
وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد أسس يعني بنو أصله ووضع أساسه على تقوى
الله عز وجل من أول يوم يعني من أول يوم وضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى أحق
أن تقوم فيه يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت
وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه
ما روي عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه
فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم
قال هذا مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم في رواية بمعناه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأن أقوم في مسجدي هذا أربعين صلاة في الجنة أخرجه النسائي وقوله رواتب يعني ثوابت يقال

وهو حشيا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن
جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال
يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل
قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء
فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع
الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة وروى البغوي من طريق ابي داود
مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون
ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على مسجد قبا
ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد
في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا
كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم
واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي
عن اسد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي
وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات
وهذا قول اكثر المفسرين قال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه البغوي وغيره
فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة
وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد احسن
عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا ان جيرانا من اليهود
رايناهم يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل
عنا اثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة

اهل

والترمذي

فضل

ذكره

الذنوب

من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه (الأول) أن التكفير من الذنوب هو المؤثر في الفرق بين الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله تعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بالتطهر والتعري بينهم والتكبر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك إلا لكونهم متبرئين من الكبر والمعاصي وهي الكفارة الباطنة الوجه الثالث أن الكفارة الظاهرة إنما تحصل لها أثر عند الله إذا حصلت الكفارة الباطنة من الكبر والمعاصي وقيل يحتمل أنه محمول على الأمرين يعني كفارة الباطن من الكبر والمعاصي والنفاق وكفارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء والله يحب المتطهرين فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضى منهم بما اختاروه لأنفسهم من المداومة على محبة الكفارة قوله تعالى أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني ظلت بناء المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى أن الباني لمثل هذا البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار. الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حرفه ومنه يقال استعفى على ذلك إذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف المكان الذي أكل الماء تحته فهو للسفوح قرب قال أبو عبيد الجرف هو الثقوة وما جرفه السيل من الأودية فتجرف بالماء فبقي وابقيه هار أي هاير وهو الهائك وهو هار يهور هورا وقيل هو هار يهار إذا انهد وسقط وهو الذي تداعى بعضه إثر بعض كما يهار الرمل والشيء الترخو فانهار به يعني سقط بالباني به نار جهنم والمعنى أن بناء هذا المسجد الضرار كبنائه على شفير جهنم ينحفر بانهاله فيهوي وبهذا مثل ربه الله المسجد بين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل أمن أسس بنيان دينه على قاعدة قويمة محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس بنيانه على ضعف الفواعد وأفلعها بنفاق وشبهاتها وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس بل على شفا جرف هار إذا كان كذلك أسرع المسقوط به في نار جهنم ولما أن البناء الأول قصد بناءه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والثاني قصد بناءه الكفر والنفاق وإضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكان عاقبته النار في جهنم قال ابن عباس رضي الله عنهما فما انتفع بناؤه حتى وقعه النار ولقد ذكر لنا أنه خرج بقعة منه فيها الدخان يخرج منه وقال جابر ابن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ما يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا

وبقاءها به فلو بيع والمعنى ان ذلك البيان صار سببا لحصول الى بيته فلو بيع كان الثمن بغير فرحوا
بثناء مسجد ع فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشخوصه ثقل ذلك عليهم واز دادوا غما وحزنا وبغضا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سببا الى بيته فلو بيع وقيل انهم كانوا يحسبون انهم
محسنون بناءه كما حسبوا العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشخوصه بقوا
بناكيرمرتابين لا يدرون امر بشخوصه وقال السدي لا يزال هذا بناءهم ريبة اي حيرة وغيظا في
قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل قلوبهم قطعا وتعرف اجزاءها بالسيف واما بالموت والمعنى ان
هذا البنيان باقية ريبته في قلوبهم الى ان يموتوا عليها والله عليم بمن باحوالهم واحوال جميع عباده
حكيم بمن فيما حكم به عليهم قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايع الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بايعوا بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز
ان يشتري الله شيئا بالحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل
ولهذا قال الحسن ابن شداد هو خلقها وهو الذي رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف
بالدعاء الى الطاعة والانقياد وذلك ان المراد اذا قاتل بسبيل الله حتى قتل او انفق ماله بسبيل الله
عوضه الله الجنة في الاخرة جزاء لما بذل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فمعنى
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بالاموال ما انفقوها في سبيل الله
وفي جميع وجوه البر والطاعات يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل في
معنى الآية فيقاتلون اعداء الله فيقتلون ويقتلون يعني يقتلون اعداء الله ويقتلون في طاعة
الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا من الله حقا في التوراة والانجيل
والقرآن يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله لهم مقدر في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما
اثبته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع
اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله فاستبشروا ببيعكم
ايها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك يعني هذا البيع هو الفوز العظيم لانه

(نخ الاخر)

رأيج الاخرة قال عمر بن الخطاب بارك الله لنا بعد وجعل الصفقة لك وقال الحسن
اسعروا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل موسر وقال عثمان قال الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر
الجنة بعضها وقال قتادة ثامنوا بما عاملتم فقوله تعالى التائبون قال العراء
استونف لبعض التائبون بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال التائبون رفع
بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الذين لهم الجنة ايضا يجاهدون غير منافقين ولا
فاصدين بالجهاد به الجنة ايضا وقد وعد الله تعالى بذلك حسن ما وعد بالجنة لجميع المؤمنين
كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول جعل الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين
الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله
ان الله اشترى من المؤمنين والمراد بالتفسير في قوله تعالى التائبون يعني تابوا من الشرك ذوبوا
من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فقد دخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي
لان بعض التائبين عن بعض دون بعض والكل واحد وانما تحصل التوبة المقبولة اذا تحصل
اربعة امور اولها اجتناب القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى
وثالثها العزم على ترك فعلها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان
الله وعبوديته فاذا كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص
في توبته العابدون يعني المخلصين لله الذين يؤدون عبادة الله الواجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا
بالعبادة على افضل وجوه التعظيم لله تعالى وهو ان تكون العبادة خالصة لله تعالى الحامدون
يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء
وقيل هم الذين يحمدون الله ويفوضون بشكرهم على جميع نعمه دنيا واخرى السائحون قال ابن مسعود
وابن عباس هم الصائمون قال شيخان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه الذات كلها
من الطعام والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض
منقطعة الزاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة
استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على ترك الطعام وترك الحيض
قال عكرمة السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن
مضعون قال قلت يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ذكر البغوي بغير سند وقال علامة السائحون هم طلبة العلم لأنهم يتنقلون من بلد إلى بلد به
كليه وقيل الصائمون لقوله ﷺ عليكم بالصوم فإنه تذهب البطر وتفسيراً خلافاً قال السائح
لا بد أن يبلغ النوائح من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها وبلغ العلماء والصابر في سياحته
يستفيد منها ويعود عليه بزيادة اليقين والعجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتعبر به ذلك يدله
على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته الراكعون الساجدون يعني المصلين وإنما عبر
عن الصلاة بالركوع والسجود لأنه معظم أركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي بخلاف
حالة القيام والقعود لأنهما حالة المصلي وغيره. الآمرون بالمعروف يعني بأمرون الناس بالإيمان بالله
وحده. والناهون عن المنكر يعني الناهون عن الشرك بالله وقيل أنهم يأمرون الناس بجميع أديانهم واتباع
الرشد والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وعمل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن أما أنهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا أعلم به ولم
ينتهوا عن المنكر حتى كانوا أشد انتهاء عنه وأما دخول الواو في والناهون عن المنكر فإن
العرب تعطف بالواو على الصفة ومنه قوله وثامنهم كلبهم وقوله صفة الجنة وفتحت
أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الثمانية الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التائبون رفعاً على قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله قال ابن عباس يعني القائمين بما عند الله
وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهي أوامره بتبعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله
المنتهون إلى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئاً من العمل الذي أمر به ولا يرتكبون محظوراً نهاهم
عنه. وبشر المؤمنين يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به إذا وفوا الله تعالى
بعهده فإنه وفى لهم بما وعدهم من دخول الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الأعمال
التسع ونصب قوله التائبون إلى آخر الآية بأن له الجنة وإنما نزل قوله عز وجل ما كان للنبي
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية أخطب أهل التفسير
به سبب نزول هذه الآية فقال في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووالد علي
رضي الله عنه كنا نرى أن الله وجد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه
الله عز وجل ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت
الوفاة أبا طالب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية

البغوي

التائبون
خبر
المنتقلون

ابن المغيرة فقال عمه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها
عليه ويعودان تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب
عنك وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل
الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي
طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين قلت
وقد استبعد بعض العلماء نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك من وجوه كثيرة
اولها الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من اواخر القرآن نزولا فقوله الذي نزلت في
قوله تعالى
ابي طالب انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في
الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية المانعة
من الاستغفار والله اعلم مراده وآثار كتابه ثم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقيه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى ما نزل الله انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء الاية وفي رواية قال لولا ان يعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع
لاقررت بها عينك فانزل الله الاية وفي عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ
كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارته وعن العباس رضي
الله عنه عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك
ويغضب له قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال
قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم
وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيحين وعن بريدة قال في النبي صلى الله
عليه وسلم مكة اتى قبر امه فامر حتى جلست الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروى البزار بسنده عن بريدة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم واكثر فقال انه قال قبر امي فجلس اليه فجعل يناجيه فطال ثم قام
مستبشرا فعلنا يا رسول الله انا رايناك ما صنعت قال ان استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فامرني بالبكاء فبكيت مرتين وحكى ابو المظفر عن

العمر للنبي صلى الله عليه وسلم
على ما نبين بعده

مريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف إليهم فقالوا ما بكاك فقال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين واستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا بكائي ثم دعا راحلته فركبها فما سار إلا قعيسيا حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية ثم عن ابن عباس قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي بهذا أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته بأن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عن ابن أبي ليلى أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ألا نستغفر لآبائنا الذين كانوا يجيرون الجار ويصلون الأرحام ويفكون العاني ويوفون بالذمم ألا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية ثم عذر الله إبراهيم فقال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أستغفر لإبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الحاكم وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أن ذلك لا يغفر لهم لأن المشركين مما يجوز أن يكتسب منه ما لا يعلم هل يغفر له أم لا فأما بعد ما علم أنه لا يغفر له فلا ينبغي الاستغفار للمشركين على ما يستوجبه الذنب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم يعني تبين لهم بما تواعد الله به أهل الجحيم وأيضا بعد قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما قوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه يعني وما كان استغفار إبراهيم لأبيه المشرك بالله إلا لأجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء إسلامه فلما علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أنزل الله خبر إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه

وهما مشركان

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وهما مشركان فقلت أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبويه
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة
في إبراهيم إلى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك يعني أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا
الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجاء أن يسلم فلما تبين
له أنه عدو لله تبرأ منه فعلى هذا الهاء في إياه راجعة لإبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك
أن أبا إبراهيم وعد إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي إذا أسلمت وقيل
إن الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه ويؤكد هذا
قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له
أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبان له أن أباه عدو لله يعني بموته على الكفر
تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل أن الله أوحى إلى إبراهيم أن أباه عدو له تبرأ منه وقيل لما
تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل
لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون
فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما
تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره
فيتبرأ منه يومئذ. القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت
ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والأنثى ذيخة وقوله تعالى إن إبراهيم لأواه حليم جاء
في الحديث أن الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الدعاء. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد
الأواه الموقن وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول أوه
من النار قبل أن ينفع أوه وقال عقبة بن عامر الأواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير
هو المسبح وعنه أنه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال
أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم
في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت يتنفس
الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه أن عند

BULAC

الحزن تخمد الروح داخل القلب ويشتد حزنها فالانسان يخرج ذلك النفس المحرق الذي في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة **واما الحليم** فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اذاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سأستغفر لك ربي **وقال ابن عباس الحليم السيد** واما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والتضرع على عباد الله فبشر الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ منه لما تضح له اصراره على الكفر بالله فتدبر والتمس به هذه الحالة ايضا **وقوله تعالى** وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يقول وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم للمشركين بعد اذ رفع العداية ووقع للابرار به ورسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع فخافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضار لهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما يأتون ويذرون وهو ان ينفذ البيع بالنهي عن ذلك الفعل فما قبل النهي فلا حرج عليه بعده **وقيل** ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل عز وجل هذه الاية يبين انه لا يؤاخذهم بفعل الا بعد ان يبين انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه **قال مجاهد** يبين الله للمؤمنين بهذا ترك الاستغفار للمشركين خاصة ويبين انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه عامة **وقال الضحاك** وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون **وقال** مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قد ماتوا على الدين صلى الله عليهم وسلم قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة فلما حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة وما علم لهم بذلك قد ماتوا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ومات اخوانا على ما انزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليضل عملهم فقد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ **ان الله بكل شيء عليم** يعني انه تعالى عليم بما كانوا يعملون من قبل ان يعلمهم ان الاستغفار للمشركين ويعلم ما يتقون لكم وما يأتون **ولله ملك السموات والارض** يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيدا **وملكه** لهم يميت بما يشاء يحيي ويميت يعني انه يحيي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

160

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. يعني أنه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم
وينصركم عليهم. قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية
تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه بإذنه للمنافقين بالتخلف
عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم أذنت فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب
يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فأن لله خمسه
ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي
صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله فأن لله خمسه وللرسول فهو تشريف له
وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار فلأجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة
تبوك لأنها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم إنا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا
بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية
وقيل إن الإنسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره إما من باب الصغائر وإما من باب الكبائر
ترك الأفضل ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه
وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لأجل ما تحملوه من
الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم
تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وأنهم قد بلغوا إلى الرتبة التي لأجلها ضم ذكر الرسول صلى الله
عليه وسلم إلى ذكرهم الذين اتبعوه في تلك الغزوة من المهاجرين والأنصار وقد ذكر بعض العلماء أن النبي
صلى الله عليه وسلم سار إلى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر
القبائل في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق
وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم
عسرة في الظهر والزاد والماء. قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم
يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير
المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ
التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة
من الماء كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم
ونيتهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أنا إن رفعنا نستفلح وحتى إن الرجل لينحر
بعيره فيعصر قرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، وحتى أن الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع
حتى يظن أن رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء
خيرا فادع الله فقال أتحب ذلك فقال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعها حتى قالت السماء
فأطلت ثم سكبت فملئوا ما معهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر أسند
البصر عن ذلك من بعد ما كاد أن يزيغ قلوب فريق منهم. يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن
الحق من شدة الجهد والشدة التي نالتهم وإلى يزيغ بالياء اللغة الأمالة وقيل معنى بعضهم أن يصار في
إلى صلى الله عليه وسلم عند ذلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم
فلما جاء ذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا يعني أنه علم الخلائق فيهم وصدق توبتهم فرزقهم
الإنابة والتوبة فإن قلت فقد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار
قلت إنه تعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب
بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما للشأن وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم
ثم أتبعه بقوله إنه بهم رؤوف رحيم. تأكيد لذلك ومعنى الرأفة به صفة الله تعالى أنه الرحيم
بعباده لأنه لم يخلقهم إلا لصيغوره إلى نعيم الجنان وتيسير الرؤوف والرحيم هو الرؤوف للضعيف والمتقارب به
المعنى قال الحكماء قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون إلا مع الكراهة فقوله
تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وإنما وقع هذا العطف بهذا لقبول توبتهم ووقع كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لأمر
الله وبمعنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم
يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة
ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم خلفوا عن غزوة تبوك وما تخلفوا جوامع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عمر بن شهاب الزهري
قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك بن عبد الله بن كعب كان قائد كعب من بنيه
حين عمي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

161

قد

صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب
احدا تخلف بها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى
جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت اذكر في الناس وكان
من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين
تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلى
للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجهته التي يريد والمسلمون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب
الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة
حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت
اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى
بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي
شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت
ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء
ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك
فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل
بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما
هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا
هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب
فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني شيء فطفقت اتذكر
الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى علمت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه

اي تكلم الناس فيه بالنفاق

BULAC

اللهم لا عذر ولا عذر
على من لا يعذر

وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نحن ركبنا فاذا نحن ركبنا بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم
جلس للناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة
وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت
فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك
ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت أن
سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم
حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديثا صدق تجد علي
فيه انا لأرجو فيه عفبى الله وبه رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط
أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق
فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك
أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت ألا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر
اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا
يؤنبونني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم
هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت
من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا
بدرا فيهما أسوة ومضيت حين ذكروهما لي فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها
الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض
فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما
يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق
ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي
هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي
وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار
حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت
يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت له فناشدته
فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار

فمشيت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فبينما انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه
بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع
الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه
ايضا من البلاء فيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستكبت
الوحي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل
امرأتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل فقال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الي صاحبي
مثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال
فجاءت امرأة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية
شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به
من حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال بعض اهلي لو
استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد اذن لامرأة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت
لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة
من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلوة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما
انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت
سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلا صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت
ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا
حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي
فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي
سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه بشارته والله ما املك غيرهما يومئذ
واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اؤمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا
فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني والله
ما تلقاني رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله

فانه

رسول رسول الله الخ

اي اشرف

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال
قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله
عليه إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال فلما
جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فإني أمسك
سهمي الذي قال وقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث
إلا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي قال فأنزل الله عز وجل لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة حتى بلغ إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة
الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال
كعب والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هديني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا إن الله عز وجل قال للذين كذبوا حين
أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم
لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يحلفون لكم لترضوا عنهم
فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر
أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجى
رسول الله أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر له
وفي رواية نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين
غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر ما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي
علي النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني
أحد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث
الآخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في أمري وشأني
معتنية بأمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل إليه

العسرة

يكسبون

أن

فأبشره

ما بقي فقال اذا يكفيكم الله فمضوا معه حتى اذا صار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رسول صلاة العصر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك الله علينا اخرجه البخاري ومسلم **شرح** غريب هذا الحديث **قوله** حبر تهم اثقلنا عن السير التواشق تباطؤ المشاة وهو العقد والراحلة الجمل او الناقة القوية على الحمل والسير **وقوله** وزى بغيرها يقال وزى عن الشيء اذا نحاه واضمر غيره والمعازي البئر القبر سميت بذلك تفاؤلا بالعز والنجوة منها **قوله** فحلا هو بالتخفيف يعني كشف له مفصد ع واضمر له والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر **قوله** وانا لها اضمر هو بالعين المهملة اي اميل والضمر الميل **قوله** وتبارك الغزو اي تباعدا بين وبين الجيش من السآمة وكعس مثل جعل والمغموز العيب المشار اليه بالعيب يقال فلان يغمز بكذا اذا كان معيبا بفعله يقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خياله رابغ والسراب هو ما يظهر للناس في البرية وقت الهاجرة كانه ماء والمتبيض بكسر الباء اللابس البياض كرر ابا خثيمة معناه انك ابو خثيمة وقيل معناه اللهم اجعله ابا خثيمة ليوجد هذا الشخص ابا خثيمة حقيقة الى آخره كالمتابعة يعني عابرو واحتقروه والقافل الراجع من سفره الوكف حضرني بيت البث اشد الحزن كانه لشدته يضعف بثه صاحبه او يضعفه زاح عن الباطل اي زال وذهب عني اجمعت صدقة اي عزمت عليه ولقد اعلمت جدا اي قحامة وقوة بالكلاكل يعني اخرج عن عهدة ما ردت بالشاة الكلاكل والغضب بفتح الضاد هو الغضبا **قوله** فجاز الوثوب اي يلبزون اشد اللبز ..... **قوله** حتى تنكرت بعني الارض لنا هو بالارض التي اعرفها معناه تغيرت عن حالتها والارض توحشت عملت وصارت كانها ارض لا اعرف بها **وقوله** ما ما حبال قد استكانا يعني خضعا وسكنا **قوله** تنورتها ايك اي فتاة اي علوته وصعدت ثور وهو اعلاه والاكام الجلاحور والزراجون وهو العظم او الورم والمضيعة بمعنى الضياع والاكراح **قوله** بتيماء مثل بها التنور فسجرتها اي قصدت بالصيحة التي ارسل بها حتى عثار فاحرقها بالنور ويقال جبل بالمدينة معروف **وقوله** ما كلفت اتأم يعني افتقر رسول الله صلى الله عليه وسلم والبوح الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور **قوله** اتخلع رسالة اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه **قوله** ما علمت احدا من المسلمين ابتلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير والشر

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

كذا

بما ذا الكلي كما يقع الشر غالبا بما ذا أريد به الخير فيد كما قيد بعضا بقوله احسن مما أبان أي انع
عل قوله ألا أخبركم بشر بعد هذا هو جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال العلماء
لفظة لا زايدة ومعناه ألا أخبركم بشر بعد هذا هو بفتح اللام وارجاء أمرنا تأخير
وقوله في الرواية الاخرى يحكم الناس بعضهم ببعض ويرحمون عليهم وأصل الوحل الكفر وقوله
سايرتا الليل يعني بات في الليل وقوله أذنب ذنبا عظيما أي عظيما والله أعلم
وقوله عز وجل حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت يعني بما اتسعت والرحب سعة
المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد أن كان واسعا وضاقت عليهم أنفسهم يعني نفوسهم
الهم والحزن ومجانبة الناس إياهم وزال كلامهم وظنوا يعني وأيقنوا وعلموا أن لا ملجأ يعني للمعرج
ولا مفر بالهمز ألا إليه وما هم معذبه إلا هو ثم تاب عليهم فيه إضمار وحذف تقديره وظنوا
أن لا ملجأ من الله إلا إليه فرجعهم ثم تاب عليهم وإنما ذكر بعد الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله
ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لئلا يقنط ذكر توبتهم بقوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا
كما تقدم بيانه وأنه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وتاب الله
على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه أن الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم
إلى التوبة في المستقبل ويجدوا عليها وقيل إن أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم
ليرجعوا إلى حالهم الأول وعادتهم في الاشتغال بالناس ومكالمتهم بتكسير بعضهم بذلك إن الله
هو التواب يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على أن التوبة بمحض الرحمة والكرم
والفضل والاحسان وأنه لا يجب على الله تعالى شيء وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله يعني بعد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين عن النبي في الذين قعدوا به البيوت وتركوا
الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني أبا بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال
ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى تبوك وأخلصت نيته وقيل كونوا مع الذين صدقوا بالاعتراف بالذنب وابعثوا رواياته الاعذار
الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لأن الصدق يهدي إلى الجنة والكذب إلى الفجور
كما ورد به الحديث وقال ابن عباس الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئا
ثم لا ينجز له أفرأيتم ومن نوادر الصادقين قد روي أن أبا بكر الصديق احتج على الأنصار

بقية الآية

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

164

بهذه الآية في يوم السقيفة وذلك أن الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر
يا معشر الأنصار إن الله تعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون
من هم قالت الأنصار أنتم هم فقال أبو بكر إن الله تعالى يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الأمراء
وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين
قوله تعالى ما كان لأهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين والأنصار ومن حولهم
من الأعراب يعني سكان البوادي مزينة وجهينة وأشجع وغفار وقيل هو عام
في كل الأعراب لأن اللفظ عام وحمله على العموم أولى أن يتخلفوا عن رسول الله يعني إذا غزا وهذا
خبر ومعناه النهي أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا يعني ولا أن يرغبوا
بأنفسهم عن نفسه يعني ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه
لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة
والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومكابدة التعب ذلك بأنهم لا يصيبهم في غزواتهم وسفرهم ظمأ
أي عطش ولا نصب أي تعب ولا مخمصة أي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطئون موطئا
يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما على الأرض يكون ذلك القدم سببا لتغيظ الكفار وغمهم وحزنهم
ولا ينالون من عدو نيلا يعني إسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة ونحو ذلك قليلا كان أو كثيرا إلا كتب لهم
به عمل صالح يعني إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم إن الله لا يضيع
أجر المحسنين يعني إن الله لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه
أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفيه دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه
وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة له عند الله وكذا القول في قصد
المعصية فإن حركته فيها كلها سيئات إلا أن يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء
في حكم هذه الآية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد
أن يتخلف عنه إلا بعذر فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن
للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن
العزيز يقولون في هذه الآية إنها لأول هذه الأمة وآخرها فعلى هذا تكون الآية محكمة لم تنسخ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وقال ابن زيد هذا خير كان أهل الأرض قبلنا بدأ كثروا نصرهم الله عز وجل وأباح الغنائم لهم بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونفل الواحدي عن عكرمة أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا وأمرهم قال الواحدي وهذا هو الصحيح لأنه تتعين الكافة والإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استنفرهم غير الأئمة والولاة إذا ندبوا وعينوا لأنا لو سوغنا التدوب بأن يتقاعد كل واحد بعضو لم يتخلص بذلك بعض دون بعض لأن في ذلك تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى عمامة تسوى ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه إلا كتب لهم يعني إلا كتب الله لهم آثار وخطاهم ونفقاتهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه بأحسن ما كانوا يعملون قال العلماء بحر الدين فيه وجهان الأول أن الأحسن صفة بعض أعمالهم وهو الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني أن الأحسن صفة الجزاء أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وهو أجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه أحسن أعمال العباد وعن سعد بن سعيد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ومقام أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها وإن روحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما يعدل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم وللبخاري معناه وعن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار وعن أبي هريرة أن رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فقال رجل منهم يا رسول الله أبايعك على الله وتصديق ما وعدك فما يشفعه وزيد
وروشه وتوله ميزانه يوم القيامة يعني حسنات م عن ابن مسعود الأنصاري البدري قال
جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا يا رسول الله فقال رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ع عن جرير
ابن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم نعمة على رسول الله كنت له سبعمائة
ضعف أخرجه النسائي وذكره النسائي قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية
قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن
رسول الله فكان شق عليهم فأنزل الله تعالى فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة
قال ابن عباس إنها ليست بالجهاد ولكنها دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين
أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالأسواق
ويبيعوا ويشتروا فيصيبوا من الطعام ويقولوا قد قدم الناس فاشتروا منهم فأنزل الله عز وجل يخبر
نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذر
قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس
أنه قال كان يأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم العصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من
أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا
عما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله
ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا إذا أتوا إلى قومهم نادوا من أسلم فهو منا وينذرونهم
حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يجتمع عليه
من أمر الدين وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم ويدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم
بالجنة وقال مجاهد إنا سألنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين خرجوا إلى العراق فأصابوا الناس معروفا
والخصب ما يتعجبون به ودعوا لمن وجدوا من الناس بالعدل وقال الناس لهم ما أكرم الأوفد كنتم أصحابنا
وجئتمونا بوجد وأبا نعيم وأقبلوا تعلمنا الدين حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله
عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يشعرون الخبر وفقد طائفة ليتفقهوا وليسمعوا
ما أنزل الله وليبلغوا قومهم الناس إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المؤمنون
ينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة

العلم للحر وصلى الله
على سيدنا محمد

يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد تركن بعدهم فمن يعلم القاعدون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمنا فيمكث السرايا
يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخر وقد نزل قوله فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين يقول
ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نعل هذه الاية الواو الكلمة
الكبرى واما تفسير الاية فيستقيم بالحال التي كان عليها المسلمون متى ما انفلق لهم بالجهاد بعض الاحتمال الاول
فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو يتخلف عنه المنافقون او طائفة عذر فلما بلغهم
الله به الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم به فجعلوا يعتذرون بالتخلف عن رسول الله
الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا تفرد
المسلمون جميعا الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت بعذر الاية فيكون المعنى ما كان
ما كان ينبغي للمومنين ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب
ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافة ينفرون الى الجهاد فلان ذلك
الوقت كان الحاجة داعية الى نفير الكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم
لتعلم العلم والتفقه في الدين للاحكام والشرايع كما تجدد شيئا بعد شيء فالملازمون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون ما نزل من احكام وتجدد الشرايع فاذا فني الغزاة اخبروهم بذلك
فيكون معنى الاية وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد وقعد
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه
صفة الطائفة النافرة فان العسكر ينتظره الذين خرجوا ما يربهم الله من الظهور على المشركين
والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الطرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله
لهم على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الجنة الغلبة
قد غلبت جمعا كثيرا اذا رجعوا الى ذلك النفير الذي فرقهم الكبار انذروهم بما شاهدوا من دلايل النصر
والغلبة والظفر لعلهم يحذرون ويتركوا البقر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد
جهادا في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله تعالى ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان
ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك في فضائل الدين وقيل الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام
مبتدا لا تعلق لها بالجهاد وهو ما ذكرناه عن ابن عباس ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

خرجوا الى البوادي

خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا وذكروا مروجا وان الناس الى العدد فقال الناس لهم
ما نرى الوفد نرجع صاحبكم وجئتمونا فوجدوا انفسهم مذلة خرجنا فاقبلوا لتلهم راشدين
حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر وانزل الله هذه الاية والمعنى فهلا نفر من كل فرقة
كما بعد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين وليبلغوا ذلك الى النائرين لينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون يعني بامر الله ونهيه اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان
يكون المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق الى الله وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم
فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه
وتعلم العلم لكسب الدنيا كان من الخاسرين اعمالا الاية ق عن معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن تزال امر هذه
الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يامر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ع عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه
الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها
وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح
ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية
فمن فرض العين احكام الصلوة والصوم ونحوهما على كل مكلف معرفة ذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجنس
على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكوة اذا حال له مال تجب فيه مثله
الزكوة وعلم الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ
رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا تعدد اهل بلد في تعلمه عصوا جميعا واذا قام به رجل بكل
واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث
ع ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة كلهم ضامن على الله من خرج في طلب العلم
فهو في ضمان الله حتى يرجع اخرجه الترمذي ع انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم
فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي ع عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اخرجه ابو داود الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس
بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة
العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم
يدعى عظيما في ملكوت السماء اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل
من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا
بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها
وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم
هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امروا بقتال اهل
الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية
قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين
كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد
فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور
ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انقلب الى غزو في الشام فكان فتح
الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب
تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة
والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصر
قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله
سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته يعني نزول السورة
ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول المنافقون ذلك استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون
لبعض المؤمنين فقال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة
من الله ومعنى الزيادة ضم الشيء الى جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا اقروا بنزول سورة
من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد
تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المؤمنين يفرحون
بنزول القرآن شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة

الذين

الروم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى
وأما الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج
الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول السورة من القرآن رجسا
الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول سورة او استهزؤوا بها ازدادوا كفرا
الى كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر
وماتوا يعني هؤلاء المنافقين وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله
عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين
من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو كمظلة بيضاء
في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو
كمظلة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله
لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله
تعالى أولا يرون قرئ بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله
وأما الذين في قلوبهم مرض أنهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض والشدائد
وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفضحون باظهار نفاقهم وقيل
انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في الصلوة مرة او مرتين ثم
لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون
من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم
نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة هل يريكم من احد يعني هل
احد من المؤمنين يريكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم
اقاموا ولبثوا على تلك الحال ثم انصرفوا يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا
عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم
الله مجازاة على فعلهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شيئا فيه نفعهم
قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم ايها العرب
رسول من انفسكم تعرفون نسبه وجنسه وانه ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال ابن
عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد

اقبح

في السنة

BULAC

العلم للخبر وصل الله وسلم
على من لا نبي بعده

لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية فقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرجت من نكاح ولم اخرج
من سفاح هكذا ذكره الكبير وذكر البغوي باسناده عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا من نكاح كنكاح اهل الاسلام قال
قتادة جعله الله نقيا مما يعيبه ويعاب عليه مما كان عليه اهل الجاهلية من الدعارة والكرامة قال بعض العلماء بتدبر
قول ابن عباس ليس قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم بعض مضر بعضا وربيعة وبينهما
ما ما ربيعة ومضر هم ولد معد بن عدنان واليه ينتسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عهد اليمن
وهو الهمسكنة فان امنة لما انتسبت الى الانصار وانما هاشم قريش والانصار اصلهم من عهد اليمن ولد قحطان
ان سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم اي غير العرب نصرة
والايواء لما شرفهم بشرف نبيه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم تعرفون نسبه بالصدق
والصيانة والعفاف والكرم والنسب والاخلاق الحميدة وقيل ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء
ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت
من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك
كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم
وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم على تحقيره على العرب
اول ليكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم يا بعض الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشرا مثلكم
اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوة البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى عزيز عليه
ما عنتم اي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم حريص عليكم يعني حريص
على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هداكم وان يهديكم الله بالمؤمنين رؤف
رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤوف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي رؤف رحيم اسمان لله

(رؤف رحيم

رؤوف رحيم فقال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤوفا رحيما وقال بالمؤمنين رؤوف رحيم قوله تعالى فان تولوا يعني فان اعرضوا عما دعوتهم اليه الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله فقل حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرني عليهم لا اله الا هو عليه توكلت يعني لا على غيره وبه وثقت ورب العرش العظيم انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه بالذكر فيكون المعنى ورب العرش وما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال نزلت الايات لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال آخر ما انزل القرآن عهدا بالله هذه الايات لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة والله اعلم تفسير سورة يونس عليه السلام نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي قوله ما كنت به وقد مما انزلنا اليك الى آخر ثلاث ايات فانه ازل بالمدينة وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت بالمدينة فوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهما قوله فلعلك بعض الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف ومائتان واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسع مائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل البر قال ابن عباس وقتادة معناه انا الله اري وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه البر وجميع ما نزل من حروف الهجاء مقطعة وبعضها قال سعيد بن جبير وسلام بن عبد الله وقال قتادة البر اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية تلك آيات الكتاب يعني الدلالات تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات القرآن الكتاب وهو القرآن الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله وعد ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهر وقيل ان لفظ تلك اشارة الى ما تقدم في هذه السورة من ايات القرآن والمعنى ان تلك الايات هي ايات الكتاب الحكيم وقيل قول آخر ان المراد بايات الكتاب الكتب التي قبل القرآن كما روي عن قتادة وذر عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة مذكورة في تلك الكتب وهذا وان كان له وجه بعيد ضعيف لان التوراة والانجيل لم يخبرا بما ذكر قريبا حتى يشار اليها وقيل المراد من الايات

هذه السورة
حقه هنا الاستفاد الباء
ويكون المعنى ما تقدم على هذه السورة من الانزال
ويقوي هذا المعنى آخر الاية المذكورة بعقبة في مخلصة كبيشة
الاصل والله اعلم

BULAC

العمر للحجر وصل الله
على سيدنا محمد

حروف التهجي. الم منها آلر سميت. آيات للمتوسمين افتتاح السور وسر القرآن الحكيم.
بمعنى المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام. فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم
فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل
حكيم بمعنى المحكم بفعيل بمعنى مفعول قال الحسن محكم بالعدل والاحسان وآيات ذو القربى
وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب من حيث انه يدل على الاحكام صار كانه
هو الحكيم به نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا. سبب نزول هذه الآية قال
ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك وانكر منهم
وقال المشركون لله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبا اوحينا
الى رجل منهم وقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والهمزة في اكان همزة استفهام ومعناه الانكار
والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان
من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء.
ولهذا قال بعض الحكماء. العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس اهل مكة وبالرجل
محمد صلى الله عليه وسلم. منهم. يعني من اهل مكة من قريش بعضهم بنسبة وصدقه وامانته
ان انذر الناس يعني خوفهم بعذاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف
كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس
اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثوابا صدقا وقال مجاهد الاعمال الصالحة
صلاتهم وتسبيحهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون
عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال تشفع لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح
المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم
منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة
الاولى وجب المصير والباء في هذه الاضافة الشيء على زيادة الفضل ومدح القدم
لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله مقعد صدق ومدخل صدق
وقال ابو عبيدة كل سابقة بخير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام
وقدم في الخير ولفلان عند قدم صدق وقدم سوء. قال حسان بن ثابت.

لنا الغدر

169

لنا الغد الغلبا اليط وخلفنا . لاولنا به كما عنه الله تابع . وقال الليث وابو العيثم
الغد السابغة والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة
واف امرؤا راحل بيت ذو ابة لهم غد معروفة ومجاذر والسبب
بالكلاف الغد على هذا المعنى ان الشعر والسبق لا يحصل الا بالغد فسمي السبب باسم المسبب
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة
لك غدوة لا ينبغي الناس اهلها مع المكتب العادي كمتا على البحر معناه لك سابغة عظيمة
لا ينبغي لها الناس وقال اخر حتى اذا العرش واتخذ قدما بنجد يوم العشار والى لين
وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لساحر مبين وقرئ لما حر مبين وفيه حذف تقديره
اكان للناس عجبا اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما تابع بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر
احد من البشر على مثلها وسمى السحر ما نبه عنوانه الذي انزل عليه وانما نسبوه الى السحر
لما فيه الاخبار بالبعث والنشور وما انكروه لذلك قوله عز وجل ان ربكم الله الذي
خلق السموت والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسيرها في سورة الاعراف
مفتقض بما فيه بما اغنى وقوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير
تنزيل الامور في مراتبها على حكمته وقوله فيها وقيل انه تعالى يقضي وينفذ على حسب الحكمة
وهو النصر في ادبار الامور وعواقبها ليأيد خلقه الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى
يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموت والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي
السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع
عنده شافع يوم القيامة الا بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه على يصالح عباده ويوضع
الصواب والحكمة في تدبيره فلا يجوز لاحد ان يسئله ما لم يأذن له به علم اذا اذن له في الشفاعة
كان له ان يشفع فيمن اذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم
عند الله يوم القيامة فاخبر الله انه لا يشفع احد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق في جميع
العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبر امرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه فاعبدوه
ايها الناس واجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة لما انعم عليكم من النعم العظيمة افلا تذكرون
يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا. يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا
ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع. وعد الله حقا. يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا
انه يبدؤا الخلق ثم يعيده. اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا بمعنى قول مجاهد
فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد
وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء
المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلا فيركب تلك الاجزاء المتقدمة
تركيبا ثانيا ويخلق الانسان مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع
تعلقها بالبدن مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه
ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط. يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيء والذين كفروا لهم شراب من حميم. هو ماء حار قد
انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء يعني ذات
ضياء والقمر نورا ذا نور واختلف العلماء اصحاب الكلام في ان الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم
او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم
لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانه اقوى واكمل من النور
وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يفرق الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء
المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس
والقمر والمعنى وقدر لهما منازل ووقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها
وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز واكتفى بذكر احدهما دون الاخر فهو كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف
انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة
المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة
وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة
والطرف والجبهة والدبرة والصرفة والسماك والعوا والغفر والزبانا والقلب
والاكليل والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود
وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر

والصرفة

اعني

170

وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلة منها الى انقضاء ثمانية
وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين او ثلاثا ثم يرى الهلال ليلة تسعا وعشرين ختى ليلة واحدة
ليتعلموا عدد السنين والحساب يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت
دخولها وانفصالها والحساب يعني وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات وتفاوتها
وزيادتها وما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للحق والاظهار قدرته ودلايل وحدانيته
ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات لقوم يعلمون يعني يبين دلايل التوحيد بالبراهين
القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق
في السموات والارض لايات لقوم يتقون تخشى تغيير هذه الايات فتاهر ها ان الذين لا يرجون
لقاءنا يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فيثيبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى
الخوف تقول العرب مالك لا ترجو لله وقارا يعني لا تخافون منه وقوله تعالى مالكم لا ترجون لله
وقارا ومنه قول ابي ذؤيب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها يعني لم يخف
والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون ثوابنا ورضوا بالحيوة الدنيا يعني اختاروها
وعملوا بكسبها مع اضمار بينة الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مكبين
عليها وهذه الصفة التي حصلت في قلوب الكفار تميل الى الدنيا ولذاتها فزالت عن قلوبهم
الوجل والخوف باذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون
قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن ايات شاء يعني عن محمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن غافلون لا يتدبرونه ولا يعتبرون بما فيه من الزواجر والمواعظ
اي معرضون
فاولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة
قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم
الى الجنة ثوابا لهم بايمانهم اعمالهم الصالحة وقال يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به
وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت
فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار
وقال ابن عباس يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية خطابا يصورها لهم ويصابر بشرهم
بها قلوبهم وينزل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى يثيبهم على الهداية وقيل

الحمد لله حمدا وصلى الله على
رسوله النبي محمد

معنى بما تأتيهم بهديهم ربهم لديه اي بتصديقهم هديهم بخبر من تحتهم الانهار
يعني يسرا يديهم ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم بنحو قوله فتح لهم باب تحتهم
سربا ثم يرد به انه تحتها ومن قاعدتها عليه بل اراد بيديها وقيل تجري من امرهم
في جنات النعيم يعني ذلك في جنات النعيم دعويهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل
الدعوى بمعنى الدعاء اي ادعاؤهم فيها سبحانك اللهم ونص حكمة تنزيه الله عن سوء ونقيصة
قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم بالدعاء فاذا اراد واحد الدعاء قالوا
سبحانك اللهم فيأتوه بالوقت بما يشتهون على المواعيد كل مائدة ميل على مائدة سبعون الفا صحيفة
في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما انعم
بذلك قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم
اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو اهله وبهذا
الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتفلون
ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد
كما يلهمون التنفس وفي رواية التسبيح والحديث اخرجه مسلم قوله جشاء يخرج ذلك الطعام
جشاء وعرق قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل
تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام واخر دعويهم ان الحمد لله
رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة
بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء
واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فيرفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج انما الله ان اهل
الجنة يجدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم
بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكره الحديث قوله تعالى ولو يعجل
الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس استجابة دعائهم بالشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه بهم
او سأل فقال ابن عباس هذا قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك فيكم وقال
قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله ما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير
يعني كما يستعجلهم بالخير وكما يجوز ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير فقضى اليهم اجلهم

تم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

يعني لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب
العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم
بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو اجابهم الله اذا
دعوه بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم
ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان
هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال
والولد لعجل قضاء اجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم
يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل
واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر
دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قائما يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك
عن احدى هذه الحالات الثلاثة والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان
ينكشف ضره سواء كان مضطجعا او قاعدا او قائما قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى
اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر
الدعاء الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به
من الضر ودفعناه عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر كان لم يدعنا فيه حذف
تقديره كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف الى ضر مسه والمعنى انه استمر
على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر كذلك
زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين
والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف شاء وقيل المزين
هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحائر
والسوائب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المعصية وترك الشكر عند الرخاء وقيل
كما زين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية وهو ان الانسان
قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء
والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا
كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الضعيف الغافل
اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء
كثير التضرع والدعاء في اوقات الراحة والرفاهية وها هنا مقام اعلى من هذا وهو ان المؤمن
اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا
لله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم
في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها
عنه فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يعني اهلكنا القرون الماضية من قبلكم
يخوف بذلك كفار مكة لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني
فكذبوهم فما كانوا ليؤمنوا يعني هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاءوا به من عند الله كذلك
نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم الماضية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها
المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خليفة في الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة
الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفاء في الارض من بعد
القرون الماضية الذين اهلكناهم لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم
والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني
معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى اظهارا للعدل لانه تعالى يعامل العباد
معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره
الواحدي والرازي م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة
وان الله يستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء اخرجه مسلم قوله
فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله عز وجل واذا تتلى

عليهم

المصيبة

صبره على

112

عليهم ايانا بينات. يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين ايات كتابنا التي انزلناها البديا محمد بينات: يعني واضحة تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك. قال الذين لا يرجون لقاءنا: يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقرآن غير هذا او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة وبكر بن حبيب وعمرو بن عبد الله بن ربيعة العامري والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فاتنا بقرآن ليس فيه ذكر عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها واما ان ينزله الله عليك فنحن لا نقدر ان نبدله من عند نفسك او بدله بما جعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الماوردي مجرد الامر بالاتيان بقرآن غير الكتاب المعلوم على هذا الا لتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو مرجح لو قلنا بقرآن غير هذا القرآن او بدله لانه لا مناسبة وغرض السخرية والاستهزاء. الثاني انهم لم يقولوا ذلك على سبيل التجربة والاختبار حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كذاب بأي قوله ان هذا القرآن ليس عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا او بدله يحتمل ان يأتي بقرآن اخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجود، وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما كان، ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيئهم بقوله قل ايا قل يا محمد لهؤلاء ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي. يعني ان هذا الذي كلفتموني من التبديل ليس الي ولا ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولا اوثره. ان اتبع الا ما يوحى الي يعني فيما امرني به وانهاني عنه وما اخبرني الله به ان الخ. اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلت بعضه عذاب يوم عظيم يعني يوم القيامة وانما وصف اليوم بالعظم لكثرة ما فيه من انواع العذاب قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن او تبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم. يعني لو شاء الله ما انزل علي هذا القرآن او ما امرني بقراءته عليكم ولا اداركم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به قيل ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به. فقد لبثت فيكم عمرا من قبله. يعني فقد مكثت فيكم قبل ان آتيكم بهذا القرآن اربعين سنة. افلا تعقلون. وجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين
جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام
والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغاء عن معارضته
فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه
وهو قوله افلا تعقلون يعني ان هذا القرآن من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ف
عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة فمكث ثلاث عشرة
سنة ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي
وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمسة عشر سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين او ثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة
عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين ف عن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين م عن انس قال توفي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة وعمر وهو ابن ثلاث
وستين سنة اخرجه مسلم ف عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر
اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط رجل انزل عليه
وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشر سنين
ثم توفاه الله على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه
في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات
احداها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة
والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث انس
وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه
فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وتركوا الكسر ورواية الخمس متاولة ايضا وحصل
فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني
نور الملائكة او نور ايات الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل

القرآن

وقوله

وقوله ليس بالابيض الا مفوف المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو
كريه المنكر ورد توهم انه ابرص والمراد انه كان في غير اللون لون البياض والصفرة
قوله عز وجل ام كلم مراكم افترى على الله كذبا يعني ان عم ان لله شريكا وولدا والمعنى أنى
لم افتر على الله كذبا وان الكذب عليه قوله ان هذا الا افتراء عند الله واتم فداقترتم على الله
الكذب فزعمتم أن له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا
القرآن لو لم يكن من عند الله لكان احدث الدنيا كلم على نفسه من حيث افترى على الله
وان كان هذا القرآن من عند الله اولا، الوجب ان يقال ليس احد اجهل
ولا اكلم على نفسه منكم من حيث انكم ان تكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته
وهو قوله او كذب بآياته يعني بعد ان يكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد
انه لا يعلم الغيب يعني المشركين وهذا وعيد وتهديد لما سبق ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم يعني ويعبدون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها
ولا تنفعهم ان عبدوها ولا تشفع لهم ان عبدوها شفعاء وجماد لا تضر ولا تنفع ولا العبادة
اعظم انواع التعظيم ولا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة
لا تضر ولا تنفع ويقولون هؤلاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله قال
اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشبه تعظيم الله وعبادته اياه، وقالوا لنا سبابا هل ان نعبد
الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفعاء لنا عند الله ومنه قوله
اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذه الشفاعة قولان احدهما ان نعم
بن عمر انها تشفع لهم في الدنيا (الثاني) قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني أنها تشفع لهم في الدنيا
في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قل اي قل يا محمد
أتنبئون الله بما لا يعلم في السموت ولا في الارض يعني أتخبرون الله أن له شريكا ولا يعلم الله
لنفسه شريكا في السموت ولا في الارض وهذا على كلا القولين والمقصود نفي علم الله بذلك
الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب
ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف حال الانسان اذا اراد نفي شيء يختص بنفسه
يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل منه ذلك الشيء فكيف والامر فوق سبحانه وتعالى
عما يشركون ثم ان الله تعالى بعد ان نزه نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شيء في السموت

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

والاخرون لا يعلمهم **قوله تعالى** وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا يعني تفرقوا الى مجوسي ويهودي يعني كانوا مجتمعا على الدين الحق ومعدودين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا **وقيل** بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا **وقيل** انهم كانوا على دين الاسلام قبل خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك **وقيل** كانوا على الاسلام وعهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة **وقيل** كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله في سورة البقرة فبعث الله النبيين وتقرير انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد مع انهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم بعد تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **وقيل** كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا امما واحدا وكفى بعضهم فوقه دليل من خارج **وقيل** انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان والاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام **قوله تعالى** ولولا كلمة سبقت من ربك يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل فالكلمة هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب لقضى بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك قضاء بينهم فيما فيه يختلفون **وقال** الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت به حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه في الثواب والعقاب في يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل بجعل موعدهم يوم القيامة **وقيل** سبق من الله انه لا يأخذ احدا الا بإقامة الحجة عليهم **وقيل** الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا **ويقولون** يعني كفار مكة **لولا** انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات **فقل** اي قل لهم يا محمد انما الغيب لله يعني ان الذي سألتموه من امر الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى تنزل الاية الا هو فانتظروا يعني تزولها ان معكم من المنتظرين **وقيل** معناه فانتظروا

قضاء الله

فضا. الله بيننا بالظهار المحمي على البخيل انه معكم من المشكرين **قوله عز وجل** واذا اذقنا الناس رحمة. يعني رخاء ونعمة من بعد ضراء مستهم. يعني من بعد شدة وبلاء وضيق به العيش اصابهم والمراد بالناس بعضهم كعاد ومكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى خصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والبغي والمكر وهو **قوله تعالى** اذا لهم مكر في. ايا شا **قال** مجاهد اذا تكذيب واستهزاء **وقال** مقاتل بركبان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا **ويدل** على صحة هذا القول **ما روى** عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب اخرجاه بالصحيح **قوله** على اثر سماء. اي مطر كان فدوفع به الليل وبقي المطر سماء. لانه يكف من السماء. **وكانوا** عند العرب هو منازل القمر اذا كان في نجم منها سقط نجم وطلع نجم كانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر او ريح كائن من النجم وايضا كان العرب يجعل ذلك التاثير للكائن لانه نقاد يظهر وكان منه بنفسه للغار فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم جاعل ذلك التاثير واما من جعله دليلا يعرف به الدلالة واما اسند ذلك الى العادة التي يجوز اخر امطار بعد كعرف فيه وجوده فيه. **ومنه** من تاول الكوكب بمعنى نعمة والله اعلم **وتجعلون** رزقكم بدل شكركم بآيات الله مكرا كان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان بعض مكة يحتالون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد. **قل الله** اسرع مكرا. اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء. **وان عذابه** يهلاككم اسرع اليكم مما يلتمسون منكم في دفع المطر وقيل ما يلوا نعمة الله بالكفر فانه مكر بهم اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة. **ان رسلنا** يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يقتصوا منها ويجزوا على مكرهم **قوله تعالى** هو الذي يسيركم في البر والبحر. يعني والله الذي ييسركم ويحملكم في البر على ظهر الدواب وفي البحر في الفلك

العسر للحرا و صل الله
على من كان بعد

وقيل معناه والله اعلم لكم الى التسيير بالبر والبحر كقوله تعالى وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك يعني السفر وقيل البلد تكون على الواحد والجمع وتذكيرها مختلفا وما اريد به الواحد كان كذا. فعل وان اريد به الجمع كان كذا. حمد والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجريين بهم يعني وجرت السفن بريح طيبة فان قلت ما فائدة ذكر الكلام في الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المراد منه المبالغة كانه يذكر الغيبة ليحضر حالهم ليتعجب منها ويستدعي منهم مزيدا الانكار والتقبيح وقال غيره انما كقوله الله لعباده يعم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائب وكل واحد من الغائب منها الخاطب يجتمع منه ان يرد الى اخر الى الغائب وقيل انما التفات الى الكلام الغيبة الى الحضور وبالعكس هو ورد بصيغ كلام العرب. بريح طيبة يعني وجرت الريح السفن بريح طيبة ساكنة ويرحبا بهم يعني ويفرحون بركاب السفينة ووجد الريح الطيبة للرائحة المقصود حصوله التمتع التام والمسرة العظيمة بوجوده تعالى ريح عاصف قيل الضمير في جاءتها تعود الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاشتملها وقيل الضمير في جاءتها تعود الى البلد يعني جاءت البلد ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف الشدة والمراد عاصف لانه يريد ذات عصوف او لاجل لفظ الريح فذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجاء ركاب السفينة الموج وهو ما ارتفع وغلا من غوارب الماء البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلافه وظنوا انهم احيط بهم يعني ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل الواو في وظنوا زائدة والضمير ليوسف وانهم انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله مخلصين له الدين يعني انهم اخلصوا بالدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الصنم وقيل معنى هذا الاخلاص العلم الضروري الذي اضطرهم اليه كانوا يعلمون حقيقة انه لا يجيبهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا بشدة وبلاء وضر اخلصوا لله الدعاء ليس الخبيث. اي فاليس ليس الخبيث ايا ما كان بل ليس ما وعد يعني وعد الشدائد التي غرقوا فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة. لئن كنت من الشاكرين يعني من الذين يعملون على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه وعد الشدة. فلما انجاهم يعني فلما انجى الله تعالى. الذين ظنوا انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها. اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فعاثوا وزنوا

فيها

آن بعث الريح الخ

فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد
قال صاحب المفردات والبغي على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان
والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب
الكشاف بار فلت معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق فلت بلى قد يكون بحق وهو
استيلاء المسلمين على ارض الكفر وهدم دورهم واحراق زرعهم وقلع اشجارهم كما بعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم
متاع الحيوة الدنيا وقيل هو كلام مبتدا والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحيوة
الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على
انفسكم لا يتسقيا ان بغي بعضكم على بعض الا ايام قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة
انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي
وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المامون يتمثل به يا صاحب البغي ان البغي مصرعة
وارجع فخير فعال المرء اعدله لو بغى جبل يوما على جبل لاندك من اعاليه واسفله
وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيامة فننبئكم اي فنخبركم بما كنتم تعملون يعني
في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا يعني في
فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس
نبت بالماء من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام ويعني مما ياكل
الانعام من العشب ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارة نعمائها
وبهجتها واكتست الوانا من هرها ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان الزهر وازينت
اي وتزينت وكن اهلها يعني اهل تلك الارض انهم قادرون عليها يعني على جذاذها
وقطافها وحصادها والكناية الى الارض والمراد النبات اذ كل منهما وقيل راجع الى الثمرة
والغلة وقيل الى البذر اتيها امرنا يعني قضاؤنا بهلاكها ليلا او نهارا يعني بالليل او النهار
فجعلناها حصيدا يعني محصودة مقطوعة كان لم تغن بالامس يعني كان لم تكن تلك الاشجار
والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غنى بالمكان اذا اقام به وكذا
مثل ضربه الله تعالى للمغتبطين بالدنيا الراغبين فيها في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما
قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن يغتر بالارض

بعله بفسروا
قيل

زد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه
يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة
وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن
الشيء فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا البست الثياب الفاخرة
من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة
فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل على
هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تغن من قبل قال قتادة ان المتشبث
بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحيوة الدنيا
التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع الياس منه
ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتيه الموت فسلبه مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها
وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا
انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على
اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات
بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطائع
ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحيوة الدنيا
وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك
والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر الله زهرة الحيوة الدنيا وانها
فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة
فعلى هذا السلام اسم من اسماء الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء
والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه يوصف بالسلام بمعنى
ذو السلام اي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة
وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الافات كالموت والمرض والمصائب والحزن
والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها وتسلم الملائكة
عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام
وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم

لا يدعوا

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في آيات كثيرة من كتابه و
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم
وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء
عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ عن جابر قال جاءت ملائكة
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها
مائدة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل
الدار ولم ياكل من المائدة فقالوا اولوها يفقهها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن يعص محمدا فقد عصى الله
تعالى ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه
اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا
صراطا مستقيما على كتفي الصراط زوران لها ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا
على راس الصراط وداع يدعوا فوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
والابواب التي على كتفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي
يدعوا من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل
للذين احسنوا الحسنى قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه
للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال
ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة
والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا التوبة الحسنى وزيادة اختلف
اهل التفسير في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة
والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة
وابو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي
ويدل على صحة هذا المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا
ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف
الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلى هذه
الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه
الله وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وبه عن ابي بكر الصديق
للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن ابي موسى الاشعري قال
اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم الله ما وعدكم فينظرون
الى ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر
الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة
الجنة قال لهم قد بقي لكم من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم جل وعز قال فيصغر
عندهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة
النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة هي
النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل
عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله يدعوا الى دار
السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من الزيادة امر مغاير لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك
وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تعالى وتبارك ومما يؤكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهي حسن الوجوه
وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى وايات القران يفسر بعضها بعضا فوجب
حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى وقالت المعتزلة
لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله تعالى ممتنعة
ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من نعيم الجنة ولان الاخبار

جنس

التي تقدمت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

197

التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤيا فاتبعوا ما قيل
اجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان رؤية الله
في الاخرة فاذا لم يوجد في العقل ما يمتنع من رؤية الله وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية
وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم
بان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين
كانت الزيادة من جنسه واذا لم تكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في
الاية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان تكون الزيادة عليها
شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين
حملوا الزيادة على غير الرؤية فمعارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية
والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن
ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى
واحدة من الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله
تعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة
بالحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل والزيادة مغفرة
من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا
لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة قتر
اي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ولا ذلة يعني ولا هوان
قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني
ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا
قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال
المحسنين وما اعد لهم من الكرامة شرح في هذه الاية حال من اقام على السيئات والمراد بهم الكفار
فقال تعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني
فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق
بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبع مائة
الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه

حسنة

BULAC

وتعالى وترتفع ذلة فال ابن عباس تخشع ذلة وشدة وقيل تخشع ذلة وهوانا
بعذاب الله اياهم مالهم من الله من عاصم مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا انزل بهم كما انما اغنيناه
وجوهكم فكما من اهل مكة يعني كما انا اليست وجوههم سوداء اهل الكفر اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الموضع
واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم ايها الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تبتلوا وهذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين
انتم وشركاؤكم يعني ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدون من دون الله قربلنا بينهم
يعني فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا قال قلت
قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر به المستقبل
لما وجد قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن قوله
وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدون من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا
لله نصيبا مما رزقهم الله اولا نسبة تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم بعد صاروا شركاء
بهذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون من تبرأ المعبودون من العابدين قال قلت كيف صدر
هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله خلق لها
في ذلك اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام قال قلت اذا اجاز الله ذلك
اليوم فعل بهم او بغيرهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله
واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة قال قلت ان الاصنام
قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة
وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد يكور يوم القيامة ساعة فيها
شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون من دون الله فيقول الآلهة والله ما كنا فسمع
ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدونا فيقولون والله ايانا كنتم تعبدون فتقول لهم الآلهة
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا
انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا راضين والله الا غافلين لا نعقل ذلك اما قوله
تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت هنالك للتتمة لاية المتقدمة والمعنى اذا جاء ذلك اليوم
او ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا

قال

فراءات فرزين بتاء يرد لها معنيان أحدهما انه مرتلا، اذا تبعه اى تتبع كل نفس ما اسلفت
لان العمل هو الذى يهدى النفس الى الثواب او العقاب الثانى ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس
تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وفرزين تتلو بالتاء والباء ومعناه تختبر وتعلم والبلاء الاختبار
ومعنى اختبار ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا فيه وجوز ان يرد والى الله الى عبارة
عن صرف الشئ الى الموضع الذى جعل سببا للمعنى ورد والى ما يختص به الله الى الله فهو ما لهم
ومتولى امورهم وما لهم من مولى بعد ان قال الله تعالى بعد اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فالمعنى
فلهم المولى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى
المولى هنا الناصر فحصل التوزيع اى ليس لهم ناصر ولا يمنع منا كانوا يعتزون به ويأمل وذهب ما كانوا
يكذبون فيه من الدنيا وهو قوله تعالى بعد هذا الاصنام التى تشفع لهم قوله عز وجل قل من يرزقكم
من السماء والارض اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات
أمن يملك السمع والابصار يعنى ومن اعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى
ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة
الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول
اقرب الى الحقيقة ومن يدبر الامر يعنى امر هذه الاجرام السماوية وما بينها وهذا امر الله وما بعدها هو
الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون الله يعنى انهم يعترفون بان ما عمل هذه الاشياء هو
الله واذا كانوا يقرون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون يعنى افلا تخافون عقابه حيث تعبدون
هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور فذلكم الله ربكم الحق يعنى فذلك الذى
يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لا هذه الاصنام فماذا
بعد الحق الا الضلال يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو
الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا فانى تصرفون يعنى اذا علمتم هذا الامر الواضح
فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل كذلك اى كما ثبت انه ليس بعد الحق
الا الضلال كذلك حقت اى وجبت كلمة ربك اى الازلى على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قيل المراد
بكلمة الله قضاؤه عليهم باللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا رد له ولا يدافع قل هل
من شركائكم اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها الهة

BUZAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من يبدؤا الخلق. يعني من يقدر على أن ينشئ الخلق على غير مثال سبق. ثم يعيده. أي ثم يعيده
بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام إنكاري. فقل أنت يا محمد الله
يبدؤا الخلق ثم يعيده. يعني الله هو القادر على إبداء الخلق وإعادته. فأنى تؤفكون. يعني فأنى
تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الأمر الواضح وعدلوا
عنه إلى غيره. قل أي قل يا محمد هل من شركائكم من يهدي إلى الحق. يعني هل من هذه الأصنام من يقدر
على أن يرشد إلى الحق فإذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك. قل أي قل لهم أنت الله يهدي للحق. يعني أن الله
هو الذي يرشد للحق لا غيره. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى. يعني أن الله
هو الذي يهدي إلى الحق فهو الحق بالاتباع لا هذه الأصنام التي لا تهتدي إلا أن تهدى. فإن قلت
الأصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا أن تهدى فكيف قال إلا أن يهدى. قلت ذكر العلماء
عن هذا السؤال وجوها الأول أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال من مكان إلى مكان فيكون
المعنى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فبين بهذا عجز الأصنام. الوجه
الثاني أن ذكر الهداية في حق الأصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة
وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه
الصفة وإن كان الأمر ليس كذلك. الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده الأصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي إلى الحق رؤساء الكفر
والضلالة فالله تعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء
الكفر والضلالة فإنهم لا يقدرون على هداية غيرهم إلا إذا هداهم الله إلى الحق فكان اتباع دين الله
والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره. وقوله تعالى فما لكم كيف تحكمون قال الزجاج
فما لكم كلام تام كأنه قيل لهم أي شيء لكم في عبادة هذه الأصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على أي
حال تحكمون. وقيل معناه كيف تقضون لأنفسكم بالجور حين تزعمون أن مع الله شريكا. وقيل
معناه بئسما حكمتم إذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية. وما يتبع
أكثرهم إلا ظنا. يعني وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه
وريبة. قيل المراد بأكثر الكل لأن جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم أن الأصنام تشفع
لهم. وقيل المراد بالأكثر الرؤساء أن الظن لا يغني من الحق شيئا. يعني أن الظن الشك لا يغني
من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه. وقيل في الآية إن قولهم إن الأصنام آلهة وأنها تشفع لهم ظنا

الأحق

بما أظهر

منهم

منهم لم يرد به كتاب ولا رسول أن الضر لا يقع منه شيئا يعني لا بد يقع منه من عذاب الله شيئا
ان الله عليم بما يعملون يعني بما منهم الضر ولكنه يمهم الحق البين قوله تعالى وما كان
هذا القرآن أن يفترى من دون الله يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل لان معنى
الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى
هو الذي يأتي به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن
من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل أن هذا القرآن ما كان أن يوحى إليه الله
عليه وأنه ميسر أن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله ثم ذكر ما يؤكد هذا
بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله أنزل هذا القرآن تصديق لما قبله من الكتب
التي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل وتفسير هذا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا
لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز
وفيه أخبار الأولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة قبله
ولم يكن لأحد أن يقدح فيه لعداوة أهل الكتاب له ولم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب ثم بذلك دل
فيه من القصص والأخبار مطابقة لما في التوراة والإنجيل مع القطع بأنه ما علم فثبت
بذلك أنه وحي من الله أنزله عليه وأنه مصدق لما بين يديه وأنه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل
معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من أخبار الغيوب الآتية فإنها جاءت على وفق ما أخبر
وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام لا ريب فيه من رب
العالمين يعني أن هذا القرآن لا شك فيه أنه من رب العالمين وأنه ليس بمفترى على الله وأنه لا يقدر أحد
من البشر على الإتيان بمثله وهو قوله تعالى أم يقولون افتراه يعني أم يقول هؤلاء المشركون
افترى محمد هذا القرآن واختلقه من نفسه وهو استفهام إنكار وقيل أم بمعنى الواو أي
ويقولون افتراه قل أيها الرسول يا محمد إن كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثله يعني بسورة
تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأتوا بمثله في الفصاحة والبلاغة
إن كنتم قال تعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال هنا فأتوا بسورة مثله
فما الفائدة في ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب
وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا له نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني من إنسان
أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في علم الكتابة والقراءة بسورة تساوي سور القرآن

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة و
فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من دون
الله يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في قولكم ان
محمدا افتريه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القرآن اي كذبوا بما لم يعلموه
قال عطاء يعني انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن
من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك
كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها
قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم
مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها ولما يأتهم تأويله يعني انهم
كذبوا به ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله به في القرآن من العقوبة
والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه
تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم
يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذبت الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف عاقبة من ظلم من الامم
كذلك عاقبة من كذب بك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون
الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل
مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن
بالقرآن ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا
يؤمنون وان يكذبوك يعني وان يكذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة
وجزاء ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف
قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول
الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت
شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ومنهم يعني ومن هؤلاء المشركين من
يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك افانت تسمع

الصم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الصم. يعني كما انك لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سماع قلبه
ولو كانوا لا يعقلون. يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال
اذا لم ينتفعوا بما يسمعون وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم
من ينظر اليك. يعني بابصارهم الظاهرة. افانت تهدي العمي يعني عمي القلوب. ولو كانوا لا يبصرون لان الله
اعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته
البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه الا يؤمن ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق
فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء
والخلق كلهم عبيده ومن تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل
منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله تعالى ويوم نحشرهم
يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم
عن مكانهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار
وقيل معناه كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المؤمن والكافر
سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على امر يختص بحال الكفار وهو
انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب
استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا
بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم
القيامة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليل
جدا يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم
تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيامة وفي بعض الاثار ان الانسان يوم القيامة يعرف
من يحبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها
يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم. قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله. يعني ان من باع اخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه اثر الفاني على الباقي
وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم

بيان الشقوة

BULAC

العمر الله جل وصل الله وسلم
على سيدنا محمد

بعني ما نعذبهم بعذاب الدنيا كما عذبنا الذين من قبلهم ثم يكذبون فنستأصلهم بالعذاب الآخرة وهو قوله بالياس جمع بعني بالآخرة وفيه دليل على ان الله يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذليلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك ببدر وغيرها من الايام وتبشيره بما اعد لهم من العذاب في الآخرة بقوله ثم الله شهيد على ما يفعلونه فيه وعيد وتهديد لهم بعني ان الله تعالى شاهد على اعمالهم التي يفعلونها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة فقوله عز وجل ولكل امة رسول قال بعض الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بشر ان حال الانبياء مع امتهم كذلك فقال تعالى ولكل امة بعني قد خلت وقدمت قبلك رسول بعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط بعني بهذا الكلام اخبار تقديم واذا جاء رسولهم ويلغهم ما ارسل به اليهم فكذبوه فيما وصفه اخرون قضي بينهم بالقسط بعني حكم بينهم بالعدل وقت هذا القضاء والحكم بينهم فولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسولهم وخالفوا امر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا بتعجيل الكافرين وبنجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لانهما لما ارسل الي الرسول لما يكون ثوابه والعقاب العقول الثاني ان وقت القضاء هو الآخرة وذلك ان الله تعالى جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله وهم لا يظلمون بعني من جزاء اعمالهم شيئا ولكن يجازي كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ويقولون بعني يقول الكفار متى هذا الوعد بعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل في الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء ان كنتم صادقين بعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين في ادراك وآبائنا محمد او ذكروا بلفظ الجمع على سبيل التعظيم قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا بعني لا املك لنفسي دفع ضر او جلب نفع ولا اقدر على ذلك الا ما شاء الله بعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم في الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله تعالى لعجز المخلوقين ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى

اذا جمع الخ

وانها تحدث

لكل امة اجل

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

191

لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين اذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه
قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا اي ليلا يقال بات يفعل
كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ
كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل من نزول
العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم
بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون وما
يستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع
يعني اذا ما نزل العذاب ووقع امنتم به يعني امنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت الياس
وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع
الا ان فيه اضمارا تقديره يقال لهم الان تؤمنون حين وقع العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله
ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى
ويستنبئونك احق هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام
الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد نعم وربي انه لحق يعني ان الذي اعدكم به حق لا شك فيه
وما انتم بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت يعني
اشركت ما في الارض يعني من شيء لافتدت به يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البدل لما ينجوا به
من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ
الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله
مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا
في قوله واسروا الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر
وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء او الاتباع خوفا من ملامتهم
اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا العذاب وابصروه وقضي بينهم بالقسط
يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل

BULAC

العلم للعبد وعلى الله ما
على من لا يليق بعبد

بيد الكفار لاحتمال أن بعضهم قد تلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله تعالى ولو أن
لكل نفس ظلمت يعني أشركت ولم يتب وعليها باقي بتحقيق وعذاب المظلوم ويشدد به عذاب الظالم ولا أن لله ما
في السموات والأرض يعني أن كل شيء في السموات والأرض لله مملوك لا يتمنع منه فيه غيره فليس للكافر
شيء يفتدي به من عذاب الله يوم القيامة لأن الأشياء كلها لله وهو أيضا مالك لله يكن يفتدي
ويهرب مملوك لغيره يشتي لا يملكه. ألا إن وعد الله حق يعني ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم من الثواب للطائع والعقاب للعاصي حق لا شك فيه. ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك. هو يحيي
ويميت يعني أن الذي يملك ما في السموت والأرض قادر على الإحياء والإماتة لا يتعذر عليه شيء مما
أراد. وإليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء. فقوله عز وجل يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار البصري قد
جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير
فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الإبانة عما يعود على الصلاح بهذين الرغبة والرهبة والقرآن
داع إلى كل خير وصلاح بهذين وشفاء لما في الصدور يعني أن القرآن دواء وشفاء لمرض القلوب
من الجهل وذلك لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الأخلاق
الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المضلة فالقرآن يزيل هذه الأدواء كلها لأن فيه
المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير وهو الدواء والشفاء لهذه
الأدواء الفظيعة وإنما خص الصدر بالذكر لأنه موضع القلب ومحله وهو أشرف ما في البدن لأن
به بقاء الإنسان كما أن القلب فيه. وهدى يعني وهو يهدي من الضلالة. ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة على
المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم. قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلق بمضمر
استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الإفضال
ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن
بإفضال الله عليكم ورحمته بكم وإرادته الخير لكم ثم قال تعالى فبذلك فليفرحوا أشار بذلك إلى
القرآن لأنه المراد بالموعظة والشفاء القرآن متروك اللفظ والنية والمعنى فبذلك فليفرحوا وقيل فبذلك إشارة إلى معنى
الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التفضل والإنعام فليفرحوا قال الواحدي الباء في قوله فليفرحوا
زائدة كقول الشاعر وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي الباء في قوله فاجزعي زائدة وقال
صاحب الكشاف معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد

بالخير لما يرق له الخ

بيان المعنى

٩ التقدير

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

182

والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفضل دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف
احدى الفاءين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال
فرحت بكذا اذا ادركت المأمول ولذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية
واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما آتاهم
الله من المواعظ وشفاء ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعون
يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الآية واما مذهب المفسرين
فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد
الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله القرآن ورحمته تزيينه في قلوبنا
وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل
الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته قل اي قل يا محمد
لكفار مكة ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع عبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما
في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما
حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال الضحاك
وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قل آلله اذن لكم يعني قل لهم يا محمد الله
اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني بل انتم على الله تكذبون في ادعائكم ان الله
امركم بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اذا لقوه يوم القيامة أيحسبون
انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم
لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال
والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله تعالى
وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشأن الخطب والحال والامر
الذي ينفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشئون تقول العرب ما شأن فلان اي ما
حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية
يجوز ان يكون المراد به الاسم فان ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شأن يريد من اعمال البر
وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوائجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء

الاسلام

ينبغي

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

وما تتلوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في قوله منه الى من يعود فقيل يعود
الى الشأن لان تلاوة القرآن شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شأنه
بعمل هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شأن الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه
ومحله من قلبه وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته
بعمل هذا يكون المعنى وما تتلوا من القرآن من قرآن اي من سورة وآية منه لان اسم القرآن
يشتمل على جميعه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وما تتلوا من الله من قرآن نازل
عليك واما قوله تعالى وما تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون
فيه وقد دوربه لان المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان الغير داخلين في ذلك
الخطاب ويدل عليه قوله وما تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين
الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين على اعمالكم وذلك لان الله
تعالى شاهد على كل شئ وعلم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله
تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة فهو داخل في علمه وشاهد
عليه اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل
والافاضة الدخول في العمل على جهة الاشتغال به والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه
اذ تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ
تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد
وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقة شئ لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد
يقال منه كل عازب اذا كان بعيد المطلب من مثقال ذرة يعني وزن ذرة والمثقال في اللغة
اسم لكل شئ يوازن شيئا آخر وهو في الاصل صفة غالبة من الوزن يقال هذا مثقال هذا
اي وزنه والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي خفيفة الوزن جدا في الارض وفي السماء جار فلان لي فذكر
الارض على السماء هنا وفي ذكر السماء على الارض في سورة سبا وما يليه ذلك فلكل
كل من في السماء ان تعد وعلى الارض كما في سورة سبا انه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على اهل
الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك ذكر تعلم الارض على السماء في هذا
الموضع لهذه العاية والاصغر يعني من الذرة والاكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني
في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم
انا نحتاج اولا في تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي

فنقول

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الآية
هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين إذا رئوا ذكر الله وقال ابن زيد هم
الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله
ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله
لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها
فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس
وقرأ هذه الآية ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود م عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون لجلالي
لهم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون لجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء
أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الأشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم
من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم أعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا
يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرى فقال هم عباد من عباد الله
ومن بلدان شتى ومن قبائل شتى لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون
بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون
ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إن أولياءي من عبادي
من يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم
يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور
ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الغبطة نوع من الحسد إلا أن الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد
والغبطة أن الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي أن يتمنى الغابط

النبيون

والعافية

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مثل تلك النعمة التي على المغبوط من غير زوال عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى
هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاية وهي القرب
والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق
القلب في نور معرفة جلال الله فان رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق
بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر
عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله
وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان
آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به
الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني على
جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله تعالى
لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شيء فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها
قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم
وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله
واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه
من ان يخاف او يحزن واما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله
وقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة وفي الآخرة اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة
ابن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال هي
الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت
ابا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال ما سألني عنها احد منذ سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ما سألني احد عنها غيرك منذ انزلت هي الرؤيا الصالحة
يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم
تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا

ثلاث

ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء
نفسه قال بعض العلماء وجه هذا القول وهو أنا إذا حملنا قوله لهم البشرى
على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ألا تحل هذه الحالة إلا لهم وذلك أن
ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فإنه عند النوم
لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم أن معرفة الله في القلب لا تفيد إلا الحق والصدق
فإذا رأى الولي رؤيا أو رئيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي
في هذه الأحاديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها وإنما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء
دون غيرهم وكان الأنبياء عليهم السلام يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة قال الخطابي
قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لا أنها جزء من النبوة قال
الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة
ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهي جزء من ستة
وأربعين جزءا وقيل إن المنام لعل أن يكون فيه إخبار بغيب وهو إحدى ثمرات النبوة وهو يسير في
جنب النبوة لأنه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرائع ويبين الأحكام ولا
يخبر بغيب أبدا فإذا وقع لأحد في المنام الإخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا أنه نبي وإذا وقع
ذلك لأحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية إن المراد بالبشرى في الحيوة الدنيا
هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه
مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على
البشرى المؤخرة إلى الآخرة بقوله بشريكم اليوم جنات وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله عنه
ومحبته له وتحبيبه إلى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الأرض هذا كله إذا حمده الناس
من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين إذا اشتغل العبد بالله عز وجل
استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع
والخضوع فيحبه الناس ويثنوا عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال
الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه
قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء

الذكر له الخ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن
يعرج بها إلى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه
من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل لكلمات الله يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد
أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ذلك هو الفوز العظيم يعني
ما وعدهم به في الآخرة ولا يحزنك قولهم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد
قول هؤلاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم إياك إن العزة لله جميعا يعني أن القهر والغلبة
والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب
إن العزة لله فيعز من يشاء وهذا كما قال تعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة
بين الآيتين فإن عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين بإعزاز الله إياهم فثبت بذلك أن العزة
كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل إن المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم
وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم
بعد العز هو السميع يعني لأقوالكم ودعائكم العليم يعني جميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية قوله
تعالى ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض ألا كلمة تنبيه معناه أنه لا ملك في السموات ولا في الأرض
لأحد إلا الله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الأرض فإن قلت قال تعالى في الآية
التي قبل هذه ألا إن لله ما في السموات بلفظ ما وقال في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت
إن لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل
يملك جميع شيء في السموات وفي الأرض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل إن لفظة من لمن
يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الأرض الإنس والجن وهم العقلاء أيضا وإنما
خصهم بالذكر لشرفهم وإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق
الأولى أن يكونوا ملكه إذا ثبت هذا فتكون الأصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته
وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الأصنام شركاء لله معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء لفظة ما استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
والمقصود تقبيح فعلهم يعني أنهم ليسوا على شيء لأنهم يعبدونها على أنها شركاء لله يشفعون
لهم وليس الأمر على ما يظنون وهو قوله تعالى إن يتبعون إلا الظن يعني إن فعلهم ذلك ظنا منهم
أنها تشفع لهم وأنها تقربهم إلى الله وذلك ظنا منهم لا حقيقة له وإن هم إلا يخرصون يعني أنهم يكذبون

في دعواهم ذلك

ألا لله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

في دعواهم ذلك قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني
هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل
السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم
وأسباب معاشكم أضاف الإبصار إلى النهار وإنما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان
مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير
لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطر بنائم فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به وإنما
عنا نفسه وأنه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب إلى السبب قال قطرب
تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون يعني
يسمعون سمع اعتبار فيعلمون بذلك أن الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الإله المعبود المنفرد بالوحدانية
في الوجود قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا يعني به قولهم الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله
نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني يعني أنه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد
وإنما يتخذ الولد من هو محتاج إليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الأشياء محتاجة إليه وهو
غني عنها له ما في السموات وما في الأرض يعني أنه مالك ما في السموات وما في الأرض وكلهم عبيده
وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن الولد عطف على من قال
ذلك بالإنكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى إن عندكم من سلطان بهذا يعني أنه لا حجة عندكم
على هذا القول البتة ثم بالغ في الإنكار عليهم بقوله أتقولون على الله ما لا تعلمون يعني أتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون إليه ما لا تجوز إضافته إليه جهلا منكم بما تقولون
بغير حجة ولا برهان قل إن الذين يفترون على الله الكذب أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله
الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون أن له ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون وإن اغتروا بطول
السلامة والبقاء في النعمة والمعنى أن قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب
وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى متاع
في الدنيا وفيه إضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا
وهي أيام يسيرة بالنسبة إلى طول مقامهم في العذاب وهو قوله ثم إلينا مرجعهم يعني بعد الموت
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا
نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله عز وجل واتل عليهم نبأ نوح لما ذكر الله

اتخاذ

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

سبحانه وتعالى بهذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع
بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليتحقق عليه ما يلقى من أذى قومه وأن الكفار من قوم
اذا سمعوا هذه القصص وما جرى للكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك الذي كان لحق
نبيا لعزمه قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا
بذكر الله فصتهم وانذرهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة للكفار فقال تعالى واتل
على قومك نوح يعني واقرأ يا محمد على قومك خبر نوح اذ قال لقومه وهم ثنوا قيل اكان كبر
يعني ثقل عليهم مقامي يعني فيكم وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل
معناه اكان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين
عاما يريد عرفتم اني الله تعالى وتذكيري بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي
بآيات الله وحجته وبيانه بعزمتم على قتلي وكرهتم يعني الله توكلت يعني هو حسبي وثقتي
فاجمعوا امركم يعني فاحكموا امركم واعزموا عليه وقال ابن الانباري الامر ههنا الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر
قال ابن الانباري المراد من الامر ههنا وجوه كيدهم ومكرهم بالتقدم لانذعوا امركم عليّ ثم اقضوا
وليس كذلك يعني واعدوا عدتكم يعني استعينوا بها لتجمع معكم وتعينكم على مكروهي
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده
انها جماد لا تضر ولا تنفع بهذا للتبكيت والتوبيخ لهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكن امركم
خفيا مبهما ولكن امركم كاهرا منكشفا مرفوعا لهم غم الضلال بهذا معنى اذا خفي والتبس على
الناس ثم اقضوا الي ثم امضوا الي ما ابيح لكم وما تؤعدوني به من قتل وهدم وافرغوا
تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا
تؤخرون ولا تمهلون بعد علمكم ما انتم عليه وهذا الكلام لنوح عليه السلام على طريق
التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا
بنصره اياه غير خائف من كيدهم عالما منه بانهم لن يضروه لان مكرهم لا يصل الا
ما تولينم يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي ما سألتكم من اجر يعني من رجعل وعوض على تبليغ
الرسالة فما ذا لي ان اخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان ذلك ينافي تأثير النبوة ان اجري الا على الله
اي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين يعني انقاد لامره بذير الاسلام

والله اعلم

وانا ما ضرهم غير نار دلد سوا. فيلتموا اوما تقبلوه وقيل معناه وأمرنا الكون المسلمين
لامر الله والكل مكروه يصل الى منكر لاجل هذه الدعوة. فكذبوه. يعني فكذبوا نوحا عليه السلام
فنجيناه ومن معه في الفلك. يعني السفينة. وجعلناهم خليفة يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه
في الفلك سكان الارض بعد الهالكين. واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين يعني فانظر يا محمد وبالايصا انا نسأل كيف كان. اخر امر الذين كذبوا الرسل ولم يؤمنوا
ولم يقبلوا ذلك. ثم بعثنا من بعده. يعني من بعد نوح. رسلا الى قومهم. لم يسم هنا احدا بعد نوح
من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل. فجاؤوهم بالبينات. يعني بالدلالات
الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم. فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يعني
اولئك الاقوام الذين جاءتهم الرسل حتى الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم
ما جاءت به الرسل وابوا جعوا عن ما هم فيه من الكفر والتكذيب. كذلك نطبع على قلوب المعتدين
يعني كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك
سبيلهم في التكذيب. قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم. يعني من بعد الرسل موسى
وهارون الى فرعون وملائه. يعني اشراف قومه. بآياتنا فاستكبروا. يعني عن الايمان بما جاء به موسى
وهارون. وكانوا قوما مجرمين. يعني مستكبرين للاثام. فلما جاءهم الحق من عندنا. يعني فلما جاء
فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله. قالوا ان هذا لسحر مبين. يعني ان هذا الذي جاء
به موسى سحر مبين. يعني بين ظاهر. قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا. تقديره
اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر ايسحر هذا. حذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الثاني عليه
ثم قال ايسحر هذا. وهو استفهام على سبيل الانكار. يعني انه ليس بسحر ثم احتج
على صحة قوله بقال ولا يفلح الساحرون. يعني حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك
لا يفلح ابدا. قالوا. يعني قال قوم فرعون لموسى أجئتنا لتلفتنا. يعني لتصرفنا وتلوينا. عما
وجدنا عليه آباءنا. يعني من الدين وتكون لكما الكبرياء. يعني الملك والسلطان بالارض يعني ارض مصر
والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمي الملك كبرياء. لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وتكون
لكما الكبرياء. في الارض وما نحن لكما بمؤمنين. يعني بمصدقين وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم. يعني
ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس ليضعفوا ما اتى به موسى فسحر
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون. انما اوحي موسى بالقاء ما معهم من الحبال و

الحمد لله وحده وصلى الله
على محمد النبي بعده

والعصى التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين أن ما أتوا به باطل فابتلعت
يعني ما صنعوه من الحبال والعصي. قال موسى ما جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر الباطل
وهذا على سبيل التوبيخ لهم. إن الله سيبطله يعني يزيله ويظهر فضيحة صاحبه. إن الله لا
يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه. ويحق الله الحق يعني ويظهر الحق
الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى أنه يظهره. وقيل لما سبق في قضائه
وقدره لموسى أنه يغلب السحرة ولولا الجزم لم يقل ما قال. أمن لموسى إلا ذرية من
قومه لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر
الله تعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه وإنما ذكر الله هذا
تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان كثير الاهتمام بإيمان قومه وكان يغتم
بسبب إعراضهم عن الإيمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى أن له أسوة
بالأنبياء عليهم السلام الذين جاء بهم موسى عليه السلام كانوا أعظم منهم ومع ذلك ما آمن له إلا
ذرية والذرية اسم يقع على القليل من الشيء. قال ابن عباس الذرية القليل. وقيل المراد
به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية به قومه. فقيل هي راجعة إلى موسى
وأراد بقومه قوم موسى وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب. قال مجاهد هم
أولاد يعقوب الذين ذهبوا إلى موسى من بني إسرائيل فهلك الآباء وبقي الأبناء. وقيل هي راجعة
إلى فرعون وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل
إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً عليه من القتل فنشؤوا بين القبط فلما كان اليوم الذي
غلب موسى السحرة آمنوا به. وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني إسرائيل. وقيل الهاء
راجعة إلى فرعون يعني الذرية من قوم فرعون. روي عكرمة عن ابن عباس قال فما آمن يومئذ
من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون وامرأته ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته
وقال البراء سموا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بني إسرائيل
فكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الإيمان وذلك كما يقال لأولاد فارس الذين دخلوا اليمن أبناء
لأن أمهاتهم من غير آبائهم على خوف من فرعون وملئهم يعني الملأ الذين هم أشراف القبط
وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وإنما قال وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التعظيم له

الى

ابن عباس

أن يغشاهم أي يصر فيه ويصدهم عن الايمان وأنما قال ان يغشى ولم يقل يغشاه لان فرعون كانوا على وداد وتابعين له. إن فرعون تعالى في الأرض يعني أنه تعالى فيها وتكبر فيها وأسند للمسرفين يعني المتجاوزين للحد لأنه كان عبدا مادا عمى الى هوية وكان كثير الفضل والتعدي لبني اسرائيل. وقال موسى لقومه. يا قوم ان كنتم. امنتم بالله يعني فعليه توكلوا. يعني فعليه فثقوا ولا، وسلموا بانه ناصر اوليائه ومعذب أعدائه ان كنتم مؤمنين مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره. وقيل انما أعيد قوله ان كنتم. امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان الحقيقي وبالاسلام الخالص. ودلت الاية على أن التوكل على الله والتفويض له من كمال الايمان وان من لم يؤمن بالله لا يتوكل الا على الله لا على غيره. فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين له. على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره. ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظفرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا أنا لو كنا على الحق فنزداد كفرانا وكفرا. وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولوا لو كانوا على حق لما عذبوا ونكفر انهم خير منا فنفتتن لذلك. وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من بطش قوم من الكافرين كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم بالاعمال الشاقة

فصل

قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا. يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه، مبناه أبوءا وكنا واتبوءا جعلا بمصر لقومكما بيوتا يرجعون اليها للصلاة والعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير في معنى هذا البيوت والقبلة. فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وبقوله القبلة، بالجانب الذي يستقبل في الصلاة. فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة. وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وكما هو الظاهر لا يدل على تعيينها الا انه نقل عن ابن عباس انه قال كانت القبلة قبلة لموسى وهو قول مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الرعنة هاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم واجعلوا بيوتكم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا. وقيل انه تعالى خص موسى وهارون باول الخطاب بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا. الى قومكما ثم انه عم بعد ذلك الخطاب بقوله واجعلوا بيوتكم قبلة فلما نسب فيه

ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم. امنتم اي

معناه واجعلوا بيوتكم قبلة تصلون اليها وقيل انه تعالى خص موسى اي

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قلت إنه تعالى أمر موسى وهارون بتبوئة لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص الأنبياء مخصوصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة ثم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة يعني به بيوتكم وذلك خبر خاص موسى وهارون معه من بني اسرائيل من مر عون وقومه اذا صلوا به الكنايس والبيع الجامعة أن يؤدوها وأمرهم الله أن يصلوا به بيوتهم خيفة من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنايس الجامعة وكانت كذلك فلما أرسل موسى إلى فرعون بشر بني تلك الكنايس وشفعهم بالصلوة فيها وأمروا أن يتخذوا مساجد بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون وأرغمهما باتخاذ المساجد قهرا على رغم الاعداء وتكفل الله لهم بصونهم من شرهم وقوله وبشر المؤمنين يعني بأنه لا يصل اليهم مكروه

قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا الآية لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات ورآه الغيوب منصورا على الكفر والعناد فلجأ به الى الدعاء عليهم ورجعا ترادفا يدعوا على الغير اذكر أولا سبب إقدامهم على الجرائم التي كانت سببا لاصرارهم على ما يوجب الدعاء عليهم ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لا جرم أن موسى لما أخذ بالدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا والمراد بالزينة عبارة عما يتزين به من اللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذا اللام فقال البعض هي لام كي بمعنى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وتكبروا على الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انها هي لما يئول اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا بعد هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل وتفتح بعدها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة الشيء بالمحو ومعنى طمس على اموالهم أزل صورها وهيئتها وقال مجاهد أهلكها وقال اكثر المفسرين أمسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب الفرض صار سكرهم حجارة وكان الرجل منهم انطلق به فاشتد فصار احجر بر والمرة فاذا بخير صارت حجارة وهذا يدل على ضعف ما روي عن موسى عليه السلام دعا على اموالهم وما يدع على تعسيرها بالمسخ وقال ابن عباس

بطمس

188

النحل

بلغا آل الذي نا نيروالذ رابع صارت عجارة منغرشة كهيئتها عجاجا وأنصابا وأثلاثا وقيل
ان عمر بن عبد العزيز دعا بحق بيضة فيها شيء مربعا يا. ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوفة وهي
عجارة والجوزة مشقوفة وهي عجارة وقال السدي رضي الله عنه اراليه عجارة الفل والثمار
والدفلى والاكمة وهذا الكمصر هوا حدالايات التسع التي اوتيها موسى عليه السلام
واشدد على قلوبهم. يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان
ومعنى التشديد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل
على ان الله يفعل ذلك لم يشأ. ولولا ذلك لما جترموسى عليه السلام على هذا السؤال بل يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم. يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان يأتي
فرعون ربنا اشدد على قلوبهم بلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فجعل يمر فرعون
ويمر الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء. انما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء
لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون
فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم قال الله عزوجل لموسى وهارون قد اجيبت دعوتكما
انما تكتب الدعاء اليهما والداعي هو موسى وحده، لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء
لانه كطلب وسؤال ايضا ومعناه، اللهم استجب وصار بذلك شريكا موسى في الدعاء. فلذلك قال تعالى
قد اجيبت دعوتكما بالتثنية. يعني على تبليغ الرسالة وتمضيا لامره الى ان يأتيهم العذاب ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون. يعني ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي بأن وعدي لا خلف فيه ووعيدي
نازل بمن عصاني وفرعون بلا تستعجلا قبل ان يرد دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعون سنة
قال الامام فخر الدين واعلم ان هذا النص لا يدل على صدور الذنب منه قوله عزوجل وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون. يعني اسرائيل البحر وعبرنا بهم ايا، حتى جاوزوه وعبروه. فاتبعهم
فرعون وجنوده. يعني لحقهم وادركهم. بغيا وعدوا. اي ظلما وعدوانا وقيل البغي كلمة
الاستعلاء. يقال حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع
بغي فرعون وتبعوا الى بسقوع من ارض مصر وهي بشاطئ البحر وذلك لما
اجاب الله دعاء موسى وهارون وامرهما بالخروج ببني اسرائيل في الوقت الذي امرهما ان يخرج فيه ويبشر لهم
اسباب الخروج وكان فرعون قد بلغه قبل ذلك سير موسى ومجامعته لهم فجمع جنوده

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا
وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف عن وجه الارض ويبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان
ادهم وكان معه في عسكره ثمانمائة الف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل
وهو على فرس انثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل من البحر دنا
جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده
حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم اولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة
الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله حتى اذا ادركه الغرق قال يعني فرعون
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه
عند نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة
والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه قال
هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله
والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين
لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل
فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها
بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني الان
تتوب وقد ضيعت التوبة في وقتها واثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب لفرعون
بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل ان القائل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه
وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول
الاول اشهر ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله
فرعون قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا
اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في فم فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله
فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل

الاصلاح

في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول
قد ورد هذا الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن زيد بن جدعان
وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط
وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه او خالفه فيه الثقاة وكلاهما
منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا
الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء
ابن السائب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه
فانما يخاف منه ما انفرد به او خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان هذا الحديث اصلا
وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت
ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت
ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن
السائب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث
وقوله من حال البحر اي من طين البحر كما في الرواية الاخرى فصل ووجه اشكاله ما اعترض
عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل ان جبريل اخذ يملأ فمه بالطين لئلا يتوب غضبا
عليه الجواب الاقرب انه لا يصح لانه في تلك الحال التكليف هل كان باقيا او لا فان كان باقيا لم يجز
لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينئذ لا يبقى الى هذا الذي نسب الى جبريل فائدة وايضا لو كان منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على
الكفر والرضى بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل
فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا
وجه الاشكال الذي اورده الامام على هذا الحديث في كلام اكبر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض
ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان
باقيا في تلك الحال او لا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على
اصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول اهل السنة
المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

كما هو صوابه اول مرة وهذا ان جعل بمعنى منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه للايمان اولا بعد تكرر الكبير فيهم فرعون من جنس الكفر والختم على القلب ومنع الايمان وضرب الكافر عنه وذلك جزاء للبغي السابق وهذا اولى لكثرة استعمال التقدير لغير ما يليق بالله تعالى الله وقد يستشكل من حيث ان الابعاد تارة يكون ابتداء من الله تعالى بفعل هذا عقوبة للعبد على بغيه السابق فيتمكن منه ايضا ويكفر على قلبه ويمنعه من الايمان واما قصة جبريل مع فرعون فانما هو من باب فانه غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة على بغيه السابق ورد الايمان لما جاء واما ما يفعل جبريل من تكبير الكبير فيه فانما يفعل ذلك باذن الله لا من تلقاء نفسه واما قول السائل يجوز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل كائنة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما يؤمر به والله تعالى هو الذي منع جبريل فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من يعنده الله بل قد حكم عليه واخبر انه لا يزيد الا عذابا اليما فجبريل انما منعه الايمان وقد يقال ان جبريل انما كان يتصرف باذن الله فلا يفعل الا ما امر الله به وانما كان يفعل ما يفعل من تلقاء نفسه لا بامر الله وعلى التقدير فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يجوز عليه منعه منها لانا انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه اراد اعانة فرعون ولا حتم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة فجوابه ان يقال ان لنا سرا في تعليل افعال الله فنريد احد امرين اما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية لحسبا الصالح لاجلها فعلها واذا اوامره ونواهيه لها غايات محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حق عليه كلمة العذاب واراد انه لا ينفعه فتح البحر فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فانه وان كان قد قالها وقت لا ينفعه فتح البحر فيه تخفيفا لهذا المنع والعاية فيه تعجيل ما قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى له رحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فلما سمع دعاءه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب والايمان عند رؤية العذاب غير نافع جاء الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينته

الغرق

الغرق استعجل جبريل لعدم تأثير الكبر فيه ليتيأس من الحيوة ولا ينفعه تلك الكلمة ويتحقق اجابة
الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سحر جبريل تكميل ما سبق
به حكم الله انه يفعله فيكون سحر جبريل به قضاء الله تعالى منفذاً لما امر به وقدره وقضاه على
فرعون وقوله ولو منعه من التوبة لكان قد رضي بقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر اجيبوا بمثله
ما نقدر ان الله يفعل ما يشاء فيضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بامر الله
ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امر الله به ونفذه فانما رضي بالامر
لا بالمأمور به فأي كفر يكون هنا وايضا فالرضا بالكفر انما يكون كفرا اذا كنا مأمورين
بالرضا لكن بحسب الامكان واذا امرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا حقا لكنا لسنا
مأمورين بهذا بل منهيين عنه اكمل نهي ولا يمكننا ان نتكلفه بل يفعل ما يأمر به ربه واذا نفذ
ما امر به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا حقا وعلى تقدير التنزل فان جبريل انما ذكر الكبر في
فرعون كما انه خص الكفر بالذكر في غير آية بعينها والله تعالى خالق كل شيء بعباده خيرها وشرها وهو غير
راض بالكفر فعلم انه امر جبريل مع ذلك ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون بالكفر وهو
مع خلقه غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بما تمنعه من الايمان
فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وقوله وقيل ان جبريل
انما فعل ذلك عند نفسه لا بأمر الله فجوابه انما فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله اعلم
قوله تعالى واليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال
اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه
فالت بنو اسرائيل بل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من
الرعب لاجله فلما امر الله عز وجل البحر بالقذف فقذف فرعون على اعلى اجزاء البحر فصار كالتل ثم قذف
بنو اسرائيل بل معجزة لهم ذلك الوقت لانه لم يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعني نلقيك
وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له ننجيك
اليوم بهذا البدن الذي لا حراك به وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع
من ذهب مرصع بالجوهر يعرف بها فلما رأوه علموا ان ذلك درعه ذلك فعرفوه لتكون لهم علامة. يعني
عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت فاظهر الله لهم حتى يشاهدوه وهو
ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا
بني اسرائيل مبوا صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم
من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق
لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق
والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لابد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي
بوؤا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت
ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس
والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات
التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا
الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم
بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم
المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل
على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب
مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لوجود الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا
يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث
كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرسالة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم
والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله
عليه وسلم فآمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة
ومن كفر بك وجحد نبوتك النار قوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك
في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم
الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا
فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه

لحدوث

وظاهر

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

191

وظاهر هذا الخطاب في قوله فإن كنت في شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يا محمد فإن كنت
في شك مما أنزلنا إليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن فسئل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك يعني علماء أهل الكتاب يخبرونك أنك مكتوب عندهم في التورية والإنجيل وأنك
نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك
النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل إليه أو في نبوته حتى يسأل أهل الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكا
في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما
قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فإنه أورد هذا السؤال ثم قال أحذر ثبت الله قلبك
أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم
فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس
لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي
عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا
تم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية من المخاطب بهذا الخطاب على قولين
أحدهما أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك
ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت أن المراد به غيره ومن أمثلة العرب إياك أعني
واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون المعنى قل يا محمد يا أيها الإنسان الشاك إن كنت في شك مما أنزلنا
إليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يخبرونك بصحته
ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني
الآية فبين أن المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح
وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره أولى بالشك منه في نبوته وهذا
يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل إن الله تعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فإن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع هذا الكلام فإنه
يقول لا أشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلته علي من الدلائل الظاهرة وقال
الزجاج إن الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فإن كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله
يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وهو وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول
صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل إن

في الظاهر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لفظة إن في قوله فإن كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا إليك حتى
تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثاني وهو أن يقال إن هذا الخطاب
ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول أن الناس كانوا في زمانه على ثلاث
فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون
في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال فإن كنت أيها الإنسان في
شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد فسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وإنما
وحد الله الضمير في قوله فإن كنت وهو يريد الجمع لأنه خطاب لجنس الإنسان كما في قوله يا أيها
الإنسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية إنسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا في المسئول
عنه في قوله تعالى فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير
هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لأنهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد به
كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لأن المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وأنه مكتوب عندهم صفته ونعته فإذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والأول أصح
قال الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد
جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد
جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك فلا تكونن
من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله يعني بدلائله
وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما
تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فإن النبي
صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بذلك أن المراد غيره والله أعلم
قوله تعالى إن الذين حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمات ربك يعني حكم ربك وهو قوله
خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما
قدره عليهم وقضاه في الأزل أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فإنهم لا يؤمنون بها حتى يروا
العذاب الأليم فحينئذ لا ينفعهم الإيمان لأن الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الإيمان فلا ينفعهم
شيء قوله عز وجل فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل
لم تكن قرية لأن في الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كان قرية آمنت يعني عند معاينة

في المسئولين

العذاب

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

192

فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم
يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما آمنوا يعني لما اخلصوا الايمان
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا
هل رأوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا
العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والمكشوف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب
وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب
وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك
فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم
فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه
كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان
جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قال
ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا
كشف الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما
يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسودها بلا يدخن دخانا شديدا فهبط
حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس
فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن
البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا
الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم
فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء
وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل
ليأتي الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان
قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب
فما ترى فقال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف
الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت

على دعاء قوم يونس

BULAC

وجلت وانك اعظم واجل ما فعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فقالوا
وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع الى قومك فقال وكيف ارجع
اليهم فيجدوني كذابا وكان مذهب ولا يمنة له فقيل له انطلق حتى تنظر ما نصنع بك
الحوت وتسمى الفصد في سورة الصافات ان شاء الله فلما فقدت بحيث كشف
العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقيل تابوا ولم يكشف العذاب عن غيرهم من
ولم يقبل توبته فلت اجاب العلماء عن هذا بأجوبة احدها ان ذلك كان
خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد الجواب الثاني ان قوم يونس لما
ايقنوا بحلول العذاب وشاهدوا اليأس من الحياة وتيقنوا ان يونس انما انذرهم العذاب ولم يزل
بهم ولم يأتهم بشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث
ان الله عز وجل علم صدق نيتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف غيرهم لانه ما صدق ايمانه
ولا اخلص فلم يقبل منه والله اعلم فوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن من
في الارض كلهم جميعا ولكنه لم يشأ ان يصدق ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة
في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه
على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يؤمن الا من سبق له من الله سعادة في الذكر الاول ولم
يصل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه كان حريصا على ايمانهم كيلا يسلم فاخبره انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية
فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
يعني ليس اليك ذلك حتى تكرههم عليه وتحرص عليه انما ذلك الى الله وهو اضلال الكافر
بمشيئة الله وقضائه وقدره ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تؤمن وتصدق الا بفضل الله لها بالايمان
وما بعد اينتهي الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس يعني باذن الله يا محمد وقال عكرمة
بمشيئة الله ويجعل الرجس بالنون على سبيل التعظيم اي ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون
يعني لا يعتبرون عن الله امره ونهيه فوله عز وجل قل انظروا اي قل يا محمد

لهوذا

لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار
وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الآيات
الدالة على وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار
والنجوم تسخيرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار
والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالات على وحدانية الله وانه
خالقها كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد
وما تغني الآيات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يؤمنون وهذا في حق اقوام علم الله
انهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الازل من الشقاء فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني
وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله
وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون
فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون
ذلك العذاب قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب اني معكم من
المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس يخوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم
انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين آمنوا معه من ذلك العذاب وهو قوله تعالى
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا يعني من الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين يعني
كما انجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك
وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب
لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب واجيب بانه حق واجب بحيث الوعد
والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه
شيئا قوله تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
لهؤلاء الذين ارسلناك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني
الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت
تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك
من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا اصل
لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه الاوثان
وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء
وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة بمن بيده النفع
والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم والحكمة
في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا
وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى
بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على النفس فذكر في هذا
المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب فاجابهم
بقوله ولكن اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم وامرت ان اكون من المؤمنين
يعني وامرني ربي بان اكون من المصدقين بما جاء من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح
اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان
واو عطف معناه وامرت ان اقم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني
مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف
وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مائل
عنه ولا تكونن من المشركين يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فتهلك وقيل
ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد
وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي
له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك يعني ان عبدته ودعوته ولا يضرك يعني ان تركت عبادته فان فعلت يعني ما
نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري فانك اذا من الظالمين يعني لنفسك
لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان
ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر يعني وان يصبك الله بشدة
وبلاء فلا كاشف له يعني لذلك الضر الذي انزله بك الا هو وان يردك بخير يعني بسعة ورخاء

فلا راد لفضله

الاماتة

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فلا راد لفضله. يعني فلا دافع لرزقه. يصيب به. يعني بكل واحد من الضر والخير من يشاء
من يشاء. وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه القادر
على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر
على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور
الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك
انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع
المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله. يعني
ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده
بقوله وهو الغفور. يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم. يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم. يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم
جاء بالحق من الله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه ومن ضل فانما
يضل عليها. اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل اهتدى
ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء ابدا وما انا عليكم بوكيل. يعني وما انا عليكم بحفيظ
احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية منسوخة بآية السيف. واتبع ما يوحى اليك
يعني الامر الذي يوحيه الله اليك واصبر. يعني على اذى من خالفك من كفار قريش حتى يحكم الله. يعني
بنصرك عليهم واظهار دينك. وهو خير الحاكمين. يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه
وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم. آخر تفسير سورة
يونس عليه السلام والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة هود عليه السلام
وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية
عن ابن عباس انها مكية غير آية وهي قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وعن قتادة نحوه
وقال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به
وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاثون وعشرون آية والف وتسعمائة
كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر
يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس
كورت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله

يا محمد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتيك
حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة
في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب احكمت
اياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت الكتب والشرايع ثم فصلت يعني
بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه
بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله
من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها
الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصيفا
محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا
سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد
واحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلايل الاحكام والمواعظ والقصص
والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليس هي
للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم هي مفصلة احسن
التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه ايات
محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام
هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب جميعه
نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات
ان بعض اياته منسوخة نسخها بناية منه ايضا لم ينسخها غيره وقيل احكمت
اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض
لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت
بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله
خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم الا تعبدوا الا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب
احكمت اياته ثم فصلت بالا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد
والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام انني لكم

منه

منه. أي قل لهم يا محمد إني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه إن ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه
وبشير يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده.
وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه اختلفوا في بيان الفرق بين هاذين المرتبتين فقيل معناه
اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا إليه لأن الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة
الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية إلى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة
وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستقبل وقال الفراء ثم
هنا بمعنى الواو لأن الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد. يمتعكم متاعا حسنا. يعني
أنكم إذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا
وأسباب الرزق ما تعيشون فيه في أمر وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى
بالميسور والصبر على المقدور إلى أجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا إلى حين الموت ووقت انقضاء
آجالكم فإن قلت قد ورد في الحديث أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على
الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم
متاعا حسنا إلى أجل مسمى قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو
بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فإنه سجن في الدنيا حتى يفضي
إلى ذلك المعد له وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب
الأليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي إلى ما أعد الله له في الآخرة وأما
ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الأوقات إنما ذلك لأجل رفع الدرجات وتكفير السيئات
وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لأنه
راض عن الله في جميع أحواله وقوله تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله أي ويعط كل ذي عمل صالح
في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته
في الجنة لأن الدرجات تكون على قدر الأعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته
دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من أهل الأعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة
ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له
عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له

العمر لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب. احاد اعشاري وقيل معنى الاية
من عمل الله وفقه الله به المستقبل لطاعته. وان تولوا يعني وان اعرضوا عما جئتم به من الهدى
فانما خاف عليكم. اي فقد لم ان اخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني عذاب النار في الاخرة. الى الله مرجعكم.
يعني في الاخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته. وهو على كل شيء قدير
يعني ايصال الى من في الدنيا وثوابه وعقابه في الاخرة فقوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم
قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يحب ويظهر بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يضمرون ما في صدورهم
من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن عبد الهاد
نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وكاعكع
رأسه وغمض وجهه كيلا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يثنون صدورهم
كيلا يسمعوا كلام الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول نحن نعلم الله ما في قلبك وقال السدي يثنون صدورهم اي
يعرضون بقلوبهم عن قبول ما دعيت عنه. ليستخفوا منه يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد عن الله عز وجل ان استكتموا. اما حين يستغشون ثيابهم. يعني يغطون رؤوسهم وجباههم بثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ومعنى الاية على ما قاله الازهري الذين اضمروا
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه شيء من حالهم وقد نقل عن ابن عباس غير
هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في اسراره قال محمد بن عباس بن جعفر المخرمي انه سمع
ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان ناس يستحيون ان يتخلوا
فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء. فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى وما من دابة
في الارض الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأكثر ما يقع لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان
على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان الا على الله رزقها
يعني هو المتكفل برزقها تفضلا منه لا على سبيل الوجوب وهو على مشيئته ان شاء رزقها وان شاء
لم يرزقها وقيل الا للمنة على معنى ان الله رزقها فان قيل ما معنى قوله في السماء
ورزقها في الارض فما جوابه يعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان الذي
تأوي اليه بالليل ونهارا ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود

مستقرها

196

مستقر بعد ارحام الامهات والمستودع المكان الذي يوضع فيه وقيل المستقر في الجنة او النار والمستودع القبر. كل في كتاب مبين اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ فلن خلقها

قوله عز وجل وهو الذي خلق السموت والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء. يعني قبل خلق السموت والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء. وقال غيره ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموت والارض وخلق القلم فكتب بما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الى ان خلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء. على اي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه لم العرش كان قبل ان يخلق الله السموت والارض ثم قبض قبضا من جفان الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم فتق سبع سموات بيومين ثم اخذ كثفة الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الافواتها يوم دحو السموت في يومين والارض في يومين ثم برغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان الماء الضعيف اذا يكون اساسا على ارض كثيفة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموت والارض على الماء. فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عمر عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئناك لنتفقه في الدين ولنسئلك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شيء. فلبث وكان عرشه على الماء. ثم خلق السموت والارض وكتب في الذكر كل شيء. ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها واذا السراب يقطع دونها فايم الله لوددت انها ذهبت وانا ثم عمران بن الحصين قال قلت يا رسول الله ابرسلك ام بشاء قبل ان يخلق خلقه قال كان عمى ما تحته هواء وما هواه هواء وخلق عرشه على الماء. اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يريد العماء ليس معه شيء. قال ابو بكر البيهقي

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

كتاب بدء الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بدء الاسماء. والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما بجميع ذلك غير الله وقوله وعرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء. ثم كتب باللوح كل شيء. وقوله وهو رب العرش العظيم وجدته بكتاب عمار مقيدا بالمد بار كان الاصل ممدودا ومعناه سحاب رقيق ويريد بقوله وهو رب السحاب مدبره والغالب عليه كما قال امنتم من في السماء. يعني من هو في السماء. وقال ولاصلبنكم في جذوع النخل. يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء اي ما هو في السحاب هواء وكذلك وما تحته هواء اي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك راجع الى العماء مقصورا والعما اذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لانه مما عمي على الخلق لكونه غير شيء. فكانه قال في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اي ليس فوق العماء الذي هو لا شيء موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لانه ذلك اذا كان غير شيء. فليس يثبت له هواء والله اعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه ان كان عرشه على الماء. حذف كما حذف في بعض ما جاء في الحديث وقوله تعالى وكان عرشه على الماء. هذا آخر كلام الهروي وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره ان كان عرش ربنا محذوف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء. حكي عن بعضهم ان عماء مقصور وهو كل ما لا يدرك بالبصر وقال الازهري قال ابو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم وإلا فلا ندري كيف كان ذلك العمى قال الازهري ونحن نؤمن به ولا نكيف بصفته م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وفي رواية قدر الله المقادير وامر الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء. خمسين الف سنة قوله قدر يريد انه خلق المقادير لانه كان يستحيل ان يقدر منه الله تعالى ما يشغله شيء عن شيء فاذا اراد شيئا يقول له كن فيكون وقوله تعالى ليبلوكم يعني ليختبركم وهو اعلم بكم منكم. ايكم احسن عملا. يعني طاعة الله واورع عن محارم الله. ولئن قلت. يعني ولئن قلت يا محمد لقوم الكفار قوم. انكم مبعوثون من بعد. يعني الحساب والثواب والجزاء. ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يعني القرآن

والحمد لله رب العالمين

ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة. يعني إلى أجل محدود. وأصل الأمة في اللغة الجماعة
من الناس فكأنه قال إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى. ليقولن ما يحبسه. يعني أي شيء يحبس
العذاب. وإنما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء. يعنون أنه ليس بشيء. قال الله
عز وجل ألا يوم يأتيهم. يعني العذاب. ليس مصروفا عنهم. أي لا يصرفه عنهم شيء. وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون. يعني ونزل بهم وبال استهزائهم. قوله تعالى ولئن أذقنا
الإنسان منا رحمة. يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا. ثم نزعناها
منه. يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به. إنه ليئوس كفور.
يعني يظل قنطا من رحمة الله. آيسا من كل خير. كفور. أي جحود لنعمتنا عليه أو قليل الشكر لربه
قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها
فإن نزعت عنك فينبغي لك أن تصبر ولا تيأس من رحمة الله فإنه العواد على عباده بالخير. وهو
قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته. يعني ولئن نحن أنعمنا على الإنسان فبسطنا عليه
من العيش. ليقولن. يعني الذي أصابه الخير والسعة. ذهب السيئات عني. يعني ذهبت
الشدائد والعسر والضيق وإنما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجرأة عليه لأنه لم يضف
الأشياء كلها إلى الله وإنما أضافها إلى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى. فقال إنه لفرح فخور
يعني أنه أشر بطر. والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى. والفخر هو التطاول
على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه. ثم استثنى. فقال تعالى إلا الذين صبروا
وعملوا الصالحات. قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات
فإنهم ليسوا كذلك فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالوا نعمة شكروا عليها. أولئك. يعني
من هذه صفته. لهم مغفرة. يعني لذنوبهم وأجر كبير. يعني الجنة. قوله عز وجل فلعلك
تارك بعض ما يوحى إليك. الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه إلى من أمرتك أن تبلغ ذلك
إليه. وضائق به صدرك. يعني ويضيق صدرك بما يوحى إليك فلا تبلغه إياهم وذلك
أن كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم
أن يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك. يعني من ذكر
آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية. وأجمع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم

وذهبت به

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فيما كان طريقه البلاغ فإنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا
عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه إلى أمته ولم يكتم منه
شيئا واجمعوا على أنه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والإنذار ولا يترك
بعض ما أوحي إليه لقول أحد لأن تجويز ذلك يؤدي إلى الشك في أداء الشرائع والتكاليف
لأن المقصود من الرسول التبليغ إلى من أرسل إليه فإذا لم يحصل ذلك فقد فات فائدة الرسالة
والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما أوحي إليك شيء آخر غير ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك
أجوبة أحدها قال ابن الأنباري قد علم الله سبحانه وتعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يترك شيئا مما يوحى إليه إشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله
صلى الله عليه وسلم في متابعة الإبلاغ كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك الآية الثاني
أن هذا أدب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على أداء ما أنزل إليه والله تعالى من وراء ذلك
في عصمته ممن يخافه ويخشاه الثالث أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه
ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وأن يلقي إليهم
ما لا يقبلونه ويستهزئون به فأمره الله بتبليغ ما أوحي إليه وأن لا يلتفت إلى استهزائهم
وأن تحمل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه
الدقيقة لأن الإنسان إذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم
ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الإقدام على الفعل وقيل إن الله تعالى
مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لأداء الرسالة وطرح
المبالات باستهزائهم وردهم إلى قبول قوله بقوله فلعلك تارك أي لعلك تترك أن تلقيه
إليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا يعني
مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز يعني يستغني به وينفعه أو جاء معه ملك يعني
يشهد بتصديقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى أنهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة
على كل شيء وأنت عزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغني به أنت
وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله

عز وجل

عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل انما انت نذير تنذر
بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وبشير بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك والله
على كل شيء وكيل اي حفيظ يعني انه تعالى حافظ بحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم
عليها يوم القيامة قوله تعالى ام يقولون افتريه يعني بل يقول كفار مكة اختلقه
يعني ما اوحي اليه من القرآن قل اي قل لهم يا محمد فاتوا بعشر سور مثله مفتريات لما
قالوا له افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان
وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي
شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا
انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر
عليه من الكلام فلهذا قالوا فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتريه فان قلت
قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر
سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشر اعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة
هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس
وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة يونس
فاتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله
في سورة هود فاتوا بعشر سور يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم
ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام امره بان يقول لهم وادعوا من استطعتم من دون الله
حتى يعينكم على ذلك ان كنتم صادقين يعني في قولكم انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم اعلم انه
لما اشتملت الاية المتقدمة على امرين وخطابين احدهما امر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو قوله قل فاتوا بعشر سور مثله والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم
من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة
لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة
فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الاية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة
ليتبين عجزهم فلما عجزوا قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه

عليهم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من المعارضة وعجزوا عنه. فاعلموا انما انزل بعلم الله. يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه
وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله
فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم
الوجه الثاني ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في
الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الاية فان لم يستجيبوا
لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا ان ما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني ان الذي انزل القران هو الله الذي لا اله الا هو لا تدعون
من دونه. فهل انتم مسلمون فيه معنى الامر اي اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا الاية على
انه خطاب مع المومنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اي دوموا على ما انتم عليه
من الاسلام قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها. يعني بعمله الذي يعمله
من اعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف اليهم اعمالهم يعني
اجور اعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره
في الدنيا وما اشبه ذلك وهم فيها لا يبخسون يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها
في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها. يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر وباطل ما كانوا يعملون
لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فروى قتادة عن انس انها في
اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني
اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا
ونحو هذا من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر
عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الاخرة نصيب ويدل على صحة هذا
القول سياق الاية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار الاية وهذه حالة
الكفار في الاخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الاخرة وقيل ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج
الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمومن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة
قال مجاهد في هذه الاية هم اهل الرياء هم اهل الرياء. وهذا القول مشكل لان قوله

اولئك

اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار ما يليق بحال المرء الا اذا فلنا ان تلك الاعمال والاعمال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استوجبوا عليها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عمر ابن هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه تركته وشركه اخرجه مسلم عمر ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اخرجه ابو داود عمر ابن هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراءون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والبر بالكسر هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمد ان اشتهر عليها وليعتقد وابوه الصلاح او ليتضلعوا بالعلماء وهو العمل الذي هو لغير الله تعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والاخرة واراد ثمة الاخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة وروينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى ان من كان على بينة من ربه لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحيوة الدنيا وزينتها ذكر في هذه من كان يريد بعمله وجه الله والدار الاخرة فقال تعالى ان من كان على بينة من ربه ممن يريد الحيوة الدنيا وزينتها ويبتغي به الاخرة الكافر واما حذف هذا الجواب للعلم به ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة البيان يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه

يبتغى

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

شاهد منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو قال
ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام
يريد ان جبريل عليه السلام يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن
وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال
وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما
كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه
يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال
الحسن بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله
عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد
الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم
بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كان ولا مجنون وقال جابر بن عبد
الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له
رجل وانت ايش نزل فيك فقال علي ما تقرا هذه الاية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى
هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد
منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء يعني ان الانجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن وقوله تعالى ومن قبله يعني
ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى يعني التورية اماما ورحمة
يعني انه امام لهم يرجعون اليه في امور الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال
وذلك سبب حصول الرحمة قوله تعالى اولئك يؤمنون به يعني ان الذين وصفهم الله
بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله اولئك يؤمنون به يعني محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به يعني محمد
صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فيدخل فيه اليهود والنصارى
والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الانبياء

فالنار موعده

فالنار موعده. يعني به الآخر وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار قال سعيد بن جبير ما تقفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الأمة الحديث قال سعيد فقلت أي هذا في كتاب الله حتى أثبت على هذه الآية ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال بالأحزاب أهل الملل ثم قال تعالى فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك. فيه قولان أحدهما أن معناه فلا تك في شك من هذا الذي ورد في القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون منقطعا مما قبله من قوله تعالى يقولون افتراه والقول الثاني أنه راجع إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في شك أن النار موعد من كفر من الأحزاب والكتاب به فقوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعضهم بعد هذا القول ونحو قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بأنهم جنا البك أو مراد مع هذا الكفار النار قوله عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا يعني أن الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم أن له شريكا وولدا وجه الآية دليل على الكذب على الله من أعظم الظلم لأن قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا يورد به تعرض المبالغة. أولئك. يعني المفترين على الله الكذب. يعرضون على ربهم. يعني يوم القيامة فيسلم عليهم الذي كانوا في الدنيا ويقول الأشهاد. يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم فإنه مجاهد وقال مجاهد هؤلاء الأنبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الأشهاد الخلق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعني في الدنيا وهذه البضيعة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله ألا لعنة الله على الظالمين. يعني بقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من المسلمين يقال له صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف إذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد وهؤلاء

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

بيناد بهم على وسر الخطاب بقوله الذين كفروا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فقوله تعالى
الذين يصدون عن سبيل الله بعد الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين
ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو
الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة
على صحة دين الاسلام وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت
منكرون له اولئك يعني هؤلاء لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل فائتين
وقيل فارين يقال اعجزني فلان في طلبه اذا فاتك ولم تقدر عليه والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد بهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنه يقبضهم
وملكه لا يفوته ومن اراد الله منهم اذا كان كذلك وما كان لهم من دون الله من اولياء يعني ومالهم من ناصر يمنعهم من عذاب الله
المشركين من انصار يمنعونهم من بأس الله اذا اراد بهم سوءا او عذابا يضاعف لهم العذاب يعني
بالاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون قال قتادة ثم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا
فيأخذوا به وقال ابن عباس اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين ما كانوا عتيه الدنيا وبالاخرة
اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو ما عنه وما كانوا يبصرون واما في الاخرة
فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هؤلاء الذين
وصفتهم هم الذين خسروا انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني
وبطل كيدهم وامكرهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملايكة والاصنام تشفع لهم لا جرم
يعني حقا وقال ابن عباس لا محالة انهم في الاخرة هم الخاسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة
واشتروا بها ضدها منازلهم في النار وهذا هو الخسران المبين فقوله عز وجل ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم
في الاخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وفوزهم في الاخرة والاخبات في اللغة هو
الخشوع والخضوع وهما ينتظم القلب وبعض الاخبات تتعدى بالى وباللام يقال اذا قلت
اخبت فلان الى الله فمعناه اطمأن اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع احوال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال
القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل واعلم ان هذه الاعمال الصالحة لا تنتفع بها الا خير
الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع واذا فسرنا الاخبات بالخضوع ينتظم

كمال

كما يعنى آمنوا بالتوراة بالاعمال الصالحة مخلصين الصدق وعد الله بالثواب والجزاء
على تلك الاعمال ان يكونوا مخلصين الذى سبحانه وتعالى وأذا قرنا الاخبات بالخشوع
والخضوع كما يعنى آمنوا بالتوراة بالاعمال الصالحة خاشعين وجلين الا تكون مقبولة وهو
الخشوع والخضوع اولئك يعنى الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر
عز وجل به الاخبار بان اهل الجنة الى انقضاء تنعيمها او لا زوال فقوله تعالى
مثل الفريقين كما عمى والاصم والبصير والسميع ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حال الكفار
وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر حال المؤمنين وما كانوا
عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة وضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين
يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذى لا يهتدى لرشد والاصم وهو الذى
لا يسمع شيئا والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على ما هى عليها والسميع وهو الذى يسمع
الاصوات ويجيب الداعى مثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل بنفسه
ومثل الكفار مثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص بنفسه هل يستويان مثلا قال البراء
لم يقل يستويان لان الاعمى والاصم خبر كانا واحدا وفى مقدار وصف الكافر والبصير والسميع
خبر كانا واحدا وفى مقدار وصف المؤمن كما تذكرون يعنى تتعظون فقوله جل وعز
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين يعنى انذر قومه عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله
اليهم انى لكم نذير مبين يعنى انذركم ببأس النار ان لم تؤمنوا بالعفاب لم تعبدوا الله
وتعبدوا غيره وهو قوله ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم يعنى موجع
قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة وليث يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث
وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة فمكث
يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الف سنة واربعمائة سنة وخمسين سنة. فقال الملا الذين كفروا من قومه
يعنى الاشراف والرؤساء ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا يعنى آدميا مثلنا لا افضل
لك علينا فلا اتباعوك الا حين بدى حاد البشر يمتنع استماعه الى حيث يصير الواحد منهم
واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك
ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من احاد البشر وهو من اختصه الله
بكرامته وشرفه وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح
وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والرذل الدون من كل شيء. قيل هم الحاكة
والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة في الدين
ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع
الرسل ولا تضرهم دسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين بادي الراي يعني انهم اتبعوك
في اول الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني انهم
اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا بلطفنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني بالمال والشرف والجاه
وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف
والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح
وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم. قال نوح يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني رحمة
من عنده يعني هديا ومعرفة ونبوة فعميت عليكم اي خفيت والتبست عليكم انلزمكموها
الهاء عايدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك
من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام معناه الانكار اي لا اقدر على ذلك والذي
اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله
لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا يعني لا اسئلكم ولا اطلب منكم
على تبليغ الرسالة جعلا وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين
امنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم
ولكني اريكم قوما تجهلون يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم
تجهلون ان هؤلاء المومنين خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله يعني من يمنعني من عذاب الله
ان طردتهم عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني فتتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين
الله هذا عطف على قوله لا اسئلكم عليه مالا والمعنى لا اسئلكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي
خزاين الله يعني التي لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانباري

على

الخزاين

الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منكور عن الخلق وأنا وجب أن يكون هذا جوابا لما نوح
عليه السلام لهم لما قالوا وما نريد أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا
من فضل فإنما أتبعوه بما ظهر لهم من ورعه وخلقه غير مطلعين له فقال لهم لا أقول
لكم عندي خزائن الله التي يعلم منها ما يكرمه عليه عباده وما يحقرونه وأنما قيل للغيوب
خزائن لعزتها على الناس واستئثارها عنهم والقول الأول أولى ولا أعلم الغيب فيسر فيه
لكم عندي خزائن الله ويسر فيه له ولا أعلم الغيب يعني ولا أدعي علم ما غاب عني مما يشرفونه به نحو سبع
سنبلات فيقبل إيمانهم بالظاهر ولا يعلم ما به صلاح الله ولا أقول إني ملك وهذا جواب لقولهم
ما نراك إلا بشرا مثلنا أي لا أدعي أني من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أدعوكم إلى الله وأبلغكم ما أرسلت
به إليكم فصل استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء فالوا
لأن نوحا عليه السلام قال ولا أقول لكم ملك لأن الأنسان إذا ادعى أنه لا يدعي كذا وكذا لا يعني إلا إذا كان
ذلك الشيء أشرف وأفضل من الحال الذي قاله فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة معناه
فوق ما تريدون أن أدعيه لأني بشر مثلكم وما كان هو يدعي أن الرسل لا يكونون من البشر إنما يكونون من الملائكة
ما علم أن هذا الكلام باطل وأن الرسل إلى البشر إنما يكونون من البشر فلهذا قال ولا أقول إني ملك
ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم ولا أقول للذين تزدري أعينكم يعني
تحتقرونهم تستصغرهم أعينكم يعني المؤمنين وذلك أنهم لما قالوا إنهم أراذلنا من الرأي الدون وهي الخفة
لن يؤتيهم الله خيرا يعني توفيقا وهداية وإيمانا وأجرا الله أعلم بما في نفوسهم يعني من الخير
والشر إني إذا لمن الظالمين يعني إن طردتهم لكذبا بالظاهر ومسيئا لما بينهم يعني إن فعلت
هذا ما كنت قد ظلمتهم وأنا لا أفعله لما أنا من الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا يعني خاصمتنا
فأكثرت جدالنا يعني خصومتنا فأتنا بما تعدنا يعني من العذاب إن كنت من الصادقين يعني
في دعواك أنك رسول من الله إلينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء يعني قال نوح لقومه حين
استعجلوه بإنزال العذاب بهم إذ لك ليس إلي إنما هو إلى الله ينزله متى شاء وعلى ما شاء وما أنتم
بمعجزين يعني وما أنتم بما يريد إرادة إنزال العذاب بكم ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم
يعني ولا ينفعكم إنذاري وتحذيري إياكم عقوبته إياكم ونزول العذاب بكم إن كان الله يريد أن يغويكم
يعني يضلكم ويهلكم وهذا معنى ليس بتفسير لأن الإغواء يعود إلى الضلال هو ربكم
يعني أنه تعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه وإليه ترجعون يعني في الآخرة فيجازيكم

بما كانوا يفعلون افتريته اي اختلقته وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاء به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثمي اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بريء مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه وقصة قصة نوح وقال مقاتل ان يقولوا يعني المشركين كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة بين قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلفونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج اليهم الثاني وبعد عوده الى الله دعا ربه فيما روي انه لما يئس من قومه جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا نبي الله ما بقي ندعو هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت آتيني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس يعني فلا تحزن عليهم فان مثلكم اذا كانوا يفعلون يعني بنبي بعثته واعطيته فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً وحكى محمد بن اسحاق عن عبد بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يتصورون نوحا ويخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي انهم لا يعلمون حتى تنامى ذراري المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو يشكو الى الجبيل بعد الجبيل فلما يئس قرن الاكاسرة الجبس من الله قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا واجدادنا هذا مجنون فلا يقبلون منه شيئا فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوتهم ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعني السفينة والفلك يجمع يكون على الواحد والجمع بأعيننا قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا وقيل بأمرنا وانما كنى به الذين ظلموا الذين كفروا بالكفر والمعنى ولا تخاطبني بإمهال الكفار فانهم قد حكم بإغراقهم وقيل ولا تخاطبني بأنك كنت قادرا على اهلاكهم بغير فلك وانما امرته بذلك لما فيه من التواضع لله تعالى وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها وانت نجار فقال له ان ربك يقول صنع بأعيننا واخذ القدوم وجعل يخرق ولا يتكلم

فصنعها

على ما جرى له عليه السلام

ذراري

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما أمره الله تعالى
قال أهل التفسير لما أمر الله نوحا بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه
وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكلما يحتاج إليه في عمل الفلك وجعل
قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة
وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل التورية أن الله
أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه
وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع
إلى المنكب وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلا ووسطا وعلوا وأن يجعل فيه كوا فصنعه
نوح كما أمره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها
ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام
وفي البطن الوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه البطن الأعلى وحمل معه ما يحتاج إليه
من الزاد وغيره وقال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن أنه كان طولها ألفا
ذراع ومائتا ذراع وعرضها سبعمائة ذراع والقول الأول أشهر أن طولها ثلاثمائة
ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة
يصنع الفلك وقال كعب الأحبار عمل السفينة نوح في ثلاثين سنة وروي أنها ثلاثة
أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للإنس والطبقة العليا للطير
فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير
وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فأقبلوا على الروث فأكلوه فلما أفسد الفأر
في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها فأوحى الله إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب
فخرج من منخره سنور وسنورة وهو القط فأقبلا على الفأر فأكلاه فذلك قوله تعالى
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه يعني جماعة من قومه سخروا منه يعني استهزؤوا
به وذلك أنهم قالوا إن هذا الذي كان يزعم أنه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع
قال أصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه قال يعني نوحا لقومه إن تسخروا منا فإنا
نسخر منكم كما تسخرون يعني إن تستجهلونا في صنعها فإنا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب

BULAC

العلم للبشر وصل الله
على من لا نبي بعده

تسخرون الله وعذابه قال فلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف
قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فلت ما اسمى
هذا الفعل سخرية على قبيل المزاوجة مثل اكلة اكلت كما في قوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله
بعده تعلمون بعني بعده ترون مرئيا بعني آيتيا تيه فراواشم عذاب يخزيه
بعني يفضحه ويحل عليه عذاب مقيم بعني بالاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا
وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور بعني وعلا وثار الغبار وفارت
الغدر اذا علت والتنور فارسي معرب لا تعرفه العرب اسما غير هذا فلذلك جاء القرآن
بهذا اللفظ مخصوصا لما يعرف وقيل انما لفظ التنور جاء هكذا بكل لسان عربي
وعجمي وقيل انما لفظ التنور اصله اعجمي تكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج
ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض
وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة
فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي
فار التنور اي طلع الفجر وتنور الصبح شبه نور الصبح بفروج النار من التنور وقال
الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قولهم اكثر المفسرين وروايته
عن ابن عباس ايضا وهذا القول اولى لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة
اولى واللفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه
قال فلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع
فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبعه ويغزر
بأن تنبسط وترتفع فلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه
السلام وقال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه فصار لنوح وقيل له
اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد
تبع الماء التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان
الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة

جزء

به جوف مسجد الكوفة وكان الثور عن يسار الداخل مما يلي باب كندة وكان قرار الثور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك الثور ثور وراد وكان بالشام يوضع فيقال له عفير وردة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالهند قال والبقر ثلاثة أصناف فلما حمل فيها يعني فلما أن حمل نوح عليه السلام السفينة مر إليه زوجين اثنين من كل صنف من أصناف الدواب ذكرا وأنثى يعني من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فجعل الله تعالى الذكر والأنثى يضاف لكل واحد منهما زوج والمعنى

يغتر الغرق وايضا مبارك باب اللام يدل على ذلك وما يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض
فيه **قال** البغوي روي عن بعضهم ان الحية والغراب اتيا نوحا عليه السلام فقالا احملنا
معك فقال انكما سبب البلاء فلا احملكما فقالا احملنا فمن تضمن لك ان لا ينصر احدا ذكر **خمس**
فراجيز فخاطر رمضر فتضاءل على نوح بالعالمين فنضر انه **وقال الحسن** حمل نوح معه
بالسفينة الا ما يلد ويبيض اما ما سوى ذلك مما يتولد من الكبريت حتى ان الارض كالبق والبعوض
لم يحمل منها شيئا **قوله تعالى وقال اركبوا فيها** يعني وقال نوح لمن معه اركبوا
بالسفينة **بسم الله مجريها ومرسيها** يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها **قال**
الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري واذا اراد ان ترسو يعني
تقف قال بسم الله فترسو اي تقف وقد اعلم الله عباده انه مراد او امر لا ينبغي
لهم ان يشرعوا فيه حتى يذكروا اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح
في سائر الاحوال **وقيل** تجري بهم في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتد تلاطم
الريح تشبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء **قال العلماء** بالسير ارسل الله الريح اربعين
يوما وليلة فخرج الماء من الارض وذلك قوله تعالى **يعني** فتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا بالتفجير الماء على امر قد قدر يعني صار الماء يصير نصف ماء السماء ونصف ماء الارض
وارتفع الماء على اعلى جبل في الارض اربعين ذراعا **وقيل** خمسة عشر ذراعا حتى اغرق
كل شيء **وروي** انه لما كثر الماء في السفينة خافت ان يصير عمل ولد صار الغرق وكانت تحمله
حيا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فغمرها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه
فكما غمرها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى فمها ارتفعت الصبي
بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما الله فلو رحم الله احدا لرحم الصبي وناجى نوح
ابنه **يعني** كنعان وكان كافرا وكان يعزل **يعني** عن نوح ولم يركب معه **يا بني اركب معنا يعني**
في السفينة ولا تكن مع الكافرين **يعني** فتهلك معهم **قال يعني** كنعان **سآوي** يعني سآتي
واصير الى جبل **يعصمني** يعني يمنعني **من الماء قال** يعني قال له نوح **لا عاصم** يعني لا مانع
اليوم **من امر الله** يعني من عذاب الله **الا من رحم** يعني الا من رحمه الله فينجيه من الغرق وحال بينهما
الموج فكان من المغرقين **يعني** كنعان **وقيل** يعني بعد ما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح
بالارض ابتلع ماءك **اي** اشربه **ويا سماء اقلعي** اي امسكي **وغيض الماء** اي ونقص وذهب

يقال

يقال غاض الماء اذا انقص وغض الامر يعني وفرغ من الماء وهو بعداذ ف نوح
والسنون يعني والسنة السنة على الجودي وهو جبل بالجزيرة يقرب الموصل وقيل
بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلماء بالسير كما استوت السفينة بقدر
نوح الغراب ليلة عشر فغارت الارض وغيض الماء على جبل نوح ثم رجع الماء وبعث الحمامة فجاءت بورق
زيتون به منقارها وكحلت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب بعد فعاد الغراب
بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وهو في الحمامة بالخضرة التي في عنقها وقد عاد الماء
من نوح تاسع البيوت وروي انه عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت
بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله الى السماء وبقي موضعه
مكانه السفينة به تسعا ووضع الحجر الاسود بجبل ابي قبيس وبقي نوح ومن معه
في السفينة بعد ما نزلوا وصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية
بقرب الجبل وسميت ثمانين وهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل
انه لم يمت احد من الكفار ممن غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى ركبته وكان سبب
نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يجد نقله فحمله
عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك قال فلما ركب فيها اقتضت الحكمة الالهية
والتدبير العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم
قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فلم يولد لهم ولد تلك المدة وعند الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والفصول
والكبير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا اهلاك الاطفال الذين ولدوا مع اباهم غير قوم نوح
والجواب ان السؤال عن هذا انما هو ان الله تعالى متصرف في خلقه وهو الفاعل المختار
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسؤاله عز وجل ونادى نوح
ربه ابن دعاه وسأله فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي
وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت
لقوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك فقال يا نوح انه يعني هذا البر الذي سألتك
نجاته ليس من اهلك اختلف العلماء التفسير هل كان هذا الولد لنوح لصلبه او لا
فقال الحسن ومجاهد كان ولد حسنا من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك

وقال محمد بن جعفر الباقر كان امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قالت امرأة لوط
ولم يقل منه وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح
لصلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بالكلام ويدل على صحة
قول الجمهور ما روي عن ابن عباس انه قال ما بغت امرأة نبي قط وقال الله تعالى عليه
بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا اصرح الدلائل
وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالفنا هذا الظاهر
لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ لما قاله الله خلق خلقه فريق
في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن
والمؤمن من الكافر وهو ذلك بين الانبياء وغيرهم قال الله اخرج فاسق من صلب ابيه عليه السلام
وهو نبي وكافر فاسق كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك
اخرج كفارا وهو كافر من صلب نوح وهو نبي وهو المتصرف في خلقه كيف شاء.
فإن قلت فعلى هذا كيف نادى نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله
ربي ان ولدي من اهلي وان وعدك الحق بين ذلك إذا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم
بكفر ابنه كان كافرا فلذلك نادى وعلى تقدير انه يعلم كفره إنما حمله على ان نادى
رقة الابوة ولعله اذا راى ذلك الهول ان يسلم ويتجيه الله بذلك من الغرق فاجابه
الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس على دينك لان اهل الرجل من تجمعه
وايانا نسب او دين او مهاجر ولما حكمت الشريعة بزوال حكم النسب عند كثير
من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح قرأ
الكسائي وروح يعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بعينه الراء على تأويل الفعل على الامر
ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون بالرفع الراء.
عمل بعينه الميم ورفع اللام مع التنوين غير بضم الراء ومعناه إن سؤالك اياي ان انجيه
من الغرق عمل غير صالح لما طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد ولهذا قال انه
عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير إلى نوح ايضا ويكون التقدير على هذه
القراءة انه ذو عمل او صاحب عمل غير صالح مجده المضاف كما قالت الخنساء
ما ناهيك فتى وابن فتى قال الواحدي وهذا قول اصحاب يعني الزجاج وابي بكر الانباري

وابن عباس

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وأبي علي الفارسي قال أبو علي ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملاً غير صالح كما يجعل الشيء
نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان إذا كثر منه فعل هذا الأحذف
فلا تسألن ما ليس لك به علم وذلك أن نوحا عليه السلام سأل ربه إنجاء ولده من الغرق وهو
من كمال شفقة الوالد على الولد وهو يعلم أن ذلك محظور لإصرار ولده على الكفر فنهاه الله
عن مثل هذه المسألة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألن ما ليس لك به علم
بجواز مسألته إني أعظك يعني أنهاك أن تكون من الجاهلين يعني لمثل هذا السؤال
قال يعني قال نوح رب إني أعوذ بك يعني ألجأ إليك وأعتذر إليك أن أسألك ما ليس لي به علم
يعني إنك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فأعتذر إليك من مسألتي ما ليس لي به علم
وإلا تغفر لي يعني جهلي وإقدامي على سؤالي ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي
وسعت كل شيء أكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى
عصمة الأنبياء وبيانه أن قوله إنه عمل غير صالح والمراد منه السؤال وهو محظور
فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم وقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين
وهذا يدل على أن ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة
له يدل على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام
بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم
ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه
الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه الله أنه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فأشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجأ
إلى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لأن حسنات الأبرار سيئات
المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله
وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم قوله تعالى
قيل يا نوح اهبط أي انزل من السفينة أو من الجبل إلى الأرض بسلم أي بأمن وسلامة منا
وبركات البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله
تعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة

اللهم لك الحمد وصل الله وسلم
على من كان نبيا بعده

ولم يقيد تركا بما بعده السفينة غرقه. وعلى أمم ممن معك يعني وعلى ذرية أمم ممن كان
معك السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون ممن معك. وبعدك ذرية أولادك وهم المؤمنون
قال محمد بن كعب الفرظي دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة. وأمم سنمتعهم. هذا
ابتداء كلام أي وأمم كافرة يعقبك ثم يعقبك سنمتعهم يعني في الدنيا إلى منتهى آجالهم ثم
نمسهم منا عذاب أليم يعني في الآخرة نظير ما أنبأ الغيب هذا خبر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعني أن هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وقومه وغيرهم من أنباء الغيب
يعني من أخبار الغيب. نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول
القرآن عليك فلما أتاه قصة نوح كان مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما
كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل أن يكون كانوا يعلمونها مجملا أو
قبل نزول القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا
لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل نزول القرآن بها فاصبر يا محمد على أذى مشركي قومك كما صبر نوح على أذى قومه
إن العاقبة يعني بالنصر والظفر على الأعداء والفوز بالسعادة الأخروية للمتقين يعني للمؤمنين
قوله عز وجل وإلى عاد يعني وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا يعني أنه أخوهم في النسب
لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا في العبادة ما لكم من إله
غيره يعني أنه تعالى هو الحق لا معبود إلا الله التي تعبدونها أنتم أوثانا فهي باطلة لا تضر ولا تنفع
إن أنتم إلا مفترون يعني ما أنتم إلا كاذبون في عبادتكم غيره يا قوم لا أسألكم عليه يعني على تبليغ
الرسالة أجرا يعني جعلا تأخذونه منكم إن أجري يعني ما ثوابي إلا على الذي فطرني يعني خلقني بائنا
هو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الآخرة أفلا تعقلون يعني بتفكرون وبأمره استغفروا ربكم
أي آمنوا به واستغفروه مما يعني الإيمان فإنه هو المكفر أولا ثم توبوا إليه يعني من شرككم
وعبادتكم غيره ومساءة نوبكم يرسل السماء عليكم مدرارا يعني يتزل المطر عليكم متتابعا
مرة بعد مرة وقت الحاجة إليه وذلك أن بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فحبس
الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فأخبرهم هود عليه
السلام أنهم إن آمنوا بالله وصدقوا رسل الله عليهم المطر فجاءهم بلادهم كما كانت
أول مرة ويزدكم قوة إلى قوتكم يعني شدة مع شدتكم ولا تتولوا أي آمنتم فيقع بكم سالما سوال

والله ولد

والاولاد وذلك انه تعالى امنهم ارجاء نساءهم فلم تلد بعقال ليح فتوح عليه الثناء ان امتنع
ان يرسل الله المكر فيزداد درورا ويعيد ارجاء الامعات الى ما كانت عليه فيزداد قوة
بالاموال والاولاد وقيل تزداد ورة الدين الى الدنيا والابدان وانتولوا مجرمين
يعني وانتم اعراض قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين فالوايا هود ما جئتنا ببينة
اي بشرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك
عبادتها لاجل قولك وما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين ان تقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء يعني انك يا هود كنت تنتقصها فاصابتك بالجنون وعيب الهتنا
الا بعض الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك تسبهم بالتقصان فلذلك اصابك هذا
الامر على هذا قال يعني قال هود مجيبا لهم اني اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا
انتم ايضا على انني بريء مما تشركون به يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني
جميعا يعني احتالوا بي كيدي وضروا انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع بزعمكم لا تضر
ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلوني وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام
وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذا القول ويعلم ويعرف منهم مع ما هم فيه من الكبر
والجبروت الا التقية بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله اني توكلت على الله ربي وربكم
يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه ما من دابة يعني تدب على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني
يعني ادب والحيوان لانه يدب على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو تالكها
والقادر عليها وقهرها كما ان اخذنا بناصيته بعد قهرته والناصية مقدم الراس ويسمى
الشعر الذي عليه ناصية المجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا
في كلامها اذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصيته بيد فلان وكانوا اذا اسروا
اسيرا اراد والاكلافه جبروا ناصيته ليمتنوا عليه ويعتدوا بذلك فخبر عليه بما هم فيه
الله بما يجري مركلامه ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وربكم قادر وانتم في قبضته
كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يفعل ولا يحكم الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي
المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان ديني هو الصراط المستقيم
وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يتولى على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا يعني
تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني انه لم يقع في تقصير

جبروا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بتبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم بقبول ذلك ويستخلف ربي فيما يخرجكم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم ولا تضرونه بل يوجدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال بعمر وعبد وتعديد ولا تضرونه شيئا يعني بتركهم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم ملكه وجودكم وعدمكم عنده سواء فقوله تعالى ولما جاء امرنا يعني بإهلاكهم وعذابهم

على عدد من أمر بصعود عليه السلام

نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عادا وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات ما اهلكهم جميعا وانجى الله المؤمنين منهم بغير شيء وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا بعيد لان الله تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم بقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم اشارة الى قريش وهم اشارة الى قوم هود واتباعه كانه قال يا قريش ما نظروا اليهما واعتبروا بهما واشار الى وصف حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم يعني المعجزات التي اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب رسولا فقد كذب كل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان القبيلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرئيس المتمرد على الله والعنيد العادل الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا اللعنة تلحقهم وتنصرهم معها واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ويوم القيامة يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تبعتهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد قلت الفائدة فيه ان الذكر يجمع مختلفين يدل

208

على نهاية التأكيد وآتيهم كانوا ليستحقوا له. فيه بعود. عكف يار لعاد بار فلت
بعد الإنباء حاصل بمعنى. ما العاد بدءا. قوله فيه بعود فلت أي عاد كانوا
فبلتين عاد الأولى القديمة التي فيه بعود وعاد الثانية وهي ذات العماد وهم
العمالقة جاءت بعد بعود لبزول الانتباه، وجوابه آخر وهو أن المبالغة بالتشخيص
تدل على تقوية التأكيد. قوله عز وجل والى ثمود أخاهم صالحا. أي وأرسلنا الى ثمود
وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني بالنسب لأبيهم قال يا قوم اعبدوا الله. أي وحدوا الله
وخصوه بالعبادة. مالكم من إله غيره. هو الحق المستحق للعبادة لا هذه الأصنام. ثم ذكر
الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته. فقال هو أنشأكم من الأرض يعني أنه هو
ابتدأ خلقكم من الأرض فإن آدم خلق من الأرض واستعمركم فيها يعني وجعلكم
عمارها وسكانها. وقال ابن عباس أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة
سنة إلا ما شاء الله سنة. وكذلك كان في عاد. وقال أعمركم من العمر أي جعلها لكم ما عشتم
فاستغفروه. يعني من الكفر. ثم توبوا إليه. يعني من الشرك. إن ربي قريب. يعني من المؤمنين مجيب
لدعائهم. قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا. يعني قبل هذا القول الذي جئتنا به والمعنى
إنا كنا نرجو أن تكون فينا سيدا لنا نعلمنا ونرشدنا وكان يحبنا ويحسن إلينا فلما دعوتنا إلى
ما ذكرت انقطع رجاؤنا منك. أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا. يعني الأصنام. وإننا لفي شك مما تدعونا إليه. يعني
من عبادة الله مريب. يعني إنا لفي شك من قولك. قال يا قوم أرأيتم إن كنت
على بينة من ربي. أي على يقين ومعرفة وقيل على نور وهدى. وآتاني منه رحمة. يعني نبوة. وحكمة. فمن ينصرني من الله
أي فمن يمنعني من عذاب الله. إن عصيته. يعني إن خالفت أمره. فما تزيدونني غير تخسير. قال
ابن عباس معناه غير مضاف بتخسيركم. وقال المفسرون بل الصالح لم يكن صالحا حتى يقول
ما تزيدونني غير تخسير وإنما المعنى فما تزيدونني بما تقولون إلا أنكم تنسبونني إلى الخسارة. وقيل
هذه ناقة الله لكم. آية. وذلك أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة كذا معناه أشاروا
إليها فدعا الله عز وجل فأخرج الله لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ولدت فصيلا
يشبهها. قوله ناقة الله إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكان هذه الناقة لهم

عمل كون أعمار في ثمود
وفي صالح

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا لا نبي بعده

. ايته ومعجزته دالة على صدق صالح عليه السلام. بذروها تاكل يعني من العشب والنبات
بارض الله. يعني فليس عليكم مئونتها. ولا تمسوها بسوء. يعني بعقر فيأخذكم. يعني ان
تمسوها عذاب قريب. يعني في الدنيا. فعقروها. يعني فعلوا من ربهم بعقرها. فقال
يعني فقال لهم صالح. تمتعوا. يعني عيشوا في داركم. اي في بلدكم. ثلثة ايام. يعني ثم تهلكون
ذلك. يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام. وعد غير مكذوب. اي هو غير كذب
ثم قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام. فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة
وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة. فلما كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع
وهو قوله تعالى فلما جاء. امرنا. يعني بالعذاب. نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة
منا. اي بنعمة منا بان هداهم الى الايمان فامنوا. ومن خزي يومئذ. يعني ونجيناهم من عذاب
يومئذ. يعني خزي يومئذ. ان ربك هو القوي. يعني هو القادر على اهلاك الكفار. العزيز. يعني القاهر
الذي لا يغلبه شيء. ثم اخبر عن اهل صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا. يعني
انفسهم بالكفر. الصيحة. وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل
اتاهم صيحة من السماء. فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء. على الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين. يعني صرعى هلكى. كان لم يغنوا
فيها. يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يتمتعوا فيها. الا بعدا لثمود. وقد ذكر القصص في قصة
تفسير سورة الاعراف. قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى. اراد
بالرسل الملائكة. قالوا سلاما. عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل
وميكائيل واسرافيل. وقال الضحاك كانوا تسعة. وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا.
وقال محمد بن كعب الغرضي كان جبريل ومعه سبعة املاك. وقال السدي كانوا احد
عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه. وقول ابن عباس هو الاول لان اقل الجمع ثلاثة
وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مفكوع به. بالبشرى. يعني بالبشارة
باسحاق ويعقوب. وقيل باهلاك قوم لوط. قالوا سلاما. يعني الملائكة سلموا سلاما
قال. يعني ابراهيم سلام. اي عليكم. فما لبث ان جاء. بعجل حنيذ. يعني مشوي والمحنوذ

نم

سقط من الدهر

209

هو المشوي على الحجارة المحماة بحجارة من الارض وهو من عمل اهل البادية وكان سمينا يسيل
منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل كان شعيب الارض
خمسة عشر ليلتم يا ثمة ضيفا فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما
جاءه الملائكة رأى اضيافا لم ير مثلهم فلم يعجل فراغ وجاء بالعجل سمين مشوي
فلما رأى ايديهم يعني ايدي الملائكة الاضياف لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي
نكرهم يعني انكرهم وانكر حالهم وقيل انما انكر حالهم لانه شاهد من اكلهم واوجس منهم خيفة
يعني ووقع في قلبه خوفا منهم والوجس هو وقع الغلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم
لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان يتعرضوا له بمكروه لما شاهد من اكلهم
وقيل انهم ملائكة وقيل لما رأى ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا جاؤا بعذاب قومه
فخاف من ذلك والاصح ان ابراهيم عليه السلام لما عرف انهم ملائكة بادر اول الامر وبدل على صحة
هذا انه عليه السلام قدم اليهم العجل ولما عرف انهم ملائكة ما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة
لا يأكلون ولا يشربون لانه خاف منهم ولما عرف انهم ملائكة لم يخف منهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم
عليه السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط وامرأته يعني سارة
زوجة ابراهيم وهي بنت هاروان بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم قائمة يعني وراء الستر
تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم وضحكت اصل الضحك
انبساط الوجه من السرور يحصل للتعجب وللضحك والاصل عند اهل المعاني الاسباب الظواهر
ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم للعلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما
انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما
قدم ابراهيم الكعك الى ضيفه لم يأكلوا فخاف ابراهيم منهم فقال الا تأكلون فقالوا لا انا لا نأكل
طعاما الا بثمن فقال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره
فنظر جبريل الى ميكائيل وقال وجب لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم
لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا
وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مجاهد والكلبي ضحكت
من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو وحيدا من خدمه وحشمه وخواصه وقيل بزوال الخوف عنهما
وعن ابراهيم وذلك انهما خافا لخوفه منهم فلما قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

بالبشارة وقال ابن عباس وهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها
ويسر زوجها فعلى هذا القول يكون الآية تقديم وتأخير تقديرها فبشرناها باسحاق
فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم لما ضمك البدا ابراهيم لوطا عن العذاب فاذا بقوم
قد جاءت الرسل وبشرت بهذا ابن سرت سارة وضحكت لموافقتها ما كنت القول الثاني
بمعنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد ابن حاضت بعد الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك
قال الزاغب وقول من قال حاضت ليس بشيء لذلك تفسير القوله فضحكت كما تصور بعض العجم
فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تفسيرا لحالها فاما رجعل ذلك امارة لما بشرت به حاضت
في الوقت لتعلم ان حملها ليس بشيء اذا كانت المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء
ضحكت بمعنى حاضت لم تسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت قال
ابن الانباري قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب بها يستهل

فان اراد انها تحيض فرحا
وقال الليث في هذه الآية فضحكت اي حاضت وكره بعضهم قوله
فضحكت اي حاضت قال ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخفش فيه
بمعنى الحيض تضحك الضبع مردما سليم اذا رأتها على الجواء تمور
قال ابو الحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحاق
وضحكت الارنب ضحكا حاضت قال وضحك الارنب فوق الضباء كمثل ذي الجوزاء يوم الالقاء
يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض كما
ابرد يقول ترى هذا الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكثر
من اكل اللحم وهذا تقوله منه لانه جعل كثرة اكلها ضحكا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى
اذا اكلتهم فسر بعضها على بعض فجعل سرورها ضحكا وقيل لانها تشمر بهم فجعل سرورها
ضحكا جار فلت اي العقوبة اصاب معنى الضحك فلت ان الله عز وجل حكى عنها انها
ضحكت وليس العقوبة محتملة بمعنى الضحك والله اعلم ان ذلك كان وقوله تعالى فبشرناها باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة انها تعيش
حتى ترى ولد ولدها لما بشرت بالولد ضحكت وجفقها اي ضربت وجهها وهو من صنيع
النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت ياويلتى نداء نادته واصله ياويلتا ومعنى

لكم

كلمة يستعملها الانصار عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا. اذ وانا عجوز وكانت بنت تسعين سنة بقول ابراهيم وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي. يعني بعلي وبعلي هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها فايا بالرجل سمي بعلا بذلك. شيخا. وكان سن ابراهيم مائة وعشرين سنة بقول مجاهد وقال مجاهد مائة سنة وكان سن البشارة والولادة سنة. ان هذا لشيء عجيب. لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت. ركع والشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما. فالوا. يعني قالت الملائكة لسارة اتعجبين من امر الله. معناه لا تعجبي من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء. اذا اراد شيئا كان سريعا. رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت. يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهو على معنى الدعاء. والملائكة لهم بالخير والبركة. دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته انه حميد. يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد بالثناء والضراء والشدة والرخاء. فهو محمود على كل حال مجيد. ومعناه المنيع الذي لا يرام. وقال الخطابي المجيد الواسع الكريم وأصل المجد من كلام العرب يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء. وقيل الماجد هو الشريف والكريم. فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد. يجادلنا. فيه اضمار تقديره أخذ يجادلنا او جعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويسئلنا في لوط لان العبد لا يتقدر ان يجادل ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة أنه قال لهم ارأيتم لو كان في مدائن لوط خمسون رجلا مؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما كان جدال ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فان الرجاء وجاء في لوط اربعة آلاف. ان ابراهيم لحليم اواه منيب. تقدم تفسيره في سورة التوبة بعد ذلك قالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا. يعني أعرض عن هذا السؤال واترك هذا الجدال إنه قد جاء امر ربك. يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله وانهم. اتيهم عذاب

BULAC

معنى تسمية ابراهيم عليه السلام وتسمية زوجته خير العشارة بالولد زوجي

الكريم

غير مردود. يعني العذاب الذي نزل بهم غير مصروف والمدفوع عنهم. قوله عز وجل
ولما جاءت رسلنا لوطا. يعني قوله الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان
مرد حسان الوجوه. سيء. يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه وضاق بهم
ذرعا. قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه
في سيره. ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك
وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة بمعنى قوله
وضاق بهم ذرعا اذا لم يجد مرادا به ذلك الامر مخلصا. وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا
وصدرا ولا يعرف اصله الا يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا بيدي يعني
ليس هذا بوسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق بفلان ذرعا بكذا اذا لم يطق به مخرجا ولا يتخلص
الخروج منه. وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب ريحهم اشفق عليهم
من قومه وخاف ان يقصدوهم بفاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم. وقال
يعني لوطا. هذا يوم عصيب. اي شديد كأنه قد عصب به البلاء اي شد به ما خوذ
من العصابة التي يشد بها الرأس. قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية
لوط جاؤا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له. وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله
للملائكة لا تهلكوه حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات باستضافهم بالكلمة بهم فلما
مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما هو قال أشهد بالله انها لشر
قرية بالارض عملا. يقول ذلك اربع مرات. فمضوا معه حتى دخلوا منزله. وقيل انه لما
حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قوم
شر خلق الله تعالى فقال جبريل لهذا واحدة. ثم مر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله
ثم مر على جماعة اخرى فعلموا ذلك وقال لوط مثل قوله الاول حتى قال ذلك اربع مرات وكلما
قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا. وقيل ان الملائكة جاؤا لوطا
بعد ما دخل بيته فخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة
فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم فجاء
قومه يهرعون اليه. قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه. وقال مجاهد يقودون
وقال الحسن الاهراع هو المشي بين المشيين. وقال سعيد بن المسيب العدو وقيل

(يعني الى قبل)

يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيء الوحي كانوا يعملون الفواحش يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال أدبارهم قال يعني قال لقومه حين قصدوا أضيافه وكانوا أنهم غلمان مردان اذهبوا هؤلاء بناتي يعني أزوجكم إياهن وقيل أضيافه بناته قيل الله كان ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بل الصحيح عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد بناتهم نساءهم وهو ما يقرب النسبة لان كل نبي هو أب أمته وكما قال النبي وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه أن لوط كانت بنيته وليست بكافرة بالجماعة وليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزني بهن ايباح بكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التخيير وقوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم سؤال وهو أن يقال إن قوله هن أطهر لكم مرفوع أفعل التفضيل يقتضي اشتراك الذي يطلبونه من الرجال كلهن أو معلوم أنه محض فاسد فكيف قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال أن ذلك جار مجرى قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم وقد علمنا شجرة الزقوم لا خير فيها وقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يا رسول الله أخذا عن قبل قال الله اعملوا فكل أذن لما خلق له بين الله عز وجل والصنم ما أنا هو هنا خرج مخرج المقابلة وهذا نظير كثير وقوله ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تفضحون ولا تسيئوا إلي في أضيافي ولا تفضحوني بهم أليس منكم رجل رشيد أي عاقل سديد عامل وقال مجاهد عالم بالله الا الله وقال مجاهد رجل سخي رجل باذل بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينتهي عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق يعني ليس بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بأزواج ولا مستعفين لنا حضر وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الايمان وما نريد ذلك وإنك لتعلم ما نريد يعني من إتيان الرجال في أدبارهم عند ذلك قال لوط عليه السلام لو أن لي بكم قوة أي لو أني أقدر أن أتقوى عليكم أو آوي إلى ركن شديد يعني أو أنضم إلى عشيرة تمنعني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضممت إليها قال أبو هريرة ما بعث الله بعده نبيا إلى منعة من عشيرته حتى عرا بهريرة قال قال رسول الله صلى الله

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله على
على من لا نبي بعده

يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي لأجبت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأمنعها ومعنى الحديث أن لوطا عليه السلام لما جاءه من ضيفه ولم يكن له عشيرة يمنعونه من الكافرين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم وغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط الاستظهار بالغير عند أضيافه وأشار لو استكمال دفع المكروه عنهم ومعنى ما في الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام وبابه هو ما ذكره سورة يوسف إن شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما فعمل لوط التنور أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل امرأته تصعد وتنادي السطح وقومه يعالجون سور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ركنك شديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك يعني بكروا فأتى الباب وقالوا يا لوط افتح الباب وقد خلوا بالستار جبريل عليه السلام بإذن عز وجل فعفو بتمام جناحه فتحول في صورته التي يكون فيها وتشرجناحيه وعليه وشاح درمنضود وهو برّاق الثنايا أجلى الجبين واسع ما بين المنكبين مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقد مال إلى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إليه وقالوا متم ما أنصروا وهم يقولون النجاة النجاة فأتبت لوطا أنتم فدعونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى نصبح ونسحر ما تلقى منا غدا بأشد مما عذبناك به فاسر بأهلك يعني بقطع من الليل فقال ابن عباس بكسر بقية من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل إنه السحر الأول ولا يلتفت منكم أحد يعني ولا يلتفت منكم أحد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه إلا امرأتك فإنها ستلتفت فتهلك مع من هلك فرفع معهما وهو قوله تعالى فإنه مصيبها ما أصابهم فقال لوط متى يكون هذا العذاب فقالوا إن موعدهم الصبح قال إنه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب فلما خرج لوط فرفيته واخذ أهله معه وأمرهم ألا يلتفت منهم أحد فقيل منه إلا واتته فإنها لما سمعت هذا العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فأخذتها حجارة فأهلكتها معهم فلما جاء أمرنا يعني أمر العذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة ألف

أربعمائة ألف

ارتفعت اليه و قيل اربعة. الاب الى ان قرع جبريل الدابة حتى سمع اهل السما
صياح الديكة و نباح الكلاب لم يكف لسانا. و لم يتنبه نابها ثم قبلتها فجعل عاليها
سافلها و امطرنا عليها. يعني على قريتهم دعا و مكان خارجا عنها رماهم بها و قيل
بعدما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس و سعيد بن جبير معناه بسنك
فارسي معرب ان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسية غيرته و لا يضاف الى الجارسي مثل قولهم
استبرق و سندس و نحو ذلك فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب و استعملتها
فجاءت عربية و قال قتادة و عكرمة السجيل الطين بلغة حمير و قيل هو موضع
اخر حجارة من سجيل ما هذا اولها فجرها اخرها فجر و قال المفسرون اصل الحجارة كانت
شديدة و قال الضحاك يعني الاخر و قيل سجيل اسم سما الدنيا و قيل هو بلغتهم
الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا معمول للنضد و معروف انه
بعضه فوق بعض مسومة صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل
حجارة الارض و قال قتادة و عكرمة عليها امثال الخواتم و قيل كان مكتوبا على كل حجر
اسم صاحبها الذي يرمى به و ما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني من كفار مكة ببعيد
قال قتادة و عكرمة يعني كما لهذه الامة و الله ما جاز الله منها كلها بعد و في بعض الاثار
ما من كام الا و هو يخاف عليه حجر يسقط عليه من السماء و قيل ان الحجارة اتبعت كل فار
لوط حتى ما واحدا منهم دخل الحرم فبقي الحجر معلقا به الى اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من
الحرم فسقط عليه الحجر فقتله فقوله عز و جل و الى مدين اخاهم شعيبا و مدين اسم كان ابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة او للبلدة و قيل هو اسم مدينة
بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير و ارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله و لا تعبدوا معه غيره و هذا كان عادة الانبياء
عليهم السلام بدء و ربما اتوا بالامر و لما كانت الدعوة الى توحيد الله و عبادته اهم الاشياء بهذا
قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه و لما كان
كان المعتاد من اهل مدين التطفيف في الكيل و الوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة و هي تنقيص
الكيل و الوزن فقال و لا تنقصوا المكيال و الميزان و النقص في الكيل و الوزن على وجهين احدهما
ان يكون الما ستيفا من قبلهم فيكيلون و يزنون للغير ناقصا و الوجه الاخر و هو استيفاء الكيل و الوزن

عليها خطوط كخط
نقيشة الخرز و قال
الحسن و السدي كانت مختومة عليها الخ

الحمد لله وحده وصلى الله على
على من لا نبي بعده

لا تفسدوا زايدا عن حقهم فيكون نقصا بمال الغير وكذا الوجه في غيره ومن هذا نعلم
ما سيجيء عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير قال ابن عباس كانوا
موسرين بنعمة وقال مجاهد كانوا بخصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر
وحلول النقمة إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني
محيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال بالدنيا أو عذاب الآخرة ومنه
قوله وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم أوفوا المكيال والميزان أي أتموهما ولا تطففوا
فيهما بالبخس بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا الناس
أي ولا تنقصوا الناس أشياءهم يعني أموالهم بأن غلت فذوفع التكرار بتقدير القصة
مرتين أو بتنزيله منزلة اختلاف الكلامين والميزان ثم قال أوفوا الكيل والميزان وهذا
غير الأول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا غير
ما تقدم فما الجديد في هذا قلت إن الغرض لما كان مصروفا على ذلك العمل القبيح وهو
تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم أجنبه بالمنع منه إلى المبالغة بالتأكيد
والتكرير بتجديد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليفيد الزجر والمنع
من ذلك الفعل وأما قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان فنفي عن التنقيص وقوله أوفوا
المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له وليس لقائل أن يقول المنفي
ضد المأمور به والتكرار لازم على هذا الوجه قلت الجواب عن هذا قد يجوز أن ينهى عن التنقيص
ويأمر بإيفاء الكيل والوزن فهذا جمع بينهما كقولك صل رحمك ولا تقطعها فيريد المبالغة
في الأمر والنهي وأما قوله ثالثا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لأنه تعالى
لما خصص النهي عن التنقيص والإيفاء الحق بالكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء
التي يجري فيها الحقوق فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فخصص بعد
إيصاء ما يجري هذا التكرار والله أعلم وقوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين يعني بتنقيص
الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم
من الحلال بعد الإيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية
الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما أبقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم
مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام إن كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما قلته لكم وأوصيكم به

وما أنا عليكم

عند الثنا

213

وننهيك عنه وما انا عليكم بحفيظ. يعني أحفظ اعمالكم فسيجزيكم بها قال لهم شعيب ذلك لانهم يوم بقتالهم. فقالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد اباؤنا. يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء. يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزئون به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش أكثر ما تكون الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء. وقيل المراد بالصلاة ههنا الدين يعني أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء. وذلك انهم ينقصون الدراهم والدنانير وكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها امر عظيم شعار الدين الحليم الرشيد. قال ابن عباس اراد السفيه المراهق قد نصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحملك بك شقي عصا قومك ومخالفتهم ودينهم. قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي. يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا. يعني حلالا وقيل كان شعيب كثير المال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب او من الشرطية محذوف تقديره أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يتسع مع هذه النعم العظيمة أن اخون فيه او اخالف امره او ارتكب القبائح او اتبع الضلال او اخس الناس اشيا. يعني وهذا الجواب شديد المطابقة لما نقد وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يأمرنا بما امرتنا به وله علينا نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مولٍّ عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويكفاك الرجل صادرا عن الماء. فتقوله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لا ابتدئ بها دونكم قال الرازي محذ الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يجل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا

تعمل

الحمد لله حمدا وصلى الله
على محمد نبي بعده

ان الذي اخترته ينبغي هو اصوب الكريين واصحهما وهو الدعوة الى توحيد الله وترك الخمر
والقمار وتأمرهم عليها يعني تاركها يا علموا ان هذه الكريمة خير الكريمتين واشرفهما
لما امرتم عليه وقال الزجاج معنى ان استطعتم عرفتم. وادخل فيما امرتكم به ما اختاره لكم
ينفعني وقال ابن الانباري ان يريد النبي الذي يدعوهم اليه اتباع كفاءة الله وترك الخمر والقمار
وهو ما يرتضيه لنفسه ولا يكرهه الا عليه فكان هذا من النصيحة لهم. ان اريد يعني ما اريد بما
امركم به وانهى عنه. الا الاصلاح. يعني فيما بيني وبينكم. ما استطعت. يعني ما استطعت الاصلاح
وهو الابلاغ والانذار بفضل والاستطاعة اجبارهم على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى يفعل ما يريد
ويضل من يشاء. وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبل الخير والطاعة على العبد والقدرة على
ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت. يعني على الله اعتمدت في جميع
امري واليه انيب. يعني واليه ارجع فيما ينزل من العواقب وقيل اليه ارجع بعد الموت ويروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه
وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم خلاف وعداوة. ان يصيبكم يعني
عذاب العاجلة على كفركم وآجلكم الخيشة. مثل ما اصاب قوم نوح. يعني الغرق او قوم هود. يعني
الريح التي اهلكتهم. او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا. وما قوم لوط منكم
ببعيد وذلك انهم كانوا احدث عهدا باهلاكهم وقيل معناه وما هذا الذي فعلتم بلوط ومن معه
وذلك انهم كانوا جيرانهم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم. ويا قوم استغفروا ربكم. يعني من عبادة
الاصنام. ثم توبوا اليه. يعني من التطفيف والقصار بالكيل والوزن. ان ربي رحيم. يعني بعباده اذا تابوا
واستغفروا. ودود. قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين وقيل معناه ودود الرجل اذا
احبته وقيل يحتمل ان يكون ودود بمعنى مفعول معناه ان عباده الصالحين يحبونه
ويودونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي قد قيل هو المراد لان الحكمة غاية الرضا
عنه بالعالم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه
ان يودد الى خلقه. قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول. يعني ما نعلم ما تدعونا اليه
وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا يسمعون الظاهر يسمعون
ويفهمون وانما نريد فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى وقال الزجاج ويقال
ان ضعيفا بلسان الحبشة ضعيفا وقال الحسن وابو رزين ومقاتل يعني ذليلا قال ابو رزين

ان الله تعالى

الربع

ان الله تعالى يبعث نبيا اعمى ولا نبيا بزمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه وبدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولو كان معكم يعني جماعتكم وعشيرتكم وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجر والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وأخسها وقيل معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول ومالت عليها بعز يعني بكريم وقيل بمنيع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم كانوا يشرفون الشيخ عليه السلام وأنه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وأنهم انما يقتلوه ولم يتعرضوا لذلك القتل العظيم الجاري مجرى الاجلال احتراما لرهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دين قومهم وملتهم ولهذا قالوا للشعيب عليه السلام عند المقالة الجاسمة بقوله قال يا قوم أرهطي أعز عليكم يعني أتخافون عندكم والله وأنتم حتى تركتم قتلي لكونه رهطكم فالاول ان تخافوا بالله لا جل الله لا لرهطكم لان الله اعز وأعظم وأحق ان تخافوه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء المنبوذ الذي لا يلتفت اليه اربه بما تعملون محيط يعني انه عالم بما هو الاكمل فيجازيكم عليه منحاشيء فيجازيكم بما يجب في الغاية وياقوم اعملوا على مكانتكم يعني على ما يؤديكم ويفضي بكم عليه وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم متمكنين غاية التمكن والقدرة من الشر انى عامل يعني ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سوف تعلمون يعني أيتنا الجاني على نفسه المجلب به بعلبه عذاب فلتة أي فجأة بيراد خال الباء وزعم صاحب قوله سوف تعلمون فلتة ادخال الباء في قوله فبئس ما تعلمون وضع الضمير موضع الموصول وتركه صاحب قوله سوف تعلمون وصل فعل تعذيبي بالاستيناف الذي هو جواب السؤال مقدر كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت انت بمقال سوف تعلمون عاقبة ذلك فهو صلة تارة بالباء وتارة بالاستيناف المفيد للمبالغة كما هو عادة البلغاء العرب وافرين الوصل والفصل بينهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه بسبب عمله القبيح وأينا الكذب الذي يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه وارتقبوا يعني وانتظروا العاقبة وما يئول اليه امري وامركم انى معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ولما جاء امرنا يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بأن هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة

واخذت الذين ظلموا. يعني ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فماتوا كلهم جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين. يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد والصق بالارض كان لم يغنوا فيها. يعني كانهم لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر ماخوذ من قوله غنى بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا عن غيره الا بعدا. يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال لم تغن امتان فكلتا بعذاب واحد الاولى شعيب والثانية صالح فاما من صالح فاخذتهم الصيحة فتركتهم وامسوا في ديارهم جاثمين واما من شعيب فاخذتهم الرجفة فصاروا رمادا ولقد ارسلنا موسى بآياتنا. يعني بحجتنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين. يعني ومعجزة باهرة كالعصا واليد دالة على صدقه ايضا فقال بعض المفسرين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر لان الحجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في ارضه الى فرعون وملايه. يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر فرعون. يعني ما كان عليه من الكفر وترك الايمان بما جاء به موسى وما امر فرعون برشيد. يعني وما كل من فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير يتقدم قومه يوم القيامة من الفيامة فاوردهم النار. يعني كما تقدم قومه حاد خلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة يدخلهم النار ويدخلونها معهم والمعنى كما ورد وتبعه الضلال والكفر في الدنيا كذلك يقودهم ويتبعهم وأما بئس الورد المورود. يعني وبئس الورد يردونه كل من دخل فيه وقيل تبعته اللعنة فرعون في تقدمه على قومه الى النار فيتقدم على الوارد الى الماء وتتبعه أتباعه بالوارد بعده والمراد بالورود الماء. فجعل ورود النار عند الوارد بن لانه يكسر العطش فقال هو فرعون واتباعه وورودهم النار بئس الورد المورود لانه الماء الذي فيها فصار النار. وانما شبه ورود النار على سبيل القضاء والتبعوا في هذه. يعني في هذه الدنيا لعنة. يعني كرد او بعدا عن الرحمة ويوم القيامة. يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بئس الرفد المرفود. يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة الاخرى وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة فقوله تعالى ذلك من انباء القرى. يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرى الماضية نقصه عليك. يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب

منها. يعني من القرى التي اهلكنا اهلها. قائم وحصيد. يعني منها عامر ومنها خراب
وقيل منها قائم. يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية شبهها
الله بالزرع الذي بعضه قائم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد بمعنى محصود
وما ظلمناهم. يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم. يعني بالكفر والمعاصي. فما اغنت
عنهم. الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء. لما جاء امر ربك. يعني بعذابهم لم تنفعهم اصنامهم
ولم تدفع عنهم العذاب. وما زادوهم غير تتبيب. يعني غير تخسير وقيل غير تدمير. وكذلك اخذ
ربك. يعني وهكذا اخذ ربك. اذا اخذ القرى وهي ظالمة. الضمير في وهي عائد على القرى والمراد اهلها
ان اخذه اليم شديد. وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي
للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة
ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا نظن ان هذه
الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم
قوله عز وجل ان في ذلك لاية. يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة
وموعظة. لمن خاف عذاب الاخرة. يعني ان هلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان
يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل الله باولئك الكفار في الدنيا من اليم عذابه
وعظيم عقابه وهو كالاعوج مما اعد لهم في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته
من الله. ذلك يوم مجموع له الناس. يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلائق من الاولين والاخرين للحساب
والوقوف بين يدي رب العالمين. وذلك يوم مشهود. يعني يشهده اهل السماء واهل الارض وما نؤخره
الا لاجل معدود. يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت
لا يعلمه الا الله تعالى. يوم يات. يعني ذلك اليوم. لا تكلم نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلق يسكتون
في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار
وهو قوله والله ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك الوقت قلت يوم القيامة
يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة
الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال

معا مجورو بجادلون ويتكررون وقيل المراد من قوله لا تنفع نفسا إيمانها الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس إلا بإذن الله لصاحب الشفاعة بمنزلة يعني من أهل الموقف. شقي وسعيد. الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هو ما رتب الله الأمور الإلهية للإنسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى التي لا نهاية لها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهي الشقاوة القصوى التي لا نهاية لها النار والشقي من سبقت له الشقاوة في الأزل والسعيد من سبقت له السعادة في الأزل ذي عمر على إعراب كما قال الشاعر جنازة بفتح الواو وإنا وفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر لعمل الشقاء ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بفتح الواو هو مصر أهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمصر كالكوخ والعطا ونحو ذلك مما يسكنه بشر الأنصار والنكث بالنون والثاء المثناة مرعوف ضرب الوشي. بتلك الحمم أو بالبيد ونحو ذلك حتى يؤتى فيه استدل بعض العلماء بهذه الآية وبهذا الحديث على أن أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الأعراف بفرن والأطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم وهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم ما يشاء. وتخصيص بعض الضمير بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها آه النار زفير وشهيق أصل الزفير ترديد النفس حتى ينتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس إلى الصدر والزفير مده وإخراجه من الصدر فقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره إذا رد في جوفه وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر. خالدين فيها يعني لابثين مقيمين في النار ما دامت السموات والأرض قال الضحاك يعني ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لأهل الجنة وأهل النار من سماء تظلهم وأرض تقلهم مثل ما علا فوق فلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذا عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب في أيمانهم يقولون لا آتيك

ما دامت السموت

بفتح الواو وهو مصر وهو مصر بكسر الواو وهو مصر بضمها

آه ترديد

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

216

ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريد بذلك التابيد وقوله تعالى
الا ما شاء ربك اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء
الاول المذكور في اهل الشقاء يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها
ثم يخرجون منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة
استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار
فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج
قوم من النار بعد ما مستهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية
ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته
فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار
بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في اهل
السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية
فاما الذين شقوا ففي النار لهم زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا من شاء ربك
ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا من شاء ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول
ان الاستثناء يرجع الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها
عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على ان من دخل النار لا يخرج
منها ابدا وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم
في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل
معناه الا ما شاء ربك سوى ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى
ما شاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان علي الف الا الفين اي سوى الالفين اللتين تقدمتا
وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو
كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك
لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولا يفعله كقولك والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزمك أن تضربه فهذه الأقوال
في معنى الاستثناء ترجع إلى الفريقين والصحيح القول الأول ويدل عليه قوله في آخر الآية
إن ربك فعال لما يريد يعني من إخراج من أراد من النار وإدخالهم الجنة فهذا على الإجمال
في حال الفريقين وأما على التفصيل فقوله إلا ما شاء ربك في جانب الأشقياء يرجع إلى
الزفير والشهيق وتقديره أن يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لأنه إذا دخل
الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى
الزيادة إلا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم وقيل إن الاستثناء الأول في جانب الأشقياء
معناه إلا ما شاء ربك من أن يخرجهم من حر النار إلى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه
إلا ما شاء ربك من أن يرفع بعضهم إلى منازل أعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول
الأول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة وهو أن الأمة مجتمعة على أن من دخل
الجنة لا يخرج منها قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال تعالى عطاء غير
مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار وروي عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم
زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة وهذا إن صح
عن ابن مسعود وأبي هريرة فمحمول عند أهل السنة على إخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا
النار من النار بعد إخراجهم منها لأنه ثبت بالدليل الصحيح القاطع إخراج جميع الموحدين من خلود
الكفار فيها أو يكون محمولا على إخراج الكفار من حر النار إلى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا
فوق عذابهم والله أعلم قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء يعني فلا تك
في شك يا محمد في هذه الأصنام التي يعبدها هؤلاء الكفار فإنها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون
إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يعني أنه ليس لهم في عبادة هذه الأصنام مستند إلا أنهم
رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني
وإنا مع عبادتهم هذه الأصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل
أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص
قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التورية فاختلف فيه يعني
في الكتاب فمن مصدق به ومكذب من قومه كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك يعني بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة

نحوه

لكان

لكفار الذين يستحقون به تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تعالى لنقص ننتقم. يعني لنعذبهم بأنواع النكال ونفرغ عذابهم واهلاكهم وانتقم في اللغة منه يعني من الغير اذا عاقبه عليه يا محمد من ربك. يعني اسم قد وقع به الرب والتهمة وان كان يعني من الغير لكن المتبادر من المطلق والمتجرد عما يقيده هو الله تعالى الذي يربي عباده بانواع النعم ليطيعوه ويشكروه فلما كان المقسم به هو الله تعالى ناسب ان يكون المقسم عليه ايضا من صفاته تعالى فلذلك قال انه بما يعملون خبير. يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وارد فيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين

قوله تعالى فاستقم كما امرت. الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على ما تريد والعمل به والدعاء اليه كما امرك ربك به والامر به واستقم للتاكيد امر النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة ولم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى ابتدأ به على قيامك ما انت عليه من القيام حتى. انتهى. ومن تاب معك. يعني ومن آمن معك امتثلوا ليستقيموا ايضا على امر الله والعمل بما عنه قال عمر في الخطاب الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي ولا يروغ عنه روغان الثعلب لم عمر سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسئل عنه احدا بعدك قال قل. امنت بالله ثم استقم. وما تكفروا. يعني ولا تجاوزوا امر الله عن ولا تعصوني وقيل معناه ولا تفعلوا في الدين فجورا وزورا او تكذبوا به وتجحدوا عنه. انه بما تعملون بصير. يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. اية هي اشد عليه وهذه الاية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها عن ابي جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشديد فان هذا الدين متين فمن شاده غلبه ولن يغالب هذا الدين احد الا عجز ولم يقاوى فسددوا اي اقصدوا والسداد من الامور هو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اكم اوقات النهار وفاوقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا واعملوا بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الى تقليله وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا
باعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا
الى الذين ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني اعوانا
وانصارا يمنعونكم من عذابه ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله
غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة او رضي باعمالهم او احبهم فكيف
حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار
سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة هو
تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها
فاتيت ابا بكر فذكرت له ذلك فقال استر على نفسك وتب فاتيت عمر فذكرت ذلك له
فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم
الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله
اليه اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته
فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة
قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه
وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عجرة وعن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امراة
قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الاية
فقال الرجل يا رسول الله الي هذه قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم
يا رسول الله هذا له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
رجل فقال يا رسول الله رايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة فليس ياتي الرجل الى امراة شيئا
الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا
ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمومنين عامة قال بل للمومنين عامة
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث ليس بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ
اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة الغدوة والعشي قال مجاهد

طرفا النهار

طرفا النهار يعني صلوة الصبح والعصر وزلفا من الليل يعني صلوة المغرب والعشاء. وقال مقاتل
صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء. وقال
الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس طرفا النهار
الغدوة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب. وقال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب
في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلوة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان
احد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز
ان يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على
صلاة العصر وزلفا من الليل يعني واقم الصلوة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة واصل
الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء. ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الصلوات
الخمس يذهبن الخطايات ويكفرنها م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكبائر وزاد في رواية
اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر ق عن ابي هريرة انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون
ذلك يبقى من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله
بها الخطايا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل
نهر جار غمر على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال
العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار
ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها
ثلاث شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم
التام الا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة
ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود
وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرطبي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ذكرى للذاكرين يعني
عظة للمؤمنين المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك

شروط

BULAC

وما تلفظ به منه وقيل معناه واصبر على الصلاة. جار الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المصلين قوله تعالى ملوكا من القرون يعني قبلكم كان الرجل
اذا هلك في قبيلكم بلامة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وكاعية وخير يقال فلان اولوا بقية
اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من الخير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة
محمودة. ينهون عن الفساد في الارض يعني ينهون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للترغيب
والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم الا قليلا بعد
استثناء منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم يعني من امم الماضية ومع اتباع الانبياء
كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي وما تنعموا فيه والترفه التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم
وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها وكانوا مجرمين يعني كافرين وما كان ربك يعني وما كان ربك
يا محمد ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون يعني اعمالهم ولكن يهلكهم
بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين
يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الاهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب
الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض العلماء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمسامحة
وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة يعني كلهم على دين واحد وملة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني على اديان شتى ما بين يهودي
ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم وكل واحد من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا
لا ينضبط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقوا اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلها في النار والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه
ابو داود والترمذي نحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم
من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون
في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود قال الخطابي في قوله صلى الله عليه وسلم
وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والا لم يجعلهم من امته
قال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وكفروا بعد
كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة

في الجنة

هم من فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه. وقوله تعالى
الآمر رحم ربك. يعني لكن رحم ربك فمنّ عليه بالهداية والتوفيق للحق وهديهم للدين القويم
والصراط المستقيم فبقوا لا يختلفون ولذلك خلقهم. قال الحسن وعكرمة. وللاختلاف خلقهم
قال الشعبي سألت مالكاً عن قوله تعالى خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرحمهم. وقال البغوي
خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف للاختلاف. وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة
ليبقوا مختلفين وخلق أهل العذاب ليبقوا مختلفين وخلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها
أهلاً. محال صلى الآية أن الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين
محق على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم إلى الجنة
ويدل على صحة هذا القول ما في الآية وهو قوله تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين. وهذا من باب الله تعالى خلق أمة للجنة وللرحمة فبعدهم ووفقهم للأعمال أهل
الجنة وخلق أمة للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم الهداية. قوله تعالى وكلا نقص عليك
من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك. لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الأمم
الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم
بقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل. الرسل يعني من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت
به فؤادك. يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك
وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع هذا القصص وعلم ما حل بجميع الأنبياء مع أتباعهم هان
عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه. وجاء في هذه الحق. يا محمد في هذه السورة
في هذا القصص الذي اختلفوا
في هذا الضمير الذي يعود فقيل معناه وجاء في هذه الدنيا الحق. وقيل في بعد الموت
في ذكر حتى يعود الضمير إليه. وقيل في هذه الآية. وقيل في هذه السورة. وهو الأقرب. وهو
قول الأكثرين. قال قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر
قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ألا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله
حق واحد. وإنما خصها بالذكر تشريفاً لها. وموعظة وذكرى للمؤمنين أي وفي هذه السورة
موعظة يتعظ بها المؤمنون إذا تذكروا أحوال الأمم الماضية وما نزل بهم. وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم. فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل

بصير لقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا واشكروا يعني
ما يمدح به الشاكرون انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في
الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني علم ما غاب عن العباد فيما يعني انه علم سبحانه
وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة
فاعبده يعني اذا كان ذلك كان مستحقا للعبادة لانعامه فاعبده ولا تشتغل بعبادة
غيره وتوكل عليه يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما تعملون
قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق منه وعامهم
والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته ثم قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود
والله اعلم بمراده واسرار كتابه وهو حسبنا ونعم الوكيل

آخر الجزء الثالث من كتاب التأويل في معاني التنزيل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة اية والف وثمانية كلمة وسبعة الاف
ومائة وستة وستون حرفا قال الجوزي وسبب نزولها قولان احدهما روى
عن سعيد بن ابي وقاص قال انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا
فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله تعالى
نحن نقص عليك احسن القصص الغول رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو حدثتنا عن يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل
الر تلك ايات الكتاب المبين الايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر
تفسير الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات

الكتاب المبين

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

220

٤

الكتاب

التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالبر هذه آيات القرآن المبين وهو القرآن اي البين
حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده
فهذا من باب اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى
اظهر وقيل انه بين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين انا انزلناه يعني
هذا الكتاب قرآنا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل
لما قالت اليهود لمشركي مكة سئلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف
وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف
بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن
على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن ان يقال في
في القرآن شيء بغير العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القرآن لسانا غير العربية فقد اعظم
على الله القول واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد
وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك هذا
هو الصحيح المختار لان هؤلاء اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله
ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت
عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت
لغة لهم فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموه
ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاصل في معنى
القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة
من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة
شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن
البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة وسماها احسن القصص لما فيها
من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وفيها من سير الملوك والمماليك والعلماء
ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة
في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة

على سورة يوسف وسورة مريم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى بما
اوحينا اليك يعني بايحائنا اليك يا محمد هذا القرآن وان كنت من قبله اي وقد كنت من قبله
يعني من قبل وحينا اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعيد بن ابي
وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا
فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن
نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم اجمعين خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف اسم عبراني
ولذلك لا صرف فيه وقيل هو عربي سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن
والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين قال اهل التفسير رأى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزل من السماء
ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر
وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم
والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل كانت
قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان
يوسف عليه السلام ابن اثني عشر سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين
واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان
في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لا يعقل فكيف عبر
عنها بكناية من يعقل وهو السجود في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل
ساجدات قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل وهو
كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة المنجمين يزعمون ان الكواكب احياء
ناطقة حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشيء والاول اصح
فان قلت قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤية
مرة ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤية الاولى انه

او لا ينصرف

(١٠)

والقمر وهي الرؤيا الثانية انه اخبر بسجود هذه وقال
بعضهم معناه انه لما قال رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف
رأيت قال رأيتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة
على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
الحب ليوسف عليه السلام مجتهدا اخوته لهذا السبب وكتم ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف
هذه الرؤيا وكانوا يظنون انها اخوته وابويه يخضعون له فلهذا قال يعقوب يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك يعني لا تخبرهم بها فانهم يحزنون لها ويكيدوا لك كيدا يعني يحتالوا
في اهلاكك جاء بكتمان الرؤيا عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق والله يكيدوا لك كيدا
تاكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ان الشيطان للانسان عدو مبين
يعني انه كثير العداوة لان عداوته قديمة فبدأ فاخذوا في الكيد كما ذكر لك مضارا في التزيين
الشيطان وسوسته قال عمران فقادة قال كنت ارى الرؤيا تمر حتى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحب
فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان
وشرها فانها لا تضره خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى الرؤيا
يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانها من الشيطان
فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره م عن ابي قتادة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رأى احدكم الرؤيا يكرهها فليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن ابي العفيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءا من النبوة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر
ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او
حبيبا اخرجه الترمذي في ابواب الرؤيا عن ابي الدرداء قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء من مذهب
اهل السنة حقيقة الرؤيا بان الله تعالى يخلق فيه ادراكات كما يخلقها في اليقظة
ولا فرق بينهما عندنا في شيء من ذلك وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يتعذر عليه ولا يفتقر فاذا خلق هذه الادراكات
فكأنه جعلها علما على امر آخر يخلقها ايضا في الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا
والادراكات التي جعلها علما على ما يتذكر بغير حضرة الشيطان

يسار
يستفل

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فتنسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم
للمكروه وقال غيره اضاف الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة
وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروهة
ويرتضيها ويستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا رأى ما يكره
فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الآخر
فان الله لا تضره فان الله جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة
سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله اعلم قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك يعني
يقول يعقوب ليوسف عليهما السلام وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك
يجتبيك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الاهي يتحصل له
منه انواع من الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء او ببعض من يقاربهم من
الصديقين والشهداء والصالحين ويعلمك من تاويل الاحاديث يعني به تعبير الرؤيا
سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما رأى في منامه يعني يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يرونه
في منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تاويل
احاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة
ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة اعلى من جميع المناصب
وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من اتمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في
الرتب والمناصب وعلى آل يعقوب المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبياء وهو
المراد من اتمام النعمة عليهم كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق بان جعلهما نبيين
وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم
بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحاق صلى الله عليه وسلم
بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحاق هو الذبيح وليس بشيء والقول
الاول اصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم
النعم على العبد ان ربك عليم يعني بمصالح خلقه حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا بحكمة
وقيل ان الله تعالى حكيم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس

فانها

227

كان يهرب يا بو سعاهذه، وتفيقها بصر واجتماعه بابيه واخوته اربعين سنة
وهذا قول اكثر المفسرين فان الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ هذه
الى يا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يتبعه الا اخوته حتى يتبعه آباؤه فقوله
عز وجل لقد كان في يوسف واخوته يعني في خبر وخبر اخوته وآياتهم ويقال
وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا وربالون ويشجر واشم ليابث زلفة
والاخرى بلفهة اربعة اولاد اربعة ولاد واسماؤهم وان ونفتالي وجاد والبشر
ثم توفيت ليا بشروج يعقوب اختصارا حيل بولدت له يوسف وبنيامين فصاروا
بنوا يعقوب مع الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا. ايات للسائلين وذلك ان اليهود
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوه عن سبب انتقال ولد
يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة
فعجبوا منه فعلى هذا انكر هذه القصة دالة على نبوته رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء واصحاب الاخبار ولم يأخذ عن احد منهم شيئا فدل ذلك
على ان ما اتى به من خبر سماوي وعلم قد يشأوحا الله اليه وعرفه به ومعنى ايات للسائلين
اي عبرة للمعتبرين وفي هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم منها ان
يوسف وما خصه الله فيها ومنها حسد اخوته له وما ال اليه اوبه الحسد ومنها
صبر يوسف على بلواه من القاء في الجب وبيعه عبدا وتسجينه بعد ذلك وما ال اليه اوره الله
وما اشتمل عليه من خبر يعقوب وصبره على بعد ولده وما ال اليه اوره وغير ذلك من الايات
التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ. اذ قالوا. يعني اخوة يوسف. ليوسف. والله فيه
على القسم تقديره والله ليوسف. واخوه. يعني بنيامين وهما ولدا واحدة. احب الى ابينا منا
ونحن عصبة. انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب
اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال البراء العصبة ما
العشرة فما زاد وقيل ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاث الى العشرة وقال مجاهد
ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب
بعضهم لبعض يسمون عصبة والعصبة للواحد لما ذكرنا بعضها كالعصب والنفر. ان ابانا لفي
ضلال مبين. يعني انه لفي خطا بين بما يشاور حب يوسف علينا مع صغر لانه مع جسد

BULAC

الحمد لله رب العالمين
الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

ونحن عصبة تنفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امواشيه وليس المراد من ذلك
الضلال هو الضلال عن الدين اذ لا يراد ذلك لكفروا به ولكن اراد به التحكم في تدبير امر الدنيا وما
يصلحها يقولون نحن اقوى منه ونحن اكثر عددا فهو تحت قهرنا ومشيئتنا ونحن اكبر منه سنا واشد
قوة واكبر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يتفقوا على الصلاح ما فضل يوسف
واخاه على سائر الاخوة الا لمحبة الله المحبة المحضة ومحبة الله لعبده توسع البشر دونها ويحتمل ان
يقولوا انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لانه ما مات وهو صغير ولانه رأيه من اثار
الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته قال قلت الذي جعله اخوة يوسف انما هو محض
الحسد والحسد من امتهات الكبائر وكذلك نسبة اسم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر
ايضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت ان هذه الافعال انما صدرت
من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر عصمة الانبياء بعد وقت حصول الانبياء النبوة
لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال من الصغير غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ
بعد هذا لكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف
اقتلوا يوسفا او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما فوتم الحسد وبلغ النهاية قال اخوة
يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد امرين اما القتل او
الاخفاء او التغريب الى ارض تحصل البأس من رجعانه بان يغترسه السباع او يموت به قلة
الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف
عنكم فاذا بعدتم ذلك يوسفا قبل يقبل عليه عليكم وترك محبته اليكم وتكونوا من بعده
يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن ابيه قوما صالحين تائبين فتتوبون الى الله بعد ذلك فتكونوا
قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر فلهذا قالوا تتوبون الى الله بعد هذا الفعل
وتكونون الصالحين الذين تستقبل وقال مقاتل معناه يخل لكم ابوكم فيما بينكم وبين ابيكم قلت
كيف يليق ان تصدر من هذه الافعال وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبياء
في ذلك الوقت حتى يكون هذا الفعل قادحا في عصمة الانبياء وانما افدوا على هذه الافعال قبل
النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان واحدا منهم وروي في ذلك ما اشار عليهم بقتله
قال قابيل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قابيل اخا يوسف وهو يهودا وقال قتادة
هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال الفتل كبيرة
عظيمة

بوجهه

عظيمة وآلاء جسام فما بال هذه الغفلة هو يعود الى انه كان اقرب اليه يسمى والغوره غيابات الجب. يعني الغور اسفل الجب وكل منخفض والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سميت بذلك لانها جبت اي قطعت ولم تطو واما ذكر الغيابة مع ذكر الجب فالكثير اشاروا بكل حد به موضع الجب مختلفوا في موضع ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بين المدينة وفلسطين وقيل هو بارض الاردن وقيل مقاتل هو بارض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوه بذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم ليلتقطه بعض السيارة وذلك لان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشيء من الطريق او حيث لا يحتسب ومنه اللقطة. بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين ممن يذهب بالناحية اخرى فتستريح منه اكثر مما علينا فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على الفعل فافعلوا هذا القدر اكثر مما علينا في ذلك قال البغوي قالوا ايوسف بالغيب ولم يكونوا انبياء بعد وقيل لم يكونوا بالغين ليصح بعد قبل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين قالوا بابا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحاق اشتمل هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقتله الولد بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعصيان الله في ذلك كله حتى لا يتيسر احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله من رحمته بهم ولو قتلوا ذلك لتقاتلوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان ينبئهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده وضربوا الحيلة قالوا يعني قال اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا مالك لا تامننا على يوسف بدا وابا الانكار عليه في ارسال يوسف معهم كانهم قالوا انا نخافنا عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح هنا الغيث بالمصلحة وقيل الخير والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه فلا نريد به مضرة ولا نحبك وقال مقاتل بالكلاء تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا له ما بالك لا تامننا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعنون الى الصحراء يرتع اي نتنعم هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفق منه بشهواته والاصل في الرتع الاكل الطيب بما شئت من خصب زمن الربيع ويستعمل للانسان اذا اريد به الاكل الكثير. ويلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا قيل ابو عمرو بن العلاء لعبا قالوا

الا بعد ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

يلعب ونحن انبياء فما لم يكونوا يومئذ انبياء وَيَجْتَمِعْ اي يكون المراد من اللعب ههنا الافداء على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا ما يلعبهم كما الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المهارة والافداء على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق ونترامى فيكون لعبا لانه صورة اللعب وقيل معناه يرتع ويلعب ينعم ويتباكل ويتلهوا وينشط وانا له لحافظون يعني نجتهد جهدنا غاية الاجتهاد حتى نرده اليه سالما فان قيل لم يعقوب انه ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به وآخاف ههنا ام الغلب يراد اعلموا ومعنى الاية انهم لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام بقذ بين احدهما ذهابهم به ومعارفتهما ايا يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله واخاف ان يأكله الذيب وانتم عنه غافلون يعني اذا عقلوا ان تغفلوا وتعبثوا وذلك ان يعقوب عليه السلام كان رأى في المنام ان ذيبا شد على يوسف فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذياب بأرضهم كثيرة فقالوا يعني قال اخوة يوسف لئن يجتمع ليعقوب ليأكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة وجمعان انا اذا لخاسرون يعني عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظه فنحن على حفظ غيره من اشياءنا فنحن اذا خاسرون قوله عز وجل فلما ذهبوا به اضمار واختصار تقديره فما ارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب يعني وعزموا على ان يلقوه في غيابات الجب ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه السلام قال وهب وغيره من اهل التفسير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له ما تشتهي ان تخرج معنا الى مواشينا فتتصيد ونستبق فقال بل فقالوا فسل اباك ان يرسلك معنا فقال يوسف بعد ما خلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف اذا خرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابة انه اذا رأى مراعي الغنم والعشب فانه يحب ان يتأخر وكان يعقوب يخاف معارفته ويحب مرافقته فلما ذكر له وارسله معهم فلما خرجوا به وعند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب يبكي اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء القفر على الارض واضمروا له ما ابطنوا من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فعلوا به ما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوباه

الجزء الثاني عشر

224

لو رأيت يوسف وما نزل به من أخوته لآخر تكذ لذ وأبكاك يا إبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذ جبريل وضرب به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف متضرعا يا أخي لا تقتلني فقال له يا جبريل انك صاحب الأمر فقل كرياك تخلصك وأيد بنا ولو نعنفه فاستغاث يوسف بيعقوب وقال له اتق الله في دم خلق بيني وبين من يريد قتلي فأدركته له رأفة ورحمة فقال يعقوب يا أخوتاه ما على هذا عاهدتموني ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال أن تلقوه في هذا الجب إما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فما تصلفوا به إلى غير هناك على غير الكريم واسع الأسباب ضيق الرأس فجعلوا يدلونه به إلى البير فيتعلق بشفيرها فيركلوا يديه وزعموا فيقطعه فقال يا أخوتاه ردوا علي قميصي لأستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال إنما أريشها بالقمر فيصعد وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البير فقام عليها وقيل نزل إليه ملك محمل يديه وأخرج له صخرة في البير فجلس عليها وقيل إنهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فناداهم ربه أن اسكت فإنه أراد أن يبتليهم ويمتحنهم بصنيعهم ليقتلوه فمنعه يهوذا من ذلك وقيل إن يعقوب لما بعثه مع إخوته أخرج له قميص إبراهيم الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقي في النار فجعله يعقوب في قصبة وجعلها في عنق يوسف بالسبب الملذاب حين ألقي في الجب فأخذه جبريل فنزع القميص وألبسه البراق فلما رآه يوسف هرب منه فناداه جبريل عليك السلام يا يوسف أنا رسول الله إليك فوقف فأخذ جبريل القميص وألبسه يوسف وقال له أبشر فإن الله قد رفع درجتك وأعلى مكانتك وتعالى حالك ولا يبقى عليك شيء مما نالك به إخوتك فعند ذلك أيقن يوسف بالفرج وقال محمد بن إسحاق لما ألقي يوسف في الجب فزع فقال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه مما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف حين ألقي في الجب فقال الضحاك ابن مزاحم كان ابن سبع سنين وقال الحسن اثنا عشر سنة وقال ابن السائب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان إخوته يمرون عليه ويهود آتيه بالطعام

ج ٢ مجلد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فذلك قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث
اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره انه ينبئهم بما فعلوا به ويجازيهم عليه وهذا
قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت
او كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره سبعة عشر سنة وقال
اخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة
كما قال في حق عيسى عليه السلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن احد
يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه قلت ان الله
يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه
وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد
من قوله واوحينا اليه وحي الهام كما في قوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى
والقول الاول اولى وقوله وهم لا يشعرون يعني بايحائنا اليك وانت في البير بانك ستخبرهم
بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم لك
وقيل ان الله اوحى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون
بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه سيخلص مما
هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره وقهره قوله تعالى وجاءوا
اباهم عشاء يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشاء
ليكونوا في الظلمة اجرا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون
ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع لذلك وخرج اليهم فلما راهم قال ما لكم يا بني اصابكم شيء
في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس
يعني ننتضل قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم
وهو التناضل ايضا وسمي المترامين بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين
ايهما ابعد سهما وقال السدي يعني نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين
اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد وتركنا
يوسف عند متاعنا يعني عند ثيابنا فاكله الذئب يعني في حال استباقنا وغيبنا عنه

الى

وما انت

ومالك بمؤمن لنا. يعني بمصدق لنا. ولو كنا صادقين يعني بقولنا والمعنى أنا وإن كنا صادقين لكنك لا تصدقنا لشدة محبتك ليوسف فالك تتهمنا بقولنا هذا وقيل معناه أنا وإن كنا صادقين فإنك لا تصدقنا لأنه لم يظهر عندك أمارة تدل على صدقنا. وجاءوا على قميصه. يعني على قميص يوسف بدم كذب. أي مكذوب فيه قال ابن عباس إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاءوا بالدم وهو الفصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال لهم يعقوب كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه ما أشهمك بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي ما كفه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيته ولقد فقدت ولم يجئ لنا إلى يومنا آكل لحوم الأنبياء. فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا. يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى النفس مع الطمع في إتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء. أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما وكتموه ربوسف وهو نشدتكم بالله لما صدقتموني فعل هذا يكون معنى بل زينت لكم أنفسكم أكله الذئب كما تقول لمن يغريك على أمر ما أغريت بهذا الأمر كما تقول لمن يغريك على أمر آخر غيره ما تصنع. فصبر جميل. أي فشأني صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل هو الصبر الذي لا تحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك. والله المستعان على ما تصفون. يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على احتمال ما تصفون بقولكم أكله الذئب وقيل معناه والله المستعان على ما تصفون قوله عز وجل وجاءت سيارة. وهم القوم المسافرون سموا سيارة لكثرة سيرهم في الأرض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي فيه يوسف وكان الجب قريبا بعيدا من العمارة يرد إليه الماء والمارة وكان ماؤه عليا فلما ألقي يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا واردهم وهو الذي يتقدم القوم إلى الماء فيستقي لهم الماء. فذلك قوله فأرسلوا واردهم والوارد هو الذي يتقدم إلى الماء فيستقي لهم الماء. يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر ودلوتها إذا أخرجتها فأدلى دلوه. فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل فكان يوسف أحسن الغلمان. وذكر البغوي بغير سند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأعطي يوسف

تسهيل التسويل

العمر للخبر وصل الله
على من تأسى بعمر

شكر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت
شطر الحسن قال محمد بن اسحاق ذهب يوسف وأمه بثلث الحسن وحكى الثعلبي عن
كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون
غليظ الساعدين والعضدين والمنكبين خميص البطن صغير الصدر وكان اذا تبسم رأيت النور بين
ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ما يستطيع احد وصفه كان وجهه كان فيه
الشعاع عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه وصوره قبل ان ينهب الخطيئة
قالوا فلما خرج يوسف وراء مالك بن ذعر كما حضر ما يكون من الغلمان قال يعني الوارد وهو
مالك بن ذعر يا بشرى يعني يقول الوارد لاصحابه يا بشرى هذا غلام وبشرني يا بشرى
بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد يقال ان
جدار البير بكى على يوسف حين خرج منها واشتروه بضاعة قال مجاهد اشتراه مالك بن
ذعر واصحابه من الغيار الذين كانوا قالوا انه بضاعة استبضعها بعض اهل الماء الى مصر والما
قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الثمن كذبه وقيل ان اخوته يوسف اشتروا ثانيا يوسف يعني انهم
اخفوا امر يوسف وكونه اخاهم بل قالوا هذا عبد لنا آبق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم
توعدوه بالقتل ليسر مالك بن ذعر واصحابه والقول الاول اصح ان مالك بن ذعر هو الذي
اشتراه بضاعة من اصحابه والله اعلم بما يعملون يعني من ارادته هلاك يوسف بجعل ذلك سببا
لنجاته وتشفيا لربه انه بصير بمن يريد مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار لما عود
كاروان يوسف بالكنعان اتاهم يهودا الذي كان اخبر بذلك اخوته بطلبه واذا بالمالك
بن ذعر واصحابه نزول قريبا من البير فاتوه واذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد لنا آبق هرب منا
ويقال انهم تقدموا يوسف حتى كتم حاله ولم يقر لهم وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه
منه بذلك قوله تعالى وشروه اي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت
الشيء بمعنى بعته وانما وجه حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وفيه وكانوا
فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير
يعود على مالك بن ذعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه ثمن بخس قال الضحاك
ومقاتل والسدي بخسيس حرام لان ثمن الحر حرام وسحت الحرام بخس لانه مبخوس البركة
يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف بهرجة ناقصة العيار

قال

وقال قتادة بخسيراً بخلم والظلم نقصان الحق يقال كلمه اذا انتقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخسيراً قليل وعن ابن عباس كلها بالبخس باللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء الخسيس والدراهم المعدودة هي التي اشار الله تعالى بقوله تلك الدراهم لانها بذلك الزمان ما كانوا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا يأخذونها عدداً فاذا كان اربعين درهماً وفية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهماً فتقسموها (درهم درهم) على هذا القول ولم يأخذوه رامه وابيه بشيء منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهماً على هذا اخذوه منها درهم درهم لانهم كانوا احد عشر أخاً وقال عكرمة كانت اربعين درهماً وكانوا فيه من الزاهدين اصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين راجع الى الاخوة يوسف كان رغبتهم في الدنيا ان تكون حسدة واراد والابعاد عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وانما قلنا ان قوله وشروه وما نوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان رغبتهم فيه اضعف فلذا الرغبة فيه ليشتروه بثمن قليل ويحتمل ان يقال انما اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق اظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان السيارة لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالكه على البيع فاشتراه فكبير فاله ابن عباس وكان فكبير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر يومئذ الريان بن الوليد من العمالقة وقيل ان هذا الملك بقي حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي فقال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي فكبير الذي اشتراه يوسف منه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فبلغ الناس ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة ما بلغه عمه فكبير بهذا الثمن وبذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني فكبير لامرأته مصر اكرمي مثواه كرمي منزله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام
عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح او يكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي
وبلغ او نتخذه ولدا يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن عباس افرس الناس
ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة
شعيب في موسى حيث قالت لابيها استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في
عمر حيث استخلفه بعده وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني كما مننا على يوسف
بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر فجعلناه
على خزائنها ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث
يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها والله غالب على امره قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى
ومعناه والله غالب على امره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا مرد لقضائه لا يغلبه
شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة
لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني ما هو
صانع بيوسف وما يريد منه ولما بلغ اشده يعني منتهى شبابه وشدته وقوته
قال مجاهد ثلاثة وثلاثين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة
وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو
الحلم اتيناه حكما وعلما يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين
وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم
العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة
حبس النفس عن هواها وصونها عما لا يعني والعلم هو العلم النظري وكذلك يعني وكما
انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه
ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه يعني ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها
ليوافقها وغلقت الابواب اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الامر لا يكون الا
الا في سترة وخفية او انها اغلقتها لشدة خوفها وقالت هيت لك اي هلم واقبل
قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل هوازن رفعت الى الحجاز معناها تعال

ف

حوازن

وقال عكرمة

وقال عكرمة ايضا بالعبرانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية هي كلمة حث وإقبال على الشيء. وقيل معنى بالعبرانية واصلها هيئت لك اي تهيأ لي وتعد بفتح هيئت لك جر قال انما بغي لغة العرب يقول ان العرب وافقت احداها هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغة غيرها كما وافقت لغة العرب للرومية الفسكار ولغة العرب للحبشية بانا شبثة البيل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هيئت لك بكسر الهاء مع الهمز وبغير همز ومعناه تهيأت لك. قال وهب يعني قال يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به واتجأ اليه مما دعوتني اليه. انه ربي يعني ان العزيز فلم يسيء الي حين مثواي اي اكرم منزلي فلا أخونه وقيل ان الضمير انه ربي راجع الى الله تعالى يقول الله ربي احسن مثواي يعني انه. أوى ومن يتق ويصبر فيجتنب المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اي يعطيه جزاء صالح ولا يضيع الظالمين وقيل معناه انه لا يسعد الزناة فصوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه. الآية بعد الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها بمقامين الاول في ذكر قول المفسرين بها بعد الآية قال المفسرون وانما هو الملاعبة والمغازلة بالقول من غير دخول فيه وقيل انهم قصدوا همت بالشيء اذا اردته وقد تنقد نفسه به وقارفته من غير دخول فيه. ومعنى قوله ولقد همت به اي اردته وقصدته فلان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن طلبة الجرمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني. تركت على عثمان تبكي حلائله. وقوله ولقد همت به وهم بها معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي وانما تقدم بها جزوي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب يده اليمنى الى يوسف ويده الاخرى الى المرأة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القاسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله واجل واتقى من ان يسندوا الى الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحاق لما اراد ان واثب العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره ما يسر نفسه وتشتهيه فلما انبعثت بذلك يا يوسف ما احسن

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

شعره قال هو أول ما ينتشر من جسده قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما تسيل
على خديه في قبره قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له
إن فراش الحمى بريء منكم فلم فارقتم حاجتي قال إذا تذهب نصيبي من الجنة ثم نزل
تصفعه وتدعوه إلى اللذة وهي شاب تحت مربى الشباب ما يداخل رجل وهو امرأة
حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من تلعبها به فوقع بها ثم إن الله تعالى تدارك عبده
يوسف بالبرهان الذي رآه وسيأتي الكلام على تفسير البرهان في قصة يوسف عليه السلام
بهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن
التي هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة نصيب البيعا قال بعض المحققين الهم
هما هم ثابت جعوما كان معه عزم وقصد وتصفية ورضى مثل هم امرأة العزيز بالعبد
مواخذ ما خوذ به وهم عارض وهو الخطرة بالقلب وحديث النفس من غير استقرار ولا عزم ومثل
هم يوسف بالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى إذا تعبد حسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا تعبد مسلم والبخاري نحوا، وفي حديث ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات
ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وإن هم بها وعملها
كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم
يعملها كتبها الله له عنده سيئة وإن هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة
زاد في رواية فمحاها ولا يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفا بعلى
مذهب كثير من المفسرين والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة وذكر الحديث
المتقدم فلا معصية له يوسف إذا وأما على مذهب المحققين من المفسرين والمتكلمين على الهم
إذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من هم ومحدثها وخواطرها فهو
المعفو عنه هذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي
الآية أي ما أنزل نفسي هذا البتة أو يكون ذلك على طريق التواضع والانخراط في مخالفة النفس لما ذكر قبل
ويرى وكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه السلام همّ وأن الكلام
فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا

عن المرأة

عن السوء ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله وقيل قوله وهم بها أي بزجرها وعصمها وقيل هم بها أي غمها ما شاهد منها وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا الكلام قد قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال الناس يلقبون يوسف مثل شقوة حتى بنيا الله بالغى عليه تسمية النبوة فشغلت نفسه فلم يرد عن حسنه هذا آخر كلام الغلام عياض رحمه الله واما الامام فخر الدين فذكر في هذا الفصل كلاما طويلا وانا اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين الرازي يوسف عليه السلام كان بريئا من هذه الخصال الباطلة والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه ندب ما ورد من الدلائل فدلت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الامية المتعصبين في حق الانبياء عليهم السلام مما صدر منهم زلة او هفوة او استغفروها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر في حق ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال في حق داود عليه السلام واستغفر ربه وخر راكعا وانا في قصة يوسف عليه السلام فلم يجد عنه شيئا من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لما بقي له بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك كما حكى عنه سائر ما صدر عن غيره من الانبياء وحيث لم يجد عنه شيئا علمنا انه لم يصدر عنه شيء مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل ما يمكن ان يقال له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم ان الذي يمكن تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة التي قطعن ايديهن والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى شهد ببراءة يوسف عليه السلام مما نسب اليه بيان ذلك

فقوله هم بها اراد ان يضربها وقوله لولا ان رأى برهان ربه اي ما يدعوه اليه واما المرأة فاعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف وتراهنته فقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود فقوله وشهد شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا

BULAC

المسمم للخير وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قد شهد الله له بهذه الآية فيكفيه وبراءته وأنه من عباده المخلصين
وإن كان ذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم
المخلصين وبالجملة بعد هذا قول رجل إن الشيطان جرأ بينهما حتى أخذ بعيد وجيد
المرأة حتى جمع بينهما فإنه قول مثله لا يجوز لأحد أن يقول ذلك وأما ما روي عن ابن عباس
أنه جلس منها مجلس الخاتن فما نشأ ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام
ولعل بعض الغلاة من أصحاب الأخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره
أيضا فإنه لا يكاد يصح بسند صحيح فيكفيك ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام
من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من نبيه عليه السلام وما فلت
بعمل هذا التفسير إلا بتوفيق الله عز وجل لو لا أن رآني هم بها لولا أن رأى برهان ربه ما بدت فلت فيه أعظم الفوائد
وبيانه من وجهين أحدهما أنه تعالى علم يوسف أنه لو هم بدفعها لقتلته فأعلمه
بالبرهان أن الهم مشاع مرضي بعضها أولى مرضي بعضها للتنفيس عن العلماء الوجه الثاني أنه عليه السلام
لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان بذلك أن يتمزق ثوبه مرفوعا وكان بعلم الله
أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق مرفوعا لكان يوسف هو الجاني وإذا تمزق من خلف كانت
هي الجانية فأعلمه بالبرهان هذا المعنى ليشتغل بدفعها عن نفسه بل ولي هاربا فذلك
الشاهد حجة له لا عليه وأما تفسير البرهان على ما ذكرناه المعروف وهو قوله تعالى لولا أن رأى
برهان ربه فمحال فاسد والكثير المعتبر يرى أن يوسف رأى صورة يعقوب وهو يقول له
يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على إصبعه وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله
وقال السدي يا يوسف أتواقعها إنما مثلك مثل الطير في جو السماء لا يطاق
عليه ومثلها إذا واقعتها كمثله إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يطير بعد عن نفسه شيئا ومثلك إذا
لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يحاك فيه ومثلها إذا واقعتها كمثله إذا مات ودخل
النمل في فرجه لا يستطيع أن يذب عن نفسه وقيل إنه رأى بعضا بالعضد مكتوبا في
آي عليك لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فهم لولا برهان ربه رجع بعد العلم عليه مكتوب
واعتبروا الزنى أنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فهو لولا برهان ربه عاد فعل ذلك الكلب

علم مكتوب

وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد بقال الله تعالى لجبريل ر
أدرك يعقوب يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانطلق جبريل عاما على اصبعه يقول يا يوسف
يا جبريل اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه متكئ
بعناحه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد بن كعب الغرضي رفع يوسف راسه
الى سقف البيت فرأى كتابا في حائط او لاثم يوا الزنا فانه كان فاحشة وساء سبيلا وجه رواية
عن ابن عباس انه رأى مثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه
وستر ته بثوب فقال لها يوسف ما بعثك على هذا فقالت استحييت منه ان يراني على معصية
فقال لها يوسف أتستحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه وانا احق ان استحي من ربي
وهربا من ذلك فهو قوله لولا ان رأى برهان ربه اما البرهان فقد فسروه بوجوه
الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله في قلبه حالت بينه وبين ما
يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على
الزنا من العقاب الثالث ان الله عز وجل صغر نبوة الانبياء عليهم السلام الا خلال الذميمة
والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة والخلال الكاملة وحفظهم عن
الفواحش بحيث تجتنبهم عن مثل ما لا يليق بمثله كذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السوء
يعني الخيانة والفحشاء يعني الزنا وقيل السوء قد مات الفحشاء وقيل السوء الشتم الفحشاء
قصر الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا
الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين
اخلصوا الطاعة لله عز وجل فصوله تعالى واستبقا الباب وذلك ان يوسف عليه السلام
لما رأى البرهان فاضطر بها مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج
والمسابقة كالعبث يقال يوسف واستبقا الباب فقدت المرأة فتعلقت بقميصه وجذبته
اليها حتى لا يخرج فذلك قوله وقدت قميصه من دبر يعني شقته من خلفه فقبضها
يوسف فخرج وخرجت خلفه والفيا سيدها لدى الباب يعني لما خرجا وجدا زوج المرأة
قطفير وهو العزيز عند الباب السابع فلما رأته المرأة بادرت فقالت ر
الشهمة فسابقت يوسف بالقول فقالت يعني لزوجها ما جزاء من اراد بأهلك سوءا
يعني الزنا حتى ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

اي تحبسه السجن وتمنع التصرف او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط والمبادأة بذكر السجن
على العذاب لانه اهم لانه يشتهي اطلاع المحبوب والمراد ان يسجن عدة ايام او يهمل ولم
يرد السجن الطويل وهذه لكيمة وافهمها فلما سمع يوسف ما قالت اراد ان يبرئ عن نفسه
قال يعني يوسف هي راودتني عن نفسي يعني كلمتني بالمحبة ما ثبت وقرن وذلك
ان يوسف عليه السلام كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يعتقد تستر بها ولكن لما قالت هي ما قالت
والكتاب عرضة احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي وشهد
شاهد من اهلها يعني وحكم حاكم من اهل المرأة اختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله عز وجل وهي رواية عن ابن عباس وعن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صبيان ما شكة ابن عمران وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء به الصحيح ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب
جريج وابن المرأة وفيهم مخرجة به الصحيح فيكون هذا الصبي شاهد يوسف من اهل
المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد هو رجل كهل حكيما ذا رأي فقال
السدي هو ابن عم المرأة محتج فقال ان كان قميصه قد من قبل يعني مزقا بصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر يعني من خلف فكذبت وهو من الصادقين وانما كان هذا الشاهد
من اهل المرأة ليكون ابلغ في براءة يوسف عليه السلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق
يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان الظاهر مولود هذه المرأة والمملوك لا يشهد بذلك
السيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد والبخروج هاربا منها والكاذب لا يعرب
ومنها انهم رأوا المرأة وقد تزينت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم
عرفوا يوسف بالمدة الطويلة فلم يروا فيه حالة تناسب افدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع
هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما رأى قميصه قد من دبر
يعني فلما رأى الصبي زوج قميص يوسف عليه السلام قد اي شق من خلفه عرف خيانتها واتهم
وبراءة يوسف عليه السلام قال يعني قال لبعلها زوجها فكيدكن ان يعني هذا الصنيع من كيدكن
يعني من جملة كيدكن ان كيدكن عظيم فلما قلت كيدهن وصاكيدة النساء بالعظم مع قوله
تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهذا كان من الرجال اعظم من كيد النساء قلت اما كون
الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق الملائكة والسموات

والارض

اللهم صل على نبينا محمد وآله وسلم

٢٥٥

والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء وكيدهن فلانهن يدبرن في الخفاء
ما لا يقدر الرجال على مثله غالبا والكيد الحيلة والمراد هنا ما لا يقدر عليه الرجال
في هذا الباب وقيل إن قوله إن كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عند
خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة. يوسف. يعني يا يوسف
أعرض عن هذا يعني أعرض عن هذا الحديث ولا تذكره لأحد حتى يفشو ويشيع
ويتحدث به الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثر ثم
لهذا الأمر واكتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت إلى زوجته فقال لها واستغفري لذنبك
أي توبي إلى الله مما رميت يوسف به من الخيانة وهو يوسف. منها وقيل إن هذا من قول الشاهد يقول للمرأة
إن كنت زوجك أن يصح عندك ولا يعاقبك بسبب ذنبك إن كنت من الخاطئين يعني من المذنبين فيما
خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بريء. وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا
لجنس الرجال على النساء. وقيل إنما يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن فعل هذا الفعل
تقديره كانك كنت من الذين الخاطئين فهو كقولك وكاشر من الفاسقين قوله عز وجل وقال نسوة
في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه. يعني وقال جماعة من النساء. وكن خمسا وقيل كن أربعا
وذلك أنه شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة غير الشام وتحدث النساء
فيما بينهن بذلك وهن امرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة
صاحب سجنه وقيل تسوة من أشراف مصر. امرأة العزيز يعني أنها تراود فتاها عن نفسه.
يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بأنها تقلب منه أنها حشية وهو يشتهي منها والفتى
الشاب الحدث. قد شغفها حبا يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب
يقال لها غلاف القلب والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى صار القلب وقيل إن حبه احاط بقلبها
كما احاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا يعقل شيئا سواه. إنا لنريها في ضلال
مبين يعني في خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على مثلها من الحياء والعفاف والستر واحبت فتاها. فلما
سمعت بمكرهن يعني بما سمعت من قولهن ما قلن فيها بغير الحق وإنما سمي قولهن في الخفاء مكرا لأنهن
كلمن بذلك زوجة يوسف وكان يوسف حسن الوجه فبعثت إليهن يعني إلى النسوة وقيل إن امرأة
العزيز هيأت البيت سرا واتخذت متكأ وأجلسن كل واحدة منهن مجلسا وأمرت يوسف أن يخرج عليهن
يعني أنها لما سمعت بأنهن يعبن منها على محبتها ليوسف أرادت أن تعلم عذرها عندهن قال
وهب اتخذت مأدبة يعني ضيافة وطيبة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن

BULAC

اللهم لك الحمد وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد

هو الذي عبّرت نصفها وأعتدت للضرّ متكئا يعني وضعت لهن مجالس ومساند يتكئن عليها
وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكئا يعني كعبا واما سمي الكعب
متكئا لان كل من رمى تفكه يتكئ عند فعل ذلك لمن وسايد يجلس ويتكئ عليها فسمي
الكعب متكئا على الاستعارة وقال ابن عباس اتكأنا عند طعاما اي كعبا عند والمتكأ ما يتكأ عليه
عند الطعام والشراب والحديث ولذلك سمي عنبه الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لا اكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين ويؤكل بها قال
ابن المرزبان زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة لكي تعبّر فعلها
بجمال يوسف وآتت كل واحدة منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النساء سكينا
لتاكل بها وكان من عادة نساء ذلك الزمان اذا اكلن اللحم والفواكه بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني وقالت
زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يحجبهن فخرج عليهن يوسف وكانت قد
زينت واحتبست له مكانا اخر فلما رأينه يعني النسوة اكبرنه يعني اعظمنه وذهلن
عند رؤيته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال كعبه كان فضل يوسف على الناس
بالحسن كفضل القمر ليلة البدر على سايل النجوم وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال
اسحاق بن بشر كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل انه ورث
حسنها ذي يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية ما نظر اليه احد
الا وصف لونه وقيل رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونعوذ عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح
وانكر اكثر اهل اللغة هذا قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والمعنى اكبرنه اي منعن
من هذا لانه لا يجوز ان يقال للنساء قد حضنه لان حيض لا يتعدى الى مفعول قال الازهري وصحت
هذه اللفظة في اللغة فلعلها تخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت من حد
الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على هذا المعنى قال الازهري وما صحت الرواية
عن ابن عباس سلم له وجعلنا المعنى به قوله اكبرنه الوقف لها الكناية وقيل المرأة اذا
حاضت او نفست قربا استغلت ولدها وتحيض فلان كان شم حيض فهو اكبرنه وما
هالهن منه او يوسف حين رأينه قال الماوردي في هذا الدم الذي رأينه وفي معنى انه يحتمل وجها اخر
وهو انهن انما اكبرنه لما ظهر لهن عليه نور النبوة ولسيما الرسالة واثار الخضوع والانحناء

و انكر

٩ شاهدن ٩

وشاهد قدرته معاينة وعصمته ملكية وهو عند الالتفات الى الكعبي والمنكوح وعند الاعتداد
بعمر وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك العفيفة والعصمة فتعجب من تلك الحالة فلما اكبر انه
وعظمته ورفع الرغب والمعاينة فلو بصر قال وحمل الاية على هذا الوجه اولى وفكعر اليد بعض
بعض وجعلن فكعر اليد تبصر بالمكاء كبر الذي معصر وهو تحسين النظر فيكعر الازج ولم يجدن
الالم لذة هشتصر وشغل فلو بصر بيوسف قال فما هذا اخسس الا بالدي وقال
فتاة اكبر ايد يبصر حتى اقيتها والاجاندكار فكعار غيرا بانة وقال وهب مات
جماعة منصر وفلن بعني النسوة حاشا لله ما هذا بشرا ابي معاذ الله ان يكون هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد
ذكر في النسوان الاتي اكسس الملك بذلك وصفة بكونه ملكا وقيل لما كان الملك
مكعرا من بواعث الشهوة وجميع الاماني والمرادات التي تحصل للبشر وصف يوسف بذلك
قوله تعالى ذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امراة العزيز النسوة لما رايت يوسف ودهشن
عند رويته ذلكن الذي لمتنني فيه حيث وانما قالت ذلك لانهن عذلنها عند ما عشقه حيث قلن ان
امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت بذلك ولم تقل بعد او حاضر بعد
لتزين لنفسه العسر واسهلها ان يحب ويقترب ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بمعنى عشقت
عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتم انكم لمتنني فيه ثم ان امراة
العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل
الذي كلفته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانصرفن اما بعض
ما اصابهن عند رويته ثم ان امراة العزيز قالت وليرى ما امره يعني وليرين ليكابدن وعنى
فيما دعونه اليه ليبتلين ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونن من الصاغرين يعني والاذلاء
المهانين فقال النسوة ليوسف اكح مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية
حين توعدته المراة بذلك فقال رب اي رب السجن احب الي مما يدعونني اليه قبل ان الدعاء
كان منها خاصة وانما اضافه البهن جميعا خروجا والتصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه
الى المعصية وقيل انهن لما قلن له اكح مولاتك فقد اضافة الدعاء اليهن جميعا قال بعضهم
لو لم يقل السجن احب الي لنزل بالسجن والاولى بالعبد ان يسئل الله العافية والانصراف عن
كيد هن يعني ما ورد منه اصب اليهن اصل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

واشتاقه واكرم الجاهلين يعني من الذنوب وقيل معناه اكرم من يستحق صفة الذم
بالجهل وفيه دليل على ان مرتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة. فاستجبنا له ربه. يعني
فاجاب الله دعاء يوسف عليه السلام فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم. يعني لدعاء
يوسف وغيره العليم. يعني بحاله وفي الآية دليل على ان يوسف عليه السلام لما اعتلته البلية
بكيد النساء وتمكن التصور لها بالابليس بحاله تجلى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف ما نزل
به ذلا الا مع الاعتراف بانه لا يتم تعصمه من المعصية ودفع فيها فكذلك على انه لا يقدر
احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل ثم بدا لهم. يعني
للعزيز واهل بيته الرأي وذلك انهم اراد وا ان يقتصروا امر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان
المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس فتحدث بانه راودني فتعرف نفسه فاما ان
تاذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى العزيز واهل بيته بعد ما راوا الايات. يعني الدالة
على صدق يوسف وبراءته مرة القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عفروس
عند رؤيته. ليسجننه. اي ليحبسنه بالسجن حتى حين. يعني الى مدة يرون رأيهم فيه
وقال عطاء الى ان تقطع غلالة الناس قال عكرمة الى يوم القيامة وقال الكلبي خمس سنين
محبسه قال الشيخ جعل الله ذلك الحبس تكفيرا ليوسف عليه السلام لقوله للساقي. وذكر ربك.
ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خباز
وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما
وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر اراد وا الفتك بالملك واغتياله وقتله وضمنوا
لصغير الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه ففعلا ذلك ثم ان الساقي ندم
فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي
لا تاكل ايها الملك من الطعام فانه مسموم فقال الخباز لا تشرب من الشراب فانه مسموم فقال للساقي
اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فطرح من ذلك الطعام لدابة فهلكت
فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل يتفقد عليه
ويقول ان اعبر رأيا فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنختبر هذا العبراني
نتراءى له رؤيا فنسأله فعبر ان يكون ما رأيا شيئا فقال له ما رأيت شيئا انما كنا نلعب فقال
يوسف قد وجب ما قد رأيتما فقال فوالله لقد كنا ما رأينا حقيقة فقصا رؤياهما يوسف وقالا له
فما تأويلها

نشروان

232

بسألهما عن شأنهما بدأ الفتى غلام للملك وأنه حبسهما وقد رأيا رؤيا فقد غمتهما
فقال يوسف قصا علي ما رأيتما فقصا عليه ما رأيا وذلك قوله تعالى فأما أحدهما
وهو صاحب شراب الملك إني أراني أعصر خمرا يعني عنبا يسمى العنب خمرا باسم ما يئول
إليه فقال فلان يعصر الأجراء بجبهة البئر حتى يصيرا جرا وقيل للعنب بلغة عمان
كذا وذلك أنه قال إني رأيت بالمنام كأني أعصر عنبا وإذا فيها صلة وعليها ثلاثة
عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه
وقال الآخر وهو صاحب طعام الملك إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه
وذلك أنه قال إني رأيت بالمنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة
وسباع الطير تنهش منها نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين يعني من العالمين بتعبير الرؤيا والإحسان هنا بمعنى العلم وقيل
الضحاك ما كان إحسانه فقال كان إذا مرض إنسان بالحبس عاده وفاء عليه وإذا ضاق على أحد وسع له
وإذا احتاج أحد جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلوة
وقيل لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل
يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فيقولون له ذلك منك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك
لقد نور الله جوارك فمن أنت فقال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن نبي الله إسحاق بن خليل الله
إبراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرعى ذمتك وأحسن
جوارك فاختر أي بيوت السجن شئت وقيل إن العزيز لما رأى يوسف قال إنا قد أحببناك منذ
رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله الإحسان هو الله ما أحب أحد قط الدخل على مريض
بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل على ولدها بلاء وأحبني أبي فألقيت في الجب وأحبني مولاتي العزيز
فحبست فلما قص عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبر لهما خير سألا لما علم بذلك من السكر وقد
لا حد هما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غير ما أظهر المعجزة والدعاء إلى التوحيد وقيل إنه عليه
السلام إذا رأى عبيرا لهما أدركته العلم العلم وأعظم مما عتقدا فيه وذلك أنهما كلما منه علم
التعبير والاشتداد هذا العلم منبئ عن الكهانة والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الإخبار عن الغيبات
على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه وإذا قدر على الإخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير
الرؤيا بكرة بالأولى وقيل إنما عدل عن تعبير رؤياهما إلى إظهار المعجزة لأنه علم أن أحدهما

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب
فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما قيل اراد به النوم
يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة
يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه الا نبأتكما بتأويله
يعني بقدره وكونه والوقت الذي اليكما قبل ان يصل اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم
وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
فقالا ليوسف عليه السلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن
ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما به. مما علمني ربي يعني ان هذا الذي اخبرتكما
به وحي من الله اوحى الي وعلم علمنيه. اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله فان قلت
ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها
وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد
فما معنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم
التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون داخلا فيه ثم تركه وخرج عنه
الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع
من عنده كذلك وقد كان بينهم يوسف وكان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا
عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر
انه من اهل بيت النبوة وان آباءه كلهم انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحاق ويعقوب
مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العالية في الدنيا والمنزلة الرفيعة عند الخلق
اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا
امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد. ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء. معناه ان الله تعالى لما
اختارنا لنبوته واصطفانا برسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به
مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا به قال الواحدي لفظة من في قوله من شيء زائدة
مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء.

يصل

وهم

ان نشرك

أن تشرك بالله أي شيء كائنا من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا فضلا أن تشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر
ذلك من فضل الله. يعني ذلك التوحيد وعدم الإشراك والعلم الذي هو فضل الله علينا
وعلى الناس يعني بما نصب لنا من الأدلة الدالة على وحدانيته وبما لنا من كريم العقيدة إليه
فكل ذلك من فضل الله على عباده. ولكن أكثر الناس لا يشكرون يعني أن الكثير منهم لا يشكرون الله
على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لأنهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعا على الإنسان
بقتال يا صاحب السجن يريد يا صاحبي به السجن وما صاحبا السجن يا ثالثي يا سارق
الليلة لأن الليلة مصروفة فيها غير مصروفة ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله
أصحاب النار وأصحاب الجنة وأرباب متفرقون أي. العدة تشتمل على بيض وبضة وصفر وحديد
وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط مبنيا بنوع الصنعة ونوع ذلك لا تضر
ولا تنفع خير أم الله الواحد القهار. يعني أهذه الأصنام أعظم صفة بالمدح واستحقاق اسم
الإلهية والعبادة أم الله الواحد قال الواحد هو الذي الواحد هو البرد الذي لم يزل وحده وقيل
هو المنفرد عن الغير والعدد والشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة
لأن ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد الذي لا نظير له كذلك هو الله الواحد الذي لا مثل له
ولا يشبهه شيء من خلقه. القهار. قال العلماء بالقهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه
بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء. قد ذل له
ما استسلم وانقاد وذل له وأنعت لهذا الأصنام أنك تعبد ونعاد ذليلة مقهورة
إذا أراد الإنسان كسرها وإتلافها تنتصر عليه والله هو الواحد الذي ملك القهار عباده الذي لا
يغلبه شيء. وهو الغالب لكل شيء. بما تعبدون من دونه تعالى شأنه بيان عجز الأصنام وأنها لا شيء. البتة
بقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله وإنما قال تعبدون من دون الله بلفظ الجمع
وقد ابتدأ بالتثنية بقوله يا صاحبي السجن لأنه أراد جميع من في السجن من الكثير لا أنهما. كانا هما
يعني سميتموها. العدة وأربابا وهي جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها. أنتم وآباؤكم
يعني أنتم سميتموها. العدة ما أنزل الله بها من سلطان. يعني أن تسمية الأصنام. العدة لا حجة
لكم ولا لآبائكم لأن الله بها ولا ذلك أنهم كانوا يقولون ما أنزل الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله
عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان يا أيها الله. يعني إن الحكم والقضاء والأمر والنهي لله
تعالى لا شريك له في ذلك أمر أن تعبدوا إلا إياه لأنه هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام

وعبدوا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

التي سميتموها آلهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله هي الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ذلك ولما فرغ عليه السلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما
فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا يعني أن صاحب شراب الملك يرجع
إلى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه أول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى
في السجن ثم يدعو به الملك ويرده إلى منزلته التي كان عليها وأما الآخر فيصلب يعني صاحب
طعام الملك والسلال الثلاثة ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه فتأكل الطير
من رأسه قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئا
إنما كنا نلعب قال يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من الأمر الذي سألتما
عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا شيئا وقال يعني يوسف
للذي ظن يعني علم وتحقق والظن بمعنى العلم أنه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك
يعني عند سيدك وهو الملك الأكبر فقل له إن في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه
فأنسيه الشيطان ذكر ربه في هاء الكناية إلى من تعود قولان أحدهما أن ترجع إلى الساقي وهو
قول جماعة من المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لأن صرف
وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف والقول
الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف
ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه
السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائز إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته
أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات
الأبرار سيئات المقربين فإن قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه
قلت بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث أن الشيطان يجري
ابن آدم مجرى الدم فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب وإزالته بالكلية
فلا يقدر عليه وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال
مجاهد هو ما بين الثلاث إلى السبع وقال مجاهد هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس
هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد
لبث في السجن قبلها خمس سنين فجملة ذلك اثنا عشر سنة وقال وهب أصاب أيوب

البلاء

يوسف

الليلة. سبع سنين وترك في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا الآن حبسط يبكي يوسف وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة. قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن ما لبث. يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال الحمد لله اذا نزل بنا أو بر عنا الى الله ذكر له الثقلين مرسلا وغير مسند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فرآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا خازن النار اراد بذلك الخازن جبريل فقال له جبريل يا كاشف الكرب عن وجوه الانبياء عليهم السلام وبقول لك اما استحييت مني استغثت بالآدميين وتركت الاستغاثة بالسميع العليم بضع سنين فقال يوسف وهو بذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن صرف عنك البلوى قال الله قال فمن يعافيك من السقم قال الله قال فمن عطف قلب العزيز عليك حتى قال عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بعبد من مثلك فالوا فلما انقضت سبع سنين قال الملك في منامه سبع سوى الخضر سنين التي كان قال لك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف قد غلبت الهزال فابتلعت العجاف السمان ودخلت في بطونهن ولم يتبين على العجاف منهن شيء. ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات قد استعصدن بالثوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من الخضر شيء. فجمع السحرة والكهنة والعبرين فقص عليهم رؤياه التي رآها بعد لك قوله وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي يعني يا ايها الناس اخبروني بتأويل رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وعلم التعبير مختصر بتعبير الرؤيا ويسمى هذا العلم تعبير الماء العبير للرؤيا عبارة عن صرف ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره. قالوا. يعني جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والعبرون تعبير للملك اضغاث احلام. يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

براها الانسان بمنامه وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرياسيا لخلاص
يوسف عليه السلام وذلك ان الملك لما رآها فاق واضطرب وذلك لانه شاهد النفس
الضعيفة قد استولى عليها القوى الكامل حتى غلبه وقهره بما اراد ان يعرفه ذلك فجمع لسحرته
وكهنته ومعبريه واخبرهم برؤياه منامه وسالهم عن تاويلها فجهلهم الله عز وجل بعد وتد
جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرياء ومنعهم الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف
من السجن وذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن
والقتل بعد قتل صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك
بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سميت السنين والزمان امة لانه جماعة ايام والامة
الجماعة انا انبئكم يعني اخبركم بتاويله وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك
مع جميع السحرة والكهنة والمعبرين او اراد الملك وحاشيته بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
وذلك ان الملك الساقي جثا بين يدي الملك وقال ائذن لي السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا فارسلون فيه
اختصار تقديره فارسلني ايها الملك فارسله فاتى السجن فقال ايها الصديق يوسف
اي يوسف ايها الصديق انما سماه صديقا لانه لم يجربه عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والكثير
يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق به تعبير رؤيا الشراب اصاب السجن افتنا يوسف
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فاما الملك رايا هذه الرؤيا
لعلي ارجع الى الناس يعني ارجع بتاويل هذه الرؤيا الى الملك وحاشيته لعلهم يعلمون يعني بتاويل هذه
الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك العلمية قال يعني قال يوسف تعبر السنبلات الرؤيا اما البقرات
السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات
فسبع سنين مجدبة بذلك قوله تزرعون وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع سنين دائبا
يعني عادتكم بالزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد في خصب فذروه في سنبله
الا ما تاكلون منه في سنيكم مما تحصدون من الحنطة في سنبله ليلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقاء له على
طول الزمان الا قليلا مما تاكلون يعني ادخروا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وانما يحفظ
الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم ياتي من بعد ذلك يعني
من بعد السنين المخصبة سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة مهلكة شديدة على الناس
ياكلن يعني يفنين ما قدمتم لهن يعني جميع ما اعددتم وادخرتم لهن من الحنطة

الحاجة ضبطوه

والمراد كصاحب الاكل الى التيسير على طريق التوسع بالكلام الاقليلا مما تخصون به تخزنون وتدخرون للبذر والاحراز وهو ما يدخر الشيء به العصر بحيث يحفظ ولا يضيع ثم بيان مرجع ذلك بقوله مما علمني ربي بتعليم الناشر اياي يعصرون من الغيث الذي هو المطر وقيل يعصر من قولهم استغاث بلادهم فاغاثت من الغيث وقيل يعصرون بمعنى يعصر عنبهم خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا واديم كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب بالزرع والثمار وقيل يعصرون معناه يتجوزون من الكرب والشدة والجدب فقوله عز وجل وقال الملك ايتوني به وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بتأويل رؤياه استحسنه الملك وعزم على الذي قاله كما ظهر له من حاله فلما اتيتوني به حتى اكلم هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بعذا العبارة مرجع الساقي الى يوسف وقال له أجب الملك بذلك فقوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ابي ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك والراء بغير النقط قال يعني يوسف للرسول ارجع الى ربك يعني الى السيد ذو هو الملك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امرأة العزيز اما واحتراما للعادة في عدم الاشارة بصريح الاسم فلما راودت يوسف عن نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قال جاء الرسول فقال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده ولم يخرج معه مبادرة الى الرأفة ومعرفة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل بل ثبت في السجن ولم يسأل الملك كشفه او الذي تسبب بسببه الظهور براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم يعني ان الله عالم بصنيعهن وما اختلن به هذه الواقعة من الحيل العظيمة مرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة جمع الملك النسوة واراد العزيز معهن وقال لهن ما خطبكن يعني ما شأنكن واذ كن اذ راودتن يوسف عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك واحدة وهي امرأة العزيز وحدها ليكون أنشر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته وحدها وسائر النسوة أعنته بما اعتمدها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب قلن يعني النسوة جميعا تنزيها للملك حاشا لله يعني معاذ الله ما علمنا عليه من سوء يعني ريبة قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق

ح

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل خافت ان
يشهدن عليها فاقرت فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني الى قوله
هي راودتني واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما
انه من قول المراة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المراة
الن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم اكذب عليه بل قلت
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت
في تاكيد هذا القول فقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني لما اقدمت على هذا الكيد
والمكر لاجرم اني افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول
يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لا يبعد
وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية
انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اي
ذلك الذي فعلت من رد رسول الملك اليه ليعلم اي العزيز اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب
يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه
من غير تفصيل بين الكلامين لمعرفة السامعين بذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه
بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم
هذا من قول الملا فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها
اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا
اين كان يوسف حيث قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك انه لما
رجع اليه رسول الملك وهو في السجن واخبره بجواب امراة العزيز قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة
عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول
كيف خاطبهم بلفظ ذلك وهو اشارة الغائب مع حضوره عندهم قلت قال ابن الانباري
قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالشاهد الذي يشار
اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ترداد الرسول ليعلم الملك

يعني

بيان تمييز

اني لم اخنه بالغيب

انى لم اخنه بالغيب. اى لم اخن العزيز بقوله قال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله والله لا يهدى كيد الخائنين يعنى انى لو كنت خائنا لما خلصنى الله من يده، اورد هذا النص وقفت فيما ان الله لا يهدى اى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا فى قوله وما ابرئ نفسى من قول من هو على قولين احدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب من قول المرأة وعلى هذا يكون العزيز وما ابرئ نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وتخبيبه عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسى هذه رواية ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن اراد يوسف لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسى لان الله تعالى يقول بكانوا ابعضكم من قوله وما ابرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل جار مجرى التبرى من العصمة والتزكية ذنب عظيم مما اراد الله ذلك عن نفسه فبارحسنات الابرار سيئات المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لبعض ما يلم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة بعلة الغيبة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ما هى فالذى عليه اكثر المفسرين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة لها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث مراتب هى صفات النفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها هى النفس الامارة بالسوء واذا بعثتها اتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح وهذا هى صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها اذا تركت وصفات اخلاقها الذميمة صارت مكمنة وقوله الا ما رحم ربى قال ابن عباس معناه الا من عصم ربى فيكون ما بمعنى من وقيل معناه الا رحم ربى بمعنى رحم ربى لكن رحم ربى بعصمه ومنعه النفس الامارة بالسوء ان ربى غفور بمعنى لذنوب عباده رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ايتونى به استخلصه لنفسى وذلك انه لما تبين الملك عذر يوسف وعرف امانته وعلم كلب حضوره اليه فقال ايتونى به يعنى بيوسف استخلصه لنفسى اى اجعله خالصا لنفسى والاستخلاص كلب خلوص الشئ بجميع شرائط الاشتراط وانما كلب الملك ان يستخلص

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد
من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن
صبره في السجن واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا حسن
اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيا اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ايتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب
الملك الان بلا معاودة روي ان يوسف لما قال ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم
اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد
فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء
وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن الحبس ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب
الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال اللهم اني اسئلك
بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر الملك اليه سلم يوسف عليه بالعربية
فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له
وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم
بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه
يوسف وزاد عليه العربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى مع حداثة
سن يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى
فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها
وانما يبدا الملك بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي ايها الملك هذا
الذي علم تاويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك وقال انك
اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها
مما يريد وقيل امكانه المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك
مما نسب اليك وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب
في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل رؤياي
منك بشفاها فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان

كشف

238

كشف لك النيل عن مصر بطلع عليك مرتفعا كهيئة تشعب آخذا بصرك يمينا
وشمالا البصر وهذا عجيب فسلهم اذا نضب النيل فعاد ماؤه وبدا بثبته
فخرج رجل به بسع بقران عجاف تشعث غبر مقاساة البكور ليس بصر ضروع ولا
اخلاب وبصر أنيابا وأضراسا كأنها كأنياب الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع و
جاءت سرا لهما ان اقترانها بالكلب مصر ومن فرجوده بصر وكلهم عجاف
ومتشعثون مختلفون فبينما انت كذلك اذا بسبع سنبلات خضر وبسع أخر
سود يابسات بهيئة واحد عرفوا فصرفوا الرأي الى. فبينما انت تقول بعقد اذ نشأ. هذا
بقول. خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهم الى. اذ ا
هبت ريح فجذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات. فاشتعلت فصارت نارا و
فاحرقتهن فصرن سودا بعدما رأيت ثم التفتت تذعرا فقال الملك والله
ما احكمات منها شيئا. فما تأويل هذه الرؤيا وأرى ذلك عجبا فما بقي مما سمعت منك
وما ترى بتأويل رؤيا ايها الصديق فقال يوسف عليه السلام أرى أن تجمع
الكهان وتزرع زرعا كثيرا بهذه السنين المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الكهان في الخزائن
بقصبه وسنبله فانه يبقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس
ان يجعوا الخمس من زرعهم ايضا ويكنزوه ذلك الكهان التي جمعته لاهل مصر من سنيهم
وبانيك الخلق من بعدهم للبذر والمولد للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد قبلك
فقال الملك وتريا بعد هذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكتب العلم فيه بعد ذلك. فقال يعني
يوسف اجعلني على خزائن الارض يعني على خزائن الكهان والاموال واراد بالارض مصر
ايا اجعلني على خزائن ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلني على خزائن خراج
مصر ودخلها. انى حفيظ عليم. اي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه
اني حاسب كاتب وقيل اني حفيظ لما استودعتني عليم بما ولّيتني وقيل حفيظ للحساب
عليم بعلم تعبير الرؤيا. وقال الكلبي حفيظ بتعبير ما في السنين المخصبة للسنين الجدبة
عليم بوقت الجوع حين يقع بعد ذلك فقال الملك وراحتي بذلك منك وولاه ذلك. روى
البغوي باسناده الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمل رسا عته ولكنه آثر ذلك سنة

الحمد لله حق حمده وصلى الله
على من لا نبي بعده

جاز فلت كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهة
طلبها صح مرة حديث عبد الرحمان بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عبد الرحمان لا تسئل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها
عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين فلت انما يكره طلب الامارة اذا لم
يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا اعتداد فيه بما يوسف
عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه وسيلة الى الله والرسول اعلم بمصالح الامة وغيرها
واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه
لما علم انه سيحصل محل وشدة اما بطريق الوحي من الله او بغيره ورأى ما يضرهم لا محالة
مع الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستضعفين وجب عليه طلب الامارة
لهذا السبب جاز فلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم
والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم فلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الجبل
التكاول والتباهي والتوصل به الى غير ما يحل بهذا القدر مندوب اليه تزكية النفس
اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولم يحرم بل
يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه
ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين وعلم انه عالم بمصالح
الدنيا لم يفهم يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا
ايضاح كمال علمه بمصالح الدين فقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك
اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بالرأي والحزم وخلصناه من السجن وزينا
به غير الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين
هو الاقتدار على ما يريد من غير منازع فيما يريد وبشاء واليه الاشارة بقوله يتبوأ منها حيث يشاء
لانه تفسير للتمكين فان ابن عباس وغيره لما انقضت السنة الرابعة سأل يوسف الامارة
دعا الملك فتوجه وزاده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سرير من ذهب مكللا بالدر
والياقوت كوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع عليه ثلاثين فراشا بعضها
فوق بعض وضرب له عليه قبة من الديباج وأمره ان يخرج فخرج متوجا بالتاج وعليه
قباء من ديباج ابيض وجلس فيه رجاء كونه قادرا على ذلك الذي يريد ذات ليوسف

الورقة

الملوك وتوفر البلد الماكس اليه ملكه وعزل فكبير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه فقال
ابراهيم قال ابن يزيد وكان لبلد مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله
وجعل امره وقضاءه نافذا في مملكته فقالوا وهذا فكبير عن يمر مصر تلك الليالي فزوج
البلد يوسف وان الذين بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها البس هذا خير لك من
قالت لها يا الصديق لا تلمني فانك لو كنت انا حسنا ناعما في ملوك دنيا وكان صاحب الايات
النساء وكنت كما جعلك الله به خصيا ونقيتك بغلبتك بعلي وعصمك الله فقالوا موجدها
يوسف عذراء ما صابها مولد ولا ذكر ولا امراسم ومبشا وهما ابنا يوسف منها والتوسع
ليوسف ملك مصر وانما جمع العدل واجبة الرجال والنساء فلما احكم يوسف ملكه دبره وجمع الطعام
احسن التدبير فجنى الحصور والبيوت الكثيرة وجمع الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف
حتى خلت السنين المخصبة ود خلت السنين المجدبة بطولها وشدتها بمثل النار فمثله وقيل
انه دبر به كطعام البلد وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط
كما اول راصابه الجوع البلد جاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال
يوسف هذا اول اوان القحط فعلم به السنة الاولى من سنين القحط كلها اعدوه السنين المخصبة
فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباع به السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق
بمصر دينار ولا درهم الا اخذه منهم وباعهم به السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بايدي
الناس منها شيء وباعهم السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى احتوى عليها كلها وباعهم
بالسنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبد ولا امة وباعهم السنة
الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم بالسنة السادسة حتى
استرقهم وباعهم السنة السابعة بمواشيهم حتى لم يبق بمصر ولا حول الا ملكه بصار جميعهم
عبيد ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف
فقال يوسف للملك كما رأيت صنع الله بي فما ترون فيما ترون في هؤلاء. قال الملك الرأي رأيك
ونعم الرب فقال اني اشهد الله واياك اشهد ان قد اعتقت اهل مصر اجمع ورددت
عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له الجوع فيبدو
خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجايع واخر يوسف كما في الملك يعطوا غداة نصف
النهار واراد بذلك اليوم والملك مع الجوع فلا ينسى الجايع فلما جعل الملوك غداءهم نصف النهار

الخبر للبشير وصل الله وسلم
على من كان بشيرا بعده

فقال لهما بعد ولم يزل يوسف يدعوا الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس
بذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من
نشاء يعني نخص بنعمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس
يعني الصابرين ولاجر الاخرة يعني وثواب الاخرة خير يعني افضل لاجر الدنيا للذين امنوا
وكانوا يتقون يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الله عز وجل ليرسل بعده الاخرة
من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله به الدنيا من الملك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف
بعد خلوا عليه بعد مسيرهم وهم له منكرون قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء ذلك جميع
البلاد حتى وصل الى الشام فقصد التاجر مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطي احدا اكثر
من حمل بعير واحد كان عظيما تغليبا ومساواة بين الناس فنزل بذلك يعقوب ما نزل بالناس من
الشدة فبعث ابنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل
عشرة بذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا مستوطنين بالعريات من ارض فلسطين
بقرب الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاء بدعا يعقوب عليه السلام وقال يا بني
لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فتجمعوا اليه وافقدوه لتتشتتوا منها حتى اليه
فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف بعد مسيرهم فقال ابن عباس وهما بعد اول نظرة نظر
اليهم عرفهم وقال السدي لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه فقال
ابن عباس كان يرى ان قد ماتوا بالبئر ويرد خولي عليه اربعين سنة فلذلك انكرهم وقال
عكاء انما لم يعرفهم لانه كان على سرير الملك وكان عليه تاج الملك وقيل لانه كان قد
البس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وعنقه طوق مرصع وكل واحد ربعة الاسباط
مانع من حصول المعرفة بكبير وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع بخلق
الله تعالى لعلم فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في يوسف تخفيفا لما اخبر انه
سيبتليه بالمحن بعد هذا وهم لا يشعرون بذلك فيه معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم
يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني ما انتم وما اموركم جئتم فقد
انكرت حالكم قالوا انما نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار
قال يوسف لعلكم تنظرون عورتي بلادي قالوا والله ما نحن بحمد الله الا خير اخوة بنو اب
واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر

فذهب احدنا

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فذهب اخ لنا معنا الى البرية فحملنا فيها وكان احبنا الى ابينا فقال لهم انكم اللذان قلتم
قال جابر الآخر فقالوا هو عندنا ابينا لانه اخو الذي حملناه فابونا يتسلى به فقال لهم يعلم ان الذئب
تعولون هي فقالوا ايضا انا ببلاد مخوفة لا يعبر بها فيها احد فقال جابر ائتوني باخيكم الذي رأيتم
اركشم صادقين فانا نأتمن بذلك منكم فقالوا لأبينا نجز له ونسترده عنه قال فدعوا
بصك عندي رهينة حتى نأتي به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم
رأيا به يوسف فخلفه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت الغازي
تجهيزا اذا تكلفت لهم جهازه بضم الجيم وهو ما يحتاجون اليه في وجههم والجهاز بفتح
الجيم هو اللغة الصحيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست
بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام والميرة بالنزول واحسن ضيافتهم
واعطاهم ما يحتاجون اليه بضم الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عندي
وهو بنيامين الا ترون اني اوفي الكيل يعني انه اتمه ولا انكسر منه شيئا وانا خير المنزلين
اخر كما جاء في الحديث انا خير المنزلين يعني خير المضيفين لانه فدا احسن ضيافتهم
مدة اقامتهم عنده قال ابن الخازن الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول ان يوسف
لم يعلم انهم اخوته وذلك انه لما قال ائتوني باخ لكم من ابيكم علم انهم لا يقدرون
على ذلك الا بان يعلموه بحاله ويخبروه بقصته وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان
يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق
بالصديق ثم قال يوسف عليه السلام فان لم تأتوني به يعني باخيكم الذي رأيتم فلا كيل لكم
عندي يعني لست أكيل لكم طعاما وانتم بقربي يعني ولا تجاوزوا تقربوا بلادي وهذا نهاية
في التهديد والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا عنده
فاذا منعهم الجود كان قد ضيق عليهم بعد ذلك قالوا يعني اخوة يوسف سنراود عنه
اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده وانا لفاعلون يعني ما وعدناك به
فقوله عز وجل وقال لفتيانه يعني وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه وأتباعه
اجعلوا بضاعتهم رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه يوسف وكانت دراهم
وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والأدم والرحال جمع رحل وهي الاوعية
التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم اذا انقلبوا الى اهلهم

اذا انقلبوا الى ابيهم. يعني اذا رجعوا الى ابيهم. لعلهم يرجعون اليه. واختلفوا في السبب الذي
راجله رد يوسف عليهم بضاعتهم. فقيل انهم فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم فردت عليهم
علموا ان ذلك كرم يوسف وتخايله. فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا. وقيل انه خاف
الا يكون عنده ثمنا. اذ لم ار المال لما ان زمان قحط وشدة. وقيل انه راى ان اخذ
الثمن الكمال مروءته وآخرته. لشدة حاجتهم اليه. وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه
لا يتضمن به منة ولا عيب. وقيل اراد ان يبعث ببرهم وكرامته واحسانه اليهم. رد بضاعتهم
ليكون ذلك ادعى الى العود اليه. وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ردها ثم وامانتهم تحملهم
على رد البضاعة اليه اذا وجدوها بحالها لانهم انبياء واولاد الانبياء. وقيل اراد برد
البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لما بيده وآخرته على شدة الزمان. فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا. انا فقدنا منا على خبر رجل ازلنا واكرمنا اشد عضيمة. لو كان رجلا مروءة يعقوب
سالوا منا كرامته. فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى بلد مصر فاقرؤوا على الملك وقولوا له ان ابانا
يصلي عليك ويدعو لك بالويل شم قال لهم ايرضون فقالوا ان تضمنه بلد مصر واخبروه
بالقصة ثم. قالوا يا ابانا منع منا الكيل وقيل فقالوا احدهما انهم لما اخبروا يوسف
باخيهم راى يوسف الكيل لابيهم واخيهم المشمولين عندهم. فمنعهم رفدا حتى يحضر
بنيامين. فمنع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الكيل لانه يقال والعرب تقول لمن انه سيمنع
منا الكيل. على الاستقبال وهو اشارة الى قول يوسف بل انا نزيد به بعير كيل لكم عندي وما
تقربون. وقال الحسن منع منا الكيل ان نحمل معنا اخانا. وهو قوله تعالى اخبارا
عنهم جاريل معنا اخانا. يعني بنيامين. نكتل فرسا بالياء. يعني يكيل لنفسه. وقرئ بالنون
يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا. وانا له لحافظون. يعني حتى نرد اليك. فلما قالوا ليعقوب هذه
المقالة. قال. يعقوب. هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل. يعني كيف امنكم على ولده
بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم هذا الكلام يعتذر يوسف وضمنتم له
حفظه وفعلتم وانتم له حافظون فلم تفعلوا الامر والحفظ هنالك فكيف يحصل
هاهنا. ثم قال الله خير حافظا. يعني ان حفظ الله له خير من حفظكم له فيجب التفويض
الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور. وهو ارحم الراحمين. وظاهر هذا الكلام يدل
على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهدوا ما فعلوا بيوسف لانهم يشاهدون فيما

240

بينهم وبين بنيامين الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف اوا يعقوب شاهد
منع الخير والصلاح لما كبروا ما ارسله معهم اوان شدة الغلاء وضيق الوقت احوجه
الى ذلك فقوله تعالى ولما فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه مصر فيحتمل ان يكون
المراد به الطعام اوا وعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم وجدوا به
متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف فردّ عليهم ودسّ في متاعهم فالوا
يا ابانا ما نبغي يعني ماذا نوا اي شيء نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب في اول
تلك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا
بضاعتهم قد ردّت اليهم قالوا اي شيء نطلب بعد هذا القيام والاكرام
او فرلنا الكيل وردّ علينا الثمن اردوا بعد الكلام تطييب قلب ابيهم وتيسير انطلاقهم يقال
مار اهله يمير هم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد الى اهلهم والمعنى انا نشتري
لاهلنا الطعام ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما خافوا عليه حتى نردّه اليك
ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل اخينا على حملنا حمل بعير من الطعام ذلك
كيل يسير يعني ان ذلك الحمل الذي زاد من الطعام يسير على الملك لانه قد احضر البنيامين
واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا فقال
يعني قال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني لن ارسله معكم بنيامين
حتى تحلفون عهدا من الله وميثاقا فهو الموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو الموكد
باشهاد الله عليه لتأتنني به الا ان تحاطوا بكم يعني الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذركم عند
الناس في ترك رجوعكم بلا اخيكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا وقال مقاتل الا ان تغلبوا جميعا بلا قدرة
على الرجوع بلا اخيكم موثقهم يعني بلا عهودهم ومواثيقهم فقال الله على ما نقول وكيل
يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول فالله الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا
العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظا
قال الله تعالى وعزتي لاردنّ عليكما بعد ما توكلتما عليّ وفوضتما امركما اليّ وذلك انه لما
اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد قال يعقوب ابدا ارسله
بنيامين معهم بارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه فقوله عز وجل حكاية عن يعقوب

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب
قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني
من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة
وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين
فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين
واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين
اخرجه ابو داود قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قال المازني اخذ جماهير
العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل
على فساد قولهم ان كل معنى مخالف في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه
من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل
من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امر الاخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين
المثبتين للعين ان العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد
قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللديغ
فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازني وهذا غير مسلم لانا بينا
في كتب علم الكلام الا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث
لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر
واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر
متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى من عكسه فيبطل ما قالوه
واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير
مرئية من عين العائن فتتصل بالمعين فتتحلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها
كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة
الجأ العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن

بفعل الله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

يفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر
وهل ثم جواهر ام لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما
يقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر
فقد اخطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق
بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب
بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما صفة وضوء العائن فمذكورة في كتب
شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم
وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان
يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله لم ياذن له في اظهار ذلك
فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه
ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم
من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله بقوله وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان كان الله
قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر
من قدر ان الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره
كلها الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره وعليه
فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة
مصر اربعة ابواب وقيل هي مدينة القضاء اربعة ابواب فدخلوا منها كلها ما كان يغني
عنهم من الله من شيء وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغني عنكم من الله من شيء
الا حاجة في نفس يعقوب قضاها هذا الاستثناء منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي انه اشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه
خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر او خاف الا يردوا عليه فاشفق من هذا كله
او بعضه وانه يعني يعقوب لذو علم يعني صاحب علم لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك
العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى لما علمناه الاشياء حصل له العلم
بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم

من ابوابها

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريقا اصابه
العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى ولما دخلوا
على يوسف اوى اليه اخاه قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا
ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم
وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرمهم واكرم نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على
مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم
يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه
فاجلسه معه على مائدته وكان يواكله فلما كان الليل اولهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم
ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين
مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم
اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فساضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم
واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله اوى اليه اخاه يعني
ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما
بنيامين قال ابن المتكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل
لابيك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يعني
يوسف فلا تبتئس يعني فلا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو
الضر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس بما كانوا يفعلون يعني فلا تحزن بشيء
فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف
صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا ثم قال يوسف
لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل
واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه
بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك

قال

214

قال بنيامين لما أبا رفلة يوسف قد علمت اغتمام والدي برواحلك
عني ازداد غمه ولا يكتئب بعد الا بعد أن يشهد بارتضع وأنسبك الى ما لا يجمل
قال لا بالي بما يفعل ما بعد الذي بيني وبينه أكثر مما بيني وبينك ثم انا في جميع
بالمرفة ليستقل ليتصيح له رد بعد تسريحك قال بما يفعل ما شئت بذلك قوله
عز وجل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وتقدم البشارة الى كنعان الملك
يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت مرصعة وقيل من
ذهب وقال عكرمة كانت مشربة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا و
ليلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لإناء واحد جعلت به وعما
كما أخيه بنيامين شم ارحلوا راجعين الى بلادهم فانطلقوا حتى انطلقوا واذهبوا
منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم فاستوقفهم وحبسهم ثم أذن مؤذن
بعني ناد مناد واعلم معلم والاذان في اللغة الاعلام أيتها العير وهي القافلة التي فيها
الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو العبيثم كل ما أسير عليه من الابل والحمير
والبغال فهو عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل لعير الابل التي عليها
الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك
في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله أيتها العير اراد اصحاب العير انكم
لسارقون فيجوا والصرفة اخذ ما ليس له أخذه بخفاء فالت هل كان
هذا النداء بأمر يوسف ام لا فان كان بأمره يكون يوسف عالما منصبا وشريف
من النبوة والرسالة أن يبيح لنفسه ان يفعل ما يعلم انه يعار ثم من ذلك وان
كان ذلك النداء بغير امره فيكون قد ظهر منه ما ظهر ثم عن ذلك الثمة التي نسبوا اليهم فلت
ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة احدها أن يوسف كان ظهر له خيانة اخوته
قال لست أبا رفلة قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال
رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به لما يكون فيه
الكناية أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام
وهو المعاريض وهو المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادي
انما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن

BULAC

العلم للآخر وصلى الله
على من لا نبي بعده

ما يدل على انهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم لما طلبوا السقاية
لم يجدوها وعلموا بكيدهم فاذا احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على
غلبة ظنهم قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون فقال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة
يوسف قالوا لهم الم تكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوفيكم الكيل ونفعل بكم ما نفعل بغيركم قالوا بلى
وما ذلك فقالوا نفقد سقاية الملك ولا يتهم عليها غيركم فذلك قوله قالوا واقبلوا عليهم
اي عطفوا على الموذنين واصحابه ماذا اي ما الذي تفقدون والفقد ضد الوجدان قالوا يعني
المؤذنون واصحابه نفقد صواع الملك الصاع الاناء الذي يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه
وجمعه صيعان ولمن جاء به بعير بالصواع حمل بعير يعني من الطعام وانا به زعيم اي كفيل
قال المفسرون الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة
في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الحميل غارم والحميل الكفيل قال قلت
كيف تصح هذه المعاقدة ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا بل الحقيقة
يحتمل ذلك على مثل رد الضايع فيكون جعالة او لعل مثل هذه المعاقدة كان جايزا عندهم
بذلك الزمان فيحمل عليه قالوا يعني اخوة يوسف تالله انتاء بدل الواو ولا تدخل الا على
اسم الله باليمين خاصة تعجبا والله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
قال المفسرون لما رأى اخوة يوسف حلفوا على امر جحدوا انهم ما جاءوا لاجل الفساد في الارض
والثاني انهم ما جاءوا وسارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر لهم انهم ما يدل على صدقهم
وهو انهم كانوا امتاروا ضيقا على انواع الجبن والكاعة وانهم حتى بلغ مرارهم انهم شدوا افواه
دوابهم ليلا تتوقى زروع الناس وكان هذه صفته بالفساد في الارض وامتنع واما الثاني
وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا
اخذها وكان هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جينا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين فلما تبين براءتهم من هذه التهمة قالوا يعني اصحاب يوسف وهو
المنادي واصحابه فما جزاؤه ان كنتم كاذبين يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جينا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا يعني اخوة يوسف جزاؤه من وجد في رحله يعني
جزاء السارق الذي وجد في رحله انه يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك
مستحقا ان يعفو به حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم

ضعف

ضيق فيه السرور وكان هذا في شرعهم بذلك الزمان لعن فجر العلج بشرعنا فأراد
يوسف أن يأخذ بحكم دينه بالسارق فلذلك ذكر الحكم اليهم والمعنى أن حد السارق استعبد
سنة جزاء له على جرمه وبين فقه بقوله جزاؤه يعني هذا الجزاء جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
يعني مثل هذا الجزاء ونجزي السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل بهذا الكلام من
بقية كلام اخوة يوسف وقيل بقوله كل واحد يوسف يعني هذا أن أخوة يوسف لما قالوا جزاء
السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارق فقوله عز وجل
بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه قال أهل التفسير أن أخوة يوسف لما أقروا أن جزاء السارق
أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالهم فردوهم إلى يوسف فأمر بتفتيشهم
بيديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه فلما لم ير الصواع في شيء من أوعيتهم واحدا
واحدا قال فتادة ذكر لنا أنه ما لامس متاعا ولا نظر إليه وما استفهم الله تعالى مما
قذفهم به حتى قال يوسف للرجل بنيامين فما ترى ما أظن هذا أخذ شيئا قال أخوته والله لا يترك
حتى ننظر في رحله فبدأ بأوعيتهم لنفسه وأنفسنا قبل وعاء أخيه ثم استخرج الصواع من وعاء
بذلك فقوله ثم استخرجها من وعاء أخيه إنما أنث الكناية لأنه رد ها إلى السقاية
وقيل إن الصواع يؤنث ويذكر فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم
من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له يا ليتك الذي صنعت بنا فضحنا وسودت وجوهنا
يا ليتك رحيل ما زال لنا منك بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل والله لقد رحل إلي
زال لئيم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه بالبرية إلى أن وضع هذا الصواع في رحلي فقال
وضع البضاعة في رحالكم فقالوا بأخذ بنيامين فيما وقيل إن المنادي وأصحابه مع الذين
تولوا تفتيش رحالهم ومع الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين ما خطوبكم إن فتشوا ورددوا
إلى يوسف كذلك كدنا ليوسف يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الجمع
باسترقاق السارق أي مثل ذلك الحكم الذي ذكره أخوة يوسف حكمنا به ليوسف وألهمناه الكيد
يستعار للحيلة والخديعة ونسب الله عز وجل فعال فيجب تأويل هذه اللفظة
بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فمعنى الكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف
في الابتداء فعلنا بهم بالكيد من الحيلة والله الذي يليق بالحق والمعنى كما ألهمنا
أخوة يوسف بأن حكموا أن جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى ذكر الصواع

بعد حال اخيه ليتصدّه اليه على ما كان بما خوّله وقال ابو الاعرابي الكيد التدبير بالباطل
وعسى بعل هذا يكون المعنى كذلك دبّرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابو الهيثم
سمعت ابا وجزة يقرأ عن الله عزّ وجلّ على خلاف معناه باوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان
تحته احتيال وهو به موضع بعمل الله معانٍ المعاني المذمومة وتحلّ انه وقع بريد
تدبيرا ما يريد به مريد لا يشعر ولا يقدر على ذلك بعد بصور الله متشبّه بالذي يكون من المخلوق
من حيث انّ المخلوق اذا كاد المخلوق يستتر عنه ما يتوبه ويضمر له والله يقع به الكيد من الله
تعالى بصور تستتر ما حتى الله به عما فيه والله وقع باخوة يوسف ما يجد الله بهم ما اشفى اليه
بيوسف من اتباع المنزلة وتمام النعمة بحيث جرى الامر على غير ما قدّروا من اهلاكه وخلوص ابيه له
بعده وكل ذلك بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سمّاه كيدا لما يشبه مكيد المخلوقين بعلى بصفا
كيد الله عزّ وجلّ ليوسف ما بدا من جميع ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير
ان يشعروا بذلك وقوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك يعني في حكم الملك وقضائه
لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق ولم يكن يتمكن يوسف من حبس
اخيه عنده في حكم الملك بالله تعالى انعم يوسف ما دبّر حتى وجد السبيل الى ذلك الا ان يشاء الله
يعني ارادة الله وكان بمشيئة الله وتدبيره لا رفع ذلك كله كان بما امر الله ليوسف واخوته
حتى جرى الامر على ما اراد نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته
وفوق كل ذي علم عليم الآية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف
ورفع درجته على اخوته بالعلم وما الهمه من وجوه الهداية والصواب في الامور كلها وروي عن
ابن عباس رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنه فوق كل ذي علم عليم قال الى ان ينتهي العلم الى الله جلّ ذكره وكل عالم
فانه هو الذي علّمه العلم وقوله الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف
اعلم منهم قال ابو الليث ينبغي ان يتعلّم العالم ليفقه ويستعمل التواضع لربه تعالى ولا يطمع
نفسه بالغلبة على العلم لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى قالوا يعني
اخوة يوسف ان يسرق يعني بنيامين الصواع فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف
وظاهر الآية ان اخوة يوسف قالوا للملك انّ هذا الامر ليس بغريب منه بل اخاه الذي هلك
كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا
واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من امّ اخرى غير امنا واختلفوا

بالعرفة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام. وقال سعيد بن جبير وقتادة كان يعقوب
اسمه ضم وكان بعقوب فاخذ يوسف يسرا وكثيرا والقاه بالكربي ليلا بعقوب
وقال مجاهد كان يوسف جابا سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السايل
وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من الكبر التي كانت بيت يعقوب فاعطاها
سايلا وقال وهب كان يتبنا الكهان والمنجمون للبقرا. وذكر محمد بن اسحاق ان
يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته وأحبته
حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبته بقلب يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا أختاه
سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت والله لا أعطيكه
فقال والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي ياما انظر اليه لعل ذلك يسلي عنه
فعمدت ذلك بعد ان منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر
اولاد اسحاق وكانت عندها بمنزلة المنطقة على وسط الرجل فحزمت بها يوسف
وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحاق فتفتشوا اهل البيت فوجدوها
مع يوسف فقالت انه لسارق تعني يوسف فقال يعقوب اركما رفعه عادة لك فهو سلم
لك فامسكته عندها حتى ماتت فلما ماتت قال اخوة يوسف اترون يوسف قد سرح له
من قبل تغتر بعد العرفة قال ابن اسحاق وليس بعد الافعال كلها ما يوجب العرفة
ولكنها تشبه العرفة فيقرون بها عند الغضب. واشترها يوسف بنفسه ولم يجدها الدهر
بها. الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهو قوله
تعالى قال. يعني يوسف. انتم شر مكانا ذكر هذا المعنى المغربي عن ابن عباس والثاني ان الضمير
يرجع الى الكلمة التي قالوها خفية وهي قولهم بعد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابن عباس
على قول هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها خفية ولم
يفهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الجملة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف
الاحتجاج عليهم بما يعلم عليه العرفة ولم يبده لهم قال انتم شر مكانا. يعني منزلة عند الله
ممن رميتموه بالعرفة لانكم كتمتم يوسف عرفته الخفية وخيانتكم خفية والله اعلم بما
تصفون. يعني خفية ما تقولون. قوله عز وجل قالوا. يعني اخوة يوسف يا ايها العزيز
انا كصوك بذلك الملك يا ايها الشيخ كبيرا قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام

لما استمر الصواع مع رحل بنيامين نفخ واد نا الى اذنه ثم قال له صواعي هذا يخبرني
انك اثنى عشر رجلا بابا واحدا وانك الخلفتم بالخ لك راحيل فيعقوب فقال بنيامين لهذا المولد
قتل صواعك رحله برحله بنفخ ثم قال له صواعي وهو يقول كيد تعلمني عرضا حبي
وقد رايتني مع مركبك فقالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنوا يعقوب اذا غضبوا لم يكافوا وكان
روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته
وكان مع هذا اذا تبسم احد مولد يعقوب يبسر غضبه وكانوا لما خوة واشد مع وقيل
كان هذا صفة تسعة من بني يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة
قال اكبونني انتم الاسواق وانا اكبع المدا واكبون انتم المدد وانا اكبع الاسواق به خلوا عن يوسف
فقال روبيل ايها المدد لترد عليك انا خانا والا صيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت
حملها وقامت كل شعرة في جسدي روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف للاخر صغير قم
الى جنب هذا العمود وخذ بيده وابطش به فان عمد سكن غضبه فقال الاخ له رويدك مكانك
فانا لم نبطش بنا احد فقال روبيل ان هذا لامر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقال اليه
يوسف فركض برجله واخذ بتلابيبه فرفع على الارض فقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون
انه لا احد اشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا انه لا سبيل الى تخليصه خضعوا وقالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا يعني بالسن ويحتمل ان يكون كبيرا بالقدر لانه نبي وولد الانبياء يعظم
احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه المفقود انا نراك من المحسنين يعني
في ما بعد ذلك كله وقيل من المحسنين الينا بتوفية الكيل وخير الضيافة ورد البضاعة اليسار
وقيل انا رددنا بنيامين الينا واخذنا احدنا مكانه كشكر المحسنين قال معاذ الله يعني
قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق تحرزا
من الكذب لانه يعلم ان احدا ليس بسارق انا اذا لظالمون يعني ان اخذت بريئا بذنب
فان قلت
كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذا العمل بابيه ولم يخبره بمكانه وخبر اخيه ايضا
عند علمه بشدة وجده عليه بسبب ما به من الغموم وفجيعة الرحم وقلة الشفقة
وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يبرز على اخوته ويروج عليهم مثل
هذا مع ما به من الايذاء لهم وكيف يليق به هذا حتى
قلت
خذ في العلم عن هذا
السؤال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما يفعل ذلك باذن الله تعالى له لاغراض وامور

ان الله يذكر لنا

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

245

امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين
ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي اخفى
خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم
باحوال عباده قوله عز وجل فلما استيأسوا منه يعني ايسوا من يوسف ان يجيبهم
الى ما سألوه وقيل استيأسوا من اخيهم ان يرد عليهم وقال ابو عبيدة استيأسوا اي استيقنوا
ان الاخ لا يرد عليهم خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم
غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا وكان اعقلهم
وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك
هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني فرطتم في امر
يوسف حتى ضيعتموه فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر يعني فلن
اخرج من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر
فتدعوني اليه او يحكم الله لي يعني برد اخي علي او بخروجي معكم وتركه او يحكم الله لي بالسيف
فاقاتلهم حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا
الكلام اللجأ الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول
الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا له ان ابنك
سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع
بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال
ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني لم نقل ذلك
الا بعد ان رأينا اخراج الصاع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا
على شيء الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم
فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس
والضحاك سُرِق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه
القراءة لا تحتاج الى تأويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا
تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني

والمعنى

وقرا

ما قلنا هذا الا بما علمنا بما رأينا اخراج الصاع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة
بما علمنا على شيء الا بما علمنا وليست بهذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم
وقيل قال لهم يعقوب خشي أن يسرق ما يجد عند هذا الرجل أن السارق يؤخذ بمن عنده المتاع
فلو اما نشهد عنده أن السارق يسترق الا بما علمنا ما الحكم وكان الحكم كذلك عند آل يعقوب
ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب ان يجعل هذا الحكم حتى يأخذ على بنيه ذلك
واجيب عنه بانه يحتمل أن ذلك الحكم كان مخصوصا بالذكاء المسروق منه مسلما بالعفو
انكم عليه اعلم انكم بعد هذا الحكم لكنه أنكرها وما برا وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة
معناه ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا
ونحفظه اذا نحن معنا الى حيث شئت وقال ابن عباس ما كنا الليلة ونهارا وجميعا وذهابه
حافظين قيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا وان الغيب لا يعلمه الا الله بل نعلم
الظواهر دون السرائر وعلمه لا يعلم بذلك وسئل القرية التي كنا فيها يعني وسئل اهل القرية
الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور بين العرب والمراد بالقرية مصر
وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير
التي اقبلنا فيها يعني وسئل القافلة التي كنا فيها وكان فيهم قوم من كنعان وبصيرا يعقوب
وانا لصادقون يعني فيما قلنا وانما اوردوا خبر القرية الذي اقامهم بعد المقالة مبالغة في ازالة التهمة
عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بكيد وقعة يوسف قال بل سولت لكم انفسكم
امرا فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى فحزن بسبب ذلك وبما قال لهم كبرهم
واراد ان يقولوا لابيهم بعد ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو
حمل اخيكم مع الرجل لكيلا نفع عاجل فقال امركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم أنه
سيرد وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى الله ان يأتيني بهم
جميعا يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذا لعلمه لانه لما
كان حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا فرتب ذلك على
سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب
علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول الامر ويا يوسف وقوله لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني بحزني

وعظم

واجيب عليهم

وقوله عليهم العليم يعني بما يجدر ويقضيه فقوله تعالى وتولى عنهم يعني
واعرض يعقوب عنهم حين بلغه خبر بنيامين محمد فتاه حزنه واشتد بكاؤه
وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف بعد ذلك اعرض عنهم وقال يا اسفى على
يوسف وآلاسف أشد الحزن وإنما تجدد حزنه على يوسف عند هذه الواقعة لأن القديم
إذا صادفه حزن آخر كان ذلك داعية للقلب واعظم لهيجان الحزن الأول كما قال متمم
ابن نويرة لأخيه لقد فرقت بيني وبينك فرقة تجدد حزني عند ذكرها
بعد الأنس كل قبر رأيته كقبر ثوى بين اللوى والدكادك
بعد أن مضى بعد ذلك فبما الذي جاء بأن الحزن تجدد الحزن وقيل لأن يوسف وبنيامين كانا
من واحدة فكان يعقوب يتسلى بنيامين عن يوسف فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه
عليه وتجدد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض
الجهال على يعقوب في قوله يا اسفى على يوسف وقال هذا شكاية والصابر لا جزع
فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض لأن يعقوب عليه
السلام شكا إلى الله لا منه فقوله يا اسفى على يوسف معناه يا رب ارحم أسفي على يوسف
وقد ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال يقال يعقوب للأسف البعض والمجاز
يعني غير المضمر البعض وتلخيصه يا الهي ارحم أسفي وان زاد أسفي وهذا أسفي فبلوى
الأسف البعض والمداد سواء العين والماشم إذا تنفس الصعداء بكلام مرتب لأنه لم يشكو
إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفى على يوسف شكوى الرب كان غير ملوم شكواه
وقيل ليعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفى على يوسف
أي اشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشك إلى أحد من الخلق بدليل قوله إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وابيضت عيناه من الحزن أي عمي من شدة الحزن على يوسف فلما فاتل
لم يبصر شيئا بعد ذلك وقيل لأنه ضعف بصره من شدة البكاء وذلك أن الدمع يكثر عند
غلبة البكاء فتصير العين حمراء ثم بيضاء ثم يذهب الخارج من العين ويصير كظيم أي مكظوم وهو
المتملي من الحزن الممسك عليه لا يشكه قال قتادة هو الذي يرد حزنه في جوفه ولم يقل
الا خير وقال الحسن كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى التقيا ثمانون سنة فلم تجف
عينا يعقوب ولا على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه

ولا قيل لأحد

والسدي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني ايها
الصديق قال يوسف ارى صورة كافرة قال اني رسول رب العالمين واسمي الروح الامين
فقال يوسف وما اد خلك مدخل المذنبين وانت اكيس الكيسين وابن المقربين وامين
رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يصغر الارض يكبر الصغير ويكثر القليل
هو اصغر الارض وان الله قد كفر بداء السجن وما حوله يا اكرم الكارمين وابن الصالحين
المخلصين فقال يوسف كيف له باسم الكبير وتعدين المخلصين الكافرين وقد ادخلت
مدخل المذنبين فقال انه لم يغتر قلبك ولم تكفر سيدك تذكر معصية ربك فلذلك سماك الله
في الصديقين وعدك من المخلصين واحفظ بنا يا ابت الصالحين فقال يوسف فهل لك علم
يعقوب ايضا الروح الامين قال نعم فذهب بصره وابتلاه بالحزن عليه فصار كظيما
وكتب له الصبر الجميل قال فما فدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الاجر
يا جبريل قال اجر مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فكابت تعزي يوسفا وقال
ما ابالي ما لقيت ان رأيته فسوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤا
تذكر يوسف يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر من حبه يقال ما فتئ يفعل كذا اي ما زال ولا
محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم حذفت للتخفيف كقول العرب الفيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اي لا ابرح قاعدا
فسوله حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت
يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحاق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه
وعقله وقيل ذا بيان من الهم واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى
الاية حتى تكون دنف الجسم مختول العقل يعني لا تنفع نفسك رشدة الحزن والهم
والاسف او تكون من الهالكين يعني من الاموات قال فلتف كيف حلفوا على شيء
يعلموا حقيقته فحلفا فلتف بنوا الامر على الاغلب الظاهر في نفوسهم كما مناه الا ترى
يصبر اذ لد فله يعني يعقوب عند ما راوا توليه وعلمتم عليه انما اشكو بثي وحزني
الى الله اصل البث اثارة الشيء وتم فيه وبث النفس ما تنطوي عليه من الغم والشر قال ابن
قتيبة البث اشد الحزن وذلك ان الانسان اذا استر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره فقد
بثه اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما اشكو حزني العظيم وحزني القليل
الى الله

الى الله تعالى فقال ابو العباس رضي الله عنه قال ابو عبد الله بن محمد رحمه الله حدثنا الحسن بن مالك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ تواخى فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي
ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف واما
الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك
أما تستحي أن تشكو الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو
وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب ما الذي اراك قد تقوست وقبحت ولم تبلغ
مراد الكبر ما بلغ ابوك فقال تقوسني وافنى ما ابتلاني الله به من فقد يوسف فاوحى الله اليه
يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي فاغفر تعالى فكان
بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل انه اوحى اليه وعزتي وجلالي لا
اكشف ما بك حتى تدعوني بعد ذلك فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال اي رب أما ترحم
الشيخ الكبير اذهبت بصره وقوست ظهره فازدد علي بما انتزعت اشمه شمة فصار ما
شم صنع ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول يا يعقوب ابشر
فوعزتي لو كان ميتا لنشرته لك اذهب بقميصي هذا فاذا وجدت عليه لانه ذبح شاة فقام على بابه فجاء
المسكين وهو صائم فلم تطعمه منها شيئا ولم تدع عباد الله الا انبياءهم المساكين اصنع طعاما
وادع اليه المساكين وصنع طعاما ثم قال مرحبا بليلكم الليلة عند اليوم يعقوب وكان بعد ذلك
اذا تغدى امر مناديا فنادى الا ليلكم امر مرتبا فنادى الا ليلكم ليلتك
يعقوب فبكى ينتظر ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري
لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقربت الى
جارك واكلت ولم تطعمه وقيل انه سبب آخر يا يعقوب انه ذبح عجلا بين يديه وهي تخور
فلم يرحمها فان قلت ما وجه هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء. قلت
لا وانما عوقب يعقوب بهذه الاحزان سيئات الامرار حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يؤاخذ الانبياء من
الاعمال على قدر مناصبهم وشرف رتبهم يعقوب عليه السلام واهل بيت النبوة والى سالت
ومع ذلك فقد ابتلي كل واحد منهم بمحنة فصبر فابراهيم عليه السلام القي في النار
فصبر ولم يشك الى احد واسماعيل عليه السلام ابتلي بالذبح فصبر ومضى لامر الله واسحاق
عليه السلام ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب عليه السلام ابتلي بفقد ولده يوسف

العمر للخير وصل الله
على سيدنا النبي بعده

وبعده، بنيامين ثم عمي بعد ذلك، وضعف بصره مرة بعد مرة البكاء عليهما وتفويض ذلك صابرا
يشتد الى احد شيئا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل قوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله باستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل به الدنيا والدرجات العلى في الاخرة
مع من سلف له من ابائه ابراهيم واسحاق عليهم الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا
يستوجب به عتبا ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف
بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان
القلب يحزن وما نقول الا ما يرضي ربنا فبهذا القدر لا يجد الانسان على احد بعد عن نفسه
بصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وفي قوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى
ذو رحمته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة
يوسف وبتوقع رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك
الكهل ريحة الشاب صورته الريم على رسمه فهل قبضت روح ابني يوسف فقال لم
فكانت نفس يعقوب تطمئن بذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل هذا واعلم
انك ترى يا يوسف حقق رؤياي وانتم ستسجدون وقال السدي لما جيء بقميص
يوسف مصروكا على حاله بعد ما جعل فوقه واعلم ان كنت نبئت يعقوب وكم ابكون يعقوب يوسف
بعد ذلك قال يعني يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس
طلب الخبر بالحاسة وهو في الخير والتجسس بالجيم وقيل التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم
يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يكشف على عورات الناس قال ابن عباس لم تحسسوا
قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه أقيم
من مقام عن فقال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه
روي عن عبد الله بن يزيد بن اسلم قال قرأت كتابا ليوسف عليه السلام حين حبس
عند بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر
اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم فشد بالنار ورجلا والقي في النار
فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشد بالذبح ورجلا ووضع السكين في قفاه فجاء الله
واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قد اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان اخا امه وكنت اتسلى به وانك حبست

218

وزعمت انه كذب وانا اهل بيت لا نكذب ولا نلد كذابا فما زالت تدعوني الى ان دعوت عليك دعوة تدرك السابع وولد ولدك فكتب فرايوسف كتابا بيده اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نعشه لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وذلك قوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تايئسوا اي لا تقنطوا من روح الله يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله انه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون يعني ان الامر عن قريب يرجع والله يقضي عنا قريبا. يقال به خبرا وبحمد عنا خبرا. ويقال خيرا والكافر بضد ذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه يعني على يوسف قالوا يا ايها العزيز يعني يا ايها الملك والعزيز الغالب الممتنع وكان العزيز لقبا لملك مصر يومئذ مسنا واهلنا الضر اي الشدة والبؤس والجوع وارادوا بالاهل ثم خلفوا وراءهم من العيال. وجينا ببضاعة مزجية يعني جيادا ببضاعة ردية كاسدة لا تنفق. ثم اختلفوا في المزجية والاصل الازجاء واللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء ليتساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاح. يعني هي قليلة يسيرة لا يكرد بها وتوفيها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لقلتها او لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلف المفسرون في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حبق العرائد والجبال وقيل كان متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي وغيره كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادوار والنعال فقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جينا ببضاعة مزجاة لانها مدفوعة لا ينفق بها لرداءتها وليست مما يتسع بها وقيل لانها قليلة الدراهم قليلة مزجاة لانها ردودة مدبرة غير مقبولة مريد بعضها. فاوف لنا الكيل يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافر والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردي وتصدق علينا يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين فقال ابن الانباري وكان الذي سألوه من المسامحة يشبه الصدقة وليس بها واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا ام لا فقال سعيد بن جبير كانت الصدقة حلالا للانبياء

BULAC

اسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد

قبل عمر صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وهو قول جمهور العلماء ذلك وقالوا للرجال
الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ينزهون عن الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم
لاوساخ الصدقة اوساخ الناس فلا يحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه واجيب
عن قوله وتصدق علينا انه كلموا منه ان يجري عليهم على عادتهم في المسامحة واياها الكيل ونحو
ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا لتحريم الصدقة وذكر الحسن وجماعة
ان قول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغي الثواب
وروي انا الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق
من يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا
يعني برد اخينا الينا انا لله يجزي المتصدقين يعني بالثواب الجزيل قال الضحاك لم يقولوا ان الله
يجزيك لانهم ظنوا انه مومن قال يعني قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اختلفوا في السبب الذي ارجله قول يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن
اسحاق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فبلح بالذي كان يكتم
وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه بتبعته مما الذي انه كان لنا عبد فبعقا
منه وبقي اخر وكتب بعدوا اجلا فمروا الكتاب اعتبروا بحقه وقالوا ايها الملك انه كان لنا
اخ فبعثا منه فعاقبناه ذلك يوسف وقال انكم لتستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا
بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لعقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل
بنيه كلهم ثم قالوا لئن اكل الذئب بعد ان اشتد عضدنا الى ابينا فانه لمكاني كذا وكذا بذلك
حين ادركته الرقة عليهم فرحمهم وبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه
بلغ بنيامين ذكر وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقد استبعدا يريد تعظيم
امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما ابقيه ما اقدمتم عليه من قطيعة
الرحم وتغريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري عصيت وهل تعرف من خالفت ويرد
بهذا تبعيدا لما استبعداه ولكنه اراد تفخيم الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم
قبحي ما فعلتم بيوسف واخيه وتسليم الله اياهما والكرة واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله
تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وان قلت الذي فعلوه بيوسف فعلوه
كما تعرف فما الذي فعلوه باخيه من الكرة حتى يقال لهم هذه المقالة بانهم ينسبوا جنسه

والله اعلم

ولما اراد ذلك قالت انه لما قرفوا يوسف واخيه يوسف تغصوا عليه عيشه
وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتيهم باخذ الصواع ما رايناه منكم
يا ابتي رايت خيرا اذا تم ما تقول هذا عجب عجيب العذر لهم يعني انكم اذا اقدمتم على العمل
القبيح المنكر كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحداثة الجهل وقيل جاهلون بما يئول
اليه امر يوسف فقوله عز وجل قالوا ائنك لانت يوسف قرئ على سبيل الاستفهام وهمزة
هذه الكلمة قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لهم هل علمتم ما علم يوسف واخيه قبلتم مرارا وانتابا
كالفلو تشبيه شنيعا يعقوب مشتهرا يوسف فقالوا ائنك لانت يوسف وقرئ على الخبر
وعجبوا مما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج
عن راسه وكان له فرنه علامة تشبه الخاتم وكان يعقوب مثلها واسحاق مثلها وسارة
مثلها يعرفونه بها وقالوا ائنك لانت يوسف وقيل قالوا على التوقع ولم يعرفوه حتى قال انا يوسف
قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من الكرب
اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال انا يوسف الذي ظلمتموني
وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون مكان
تحت ضعوري الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي وهو يعرفونه فانه قصد بذلك ايضا
وهذا في الكلام كما تقول ثم صرت انا وهو الى ما ترون وقوله قد من الله علينا
يعني بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة
في ديننا ودنيانا انه من يتق ويصبر يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس
وقال مجاهد من يتق المعصية ويصبر على الصبر وقيل يتق الله بادا فرايضه ويصبر
عما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذا حاله قالوا يعني قال اخوة يوسف
معتذرين اليه مما صدر منهم حقه تالله لقد اثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا يقال
اثرك الله ايثارا اي اختارك ويستعار الايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك
الله علينا بالعلم والعمل وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لملك وقال ابو صالح عنه بالنبي وقيل
بالعلم والصبر علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاه الله دون اخوته وقيل فضله
عليهم بالنبوة وورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء ايضا فليس له عليهم فضل
واجيب عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار

يوسف ٤

كذا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بك
اثر

لان من جمع له بين النبوة والرسالة افضل ممن خص بالنبوة فقط. وان كنا لخاطئين يعني
وما كنا في صنيعنا الا خاطئين فلهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان
يقال خطأ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون لفظ خاطئين
على مخطئين لموافقة رؤوس الآي لان خاطئين اشبه بما قبلها. قال يعني يوسف لا تثريب عليكم
يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليحدها
الحد ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله اليوم قولان احدهما
انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب
والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله
لا تثريب عليكم اليوم ويبتدئ بقوله يغفر الله لكم والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى
هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدئ اليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ
والتقريع بقوله لا تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم
يوسف نفسه سألهم عن حال ابيهم فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم
قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال
مجاهد امره جبريل بان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما
جرد من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك
القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل
يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وشد راسها وعلقها في عنق يوسف لما
كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القي يوسف في البئر عريانا اتاه جبريل واخرج ذلك
القميص والبسه اياه فلما كان ذلك الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه
لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى
اخوته وذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا قال المحققون
انما علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله اليه ذلك
ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه لما عمي من كثرة البكاء وضيق الصدر فبعث اليه قميصه
ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرج قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى
البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي

كانوا

كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأة
ولما بصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عمريش مصر متوجهين الى كنعان وقال
ابو مخ يعني قال يعقوب لولده وكذا انى لاجد ريح يوسف قيل انه ريح الصبا استاذكت
ريحها بعد ثمانين يعقوب ريح يوسف قبل ان يأتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمانية ايام وقال الحسن كان بينهما
ثمانون فرسخا وقيل بقيت ريح ما حملت ريح القميص يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم
ان ليس شيء الا وهو ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف بذلك
قال انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأي وقال
ابن الانباري يقال عند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي
اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون ان تنسبوني الى الخرف
وقيل تسفهون وقيل تلومون وقيل تجهلون وهو قول ابن عباس وقال الضحاك
تهرمون وتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد اولاد يعقوب
واهله الذين عند لان اولاد اصلبه كانوا غائبين عنه قالوا انك لفي ضلالك القديم يعني
من ذكر يوسف والشفاء لان عند ما ارى يوسف كان في صحة وعقد ويرون ان يعقوب قد تغير بذلك
بذلك قالوا قالوا انك لفي ضلالك القديم والضلال الذهاب عن سنن الصواب فلما جاء البشير
وهو البشير بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير ببشير والعير قال يهوذا فقال
السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله
الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حي وقد فرحه كما احزنته قال ابن عباس
حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة لم يستوفوا اكلها
حتى اتوا بابا وكانت المسافة ثمانين فرسخا فالقيه على وجهه يعني القى البشير قميص
يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعاد ت
اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الزجاج علم الله ما لا تعلمون يعني
من حياة يوسف وان الله يجمع بينكما وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركته قال تركته
ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت
النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب حين رأوا ما نزل به واخذوا

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يعتذرون اليه مما صنعوا به ويوسف استغفر لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله انا كنا
خاطئين يعني في صنيعنا قال سوف استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء
والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع
فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ رفع يديه
الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم
يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار
لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة
فوافق ذلك ليلة عاشورا وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسئل يوسف
فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي انه هو الغفور الرحيم يعني لذنوب عباده الرحيم بجميع خلقه
قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف
لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم قال اصحاب الاخبار ان يوسف
عليه السلام بعث الى ابيه مع اخوته مائتي راحلة وجهازا كبيرا ليأتوا بيعقوب وجميع اهله
الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ سبعون ما بين رجل
وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر
يعني ملك مصر وعرفه بمجيء ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة الاف من الجند وركب
اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد ابنه يهوذا
فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا
كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبداك يعقوب
بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا كما يفعل الوالد
بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابة بكيت علي حتى ذهب بصرك
الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله
تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه يعني ضم اليه ابويه قال اكثر المفسرين هو ابوه
يعقوب وخالته ليا وكانت قد ماتت في نفاس بنيامين قال الحسن هو ابوه وامه
وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا

امه

لرؤياه

لرؤيا، والأول أصح. وقال ادخلوا مصر قيل المراد بالدخول الأول لقوله فلما دخلوا على يوسف
أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل إنه أراد بالدخول الأول
دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها. إن شاء الله
آمنين. وقيل إن بعد الاستثناء عائد إلى الأمر لا إلى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين
إن شاء الله. وقيل إنه عائد إلى الدخول لعل هذا يكون قد قال لهم إذا أردتم دخول مصر. وقيل
إن بعد الاستثناء يرجع إلى الاستغفار لعل هذا يكون من الكلام المقدم والتأخير تقديره سوف
أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل إن الله سبحانه وتعالى لما علم أن مصر لا بد لهم منها
الإجواز مع قال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم إن شاء الله. الله جعل هذا يكون
إن شاء الله للتبرك فيقول صلى الله عليه وسلم وإنا إن شاء الله بكم لاحقون مع علمه بأنه لا حق
بهم. ورفع أبويه على العرش يعني السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل إلى العلو
وخروا له سجدا يعني يعقوب وولده وأخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود
وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض على سبيل العبادة
قال فلت كيف استجاز يوسف أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصبا به النبوة
والشيخوخة فلت يحتمل أن الله تعالى أمره بذلك تخفيفا (رويا) ثم إن معنى هذا
السجود فيه قولان أحدهما أنه كان المراد به على سبيل التحية كما تقدم والإشكال فيه والقول
الثاني أنه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهذا مشكل لأن السجود
على هذه الصورة لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى وأجيب عن هذا الإشكال أن السجود كان
بالحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وإن كان يوسف كالقبلة كما سجدت الملائكة لآدم ويدل
على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وكلا من هذا النوع
صعد وأعلى السرير وخروا سجدا لله ولو كان يوسف كالمراد فيه السجود لأن ذلك أبلغ في التواضع
قال فلت يدل على صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله وخروا له سجدا فإن
الضمير يرجع إلى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام فلت يحتمل أن يكون المعنى وخروا
لله سجدا لأجل يوسف واجتمعوا به وقيل يحتمل أن الله أمر يعقوب بتلك السجدة
تحكيما خفية وهي آخر رؤيا يوسف لما احتملت الإنابة والتكبر عن السجود ليوسف بما رأوا
أن الله قد سجد له سجدوا له أيضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع

BULAC

العلم للخضر وصل الله وسلم
على سر لا نبي بعده

الا على سبيل العبادة وكان ذلك جزاء ذلك الرجل فلما جاء الاسلام نسخت هذه
العقلة والله اعلم بمراده واسراره بكتابه وقال يعني قال يوسف عند ما رأى ذلك يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل يعني تصديق الرؤيا التي رأيتها حال الصغر قد جعلها ربي حقا
يعني اليقظة واختلفوا فيما بين الرؤيا وتاويلها فقال السلماني العباسي وعبد الله
ابن شداد بن الهاد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال
سعيد بن جبير وعكرمة والضحاك ثلاث وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال
عبد الله بن مسعود سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال
كلها ابن الجوزي وزاد غيره من المفسرين ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة
وافتتح العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة والتقى مع ابيه واخوته وافتتح به مدة
ثلاث وعشرين سنة وتوفي الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله وقد احسن بي
يعني انعم علي يقال احسن بي وان يعني اذ اخرجني من السجن انما ذكر انعام الله عليه بخروجه
من السجن وكان اليتم اصعب منه واشد لان الاذى يحصل من الاخوة بعد ان قال لهم
لا تثريب عليكم اليوم وكان نعمة الله عليه باخراجه من السجن اعظم من اخراجه من الجب وسبب
ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا
لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة
عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه وجاء بكم من البدو يعني من البادية واصل البدو والبسيط
من الارض بيد والشخص فيه بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف
الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية يسكنون البادية من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي يعني بعد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في افساد
واستدل بهذه الاية مريد وبطلان الجبر والمبتدعة فالوا لا يجوز ان يضاف الاحسان الى
الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم
والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل
المجاز وكما ان اضافة الخلق يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق
المختار هو الله تعالى على الحقيقة فكذلك لو كان فعلهما العبد لا الله لوجدنا فثبت بذلك ان الكل
من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالدعاء الوسوسة والتمريش

كذا في الاصل

لا فساد ذات البين وذلك بافتداء الدنايا على ذلك. اذ ربه لطيف لما يشاء. يعني انه تعالى
ذو لطف عام يدق به الامور وخبير بها فقال صاحب المفردات وقد يعبر بالصغر عما
لا تدركه الحاسة وبصير ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته
بدقايق الامور وان يكون لتفهمه بالعباد بعد ابتهم وقوله اذ ربه لطيف لما يشاء اي خفي
الاستخراج تنبيها على ما وصل اليه يوسف حيث القاه اخوته الجب وقيل اذا اجتماع
يوسف واخيه واخوته بعد طول البعد وتمادي الفرقة واذا لذلك مع هيبة الانفس
وشدة المحنة كان سرا لطف الله بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا يقيا اسبابه
انه هو العليم بصالح عباده الحكيم في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب
عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة ثم انه تنغص عيشه وانغم باله واشتد حاله
لما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحاق و
في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه السلام بمصر فعل يوسف ما اوصاه به ابوه
وحمل جسده الى ان توارت مراسيح حتى دفن به بالشام وهو افق الطرق الغيم اخو يعقوب
وكانا قد ولدا بكرا واحدا قد قتل فبقي واحد وكان عمر هما مائة وسبعة واربعين سنة و
لما اراد يوسف ان يرجع الى مصر قالوا له لما جمع الله شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته
على احسن نعيم الدنيا زايل سريع الفنا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال
رب قد اتيتني من الملك يعني ملك مصر وزيدني للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله
بل كان يعرف منه جزءا من الملك عبارة عن الاتساع في المقدور لما له الرياسة والتدبير وعلمتني
من تاويل الاحاديث يعني تعبير الرؤيا فاطر السموات والارض يعني خالقهما ومبدعهما على غير
مثال سبق وانصل البصر الشق يقال بكر فاق البعير اذا شق وبصر وبقر الله
الخلق ابدعهم وجدهم انت وليي يعني انت معيني ومتولي امري في الدنيا والاخرة
توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما والحقني بالصالحين من ابائي الانبياء واجدادي المرسلين
احد هما انه سأل الله الوفاة بالحال قال فتادة لم يتمن نبي الموت الا يوسف
قال اصحاب هذا القول انه لم يبق عليه الا سبوع حتى توفي والقول الثاني انه سأل الوفاة
على الاسلام ولم يتمن الموت بالحال قال الحسن انه عاش بعد هذا بنين كثيرة بعل هذا
القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام بمعنى لا تجعل الموت على

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

وليس في اللفظ ما يدل على انه كتب الوقائع الحال فقال بعض العلماء وكذا الغوليس محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد ان الرجل العاقل الكامل اذا تمنى الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها فانية زائلة وشدائدها وآلامها كثيرة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لا انقطاع له ولا زوال ولا يمتنع بهذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه اولى وقوله واتوفني بالصالحين اراد بذلك ابا يه ونبي الله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وقيل مائة وعشر سنين وولد ليوسف من راعوثا العزيز ثلاثة اولاد افرايم وميشا ورحمة امرأة ايوب وقيل عاش بعد ابيه عشرين سنة وقيل اكثر

عمر يوسف عليه السلام

ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه بالنيل ضنوا به ان يدفن في محلة من محلاتهم رجاء بركته حتى تقاسموا ان يغتسلوا منه رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتبرك منه وتصل بركته الى جميعهم فقال عكرمة انه دفن في جانب الماء الذي يلي ارض الحبش فاخضر واجدب الجانب الآخر فدفنوه في وسط النيل وقد روي انه لما اخضر الجانب الآخر جعل موسى عليه السلام وحمله معه حتى دفنه بقرب اباه بالشام بالارض المقدسة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته من انه صار الملك بعد الرق من السباء الغيب يعني اخبار الغيب نوحيه اليك يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتلق العلم ولم يسافر الى بلد اخر غير بلده التي نشأ فيه وانه صلى الله عليه وسلم نشأ بين امة امية مثلهم ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان واصح عبارة على ذلك الوجه الذي اتى به يعلم وحي ونزول قد سبق سماوي وهو معجزة له قائمة الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم يعني حين عزموا على القاء يوسف في الجب وهم يمكرون يعني بيوسف وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وفريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف

يتلى في جزء

فلما اخبرهم بما على وبما عندهم ، قالوا يا محمد لم نعلم اهل الارض ابغض الى الله منك ولا منك ولو حرصت على ان يبغضك اليه ما استطعت لانك سببت آلهتنا وعبنت ديننا وشتمت آباءنا فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تطلب شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء وبذلنا فيك اموالنا حتى نبرئك منه او نعذر فيك فان التابع ربما عرض للرجل اشد من القرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مما تقولون شيء ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا له فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس من الناس احد ضاق عليه امر ما ضاق عليك فاطلب لنفسك ولربك ما احببت فسل ربك الذي بعثك بما بعثك ان يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويجري لنا انهارا كانهار الشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسأله عما تقول احق هو ام باطل فان فعل ذلك بنا وصدقناك علمنا انه قد نال منزلة بها عند الله وانك رسوله كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا فسل لنا ربك ان يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله ان يجعل لنا جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة تغنينا عما تبتغي في التماس المعيشة فانك تعلم انا نحتاج الى ذلك وسله ان يبعث لنا من الموتى من نسأله عما تقول اصدق هو ام كذب فان فعل ذلك بنا صدقناك وعلمنا انه قد نال منزلة عند الله وانك رسوله كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم ما جئتكم من الله بما بعثني به قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا له فان كنت غير فاعل شيئا مما سألناك فخذ لنفسك ولربك فسله ان يبعث ملائكة يشهدون لك بما تقول ويصدقونك فيما جئتنا به فان قومي يزعمون ان ما تأتينا به تعلمه منك بشر وسله ان يجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة تغنيك عما نراك تبتغي في التماس المعيشة فانك تعلم انا نحتاج الى ذلك وسله ان يبعث معك قرينا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثني ربي اليكم ما جئتكم من الله بما بعثني به قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك بنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد ما يدريك ان ربك يفعل ذلك بنا ان كنت رسولا كما تقول فقد علمنا ما نصنع بك لا والله لا نتركك او تهلكنا فقال قائل منهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله وقال قائل منهم لن نؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم ما جئتكم من الله بما بعثني به قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا فان لم تفعل لنا شيئا مما سألناك فقد اخذ لك ربك ان يبعث لنا من امرنا عسرا فاخبرنا ما الذي اخذ لك ربك علينا هل جاء قط قوما ما جاءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ لي ربي عليكم شيئا مما تقولون ولقد جئتكم بما جئتكم به اطلب خيركم وسعادتكم في الدنيا والآخرة فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا له فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس من الناس احد ضاق عليه امر ما ضاق عليك فاطلب لنفسك ولربك ما احببت فسل ربك الذي بعثك بما بعثك ان يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويجري لنا انهارا كانهار الشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسأله عما تقول احق هو ام باطل فان فعل ذلك بنا وصدقناك علمنا انه قد نال منزلة بها عند الله وانك رسوله كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا فسل لنا ربك ان يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله ان يجعل لنا جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة تغنينا عما

وتقليد دينه فتتشتتوا فرقا بأخلافهم وكراهيتهم بعضهم بعضا كانوا على الهدى المستقيم **وقوله** وسجار الله وقل سجار الله يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع التغيير والتغاير والتشكل والأضداد والأنداد وما أنا من المشركين يعني وقل يا محمد وما أنا من الذين أشركوا بالله غيره **قوله تعالى** وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا ذكورا مثلك وما كانوا ملائكة يوحى إليهم هذا جواب لأهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من رسالتنا إياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالتهم كحالك من أهل القرى يعني أنهم من أهل الأمصار والمدن لا من أهل البوادي لأن أهل الأمصار أفضل وأعلم والمدن غالبا أهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل ألم يبعث الله نبيا من البادية ليفقههم ويجاهم أفلم يسيروا في الأرض يعني هؤلاء المشركين المكذبين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبة الضلال المكذبين للرسل بليغة مفظعة ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون يعني أفلا تتفكرون وتعتبرون يا محمد **قوله عز وجل** حتى إذا استيئس الرسل قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كما قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيئسوا عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف الابتداء يبتدأ بعدها ومعنى استيئس الرسل أي من إيمان قومهم وكانوا أنهم قد كذبوا قرأ أهل الكوفة وهو عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي أن معناه ظن الرسل أن الرسل قد كذبوا فيما أخبروهم به من نصر الله إياهم وإهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال الفراء الذين انتهى كذبوا مرفوعة كذبتك الحديث أي ما صدقك ومنه ونعت الحمر وقوله قال أبو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل إليهم أنفسهم ويكون المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوا من إمهال الله إياهم ولا يشبع حمل الضمير وظنوا على المرسل إليهم وإن لم يتقدم لهم ذكر الرسل بدل

الذين كذبوا

على ذكرهم أرسل إليهم

على ذكر الرسل المبهم وان شئت قلت انه رجع فد جراء قوله اما يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الذين رجعوا مكذبي الرسل وكذبوهم عمل بمعنى التوقع و
الحسبان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيئس الرسل من قومهم الاجابة
وكذبوهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم وانهاد مرتد بهم وقيل معناه وتيقن
الرسل ان قومهم قد كذبوا به وعد قومهم ايمانهم وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال
صاحب الكشاف وقرئوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حيث حدثتهم بانهم لا ينصروا و
رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى رجاء التكذيب والعداوة وانتظار النصر
من الله وتأميله قد تكاءدت عليهم وتمادت حتى استشعروا اليأس وتوهموا ان نصر الله
الدنيا فجاءهم نصرنا فجئنة من غير احتساب وعن ابن عباس وقرئوا حين ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا وتلى قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف هذا عن ابن عباس بعيد وارد
بالنص ما يخص بالمال ويجعل من الغلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية
واما النصر الذي هو مرجو احدا فما ليس عن الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فكيف بالرسل الذين
هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه قال
هذا غير مقبول عليه من جهتين احديهما ان التعبير فيه ليس عن ابن عباس لكنه رمتاول لتأويله
عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا لا تدل على ان اهل الكهف لما فعلوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا
رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الامر للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما لا يستغفر لهم
ولا نصرا وتنزه عنه الانبياء وتصغيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ
الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه
ظاهر ومعناه ظاهر ايضا حتى اذا استيئس الرسل ايأس قومهم وظنوا يعني وأيقنوا يعني
الرسل ان الامر قد كذبوهم تكذيبا لا رجعى بعده ايأس الظن بمعنى اليقين وهذا معنى
قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيئس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يعود قومهم
وظنوا اي تراءى لهم ان قومهم قد بادروهم وانذروا عذبهم لشدة المحنة والبلاء واستبطاء
النصر واتباع النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مضمر ومعناه من
امر بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان من امر بهم قد كذبهم وعد الخلف والنص

ترجيح

فيه دلالة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لا بكاية وتأخر عنهم وطول البلاء بهم فلما يئسوا كذبوا بما وعوا به رسلهم وقيل بهذا التكذيب
ما يحصل من أتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل كان نوعا كبيرا من أنواع الزلزال فكأنهم ظنوا بهم ذلك لبشريتهم
النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب التيقن بوقوعه حقيقة الكذب وعلى القولين جميعا
الكناية بوصفهم الرسل خ عن ابن شهاب أنه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى إذا استيئس
الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا وأنهم قد كذبوا فقالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا
أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد
كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقلت فما هذه الآية قالت هم أتباع
الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأست
الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية
عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا خفيفة قال كذبت بعضا وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
الله ألا إن نصر الله قريب قال فليت عروة بن الزبير هذه ذكرت ذلك له قال فقالت عائشة معاذ الله
والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولم يزل البلاء بالرسل حتى
خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين يكذبونهم وكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا
وقوله تعالى جاءهم نصرنا بعني جاء نصر الله النبيين فنجي من نشاء يعني عند
نزول العذاب بالكافرين فننجي المؤمنين الصغير والكبير ولا يرد بأسنا يعني عذابنا عن القوم المجرمين
يعني المشركين قوله تعالى لقد كان في قصصهم يعني في خبر يوسف وإخوته عبرة
لأولي الألباب يعني يتعظ بها أولو العقول السليمة ومعنى الاعتبار والعبرة
الحالة التي يتوصل بها الإنسان إلى معرفة الشاهد الذي ليس بمشاهد والمراد منه التأمل
والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقاء إخوته
إياه وإخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة
الطويلة والياس من الاجتماع لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته وإظهار دينه
وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيب فكانت معجزة لمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل إن الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص
وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباء فدل على أن هذه القصة أحسن

القصص

القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبر بها ما كان حديثا يفترى يعني ما كان هذا القرآن حديثا
يفترى ويختلق لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه أو
يختلقه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على
صدقه وأنه ليس بمفترى ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه
من الكتب الإلاهية المنزلة من السماء من التورية والإنجيل وفيه إشارة إلى أن هذه القصة وردت
على الوجه الموافق لما في التورية من ذكر قصة يوسف وتفصيل كل شيء يعني أن في هذا القرآن
المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام
والقصص والمواعظ والأمثال وغير ذلك مما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم وهدى
يعني إلى كل خير ورحمة يعني أنزلناه رحمة لقوم يؤمنون لأنهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم
بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة الرعد وهي مكية
قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن
ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس
أنها مكية إلا آيتين إحداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والأخرى
قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني أنها مدنية رواه عطاء الخراساني
عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة
وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال إلى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله
هو الذي يريكم البرق إلى قوله له دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة
وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل المر قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه
قال معناه أنا الله الملك الرحمن تلك آيات الكتاب الإشارة بتلك إلى آيات السورة
المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها
ثم قال تعالى والذي أنزل إليك من ربك يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه
وقيل المراد بالإشارة في قوله تلك الأخبار والقصص التي قصصتها عليك هي آيات
التورية والإنجيل والكتب الإلاهية القديمة المنزلة والذي أنزل إليك يعني وهذا القرآن
الذي أنزل إليك من ربك يا محمد الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد

الحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده

اراد ببيان الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب التي هو القرآن ثم قال والذي انزل
اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يعني من اهل مكة فسألته فقد الآية بأن قيل جبروا
ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من الدليل وبينه وعجايب قدرته ما يدل
على وحدانيته فقال تعالى الله الذي رفع السموت بغير عمد جمع عمود وهي الاساطين
والدعايم التي تكون تحت السقف وبه قوله ترونها ترونها قولان احدهما ان الرؤية
ترجع الى السماء يعني والتم ترون السموت مرفوعة بغير عماد ترونها يعني ليس هي ترونها
دعامة تدعمها والرابع فيها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال ابن عباس
معونة السماء مقيمة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور
المفسرين وحكى الواحدي عن ابن عباس والقول الثاني ان الآية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا
ولكن لا ترونها ثم ورد قال بعضهم القول بقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد
محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى
عن ابن عباس القول الاول هو الصحيح وقوله ثم استوى على العرش تقدم تفسيره والكلام
عليه في سورة الاعراف بما كفاية وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لمنافع خلقه بدوامها
مقدورة بمجريها على ما يريد كل يجري لاجل مسمى يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا
وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان منازلهما
ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتخفيفه ان الله تعالى جعل لكل واحد
من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطوء الحركة
يدبر الامر يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويبرمه ويقضيه لمشيئته وحكمته
على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن شان ويفصل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة يفصل دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته
داخلون تحت قضايه وقدرته يفصل الايات يعني انه تعالى يبين الايات الدالة
على وحدانيته وكمال قدرته وقيل الآية الدليل الدالة على وجود الصانع فقسمان
الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموت وما فيها من العجايب واحوال الشمس
والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم

وهي الموت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وهو الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك مما حوى هذا العالم
فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته. لعلكم بلقاء ربكم توقنون يعني انه تعالى
ذكر هذه الدلائل الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا وتتفكروا فوالبذا به والمصير
اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على اعادته واحيائه بعد موته
والتغيير صفة من صفات العلم وهي بمعنى المعرفة والدراية وهو سكون القلب مع ثبات العلم
وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم **قوله تعالى** وهو الذي مد الارض
لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهو مع السموت بغير عمد وذكر
احوال الشمس والقمر اردف ذلك بما بعد من الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي
والله هو الذي مد الارض وبسطها على وجه الماء. **وقيل** كانت الارض مجتمعة فمدها
وتحت البيت الحرام وقد اخذ القول الثاني اذا قيل ان الارض مستحدثة لا كرة وتمدحاب
الهيئة ان الارض كرة **ويذكر** بقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة
منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع وبين ذلك بقوله تعالى فدا خبر
انه مد الارض وانه دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق
قيلا وابين دليلا اراحاب الهيئة وجعل فيها يعني الارض رواسي يعني جبالا ثابتة
يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره **قال** ابو عبيدة كل راسية فهي اول جبل
وضع على الارض وانهارا يعني وجعل في الارض انهارا جارية كما مع الخلق ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا يغشي الليل النهار
يعني يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار ان في ذلك يعني الذي ذكرنا
من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته لايات لدلالات لقوم
يتفكرون يعني يستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو
تصرف القلب في طلب الاشياء. **وقال** صاحب التحرير ان الفكر قوة مكرفة للعلم
الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال
الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب **ولهذا روي** تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله
اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة **وقال** بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرد لكن
يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرد الامور وتحتها طلبا للوصول الى حقيقتها

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قوله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات يعني متقاربات يقرب بعضها
من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة ولا تنبت
وهذه قليلة الرفع وهذه كثيرة الرفع وجنات يعني بساتين والجنة كل بستان ذي
شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة
بقوله من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان جمع صنو وهي النخلات يجتمعن
من اصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه
يعني انهما من اصل واحد وغير صنوان هي النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع
وغير صنوان المفترق تسقى بماء واحد يعني اشجار الجنات وزروعها والماء
جسم رقيق مايع به حيات كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح
ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك
من الطعوم عن ابن هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض
في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب قال مجاهد مثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا
مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمان فسطحها
فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها
وشجرها وتخرج نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكل يسقى بماء
واحد فلو كان الماء ملحا قيل ان هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من ادم فتنزل
عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا
تسمع وقال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله
تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله
تعالى ان في ذلك يعني الذكرى التي ذكرت لايات لقوم يعقلون يعني فيتدبرون ويتفكرون
في الايات الدالة على وحدانيته قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم العجب تغيير
النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل
بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب
في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الاية

للنبي صلى الله عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم
تعرف بالصادق الامين فعجب قولهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما
لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض
وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم وقيل
وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق
من الله فعجب قولهم اي المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء
الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب
وهو قولهم أإذا كنا ترابا يعني بعد الموت إنا لفي خلق جديد يعني نعاد خلقا جديدا
بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم اولئك الذين كفروا بربهم
وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى
لان من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن انكر
فهو كافر واولئك الاغلال في اعناقهم يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق
من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما
يقاد الاسير الذليل بالغل واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني انهم مقيمون
فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال
طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية
وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وقد خلت من قبلهم المثلات يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب
تكذيبهم رسلهم والمثلات بفتح الميم وضم الثاء نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا
يرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء
فيهما لغتان وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز
عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ويقول الذين
كفروا يعني من اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم
آية من ربه يعني مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بالآيات التي

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم انما انت منذر يعني ليس لك يا محمد غير الانذار
والتخويف وليس اليك من الايات شيء ولكل قوم هاد قال ابن عباس الهادي هو
الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما
اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية اخرى عنه
وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت هاد وقال
الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي هاد يهديهم وقال ابو العالية الهادي
هو العمل وقال ابو صالح الهادي هو القائد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله
يعلم ما تحمل كل انثى كما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته
وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق
واحدا او اثنين او اكثر وما تغيض يعني وما تنقص الارحام وما تزداد قال اهل التفسير
غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض
هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد
ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم
وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى يستكمل
تسعة اشهر ظاهرة فان رأت خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان
في الغذاء والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن
غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل
ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل
سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال اكثرها
اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال حماد بن ابي سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه
بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين وكل شيء عنده
بمقدار يعني بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء
وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت
معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره
عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب

يعني

في اكثرها

جماعة

بن سلمة

هو المعدوم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

هو المعدوم والمشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر
في الحس الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو
يعود الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال المتعال يعني المنزه عن صفات
النقص المتعال عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة
التامة وتنزيهه عن جميع النقائص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به
اي مستو منكم من اخفى القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله
تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمته وسارب بالنهار اي
ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القيلبي
السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالليل
واذا خرج بالنهار ارى الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم
خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار داخل في
سرب مستخفيا ومعنى الاية سواء ما اضمرت به القلوب او نطقت به الالسن وسواء
من اقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل
له معقبات يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل
عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان
كان الملائكة ذكورا لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل
ابناوات سعد ورجلات بكر وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون
فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين
باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم
يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات
وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل
العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب
اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو
تاب منها والا قال له اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا
تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه بها وملك موكل

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وما تتوكل بعينه يقتضيها الذي وما تتوكل بعينه الخ
بعينه لا يخدع بد خلابه فيه شيء. والنصر بمعونة. خمسة أيام تتوكلون بالعين بليلة
وخمسة غير يوم ذهابه بالنظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليه أيضا
العبد المسكين وهو قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. يعني
يحفظون العبد من بين يديه ومن خلفه. ومعنى من أمر الله بأمر الله وإذنه ملائكة
بإذنه جاءوا. خلوا عنه وقيل إنهم يحفظونه مما أراد الله به من المحبوب له قال مجاهد ما من
عبد إلا وملك موكل به يحفظه بنومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منهم شيء
يأتيه يريد إلا قال له الملك وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب
الأحبار لولا أن الله تعالى وكل بكل ملك يكذبون عنك مكفوك ومشى بكر وعمر وأنكر
لتخطفتك الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات
وهذا على قول من يقول إن الآية بالملائكة الذين يحفظون عليه أعماله بكتابة الحسنات
والسيئات وقال عكرمة الآية بالأمراء. وجرى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه
والضمير في قوله له راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معنى هذه الآية عمر
صلى الله عليه وسلم حراس من الجان من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وكهوف الليل
والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد
ابن ربيعة وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل
عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد فجلس إليه ثم قام فانطلق إلى أصحابه فظن أنه استنظر الناس لحاجة عامر
وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر الطفيل قد أقبل
نحوك فقال دعه فما يريد الله به خيرا بعدي فلما وقف على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا محمد قال إن أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين
قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك إلي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء.
قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر فقال ما أنا بفاعل فلما أدبر قال أما والله لأملأنها عليك خيلا
تغزوك عليها فارسا وليس ذلك لك ولا لقومك ثم قام فانطلق فقال عامر لأربد أنا أشغل محمدا
وكان عامر قد أوصى أربد بن ربيعة إذا رأيته أكلمه بدر من خلفه بالسيف فجعل عامر يحادثه
ويحادث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه وأربد من خلفه

رسول الله صلى الله
عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختر كل بشر ان يتبعه ثم حبسه الله تعالى عليه بما يقدر
على قتله وجعل عامر يرمي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ربيعة وما صنع بسيده
فقال اللهم اكفنيها بما شئت فارسل الله على ربيعة عامر بن الطفيل فاصابته بغدة وهو في بيت امرأة
وقال عامر دعا ربه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنع الله مزدلفة و
اللوس والغزر فقال عامر بيت امرأة سلولية فقال اصبح فاضم عليه سلاحه فخرج
له جراح فاصل اذنه اخذ منه مثل الشارف فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير
وموتة في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض الصحراء ويقول ادرك يا سلاة الموت
وجعل يقول الشعر ويقول ليزيد بن فرتنا محمد وصاحبه يعني سلاة الموت لا انفذ شيئا مما امرني فيه
يا رسول الله ملكا ملكه فارداه ثم عاد فركب واجاد حتى مات على ظهره واجاب
الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد بن ربيعة
مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل بشأن هذه القصة سواء منكم من اسر القول و
من جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مرة والى يا والله وقيل ان تلك المعقبات
من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه
وقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني من الحال
الجميلة بقبض ويسير ويجدوا نعمة عليهم بعند ذلك يحل نقمته بهم وهو قوله
تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا يعني هلاكا وعذابا فلا مرد له يعني لا يقدر احد
ان يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره وما لهم من دونه من وال يعني ليس لهم من دون الله من ولي
يلي امرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا
ذكر بعقب الاية ما عظيم قدرته مما يشبه النعم مرجوه ويشبه العذاب
مرجوه فقال تعالى وهو الذي يعني والله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو
لمعان يظهر من خلال السحاب وانما كرره خوفا وطمعا وجوه احدها ان عند لمعان البرق
يخاف الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف ان يضر ويرجو ان يسر بالمطر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

السماء ومرعى جربه بفتح بندورة التمر والزبيب والفج ونحوذلك ويجمع فيه
زرعه تزول المضرة كالزراع ونحوه الثالث أن المضر يخاف منه اذا كان في غير
مكانه وزمانه والمجمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فمتى رأيت البلاد اذا أمطرت فحكت
واذا لم تمطر خصبت ويُنشئ السحاب الثقال يعني بالمطر يقال انشأ الله السحابة
فنشأت ابدا بقاف بعد الباء وبعد الشين وألف السحاب جمع سحابة والسحاب غربال المطر قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء وليس
بين سحاب جهام وهو الخالي من الماء وآصل السحاب الجر وسمي السحاب سحابا لما تجر
الريح او جر الماء او لما تجر ربه كثير ويُسبح الرعد بحمده اكثر المفسرين على ان
الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا
القول انه عطف عليه قوله والملائكة من خيفته واذا كان الرعد صوتا فغاير المعطوف
عليه وجب ان يكون غيره وأجيب عنه انه لما بعد ان يكون الرعد اسما للملك
الملائكة وانما افرد بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة جمهور كقوله وملائكته
وجبريل وميكائيل قال ابن عباس رأيت يهوديا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها حيث شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجر السحاب حتى
تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع
مخراق وهو ثوب يلف ويضرب الصبيان بعضهم بعضا به واراد به هنا آلة
تزجر الملائكة بها وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو ما روي عن جرير قال
الملائكة السحاب قال ابن عباس سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير ما أصابه صاعقة فعلى دينه
وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار
ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس
بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جرير عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد
ملك موكل بالسحاب يصرفها حيث يؤمر وان يخور الماء تفرق ابخاره وانه يبعث

فاذا اسمع

260

بإذا سبح لا يفي بمذهب السماء. الأربع صوته بالتسبيح بعد ما ينزل المطر
وقيل إن الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فإن صوت الرعد
تسبيح لله عز وجل لأن التسبيح والتعبد يشرعا يأتي من تنزيه الله عز وجل
عن جميع النقائص فكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على
وجود من وجوده خالق قادر منفرد عن جميع النقائص وإن لم يكن لذلك الصفة تسبيحا
ومنه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده. وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه
يتنبه الله بهذا العرض فيه التسبيح إليه. وقوله والملائكة من خيفته. يعني
ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته. وقيل المراد
بقوله الملائكة أعوان السحاب حتى أن الله جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب
أعوانا من الملائكة يسوقونها بأمره. وقيل المراد بهم جميع الملائكة
وحمله على العموم أولى. ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب النازل من السماء
يعم من يصيبه. وقيل هي الصوت الشديد النازل من السحاب يكون فيه نار أو
عذاب أو موت. وهو في اللغة شائع. واحدها ويعني الثلاثة تنشؤ منها فيصيب
بها. يعني بالصواعق من يشاء. يعني فيهلكه بها كما أصاب أربد بن ربيعة. قال محمد
بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر. وهي بإدلوبه
الله يعني يخاصمون الله. وقيل الجادلة المعاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة
وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله. نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ربما ترانا ويأتون إذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته
ويرسل تعسر عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال وجل مرطواغية العرب بعثت
إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقرا راعها بريد عوند الله وأرسوله فقال لهم أخبروني عن رب
محمد هذا الذي يدعونا إليه من ذهب هو أم فضة أو حديد أو نحاس فيستطيع النفوذ
بذلك فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا وجلا أكبر قلبا ولا أعتى
على الله منه فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فلم يزدد على مقالته الأولى شيئا وقال أجبت
محمدا الرب لا ولا عبد فرجعوا فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ما زادنا على مقالته الأولى شيئا بل قال احبسوا فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئا اذ ارتفعت سحابة
فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم
جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم استقبلهم نفر من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا قد اوحي الى النبي صلى الله
عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اختلفوا
في هذه الواو فقيل هي واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله
في الله وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستيناف
فيكون المعنى انه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراده بسوء
وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل
اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد
المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من الحول
والحيلة والميم زائدة ثم اختلف عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال
فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن
عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه
لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله انه اشد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق
يعني لله دعوة الحق الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة
ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما
ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق
للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله
تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كانت مصلحة له فكانت
دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بانه يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى
والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا يجدي دعواه الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله
على معنى دعوة الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة
الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت

بيهلكهم

اخبر

بما قبلهما

اما

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإنه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فأجيبت فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابة دعائه إن دعا عليهم وقيل في معنى الآية
الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله تعالى والذين يدعون من دونه يعني
والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الأصنام التي يعبدونها لا يستجيبون لهم
بشيء يعني لا يجيبونهم لشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر إن دعوهم إلا كباسط كفيه
إلى الماء ليبلغ فاه يعني إلا استجابة كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه إليه يطلب منه
أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه
أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم
ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف
الماء بيديه لشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم يلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته
من شربه وقيل إن القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون في يديه منه شيء ولا يبلغ
إلى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الأصنام لأنها لا تضر ولا تنفع ولا يبدو منها
شيء وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يرد الماء بعينه من بعيد فهو يشير
بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء
كالعطشان الجالس على سفل البئر وهو يمد يده إلى البئر فلا هو يبلغ إلى قعر البئر ليخرج
الماء ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسطه الكف إلى الماء ودعاؤه له وهو لا يبلغ فاه
كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان إذا بسط
كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه
وهذا مثل ضربه الله تعالى بالكفار ودعائهم الأصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم
هذا بقوله وما دعاء الكافرين يعني أصنامهم إلا في ضلال يعني يضل عنهم
إذا احتاجوا إليه وقال ابن عباس في هذه الآية لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى
قوله عز وجل ولله يسجد من في الأرض والأرض طوعا وكرها في معنى السجود
قولان أحدهما أن المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاما إلا أن المراد منه
الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الأرض يعني المؤمنين طوعا
وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني
المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فإن سجودهم لله على كره منهم لأنهم لا يرجون على سجودهم
ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني
وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ إشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين
من الجن والإنس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والإنس
فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الإشكال والجواب عنه أنه يجب على كل من في
السموات ومن في الأرض أن يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول وجواب آخر
وهو أن يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات
من ملك ومن في الأرض من إنس أو جن فإنهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله والقول الثاني في معنى
هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والأرض ساجد
لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لأن قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون
منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال الغدو والغدوة والغداة من أول
النهار قيل إلى نصف النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال
جمع أصيل وهو العشية والآصال العشا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب
الشمس قال المفسرون ظل كل شيء يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد
لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد
لله قال ابن الأنباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع
كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها
من جانب إلى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وإنما خص
الغدو والآصال بالذكر لأن الظلال يعظم ويكثر في هذين الوقتين وقيل لأنهما طرفا النهار
فيدخل وسطه فيما بينهما فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة
فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم

المؤمن

قوله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

262

قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين
يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما
فسيقولون الله لانهم يقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك
لذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين
عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد الله
وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء
فلم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم
الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين افاتخذتم من دونه يعني
من دون الله اولياء يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض
واتخذتموه انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف
لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمن الذي يعبد الله
فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن
ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير
كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لم تستو الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان
وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا
ام جعلوا لله شركاء هذا استفهام انكار يعني اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه يعني
خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم
من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره
وقيل انه تعالى وبخهم بقوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه
خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه
عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق الاشياء والشركاء
مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيئا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كانوا كذلك فقد
لزمتهم الحجة وهو قوله قل الله خالق كل شيء اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به
الخصوص لان الله تعالى شيء وهو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو المنفرد

سائر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بخلق الاشياء كلها القهار لعباده حتى يدخلهم في قضائه وقدره وارادته قوله عز وجل
انزل من السماء ماء لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر
بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعني المطر فسالت
اودية بقدرها اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت
اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال في الواد فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر
فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال مجاهد الصغير
بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ملئها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض
ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب
جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله
تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع للهدى
والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب بالاودية
لان الاودية يسكن فيها الماء وكذلك القلوب يسكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القران فيها ق عن
ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
كمثل غيث اصاب ارضا فكانت طائفة طيبة فثبت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير
وكان منها اجادب امسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب
طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله
ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت
به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه
اما الكلا فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله وكان منها اجادب فبالجيم
والدال المهملة والباء كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير
قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولا يسرع
فيه التصرف وفي رواية الهروي اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي
الغدير الذي يمسك الماء وقوله وزرعوا كذا هو في صحيح مسلم من الزرع ووقع في صحيح
البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض
وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه

ورعوا

الغدير

الفهم

العسم بالاحكام. وأما معنى الحديث ومقصوده، فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من العلم بالأرض التي أصابها المطر فقال العلماء: الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس لانهم منها خلقوا: فالنوع الأول من أنواع الأرض الأرض الكبيرة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب، والزرع وغير ذلك، وكذلك النوع الأول من الناس يتلقى العلم والعلم فيحميا به فيحفظه ويعمل به ويفيد غيره فينتفع به وينفع غيره فمثال هذا النوع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجدتهم كما ذكرنا كانت قلوبهم كما شاء الله واعية فصارت أوعية للعلم، فلما قبضت مرعا العشب. النوع الثاني من أنواع الأرض الأرض التي تقبل الانتفاع به بعضها دون بعض فهي أيضا تقبل الماء فتنبت العشب فينتفع به الناس والدواب، وكذلك النوع الثاني من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم أبصار ثاقبة فيفهموا عند سماع العلم حتى يحتاج إليه المتعلم لما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو وغيره. النوع الثالث من أنواع الأرض الأرض السبخة التي لا تنبت مرعا ولا تمسك الماء. كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أبصار ثاقبة فهذا هو الذي بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به ولا ينفعون غيرهم والله أعلم. وقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا الآية زبد ما يعلو على وجه الماء عند الزبادة كالحباب وكذلك ما يعلو على الخبز عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الماء كما قال عليه وقد ذكرناه ثم امثل ثم ابتدا بمثل الخ. فقال تعالى ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أي جعل الحطب في النار لتتقد ثم جعل تلك النار تحت الحلي ليذوب فتتخذ حلية. يعني الحلي والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وإن لم يكونا مذكورين لدلالة الحلية عليهما. أو متاع يعني أو لطلب متاع، أي مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به وينال. لكل ما ينتفع به من الطيب والغذاء ونحو ذلك من الأواني متاع زبد مثله. يعني أن ذلك الذي توقد عليه النار إذا ذيب حمله أيضا زبد مثل زبد الماء. فالصافي من الماء ومن هذا الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذا الجواهر نحو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل. وقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل نحو الزبد الكافي الذي لا ينتفع به. وهو قوله فأما الزبد فيذهب جفاء. يعني ضائعا باطلا وأما ما ينفع الناس من الزبد الذي حاقبته وقبل الجفاء المتغير

نحو

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

جفاء الريح الغيم اذا قرقته والمعنى ان الباطل وان علا وقتا ما فانه يضمحل ويذهب
واما ما ينفع الناس يعني الماء الصافي او غير ذلك مما يعد الناس اليه فيمكث في الارض
يعني ينبت ويبقى ولا يذهب. كذلك يضرب الله الحق والباطل الامثال قال بعض المتقدمين والمعاني
هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق بعض الوقوف والاحوال فان الحق
يحفه ويكمله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي
الذي ينفع وكذلك الصوت بعد الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وربما يفيد الكدر
مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا وقتا فانه يذهب وهو واهله
والحق يظهر وهو واهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده واتباعه بالايمان مثل الماء الصافي
الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينفع البتة وقيل هذا
مثل ضربه الله للنور الذي يحصل به قلوب العباد على ما قسم لهم بعد المازل لماء الوادي اذا سال تملأ
كل شيء به من الجماعات والمستقذرات كذلك النور اذا سال وادى قلب العبد بالقدر الذي
قسم له على قدر ايمانه ومعرفته يكثر كل كلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض يعني يذهب الباطل ويبقى الاخلاق الحميدة ويبقى العذاب ونفي
الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى
قبل الكلام للذين تتعلق بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا
لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان برسوله وقوله والذين لم يستجيبوا
معناه لو كان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فداء من عذاب النار يوم القيامة اولئك يعني الذين لم يستجيبوا
لربهم لهم سوء الحساب. قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله
لا يغفر له منه شيء. وماواهم يعني الآخرة جهنم وبئس المهاد يعني وبئس ما مهد لهم
به الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش جهنم قوله تعالى

الفريق

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه كمن هو أعمى يعني
أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل به قال ابن عباس نزلت
في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت
في عمار بن ياسر وأبي جهل فالأول هو حمزة أو عمار والثاني هو أعمى أبو جهل وحمل الآية
على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر
الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدي لا يهتدي لرشده
وربما وقع في مهلكة وكذلك الجاهل والكافر لا يهتديان لرشد وهما واقعان في المهالك
إنما يتذكر أولوا الألباب يعني إنما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون
بالمواعظ والأذكار قوله عز وجل الذين يوفون بعهد الله يعني الذي عاهدهم عليه
وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال
وقيل أراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق
ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل قال ابن عباس يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم
بالإيمان بهم ولا يفرق بين أحد منهم والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن
عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن
خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته
أخرجه أبو داود والترمذي ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله خ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبر لي
الأهل والأقارب والإحسان إليهم وضده القطع قوله وأن ينسأ له في أثره الأثر هاهنا الأجل
وسمي الأثر أجلا لأنه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الأجل
وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاده فيه والثاني أن يزيده في عمره
زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء ق عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من إذا قطعت رحمه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وصلها عمر [illegible] وقال تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منساة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى ويخشون ربهم أي في ما يأتي ويذرون بعقد القلب ومبشاقد والقيام بما أوجب الله به وصلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ويخافون سوء الحساب ثقل معناه والذين صبروا أي على طاعة الله وقال ابن عباس عن أمر الله وقال عكرمة على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل تحمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع المأمورات ومشاقها من العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل الصبر على المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من اللأواء والمصائب واصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وإنما قيد الصبر بقوله ابتغاء وجه ربهم لأن الصبر ينقسم إلى نوعين الأول الصبر الذي هو أقوى الإنسان فقد يصبر الفعال على الأكل صبور وأشد فرقة على ما تحمل من النوازل وقد يصبر ليلا يعاب على الجزع وقد يصبر ليلا يشمت به الأعداء فكل هذه الأمور وأشباهها الصبر فيها داخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لأنها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو أن يكون الإنسان صابرا لله راضيا بما نزل به من الله طالبا ذلك الصبر ثواب الله محتسبا الأجر على الله وهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وكلمة رضوانه وأقاموا الصلوة يعني الصلاة المفروضة وقيل تحمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها إتمام ركوعها وسجودها وإتقاء ما يفسدها في السر وعلانية قال الحسن المراد به الزكوة المفروضة بأن يتحفظ بتركها وأدائها إلى الزكوة بالأولى أن يكون المراد بها علانية وقيل المراد بالسر ما يخرج من الزكوة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤدي به إلى الإمام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكوة الواجبة وتحمله على العموم أولى ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيئ وهو معنى قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها

اصل
يؤيد بتعاسرا وإن كان
تحتها متروكا أداء الزكوة
بالأولى إن يؤيد بتعالى

تحتها النهر بالنصر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه دروع
ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى
حتى يخرج إلى الأرض وقال ابن عباس يدعو الذنب بالتوبة وقيل لا يكاثر السيئ
بالشر ولكن يدعو الشر بالخير وقال الفضيل معناه إذا شبع عليهم خلوا بالشبع
النسيئة والعمل الحسنة وقال قتادة رد والله عليهم رداً معروفاً وقال العنسي إذا خرسوا
أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قصروا صلوا قال عبد الله بن المبارك هذا ثم خلال ميشرة
إلى أبواب الجنة الثمانية فلذلك إنما هي تسع خلال يحتمل أنه عد خلتين بواحدة
ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب
فقال تعالى أولئك يعني من هذه الأعمال لهم عقبى الدار يعني الجنة والمعنى أن لهم فيها
دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار يعني بساتير فما يفعل عدن بالكسر إذا أقام به
يدخلونها يعني الذين ثقدم وصفهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يعني ومن
صدق من آبائهم بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم فالسدي عن ابن عباس وقال الزجاج إن الله تعالى
لما يشفع بعض أعماله الصالحة بعمل قول ابن عباس يعني على صدق وما روي عن قتادة وعلى قول
الزجاج معناه صلح بأعماله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب
الكبير سروراً بما يراه بأهله حيث يبشرهم بدخوله الجنة مع نفوذ بدل على أنهم
يدخلونها كما أنه تعالى للكبير العامل الذي بالأعمال الصالحة ولو كان دخول الجنة بأعمالهم
الصالحة لم يكن لذكر الله تعالى للكبير ولا بأبائه بالوعد بإدخال من كان صالحاً بأعماله فهو
يدخل الجنة قال إبراهيم عن الدين الذي في قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التغيير
بين زوجة وزوجة ولعل الأول مرفوعاً عنهما وما ثبت عنه وما روي أنه لما بين لسودة
أراد النبي صلى الله عليه وسلم كلاقتها فسألته أن يعدل وهبت يومها لعائشة فأمسكها
وجاز أن يحشر جملة أزواجه كالدليل على ما ذكرنا وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال ابن عباس يدخلون بالتحية
من الله والتحف والهدايا سلام عليكم يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول لدلالة الحال
عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلام الله من الآفات التي كنتم تحذرون منها وأدخلكم بما صبرتم

بدار الدنيا على الكافرات وزاد المحرمات وقيل إن الصلاة قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء الملائكة لهم يعني سلمكم الله يا صبركم فإن قيل ما فائدة الملائكة يدخلون عليهم بعد دخول كل باب من أبواب الدنيا للتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم وفي الخبر الذي رواه البغوي بإسناده عن أبي أمامة مرفوعا عليه فإن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده نساء كلما رأين خدمه وعندهن الحمام يطرن بأجنحة مبيضة فيقبل الملك من ذلك بإذن الله بإسناده ويقول الذي يليه ملك بإسناده ويقول الذي يليه ملك بإسناده ويقول الذي يليه ملك بإسناده ويقول الذي يليه ملك بإسناده حتى يبلغ الدور ويقول أيذن لوالد فيقول الذي يليه الدور أيذن لوالد فيقول الذي يليه الذي عند الباب يبعثه ليدخل فيسلم ثم ينصرف. ومنع عفى الدار يعني منع العفو عفى الدار وقيل معناه منع عفى الدار ما انتم فيه. والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله. نقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لأنهم هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وخالفوا أمره. ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثق على أنفسهم من الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من القرابة والرحم. ويفسدون في الأرض يعني بالكفر والمعاصي. أولئك. يعني من هذه صفته لهم اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني النار ويقال منقلب الناس من الموت إلى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار. وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويفتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله. وفرحوا بالحياة الدنيا. يعني متعوا بها كمتاع. وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي قليل ذاهب فال الكلبي متاع مثل الكسكجة والقصيعة والقدر يتمتع بها الدنيا كذلك الحياة الدنيا لا تنفع ذاهبة لا بقاء لها. ويقول الذين كفروا يعني من أهل مكة. لولا أنزل عليه آية من ربه. يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى. قل إن الله يضل من يشاء. فلا ينفعه نزول الآيات

الفرح بالدنيا حرام

الحياة الدنيا

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

266

وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله ويهدي اليه من اناب يعني ويرشد
الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من قوله من اناب وتطمئن
قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقرآن لانه طمانينة لقلوب المومنين
والطمانينة والسكون انما يكونان بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك الا بذكر الله تطمئن
القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المومنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف
وذلك ان المومن اذا حلف على شيء سكن قلوب المومنين اليه فان قلت اليس قد قال الله
تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار
الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل والطمانينة وهل
يمكن الجمع بينهما في حال واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمانينة
انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن
اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلف
العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال
قتادة حسن لهم وفي رواية اخرى عنه ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي
اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب
وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كلما استطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل
وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب
وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة
وابي هريرة وابي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها قال عبيد بن عمير
هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن
لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها
ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظلل امة عليها
ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها
وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه
تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بغير سند وروى بسند مرفوع عن ابن مردويه قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرءوا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط فقرمالله عز وجل بيده وفخ فيها من روحه وان فيها من ثمار الجنة وما في الجنة ثمر الا وفي هذه الشجرة منه قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن محمد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى غرسها الله لنفسه تفتق لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة ملجمة بلحامها وسيوفها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلتها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرءوا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى وخمس مئاب يعني وبهم خمس منقلب ومرجع يتقلبون ويرجعون اليه بالليل وهو الجنة وقوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم يعني كما ارسلنا اليا محمد الهذه الامة كذلك ارسلنا رسولا الى امم قد خلت ومضت لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يعني لتقرأ على امتك الذي اوحينا اليك والقرآن شرائع الدين وهم يكفرون بالرحمان قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت في الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو وقاضا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمان الرحيم فقال المشركون اما الرحمان فانا لا نعرفه ولكن اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فنزل هذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمان يعني انهم يكذبونه ويجحدونه قوله تعالى وهم يكفرون الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمان فرجع ابو جهل الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين يقول الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمان ولا نعرف الرحمان الا رحمان اليمامة فنزلت هذه الاية ونسخ قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمان ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمان فقالوا وما الرحمان فقال الله تعالى قل لهم يا محمد ان الرحمان الذي امرتكم بعبادته هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت يعني عليه اعتمدت في امري كلها واليه متابي

يعني واليه

به ظلها مائة عام لا يقطعها وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

يعني والبيه تورث ورجوعي **قوله تعالى** ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية نزلت
بـ نفر من قريش بمكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة
وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأتانا **وقيل** أنه مر بهم وهو جلوس وهو عالج الله عز وجل
فقال له عبد الله بن أبي أمية إن كنت رسولا فسير جبال مكة بالقرآن وأذبها عنا حتى
تتسع بنا فتصير أرضا صالحة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع
وتتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبحن معه
أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام ليسير تجاوزها ذهابا ورجوعا في يوم واحد كما سخرت لسليمان كما زعمت
فلست أهون على ربك من سليمان وأحي لنا جدك قصيا أو من شئت نرسلك إليه فنسأله عما رسولا أحق
ما تقول إنا كل فإن عيسى كان يحيي الموتى فلست بأهون على الله منه فأنزل الله تعالى هذه
الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فأذيبت على وجه الأرض أو قطعت به الأرض يعني
تشققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فأحيتها **واختلفوا** في جواب لو **فقال** قوم
جواب لو محذوف وأنا أخذ ما الكتاب بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا
وكذا لكان هذا القرآن قبل قول الكفار عناد فيقسم لو شئنا لآمنا رسوله
سؤال ولكن لم يعد لعدم علمنا أراد لو شئنا لآمنا رسوله سؤال ورد دنا وبعد هذا قول قتادة
فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم **وقال** آخرون جواب لو تقدم
الكلام وهو يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا
بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم **قال** تعالى بل لله الأمر جميعا يعني بعد هذا الإنشاء وبـ
غيرها إن شاء يفعل وإن شاء لم يفعل أفلم ييأس الذين آمنوا **قال** أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم
قال الكلبي هي لغة النخع **وقيل** هي لغة هوازن **واختلف** أهل اللغة بعد البلغة **فقال**
الليث وأبو عبيد ألم يأتيأس بمعنى علم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه

يعني ألم يعلموا واستدلوا
نهد

عليه أيضا بقول شاعر آخر ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا
يعني ألم يعلم الأقوام **قال** مكي ييأس بمعنى علم لغة للعرب فالواو وجدهد اللغة أما وقع
اليأس في مكان العلم لما علم بالشيء ويقينك به يأتي من غيره **وقيل** لم يزل اليأس موضع

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

مركبا امر بالعلم وانما قصد ان يامر الذين امنوا وذلك يقتضي ان يحصل العلم بانهم به مامورون فانسب ان يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال ويقال العرب بالفارسية الياس المعروف والاياس العلم وذلك ان المفسرين لما كابروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الايات قال اصحابه المسلمون لذلك وارادوا ان يخبرهم ايئس بجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى اولم يايئس الذين امنوا ما يعني ان يعلموا علما يقينا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وهو غير مقصور اية وقال الزجاج القول عندي ان معنى الاية قد يئس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وحاصله ان معنى الاية قولين احدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه على اليأس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وقال اهل السنة بقوله او لم يشأ الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلق وان الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا يعني من الكفر والاعمال الخبيثة قارعة اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا حينا وحينا بالجدب وحينا بالسلب وحينا بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل يعني النبي صلى الله عليه وسلم او البلية فريبا من دارهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله يعني بالفتح والنصر لك وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد به وعد الله يوم القيامة ان الله يجمعهم يوم القيامة فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه ليعلم بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك وذلك ان كفار مكة لما سالوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء بين الله هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا يعني بامهالي واطلت لهم المدة ثم اخذتهم يعني بالعذاب بعد الامهال بعذبتهم في الدنيا بالقتل والاسر والقتل وبالاخرة بالنار فكيف كان عقاب يعني فكيف كان عقابي لهم اترهوفا بهم على كل نفس بما كسبت يعني اترهوها بقضاء وقدر فتعلم ما عملت من خير او شر وتجازيها بما كسبت فتثيبها ان احسنت وتعاقبها ان اساءت وجواب هذا محذوف تقديره كمن ليس بهذا الوصف بل هو عاجز عن نفسه وعن جزاء نفسه بصوت غير وهو الاصنام التي لا تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركاء يعني وهو استفهام توبيخ للعباد على عبادة هذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء قل سموهم يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم الكفر واهل هي اهل ان تعبدوا وتسمونه

ترجمه بحمد الله

يعني لم يخبروا الله بما يعلم في الأرض يعني أنه لا يعلم أن لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون
المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والأرض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي هذا
العلم بأن يكون له شريك أي بظاهر القول يعني أنهم يتعلمون بظاهر القول مسموع وهو الحقيقة
بالأصل لا أصل له وقيل معناه بل يضمر القول لا تعلم حقيقته بل أخبر الله بكذبهم وأمره
قال ابن عباس رضي الله عنهما قال المشركون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله فكذبهم الله وقال
والمبرهن على الحقيقة هو الله تعالى لأنه العالم المختار على الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف به الوجود
إلا بإذنه فتبين الشيطان الغاوي الوسوسة فيك ولا يقدر على إضلال أحد وهدايته إلا الله
تعالى ويدل عليه سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله وصدوا
عن السبيل قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الخير والرشد والهداية ومعناه ذلك
والصاد المانع لهم الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان
ومن يضلل الله فما له من هاد الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في الأكثر القراء لهم عذاب
في الحياة الدنيا يعني بالقتل والأسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ولعذاب الآخرة أشق يعني أشد
وأغلظ لأن المشقة غلظ الأمر على النفس وشدته بما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق
الذي هو الصدع وما لهم من الله يعني من عذاب الله من واق يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله
تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار
أكلها دائم يعني لا ينقطع أبدا وظلها يعني أنه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس
ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم وأصحابه يقولون
إن نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على أن حركات أهل الجنة لا تنتهي إلى السكون دائم
كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية أن الجنة لم تخلق بعد
قال ووجه الدليل أنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع أكلها لقوله
كل شيء هالك إلا وجهه فوجب أن تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع
قال ولا ينكر أن يكون في السموات جنان كثيرة يتمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الأنبياء
والشهداء وغيرهم على ما روي أن الله الذي يذهب اليه أن جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب
عن هذا الحاصل دليلهم مركب من اثنين أحدهما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه والآخر
قوله أكلها دائم وظلها فإذا دخل التخصيص في أحد الغرضين سقط دليلهم فنخصص

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا يعني ان عاقبة
اهل التقوى هي الجنة وعقبى الكافرين النار يعني في الاخرة وقوله تعالى والذين اتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك في المراد بالكتاب قولان احدهما انه القرآن والذين اوتوه
المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام
والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن ومن الاحزاب يعني الجماعات الذين
يحزبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى من ينكر بعضه وهذا قول
الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من الكفار وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القرآن كله
فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن جملة لانه قد
ورد فيه اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني
ان المراد بالكتاب التورية والانجيل والمراد باهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة
من سواهم فرحوا بالقرآن كونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب
من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمان قليلا في القرآن في
الابتداء فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمان في القرآن
مع كثرة ذكره في التورية فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمان في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله
الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه
وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه
بسم الله الرحمان الرحيم قالوا ما نعرف الرحمان الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب
فانزل الله وهم يكفرون بالرحمان قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم لا ينكرون
الله وينكرون الرحمان قل اي قل يا محمد انما امرت ان اعبد الله يعني وحده ولا اشرك به
شيئا اليه ادعوا يعني الى الله والى الايمان به ادعوا الناس واليه مآب يعني مرجعي يوم القيامة
وكذلك انزلناه حكما عربيا اي كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد
هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لان فيه جميع
التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم

وفرحهم بالكتاب الخ

كانوا

على سبيل المبالغة

289

على سبيل المبالغة وقيل إن الله لما حج على جميع الملل بقبول الفرار والعمل بمقتضاه
تعالى حكم بذلك المعنى وإن لم تثبت أقوالهم قال جمهور المفسرين إن المشركين لما عيروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة أباه فشق عليه فدعا الله على اتباع أقوالهم به فذلك
وقال ابن الصايغ المراد به متابعة أباه بالصلاة إلى بيت المقدس بعد ما جاء
من النهي بقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الكعبة وقيل كما في الخطاب به النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام
بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من التكذيب لأنه إذا جوز مع منزلته وأعلم فخرا وأعلاه تبعة
إذا أخذ كان غيره من يعهد دونه بطريق الأولى مالك الله مرولا واه بمعنى مرتاما ولا حائل
فسقا
قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك روى أن اليهود وقيل المشركين قالوا لآل هذا الرجل
يغتنم النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة إلا النساء بعثوا إليه ذلك وقالوا لو كان كما
رسلا
يزعم أنه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فجاب الله عز وجل عن هذه
الشبهة وغيرها بقوله عز وجل ولقد أرسلنا من قبلك بشرا محمد وجعلنا لهم أزواجا
وذرية فإنه قد كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح
ذلك في نبوته وكذا لما يقال داود عليه السلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا في نبوته فلم
يكن بعيبوا ذلك عليه ويعلنوه فأجابه نبوته فالمعنى ولقد أرسلنا رسلا قبلك
يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما كان
لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله هذا جواب لعبد الله بن أمية وغيره من المشركين الذين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه الآيات وتعنتوا هذا الجواب
معجزات كثيرة
منها
أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم اقترحوا عليه شيئا وأتاهم الرسول
بالمعجزات ليس إليه بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز وجل ما شاء أظهره وإن شاء أخفاه
لكل أجل كتاب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما
استبطئوا ذلك وكانوا يستعجلون قوله ما خبر الله أن لكل قضاء قضاء كتاب قد كتبه
ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل قضاء أجل أجله الله كتاب قد أثبته فيه

BUBAQ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب
المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت وذلك أنهم لما اعترضوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا
وما سبب ذلك إلا أنه تقوله من تلقاء نفسه فأجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله
يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع
والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس
يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا
التأويل ما روي عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا مر بالنطفة
ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول
يا رب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما
يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم
ق عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق أن خلق
أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم
ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل
أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخلها فإن قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق
مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الأزل فيستحيل
زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا والشقي سعيدا وقد صح
في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله
تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تكرر بالدلائل القطعية أن الله عالم بالآجال
والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيدا يموت

في وقت معين

٢٢٥

به وقد تعبر الاستعمال اربعون قبلها وبعدها وبقوله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقد دل على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد به الحديث بفصل صلة الرحم تزيد به العمر بأن حقيقة التعمير منحصر ان هذه الزيادة تكون بالنسبة لما كتب عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه به الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منحصرا نه بالنسبة الى ما يطلع الملائكة به اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فاوصله زيد له اربعون سنة وقد علم الله به الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وهو بالنسبة الى ما يظهر للملوفين يتصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا او السعيد شقيا فيتصور به الظاهر ايضا لان الكامل قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة ومحوه الاثبات من العلماء من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ يمحو الله ما يشاء بالموت والاجل وكذا الفوز بالسعادة والشقاوة والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود وابن عباس فالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى اثنين وسبعين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسند عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اختار ثلاث ساعات من الليل فينظر في الساعة الاولى منها في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المنسوخ واثبات بدله اخر عوضا عن الحكم المنسوخ وقيل المحو عبارة عن ان الله يمحو جميع اعمال بني ادم يوم القيامة فلا يبقى فيها ثواب ولا عقاب

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يثبت القول كله حتى إذا كان يوم الخميس
طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود
لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحوا والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت
وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحوا الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب به
ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحوا الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها
ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحوا الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل
الذنوب حسنات وقال السدي يمحوا الله ما يشاء القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا
في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى
صاحبه وقيل إن الله يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر
للسنة المستقبلة وقيل يمحوا الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هذا في المحن والمصائب فهي
مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحوا ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض
لأحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فإن قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة
وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات قلت
المحو والإثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحوا شيئا ولا يثبت شيئا إلا ما سبق به علمه
في الأزل وعليه يترتب القضاء والقدر مسألة استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء
بهذه الآية قالوا إن البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له خلاف ما اعتقده
وتمسكوا بقوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسألة أن هذا مذهب
باطل ظاهر الفساد لأن علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان
دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية
وقوله تعالى وعنده أم الكتاب يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا
يبدل وسمي اللوح المحفوظ أم الكتاب لأن جميع الأشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب
المنزلة وقيل إن العلوم كلها تنسب إليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب
يمحوا الله ما يشاء منه ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيء منه وروى عطية
عن ابن عباس قال إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت

لله فيه

لله فيه كل يوم ستون لحظة ينظر ما يقضي ويبث وعند أم الكتاب وسئل ابن عباس
كيف يرد الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون وأما أنت يا محمد
بعض الذي نعدهم يعني من العذاب أو نتوفينك يعني قبل أن نريك ذلك فإنما عليك البلاغ يعني
ليس عليك إلا تبليغ الرسالة إليهم والبلاغ اسم لما قيم مقام التبليغ وعلينا الحساب يعني وعلينا أن
نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم قوله عز وجل أولم يروا أنا نأتي الأرض
ننقصها من أطرافها قال الكلبي يريد أذهبنا منه فتح دار الشرك مرة بعد مرة دار
الإسلام بعد نقص دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا نأتي الأرض فنفتحها محمد صلى الله عليه وسلم
أرضا بعد أرض حولها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك فقال مجاهد هو خراب الأرض
وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول في مقابلة القول الأول وقال عطاء وجماعة
من المفسرين ننقصها بموت العلماء وذهابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال انتزاعا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس ولكن يقبض
العباد ويقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا
فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الإسلام
لا يسد ما خلفا ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض
وقبضه ذهاب أهله وقال سلمان لأن أرى الناس غير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر
ما ذا تعلم الأول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس
قال هلاك العلماء فعلى هذا القول المراد بالأكل أكل العلماء والمراد أكل الناس تكثر
المجوبي عن تغلب قال الأكل الأشهاء والاستدلال الواحدي بعضهم اللغة بقول الزبرقان يريد
ونسئل بالجلة ما وردنا من أكل فيلة مر تمنع قال أبو زيد كل فيلة قال
الواحدي والتفسير على القول الأول أصح وأولى لهذا وأرجح قبل البيتين بعد الوضع قال الأصمعي الوجه
مخرج الدبر الراوي ينكر أن يقال لهذا القول أيضا البيتين بعد الوضع وتقرير أن يقال

الحمد لله حمدا و صلى الله على
محمد النبي بعده

اول بدوا ما يحدث به الدنيا من الانقلابات خراب بعد عمارة و موت بعد احياء و ذل بعد عز
و نقص بعد كمال و اذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة. فما الذي يؤمنهم
ان يغلب الله الا و على هؤلاء البقرة و يحقق ذليلين بعد ما كانوا عزيزين و مغلوبين بعد ان كانوا
قاهرين و على هذا الوجه ايضا يجوز ابطال الكل بما قبله **قوله تعالى** والله يحكم لا معقب لحكمه
يعني اذا اراد حكمه و امضاه لقضائه و المعقب هو الذي يعقب غيره بالرد و الابطال و منه
قيل لصاحب الدين معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء. و الكلبي و المعنى والله يحكم بما هذا
حكمه خاليا من الحداع و المعارض و المنازع لا يتعقب حكمه احد بتغيير و لا نقض و هو
سريع الحساب. **قال** ابن عباس يريد سريع الاتيان يعني حسابه للمجازات بالخير و الشر مجازات
الكفار بالاشقاء و مجازات المؤمنين بايصال الثواب اليهم و قد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب
قبل هذا. و مكر الذين من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة الامم مكروا بانبيائهم و المكر
ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل مكر نمرود بابراهيم و فرعون بموسى و اليهود بعيسى
فلله المكر جميعا يعني عند الله جزاء مكرهم **و قال** الواحدي يعني جميع المكر الله يرده و منه
اي يعود خلفه و اراد به المكر جميعا مخلوقاته يده الخير و الشر و اليه البيع و النفع و المعنى ان المكر
لا يضر الا باذنه و ارادته و به هذا تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم و امان لمكرهم كانه قيل قد
بغى قوم فسلبهم ما كانوا يتقلبون فيه من النعم و صنعوا مثل صنيعهم بمن يضرهم و الامر اراد الله ثم و اذا كان
الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف الا من الله لان احدا من المخلوقين يعلم ما تكسب كل نفس يعني ان جميع
اكتساب العباد و تاثيراتها معلومة لله و بعد خالقها و خلق المعلول ممتنع الوقوع و اذا كان
كذلك فكل ما علم وقوعه بعد واجب الوقوع و كل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع و اذا كان كذلك
فلا قدرة للعبد على الفعل و الترك فكان الكل من الله و لا يحصل ضرر الا باذنه و ارادته و قيده
وعيد للكفار الماكرين و تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم الكافرين. **قال** ابن عباس يعني
اذا جعل **و قيل** اراد المستهزئين يريد خمسة نفر ممن ذكرهم الله في قوله انا كفيناك المستهزئين
انهم و ان كانوا جهالا بالعواقب يتصيدون العاقبة الحميدة للمؤمنين و لهم العاقبة المذمومة
بالاخرة حين يرون خلود النار و يدخل المؤمنون الجنة **قوله تعالى** و يقول الذين كفروا لست
مرسلا. لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امر الله بقوله قل اي قل يا محمد
للكفار الذين انكروا نبوتك كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و المراد بشهادة الله

محمد صلى الله عليه وسلم

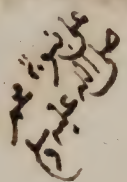

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات الظاهرات
الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله. وقرئ عنده علم الكتاب. ايضا يشهد على
صحة نبوتي يا محمد واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب فقرئ القرشي عباس
عباس أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى أن كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى
بالانجيل يعلم أن محمدا رسول الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيها فيشهد بذلك
ويشهد به وانكر ذلك من انكر وقيل انهم مؤمنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتي
قال فتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم
بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير وقرئ عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف
يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد وقرئ عنده علم الكتاب هو
الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما جاء النوح
المجموع الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الا تنبه ان الله لا يشهد على صحة حكم
غيره وهذا قول متكامل لا يحتاج الى صرفه والكلام جائز الا انه خلاف الاصل
فلا يقال يشهد بهذا زيد والبغيه بل يقال تشهد بهذا زيد البغيه لكن يشهد لصحة
هذا القول قراءة من قرأ وقرئ عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره
على ايساء للمجهول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذا القول ومما رزقناهم علما
وقيل معناه انا علمناه القرآن الذي جئتكم به معجزا كما تعرفون بها فيه من الفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الغيوب والامم الماضية فمن علمه بعد الصفة كان شهيدا بيني
وبينكم والله اعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وهي مكية سوى اثنين وقيل قوله الم تر الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الاثنين وهي
احدى واثنتان وخمسون اية وثمانمائة واحد وستون كلمة وثلاثة الاف
واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الر كتاب انزلناه اليك يعني هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على
محمد صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات الى النور يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات
ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال ابن عباس مخرجه من الكفر الى الايمان وفيه
دليل على ان اكثر الكفر والبدعة كثيرة وكثير الحق ليس الا واحدا لان الله تعالى قال لتخرج

BULAC

الناس من الظلمات الى النور بعثر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع وعثر
الابيار والعقد بالنور وهذا البعث يعرف ذلك يدل على ان كل من الحكم والجهل كثيرة
وانما كثير في العلم والايمان ليس للواحد اباذن ربهم. يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط
العزيز الحميد. يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب
والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد وقال ابو عمرو وفراء الخفض على التقديم
والتاخير تقديره الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض يعني ملكا
وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات
وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في السموات والارض
من عذاب شديد. يعني معد لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة. يعني يختارون الحيوة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة ويصدون عن سبيل الله
اي ويمنعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا. يعني ويطلبون لها زيغا وميلا. فحذف
الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حايدين عن القصد وقيل الضلال. اي
ويبغون لها رجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على كره مني الميل عن الحق لكن بعد انهماك
واصرار. يعني ترهذا هو الضلال البعيد. يعني عن الحق وقيل يجوز ان يراد به ضلالهم بعد
وفاته بعد ما ان الضلال يبعد عن الكمين فوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين لهم. يعني ما يامرون
وما ينهون عنه فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث
الى الناس جميعا بدليل قوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى
الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات متشتة وقوله بلسان قومه
ليس فيه قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون وجه
الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان
مبعوثا الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الامم فيترجمون له بالسنتهم
ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وهم العرب
وغير العرب قد دخل معهم غيرهم برجحانهم بكثرة العدد وقيل الى الرسول اذا ارسل بلسان
قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان بلسان قومه كما امر به

ليعلم
ربما عن

لقسمهم عنه وفيها الحجة عليهم بذلك بما اذا قبضوه و تنوفل منهم التنشر علمه وقامت
وقامت التراجم ببيانه وتعميمه لس يحتاج الى ذلك ممن يقول غير العربية وآداء الكتاب
واحد بلغة واحدة مع اختلاف الامم تباين اللغات كان ذلك ابلغ به اجتهاد المجتهدين
به تعليم معانيه وتعميم هدايته وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه
وقوله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد. يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان
والملك هو الفعال المتصل بفعل ما يشاء. وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب العظيم
بجميع افعاله **قوله عز وجل** ولقد ارسلنا موسى بآياتنا. المراد بالايات المعجزات
التي جاء بها موسى عليه السلام. مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة
الباهرة. ان اخرج قومك من الظلمات الى النور. يعني ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وذكرهم بايام الله **قال** ابن عباس وابن كعب وجماعة وقتادة يعني بنعم الله **وقال** مقاتل
بوقايع الله به الامم السالفة **يقال** فلان عالم بايام العرب اي بوقايعها وانما اراد بالكلام بايام
الله النعمة والنقمة ما جرى بذكر الايام عرف ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون
المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد بالترغيب والوعد اذكرهم ما انعم الله
عليهم وعلى من قبلهم من ارسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد اذكرهم ما نزل بمن قبلهم
وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله **وقيل** معنى ايام الله هو ان موسى انما يذكر قومه بايام
الشدة والمحنة والبلاء. حين كانوا تحت ايدي القبط يسومونهم سوء العذاب. فخلصهم الله وذلك
وجعلهم ملوكا بعدما كانوا مملوكين. ان في ذلك لايات لكل صبار شكور. الصبار الكثير الصبر
والشكور الكثير الشكر. وانما خص الصبر والشكور بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة لكافة
الناس مع المشعر بعاد وغيرهم ليعلم انها خصت بالايات فكانها السير يغير مع بقوله
تعدى للتغيير وكان الانتفاع بالايات لا يكمل حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا
ينتفع بها البتة. واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم. قال ابو الله عز وجل موسى عليه
السلام ان يذكر قومه ايام الله اشتغل ذلك الامر وذكرهم بايام الله **فقال** اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجيكم من آل فرعون. اذكروا انعام الله عليكم به ذلك الوقت الذي انجاكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب. ويذبحون ابناءكم **قيل** ملت **قال** به سورة البقرة يذبحون بغير واو
وقال هنا ويذبحون بزيادة واو. قال ابن **قيل** ملت انما حذفت الواو به سورة البقرة

ليست

انعم الله حصرا وصل الله
على من لا نبي بعده

لما قوله يسومونكم تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وهو التفسير بما يجري ذكر السوء و
تقول جاءني الذي زيد وعمرا اذا اردت تفسير الذي وانما دخول الواو وهذه الصورة
لان ال في عرفهم كانوا يعذبونهم بانواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا بقوله يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون نوعا آخر من العذاب لانه تفسير للعذاب ويستحيون نساءكم يعني
يتركونهن احياء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم **فان قلت** كيف كان فعل ال في يعذبون بلاء من ربكم
قلت تمكينهم واعطائهم حتى يفعلوا ما يفعلوا كان ذلك بلاء من الله **وجه** آخر وهو ان ذلك
اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم كما ان الابلاء يكون اشارة الى النعمة والمحنة جميعا ومنه قوله تبلوكم بالشر
والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم **فان قلت** يكون
فهلا ذكر بدل الانجاء فيما بلاء بليغا استحياء النساء بلاء **قلت** كانوا يستحيون نساءهم
ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء واذ تاذن ربكم هذا مرجلة ما قالوا من لغوه
كانه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن **ومعنى** تاذن آذن عم واباده تفعل زيادة
معنى ليس في افعل كانه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا ينتهي عنده الشكور وتتراح الشحمة
والمعنى واذ تاذن ربكم فعال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها لانعم
بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم بعني نعمة الى نعمة ولا طلعن لكم ما اثبتكم **وقيل** لئن شكرتم
الموجود صيد المفقود **وقيل** لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم الثواب **واصل** الشكر
تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس
على هذه الطريقة **وههنا دقيقة** وهي ان العبد اذا اشتغل بطاعة افعال
نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذلك يوجب
المزيد وبذلك تتزايد محبة العبد لله عز وجل وهو قاهم مقام قوله يحبهم ويحبونه وهو
ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسئل الله الكريم بواجب
شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه **وقوله** ولئن كفرتم المراد
بالكفر ههنا كفر النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ان عذابي لشديد يعني
لمن كفر نعمتي ولم يشكرها **وقال** موسى ان تكفروا انتم يعني يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا
يعني والناس كلهم جميعا فان ضرر ذلك يعود على انفسكم وحرمتموها الخير كله فان الله لغني
يعني عن جميع خلقه حميد اي محمود في جميع افعاله لانه فيضا منفضل وعادل لم يأتكم نبوا

يكون

وهو هذا مقام الخ

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه

يعني خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا
من موسى لقومه والمقصود منه أنه عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الأمم ويحتمل
أن يكون خطابا من الله على لسان موسى لقومه بذكرهم بذلك أمر القرون الماضية والأمم الخالية والمقصود
منه حصول العبرة بأحوال من تقدم وهلاكهم والذين من بعدهم يعني من بعد هؤلاء الأمم
الثلاثة لا يعلمهم إلا الله يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم إلا الله لأن علمه محيط بكل شيء
ألا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله هم أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم
أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول كذب
النسابون يعني أنهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس
أنه قال بين إبراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب
الإنسان نفسه أبا أبا إلى آدم لأنه لا يعلم أولئك إلا الله وقوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات
يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات فردوا أيديهم في أفواههم في معنى الأيدي
والأفواه قولان أحدهما أن المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه
قال ابن مسعود عضوا أيديهم عضا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم
إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان
في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعني أنهم وضعوا الأيدي
على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم
بذلك وقيل إن الأمم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا
أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني أن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحتين
فقيل المراد بالأيدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد نعمة
والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل إنهم كفروا
عن قبول ما أمروا بقبوله ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب
وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الأمم ردوا على رسلهم وقالوا إنا
كفرنا بما أرسلتم به يعني إنا كفرنا بما زعمتم أن الله أرسلكم به لأنهم لم يقروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم
لو أقروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لكانوا مؤمنين وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب يعني موجب
للريبة أو موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر الذي تشك فيه

قولان

أي

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

قال قلت انبيء قالوا وما انا بما ارسلتم به كاذبين يقولون انا نبيا وانا لفي شك والشك دون اليقين وادخل فيه قلت انبيء لما صرحوا بكونهم في الرسل كانبيء حصل فيه شبهة توجب فيه الشك فقالوا ان لم تدع الحق به كفرنا فلا اقل من ان تكون شاكين فيه فبهذا قالت رسلهم يعني مجيبين لما سمعوا ان في الله شك يعني هل تشكون بالله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه فاطر السموات والارض يعني وهل تشكون بكونه فاطر السموات والارض وخالق جميع ما فيهما يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا امنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصلية ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لبعض ذنوبهم وهو ما بينهم وبينه من الكبائر والمعاصي دون مظالم العباد ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الى حين انقضاء اجالكم فيمتعكم بالعذاب قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ان انتم الا بشر مثلنا يعني بالصورة الظاهرة لا في سائر الصفات تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا يعبدونها فاتونا بسلطان مبين يعني بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني اقروا لكم بما قلتم انا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشد قبابه من الرسالة ان نأتيكم بآية وانهار ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا بذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني به دفع شرورهم واعدائهم عنهم وما لنا الا نتوكل على الله يعني الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا وقد هدينا سبلنا يعني وقد عرفنا كل ما به النجاة وبين لنا الرشد ولنصبرن لما آذيتمونا والله لنصبرن على ما اذيتمونا يعني به من قول او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال قلت يعني كرر الامر بالتوكل وهل في قرن بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى التعب والتثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابتدائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين وقال الزبير وقال الرسل لهم حين جبنهم من ارضها او تعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجها اياهم الى قتل مرتد او ارضا واما عودهم الى ملتها قال قلت يعني بقولهم انهم كانوا على ملتهم اولا الامر حتى يعودوا فيها قلت معاد الى

بيان واضحة

والى العود

ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير بكلام العرب وبيده وجهه أي وهو آلهتهم عليهم السلام قبل الرسالة لم يكفروا خلافا لأسلافهم بل أرسلوا إليهم فكفروا بما جاءتهم ودعوهم إلى الله فالوا إليهم لتعودن في ملتنا كنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجمع الأمة على أن الرسل مرادة اللهم انقشوا على التوحيد لا يعزب عن خاطرهم وحي البيع ربهم يعني أن الله أوحى إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين يعني أعدائنا وهم الذين ظلموا أنفسهم ولنسكننكم الأرض من بعدهم يعني من بعد هلاكهم ذلك يعني ذلك التمكين لمن خاف مقامي يعني خاف قيامه بين يدي في القيامة فأضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسهم فيقول كفولهم ندمت على ضربه إياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد أي وخاف عقابي فسوله عز وجل واستفتحوا يعني واستنصروا فال أي دعا عاد يعني الله وذلك أنهم قالوا اللهم أرسل لنا هودا فقد بنا وفال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك أنهم لما يئسوا من إيمان قومهم استنصروا الله وعزا على قومهم بالعذاب وخاب يعني وخسر وقيل هلك كل جبار عنيد والجبار صفة للإنسان يقال لمن تجبر بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في الإنسان وقيل الجبار الذي لا يرى مع الله أحدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وفال ابن عباس هو المعرض عن الحق وفال مقاتل هو المتكبر وفال قتادة هو الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله وقيل العنيد المنحرف عن الحق وقيل العنيد الذي يعاند ويجانب من أراد به جهنم يعني هي أمامه وهو صائر إليها فال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى قدام وفال الأخفش هو كما يقال هذا الأمر وراءك يعني أنه سيأتيك ويسقى من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وفال محمد بن كعب القرظي هو ماء يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله يتجرعه أي يتحساه ويتشربه لا مرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وأنتنه ونتنه ولا يكاد يسيغه أي لا يقدر على أن يبلعه يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره فيه فال بعض النحويين كاد صلة المعنى يتجرعه ولا يسيغه وفال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة وفال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد بطء لأن العرب تقول ما كدت أفعل كذا أي فعلته بعد بطء ثم بعد هذا كاد على أصلها وليس بصلة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه
قطع امعاءهم حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب قوله ووقعت فروة راسه اي جلدة راسه شبهها بالفروة للشعر الذي عليها وقوله
تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت يعني ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان
من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه
ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج
تعلق نفسه عند حجزته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحيوة
ومن ورائه يعني امامه عذاب غليظ اي شديد وقيل هو الخلود في النار قوله تعالى مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف هذا كلام مستانف منقطع عما قبله
وهو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل
مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله كرماد اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال
سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقال الفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد
فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما
يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم
تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون
فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر يوجد فيه وقيل معناه في يوم
عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار التي لم
ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف
يطير الرماد ويذهب به ويفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منه شيء وكذلك اعمال الكفار تبطل
وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي
فقيل هي ما عملوا من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير

واقراء الضيف

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وإقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال وإن كانت أعمال بر
لكنها لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها
وقيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم
تنفعهم البتة ووجه خسرانهم أنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها
فصارت وبالا عليهم وقيل أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها
غير الله فإنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به
وهو قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا على شيء يعني من تلك الأعمال والمعنى
أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة ذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك الخسران الكبير لأن أعمالهم
ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده ألم تر أن الله خلق السموات
والأرض بالحق يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وإنما خلقهما لأمر عظيم وغرض صحيح إن يشأ
يذهبكم يعني أيها الناس ويأت بخلق جديد يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى الذي قدر
على خلق السموات والأرض فبأن يقدر على إفناء قوم وإماتتهم وإيجاد خلق آخر سواهم كان الأولى
لأن القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد أميتكم يا معشر الكفار
وأخلق خلقا غيركم خيرا منكم وأطوع وما ذلك على الله بعزيز يعني بممتنع لأن الأشياء كلها
سهلة على الله وإن جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا يعني وخرجوا
من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل في الفضاء
وذلك أن يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم فظهروا إلى الفضاء وأورد بلفظ الماضي
وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار
كأنه قد حصل ودخل في الوجود فقال الضعفاء يعني الأتباع للذين استكبروا وهم القادة
الرؤساء إنا كنا لكم تبعا يعني في الدين والاعتقاد فهل أنتم يعني في هذا اليوم مغنون عنا
يعني دافعون عنا من عذاب الله من شيء من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على أن
تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا قالوا يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين
لو هدينا الله لهديناكم يعني لو أرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا
دعوناكم إلى الضلالة سواء علينا أجزعنا أو صبرنا يعني مستويان علينا الجزع والصبر
والجزع أبلغ من الحزن لأنه يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص

العلم للبشر والصلاة والسلام
على سيدنا النبي بعده

يعني مشهد به ولا منجاة مما أعد فيه من العذاب. قال مقاتل يقولون النار تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر عند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا
ما لنا من محيص. قال محمد بن كعب القرظي يلقى أهل النار البرد فيستغيثون بالزمهرير
كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فيردّ عليهم الخزنة أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا بلى فيردّ الخزنة ادعوا
وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فيأيسون مما عند الخزنة فيقولون سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا ما لنا من محيص. قال فإذا يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك
سلوا الموت فلا يجيبهم ثم غير بعد ستة والستة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف
سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله إنكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض
تعالوا نصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا فكان صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا
فلم ينفعهم عند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص. قوله تعالى وقال
الشيطان يعني إبليس لما قضي الأمر يعني فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
النار أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا فقال
مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع إليه أهل النار فيلومونه فيقول لهم لما أخبر الله
بقوله إن الله وعدكم وعد الحق فيه إضمار تقديره فصدقه بوعده. ووعدتكم فأخلفتكم
يعني الوعد. وقيل يقول لهم إني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من
سلطان يعني من ولاية وقهر. وقيل إلا أني دعوتكم فيما وعدتكم به إلا دعوتكم. تقدا
استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم يعني ما
كان مني إلا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب
عليكم أن لا تلتفتوا إليّ ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم
أولى بما جئتكم به من غير حجة ولا دليل ما أنا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم. وما
أنتم بمصرخيّ يعني بمغيثيّ ولا منقذيّ مما أنا فيه. إني كفرت بما أشركتموني من قبل يعني كفرت
بجعلكم إياي شريكا لله في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى أن إبليس جحد ما يعتقد الكفار
فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك. إن الظالمين لهم عذاب أليم. روى البغوي بسنده عن
أبي عامر عم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث فيأتون فيأذن الله

له في الدخول

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

٢٩٢

له ان فوق مجلس مجلسي ريح شمها احد حتى اتزوج ويشفعني ويقول
نورا مشعرا ايك الكفر فدمش يقول الكفار فدوجد المؤمنون يشفع لهم فيشفع
لنا فيقول ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فيأتونه فيقولون فدوجد المؤمنون من يشفع
لهم فهل انت شافعون لنا فانطلق فيقول ويشون مجلسه اتتريح شمها احد
ثم يعلمهم فيفهم ويقول عند ذلك الله وعدكم وعد الحق الاية **وقوله تعالى** وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما شرح الله عز وجل
حال الكفار الاشقياء بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال المؤمنين السعداء وما اعد
لهم في الاخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك الثواب متبعة خالصة دائمة
مقرونة بالتعظيم فالمتبعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة اشير اليه بقوله خالدين فيها
والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان لفظ المنافع اذا كانت تفضلا من الله
وانعاما اشار قوله تحيتهم فيها سلام يحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة او الملائكة
تحييهم بها او الله سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة
سلموا من جميع الافات فالاول مشتق من السلامة **فقوله عز وجل** الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة كشجرة كشجرة لما شرح الله عز وجل احوال الاشقياء واحوال
السعداء ضرب مثالا لهم تحقيقا لهذين القسمين **فقال تعالى** الم تر اي يعلم فلان متعلم
علم بغير بالعلامات اياك فعلوا هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب لكل قارئ القرآن ويكون المعنى الم تر انها الانسان كيف
ضرب الله مثلا اي بين شبها والمثل عبارة عن قول يشبه قولا بشيء يشبهه قولا بشيء اخر بينهما
مشابهة لتبيين احدهما الاخر وتصويره **وقيل** هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء
اخر كلمة كشجرة هي قول لا اله الا الله بقول ابن عباس وجمهور المفسرين كشجرة كشيء
يعني كشجرة كشيء التمر **قال** ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد
وعكرمة والضحاك **وعن** ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني
عن شجرة تشبه او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ثؤتي اكلها كل حين
قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم

العمر وجرو وصلى الله على
على من لا نبي بعده

فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه
والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم فقال لم أركم تتكلمون فكرهت أن
أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا وفي رواية أن الشجرة شجرة
لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم محق ثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي فقال عبد الله
ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة
وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن وقوله
أصلها ثابت يعني في الأرض وفرعها يعني أعلاها في السماء يعني ذاهبة في السماء
تؤتي أكلها يعني ثمرها كل حين باذن ربها يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق
على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة
لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر
يعني وقت حملها إلى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب
ثمانية أشهر يعني أن مدة حملها بأكمله وظاهره ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر
من حين ظهور حملها إلى إدراكها وقيل سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت يؤكل
منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني كل غدوة وعشية لأن ثمر النخل
يؤكل أبدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء ويؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر
والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الصرام فالرطب يأكلها دائم في كل
وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الإخلاص وأصل
الإيمان بالنخلة من أوجه أحدها أن كلمة الإخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن
كثبوت أصل هذه النخلة في الأرض الوجه الثاني أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء
قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك يرفع هذه النخلة عال في
السماء الوجه الثالث أن ثمرة هذه النخلة تأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكتسبه
المؤمن من الأعمال الصالحة في كل وقت وحين بسبب كلمة هذه الكلمة بالمؤمن كلما قال لا إله إلا الله
صعدت إلى السماء وجاء بها بسبب كثرتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع
أن النخلة شجرة بالإضافة إلى غالب الأشجار خلقت مفصلة كعينة آدم وأنها إذا قطع
رأسها تموت كالمادة من غيرها من سائر الشجر فإنه إذا قطع نبت وأنها لا تحمل حتى تلقح

بطلع الذكر

بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجرة
لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قائم وفرع عال وكذلك لا يتم الايمان
الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان وقوله تعالى ويضرب
الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني
وتذكير ومواعظ لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك
كشجرة خبيثة يعني الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها
الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت
ولا يصعد الى السماء اجتثت يعني استوصلت وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار يعني
ما لهذه الشجرة من ثابت في الارض لانها ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد في السماء
كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا اعتقاد اصل ثابت
فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقاع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظل اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا
وقال الموقوف اصح قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت لما وصف الله
الكلمة الطيبة في الاية المتقدمة اخبر في هذه الاية انه يثبت الذين امنوا بالقول الثابت
والقول الثابت الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين
ولما وصف الكلمة الخبيثة في الاية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الاية
ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله
في الحيوة الدنيا يعني في القبر عند السؤال وفي الاخرة يعني يوم القيامة عند البعث والحساب
والقول الاول الذي عليه الجمهور اصح ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية
يقال له من ربك فيقول الله ربي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم ق عن انس

كذا

ثبات

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس وأما الكافر والمنافق في رواية وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين رواه البخاري ولمسلم نحوه وزاد في رواية إنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون أخرجه أبو داود وعن أنس وهذا لفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا وضع في قبره وأتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فإن هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يفتل عن مثل مجلسي هذا حتى يغفر الله له ذنبه كله ويبدل مكان كل سيئة حسنة فيقول دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له اسكن فأما الكافر والمنافق إذا وضع في قبره وأتاه ملك فيقعده فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين رواه البخاري وأخرجه النسائي بمعناه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أقبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وإن كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا معه كأنما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به

إلى الأرض

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

في الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا
زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا
من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول
ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم
فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت به وصدقت
زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا
الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته
قال فيعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاهاه لا ادري
فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاه
لا ادري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له
بابا الى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه
زاد في رواية ثم يقيض له اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا
فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه
الروح اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه الان يسال
اخرجه ابو داود عن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال حضرنا عمرو بن العاص وهو
في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدران فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه
اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه ثم قال ان افضل ما نعد
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت
فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري
قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي
اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله
تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحيوة الدنيا وحبهم
لها فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها في قلبه اعظم فينبغي

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قوله ينبغي للعبد الخ
ان يكثر من ذكر لا اله الا الله الخ

للعبد المسلم ان يكثر من ذكر لا اله الا الله **محمد** رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده
وتومه ويقظته وجميع حركاته وسكونه فانها كلمة عز وجلالة يترتب قد يبركة مواظبته
على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين ما فيه خلاص
من عذاب القبر نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه
وإحسانه انه على كل شيء قدير **وقوله تعالى** ويضل الله الظالمين يعني ان الله تعالى
لا يعجز المشركين الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشاء يعني من التوفيق والخذلان
والهداية والإضلال والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون **قوله عز وجل** الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الخ عن
ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله قال هم كفار اهل مكة **وفي رواية** قال هم
والله كفار قريش قال عمر وهم قريش **ومحمد** نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار قال النار
يوم بدر **وفي عمر** على رضي الله عنه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قريش قال هم كفار قريش مخزوم وأبو جهل بدر وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنو المغيرة وبنو امية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر
وأما بنو امية فقد متعوا الى حين **وقوله** بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم
على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم بما رسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر
الى نور الايمان واختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم **وقيل** يجوز ان يكون بدلوا شكر
نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا
الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم بعني رتبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني
دار الهلاك ثم فسرها **بقوله** تعالى جهنم يصلونها وبئس القرار يعني المستقر
وجعلوا لله اندادا يعني امثالا واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا يشبهه ولا يماثله
تعالى الله عن الند والشبيه والمثل **وقوله** ليضلوا عن سبيله يعني ليضلوا الناس عن دين
الهدى والحق فل تمتعوا اي قل يا **محمد** لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا قليلا ايا ما فانا مصيركم
وما مصيركم الى النار يعني في الاخرة **قوله تعالى** قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة
يعني أقيموا او ليقيموا الصلاة يعني الواجبة وانما شهدا لها بالاقامة لانها اعظم اركانها وابعضها
رزقناهم فيه اراد بهذه الانفاق اخراج الزكوة الواجبة **وقيل** اراد به جميع الانفاق في جميع
وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكوة والانفاق في جميع

ديبر

وجوه البر

280

وجهر، السر سرا وعلانية، يعني ينبغي أمر السر حال السر وحال العلانية وقيل
اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكوة الواجبة مرفلا ربا تبيع ولا بيع فيه
قال ابو عبيد، البيع ههنا الفداء يعني لا فداء فيه ذلك اليوم ولا خلة يعني ولا خلة وهو المودة
والصداقة التي تكون بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة
ولا قرابة انما الاعمال إما أن يثاب بها او يعاقب عليها فان قلت كيف نفى
الخلة به هذه الاية وبالاية التي في سورة النجم واثبتها به قوله الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين قلت الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب
ميل الطبيعة وزعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة
الحاصلة بسبب محبة الله الا ترى، أن ثبتها المتقين بفضله وبما هاعن غيرهم وقيل ان
يوم القيامة احوال مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطفها
الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله في محبته فوله عز وجل الله الذي
خلق السموت والارض وانزل من السماء ما، فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم أن
نقدم تفسير هذه الاية به مواضع كثيرة وقد ذكرنا هناك بعض ما يرد هذه الاية
الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء، اراد، بقوله الله الذي خلق
السموت والارض انما بدا بذكر خلق السموت والارض لانهما اعظم المخلوقات المشاهدة
الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء، يعني من السحاب سمي
السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل أن المطر ينزل من
السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم
الثمرات اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا
اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات نيابة للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات
وسخر لكم البلد لتجري في البحار، كما ذكر انما نعامه بما تنزال الحكم واخراج الثمر لاجل
الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير البحار لجارية على الماء لاجل
الانتفاع بها وجلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد اخر فبقي
مرتبا نعم الله على عباده، وسخر لكم الانهار، يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم
ولما كان البحر لا ينتفع به في تفجير الزروع والثمرات ولا يمكن ان يتخذ منه نعمته على عباده،

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده. وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم
عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر مجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى
اخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤوبهما في طاعة الله عز وجل
وقال بعضهم معناه يدأبان في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان
لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء
الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده. وسخر لكم الليل والنهار. يعني
يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم
وءاتيكم من كل ما سالتموه. لما ذكر الله تعالى النعم العظيمة التي انعم بها وسخرها لهم بين
بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا ياتي على بعضها
العد والحصر والمعنى وءاتيكم من كل شيء سالتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام
على التبعيض وقيل هو على التنكير يعني وءاتيكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا اكثر
من ان تحصر وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها
ولا عدها لكثرتها ان الانسان قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس
ولكن يقصد به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير
من انعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها
عليها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة
فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا
قلت الفرق بينهما انه سال في الاول احد من ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها
فيها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن
كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني
ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الاية اشكالات وهي من وجوه الاول
ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة امنة ثم ان جماعة من الجبابرة قد اغاروا عليها واخافوا
اهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك

فما الفايدة

271

لما العابد ذكره قوله واجنبني وعبادتها الوجه الثالث أن إبراهيم سأل ربه أيضا أن يجنبه وعبادة الأصنام وقد وجد كثير من بنيه عبدة الأصنام كمثل بعض قريش وغيرهم ممن ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام فلنذكر الجواب عن الوجوه المذكورة وجوه، فالجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر أحد على إخراب مكة وقد ورد على هذا ما روى البيهقي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني من الغرق في القيامة ومن خراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بغصة ذي السويقتين فلا تعارض بين التخصيص الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء والمعنى يرزقهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى أن من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله وحتى أن الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم استوحشت وإذا دخلت الحرم استأنست فعلمنا أنه لا يقصدها أحد بسوء الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن الوجه الثاني الوجه من وجوه أيضا الأول أن دعاء إبراهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت بمعرفة قوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام وإن علم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والعافة إلى فضل الله ورحمته وإن أحدا لا يقدر على قمع نفسه بشيء لم يتقمعه الله به ولهذا اشتد خوف النفس بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الأسئلة فالجواب عنه من وجوه الوجه الأول أن إبراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يبعد أحد منهم فلعل الوجه الثاني أنه أراد أولادا وأولاد أولاد الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن آمن بالله منهم بدليل قوله وبنى الذين آمنوا بالدعاء لهم لا رد دعاء الأنبياء مستجاب وقد كان من نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء في العام المخصوص الوجه الرابع أن هذا مختص بالمؤمنين من الأولاد والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى رب انهن يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا
مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها
اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني فانه
مني يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما
قال الشاعر اذا حاولت في اسر فجورا فاني لست منك ولست مني اراد ولست من المتمسكين
بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي في القرب والاختصاص ومن عصاني يعني في
غير الدين فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وشرح
ابو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرايع وعقد التوحيد فانك غفور
رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت ان كان مسلما وذكر وجهين اخرين احدهما ان هذا كان قبل
ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهذا يقرر ان ذلك غير محظور فلما
عرف انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر
فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتهديه
الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم خ عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه
حتى وضعهما عند البيت عند درجة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس
بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا
فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس
ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا
يضيعنا ثم انطلق رجعت فانطلق ابراهيم ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال
رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوي
او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت
عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت
الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة

ربنا

فقامت عليها

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

282

فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت مه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك
غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت
تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف
وفي رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت
زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال
الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله
وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا
في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما
فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء
فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا
معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم
حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل
يطالع بركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة
البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي
وهو اسماعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل
ابي قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده
ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون
به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع
منه وقيل سمي محرما لان الزائرين له يحرمون على انفسهم اشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمي
عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة او من الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم
ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل اوحى اليه

الحلم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

واعلمه ان هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمره فلذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع ايام الطوفان وقيل يحتمل ان يكون
المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك انه سيحدث في هذا المكان ربنا ليقيموا الصلوة اللام
في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني اسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل واولاده بهذا الوادي
الذي لا زرع فيه ليقيموا اي لاجل ان يقيموا او لكي يقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس قال البغوي
جمع الوفد تهوي اليهم اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال
ابن الجوزي افئدة من الناس اي قلوب جماعة من الناس فجعله جمع فؤاد قال ابن الانباري وانما عبر
عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهري
الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض
قال مجاهد لو قال افئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير
لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال
الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى اسفل وقال الفراء تهوي اليهم
تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال
ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما
اقوال المفسرين فقال يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تنزع اليهم وفي هذا بيان ان
حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاغنائهم وفيه دعاء للمؤمنين بان يرزقهم الله
حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته لانهم يرتفقون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت
فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت
بركته وارزقهم من الثمرات يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد
عمارة قرى بقرى مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة
بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تجبى اليه ثمرات كل شيء وقوله لعلهم يشكرون
يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل لعلهم يوحدونك ويعظمونك
وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا ليستعين بها على اداء العبادات واقامة
الطاعات ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت
فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا

ابن عباس

الى الدعاء

الى الدعاء والكلب انما ندعوك اضطرارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي وما نجد بفرقتنا اسماعيل وامه حيث
اسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن
في القلب وما نعلن يعني ما جرا بينه وبينها حين عند الوداع حيث قالت لابراهيم الى من تكلنا
فقال الى الله قالت اذا لا يضيعنا وما يخفى على الله من شيء في الارض وفي السماء قيل هذا
من تتمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو علام الغيب من شيء في كل مكان وقال الاكثرون
انه من قول الله تصديقا لابراهيم فيما قال وهو كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اسماعيل واسحاق قال ابن عباس ولد اسماعيل وهو ابن اربع وعشرين سنة وولد له
اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحاق
وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن
من اعظم المنن لانه يسر الباسر الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء جمع ضمير اسماعيل واسحاق في الدعاء
وقت واحد وانما بشر باسحاق بعد اسماعيل بزمان طويل فلت يحتمل ان ابراهيم
عليه السلام انما تاب بهذا الدعاء عند ما بشر باسحاق وذلك انه لما عظمت المنة عليه
بهبة ولد يرغب عظيم عنه كبر قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
وقد يستدل على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند معرفته اسماعيل وامه
قال الذي صح في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون واذا ثبت
هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق بعد وقت اخر والله اعلم
بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعاء كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله
رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه وقبل ما سأل شكر الله على ما اكرمه به
واجابة دعائه بعد ذلك فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي
لسميع الدعاء وهو من قول من سمع الميلاد كما قال اذا اعتذبه وقبله رب اجعلني مقيم الصلوة يعني
ممن يقيم الصلاة بامرها ونهاها ويحافظ عليها بادائها وفائتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيم
الصلاة وانما ادخل لبعضية من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم بالوحي الالهي
انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلوة فلهذا قال ومن ذريتي وارادهم الموفين

لابراهيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله
على محمد النبي وآله

مرد بيته. ربنا وتقبل دعاء سأل ابراهيم عليه السلام ربنا يتقبل دعاءي فاستجاب الله
لابراهيم وقبل دعاءه بفضله وكرمه. ربنا اغفر لي قال قلت طلب المغفرة من الله
انما يكون لصاحب ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء
من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع
الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ولو الدي
قال قلت كيف استغفر لابويه وهما كافران قلت اراد انهما اسلما وتابا
وقيل لما قال ذلك قيل له انهما من اصحاب الجحيم وقيل انه انما اسلمت جدعاتها
وقيل اراد بوالديه آدم وحواء. وللمؤمنين واغفر للمؤمنين كلهم يوم يقوم الحساب يعني
يوم يقوم ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب واكتفى بذكر الحساب
لكونه معلوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله
ابراهيم بفيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل
حقيقة الغفلة تصور يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال
فلا بد من تأويل الاية فالمقصود منه انه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم فيه وعيد وتهديد
للظالم واعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه قال
سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قال قلت يتعالى الله ان يصفه
والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى
قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت انما خاطب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل احد وجها التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله
غافلا بهو كقوله ولا تكونن من المشركين وادع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين
امنوا امنوا اثبتوا على ما انتم عليه والوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على
سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى لا تحسبنه بعاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن
يعاملهم معاملة المراقب المحيط علمه بالحاسب ليجازي على الصغير والكبير وان كان المخاطب
غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال للمراقب الناظر يعتبر عارف بصفات الله

نم بحمد الله

محمد جوز ان يسبه غافلا بل مخفلة بها تد. انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
فقال تشخص بصر الرجل اذا ذهبت عيناه، مفتوحتين لا يطرف بهما وشخص البصر
يدل على الحيرة والدهشة وهول ما يرى وذلك اليوم. مهطعين قال قتادة مسرعين
وهذا قول ابي عبيدة، وعلى هذا المعنى الغالب رجال مرفوضة، شاخصا رؤسهم الخوف،
فانه يفزعهم فيما بلغنا وبين الله تعالى في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف
الحال المعتاد واخبر انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي
وقيل الماضي الذليل الساكت. مقنعي رؤوسهم والاقناع رفع الراس يقول ما هل
الموقف رؤساتهم انهم رافعوا رؤوسهم الى السماء. وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء
فانه يكون ينظر الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء. لا ينظر
احد الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع اليهم ابصارهم رؤسهم الخوف
فهي شاخصة لا ترتد اليهم وقد شغلهم ما يرايد بهم وافئدتهم هواء اي خالية قال قتادة
خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت بحناجرهم فلا تخرج فترجع اليهم ولا تعود الى اماكنها
ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لانها بشيء ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد
ابن جبير وافئدتهم هواء اي متخرقة تنفذ فيها جواهم ليس لها امكان تستقر فيه ومعنى
الاية ان القلوب يومئذ زايلت مراكنها والابصار شاخصة والوجوه ناظرة الى السماء.
وهول ذلك اليوم وشدته. وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة
وهو قوله يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا. يعني كفروا بقتل بالخذلان والمعاصي
ربنا اخرنا الى اجل قريب. يعني امهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا
حتى يوحدوا ويتبعوا الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل. يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال. يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث
ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم. يعني بالكفر والمعاصي مرحا بنا فيها كمساكن
الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم. يعني وقد
عرفتم كيف كان عقوبتنا اياهم. وضربنا لكم الامثال. يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل
في القرآن لتتدبروها وتعتبروا بها فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم
الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى عليهم ان يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه

معه
على شيء هول هذا اليوم
نعوذ بالله منه

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من العقاب والهلاك قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير الى
من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا
القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار
قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني بسبب
مكرهم بك وقوله وعند الله مكرهم يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله
ليجازيهم به يوم القيامة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني وان مكرهم لاضعف
من ان تزول به الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت
كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب في الاية قولا اخر وهو انها نزلت
في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا
انتهي حتى اصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور فربّاهن
حتى شبت وكبرت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلا وبابا من اسفل ثم
جوع النسور وجعل خشبات اربع في اطراف التابوت وجعل على رؤوس تلك الخشبات
لحما احمر وقعد هو في التابوت واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت
من اسفل فجعلت النسور كلما رات اللحم طرن اليه فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت
في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلا وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر
فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل
فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت
حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلا ففعل فاذا
السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي ايها
الطاغية اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب
فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت نفسها في بحر
في الهواء وقيل طائر اصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا قال كفيت اله السماء
ثم امر نمرود صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت
النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت

ان قد حدث

ارفد حدثت حدثان السما. وان الساعة قد قامت فكادت تتزول عراما كنهاد
وذلك قوله واركان مكرع لتزول منه الجبال استبعد بعض العلما. هذه
الحكاية وقال لان الخبر فيه عظيم وما يكاد عاقل ان يقدم على مثل هذا اللو العظيم وليس
فيه خبر صحيح يعتمد عليه ويصير لاجله نسبة هذه الحكاية وتاويل الاية البتة
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله. يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله
من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واوليائه ومهلك اعدائه وفيه
تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف رسله وعده ان الله عزيز ذو انتقام
يعني من اعدائه قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموت ذكر
المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما انه تبدل صفة الارض والسما. لاذا اتى
على الكلام في تبديل الارض والسما.
فلما تبديل الارض فتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وقد يقب انشقاقها وجميع
ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء الا ذهب وتمد مد الاديم واما
تبديل السما. فهو ان تنتثر كواكبها ويكسر شمسها وقمرها ويكورا وكونها
نارا كالدهما وتارة كالدهان وبهذا القول قال جماعة العلما. وبدل لصحة هذا
القول ما روى عمر بن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد قال فجاء الهيثمي
العفراء بالعين المهملة وهي البيضا. الحمرة ولهذا تشبهها بقرصة النقي وهو الجيد
البياض الجيد العايق الذي الى حمرة كان النار مسته بياض وجهه الى الحمرة وقوله ليس فيها علم
لاحد يعني ليس عليها علامة لاحد لتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنايها فلا يبقى فيها
اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما. وهذا قول جماعة
العلما. ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال
تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض فضة والسما. ذهب وقال ابي بن كعب معنى التبديل
بان تصير الارض نيرانا والسما. جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب
القرظي تبدل الارض خبزة بيضا. ياكل المومن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يكفوها الجبار

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بيده كما يكفؤا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجاه في الصحيحين بزيادة
فيه قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون
والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم الخاء.
قال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفؤها بالهمز بيده اي
يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة
وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس
كمثله شيء. ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او كالرغيف العظيم
وتكون طعاما نزلا لاهل الارض والله على كل شيء قدير فان قلت اذا فسرت
التبديل بما ذكرت فكيف يكون الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها
وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل
اولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك تبدل
تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل
ما روي عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه
مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم
تبدل الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين
الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده وقوله
تعالى وبرزوا يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب
الواحد القهار صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن
الشبيه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض
يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شددته معه في رباط واحد في الاصفاد يعني في القيود
والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد تقرن
ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض
سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كلما لبس من قطران

القطران

الفحل ذكر يتخذ من شجر الأثل والعرعر والنبوت كالإبرة تدهر بها الإبل
إذا جربت وهو القطران يقال قطرنت البعير أقطره بالقطران وهو الفحل قال
الزجاج وإنما جعل لهم الفحل أسرابيل لأنه يبالغ به اشتعال النار بالجلود ولو أراد
الله المبالغة به لحرقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب
من فطر إلى كل منير ضوء تنير والفحل القماص الذي انتهى حره وتغشى
وجوههم النار يعني تعلوها وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير أو شر
إن الله سريع الحساب يعني إذا حاسب عباده يوم القيامة هذا بلاغ للناس يعني القرآن
فيه تبليغ وموعظة للناس ولينذروا به يعني وليخوفوا بالقرآن وهو أعظم وزواجر
وليعلموا أنما هو إله واحد يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى
وليذكر أولوا الألباب يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولوا الألباب يعني
أولوا العقول والألباب الصحيحة فإنه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وانقضى كتابه

تفسير سورة الحجر وهي مكية بإجماعهم

وهي تسع
وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن
المبين الكتاب الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم
والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل بكونه كتابا وبكونه قرآنا وأي قرآن كامل فصل
الكتاب الجامع للكمال والقرآنية البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل لأنه
عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وبعد القول ليس بالقوي كما لم يجز
للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وإنما جمعهما
بوصفين لكل واحد منهما وصف واحد لأنه ذكر الجامع وهو التفخيم والتعظيم والمبين
الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما
لغتان وربما للتقليل وكم للتكثير وإنما زيدت ما مع ربما ليليها الفعل تقول ربما رجل
جاءني وربما جاءني زيدان وإن تثنيت جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت ربما شيء يكون المعنى
ربما يود الذين كفروا وقيل هو ربما بمعنى حين أي ربما حين يود بمعنى يتمنى الذين كفروا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لان التمني هو تشهي حصول ما يود، واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين
كفروا لو كانوا مسلمين على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت
الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه
ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون
في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب
فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال العذاب
ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا راى الكفار ان الله تعالى يرحم المسلمين
ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المومنين من النار عن
ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله
من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم
اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته
فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه
وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم يعني النخعي فان قلت
رب انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف
قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على
مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعله ولا يشكون في ندمه
ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك الا تفعل
هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل
منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد ومعناه يكفيك
قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب
لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف
قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في افعال اخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه كانه قال ربما ورد قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا

المسلمين

يعني دع

يعني دع يا محمد بقوله الكفار بالكلية بالدنيا وبتمتعوا بلذاتها ويلهها الامل
يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بكتاب الله تعالى حتى يعلمون يعني اذا وردوا
القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها
ولم يأخذ بحظه من كتاب الله عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وتسوف يعلمون تهديد
آخر حتى ينقضي العيش بتمامه وتهديد وهذه الاية منسوخة بآية القتال وهذه الاية
دليل على ان ابتغاء التلذذ والتمتع بالدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المؤمنين قال علي
ابن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنتين اتباع الهوى وطول الامل فاتباع الهوى يصد عن الحق
وطول الامل ينسي الاخرة وقال بعضهم اتباع الهوى من طول الامل ينسي الاخرة
واتباع الهوى يصد عن الحق وقال بعضهم فريتهم يعني ما يعملون فيها واراد هذا الاستمتال
الاول منها كتاب معلوم اي اجل مضروب ووقت معين لا يتعدى العذاب عليه ولا يتأخر عنه وقال ابن عباس
الكتاب الوقت الذي كتب في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها من زائدة في قوله وما يستأخرون
كقوله ما جاءني من احد يعني احدا وقيل هي على اصلها لانها تفيد التبعيض في هذا الموضع
فيكون ذلك بعاد عمر النبي الذي ومعنى الاية ان لكل اجل مضروب لهم وهو وقت الموت او نزول
العذاب لا يتعدونه ولا يتأخرون عنه فقوله وما يستأخرون قال ادخل العرب في اجلها لارادة
الامة واخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال فقوله عز وجل وقالوا يعني كفار
مكة يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القرآن واراد به محمدا صلى الله عليه وسلم انك لمجنون انما
نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه
الغشي ويظنون انه ذلك جنون وهذا النسب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما
مستغربا من غيره قد نسبه الى الجنون وانما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واتى
بهذا القرآن العظيم انكروه ونسبوه الى الجنون انما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق
الاستهزاء وقيل معناه يا ايها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقادا لما به
وانتما عنه انك لمجنون في ادعاء الرسالة لو ما قال الزجاج والفراء لو ما تأتينا بالملائكة يشهدون لك بانك رسول
من عند الله حتى نؤمن بك وقال ابن عباس ما تنزل الملائكة الا بالحق يعني بالعذاب ووقت الموت
وهو قوله وما كانوا اذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم ينظروا ولم يؤخروا ساعة
واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا

على هذا الكلام

ح
ان قتيبة

ما جاء بسم الله عز وجل بعدا والمعنى لو زلزلوا عما نالهم من الكبار الاهوال وعذبوا
الحال اليوم منوا وبصدقوا انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن انزلناه عليك يا محمد وانما قال
تعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا للقول يا بيعا الذي نزل عليه الذكر جاء خبر الله عز وجل انه هو
الذي انزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون والضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا
للذكر الذي انزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه او النقصان منه او التغيير والتبديل والتحريف
بالقرآن العظيم محفوظ فريد الا نبيا كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد
فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب
المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان وقد تولى الله
عز وجل حفظ هذا الكتاب فبقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن
السايب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون مما يريد
بشر به بعضهم من الناس وقد وجد هذا القول ان الله تعالى لما ذكر
الانزال والتنزيل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه
لكونه اوضح معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه بظاهر
التنزيل ورد الكناية الى اقرب المذكور اولى وهو الذكر واذا اخبر ان الكناية عائدة الى القرآن
وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه
بان جعله معجزا باقيا مبينا لكل البشر معجزا لهم عن الزيادة فيه والنقصان منه
لانه لو اراد والى زيادة فيه او النقصان منه كتغيير نظمه ونحو ذلك لكل عالم عاقل وعلموا
ضرورة ان ذلك المزاد ليس بقرآن وقال اخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر
احد من الخلق ان يعارضه وقال اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه
من الوجوه فيفيض له العلماء يجتهدون ويذبون عنه الى اخر الدهور لان داعي جماعة
من الملاحدة والبيعود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين كما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخاطبوه بالشعاهة وهو قولهم انك لمجنون وافتراء والاذية عليه بما خبر الله
تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار بقديم الزمان مع انبيائهم كذلك فلك
يا محمد اسوة به الصبر على اذى قومك جميع الانبياء بقيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

وبه الثقة عليه توكلوا

وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا فقلنا يا محمد مثل ذكر الرسل لقد مالت الأرسال عليه وقوله تعالى يشيع الأولين شيعة هي الفوج المجتمعة المتبعة كالمتبع وقال أبو عبيدة الشيعة هي الأتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الأنصار ويعتضدون بهم عنه بقوله يشيع الأولين من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ في الشيء والدخول فيه والسلك إدخال الشيء في الشيء كما يدخل الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي قومك وفيه رد على القدرية والمعتزلة ونحن نبين إن شاء الله تعالى ثبوت القدر لمن أذن له في الإيمان ولم يعاند وقال الواحدي قال أهل المعاني إذا دخل الكفر في قلوب الكفار وتمكن لهم منه لم يؤمنوا بالقرآن فلم يستحسنه وقال الماوردي أخبر الله تعالى أنه سلك الكفر في قلوب الكفار على أنه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب العباد فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قال المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا البعض فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا إليه واجيب عنه بأنه تعالى قال وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد إليه والاستهزاء بالأنبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين أنه الكفر والضلال والله أعلم وقوله تعالى لا يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن وقد خلت سنة الأولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخبرهم أنه ينزل بهم مثل ما أنزل بالأمم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم باب السماء يعني على أهل مكة فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لولا أنزل إلينا الملائكة باب السماء فظلوا يعني يظل كل ملك يعمل كذا إذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا إذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وهي المشار إليه بقوله فظلوا فيه يعرجون فيرون أحد شيئين إما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصارهم لرأوا الملائكة يعرجون والملائكة تصعد فيه كما آمنوا والقول الثاني أنهم الملائكة المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى بظل المشركون

يصعدون بذلك الباب فينظرون به ملكوت السموت وما فيها من الملائكة لما امنوا
بما دفع وبعرج وقالوا انما سُحِرنا وهو قوله تعالى لقالوا انما سُكِّرت ابصارنا قال
ابن عباس شُدَّت ابصارنا ما خوذ من سكر العراد اذا حُبِس ومنع من الجري وقيل هو من سكر
الشراب والمعنى ابصارنا حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير
العقل وفساد النظر وقيل سُكِّرت يعني غُشِيَت ابصارنا وسُكِّنت عن النظر واصله
من السكون يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا
محمد وعمل فينا سحره وقال اهل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تنزل عليهم الملائكة فيروه عيانا ويشهدوا بصدقه فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا
وشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا سُحِرنا فلا سبيل لنبيه الى ازالة الشقاوة عنهم قوله عز وجل
ولقد جعلنا في السما بروجا يعني البروج التي تنزل فيها الشمس وتسير فيها واحدها
برج وهي بروج البلد الحرام اثنا عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة
على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منها ثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر
في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج
منها ثلثون درجة تقطعها الشمس في كل ستة وتسعين يوما وبها تتم دورة البلد ويقطعها القمر
ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر
يعني منازلهما وقال عطية هي قصور في السما عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد
وقتادة هي النجوم العظام قال ابو اسحاق ثم يدور نحو هذه البروج وهي نحو على
وشبيت هاهنا هذا كله من الصور وزيناها يعني السما بالشمس والقمر والنجوم الثوابت
يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شيء
وخلقه وصوره وحفظناها يعني السما من كل شيطان رجيم اي مرجوم فعيل بمعنى مفعول
وقيل ملعون مكروه رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا تحجب عن السموت وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا
من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموت اجمع فما منهم من احد
يريد ان يستمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المصاعد وذكروا ذلك لابليس فقال لقد

حدث في الارض

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا
القرآن فقالوا هذا والله حدث الا من استرق السمع. هذا استثناء منقطع معناه لكن
من استرق السمع فاتبعه اي لحقه شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع ثم لاجل
سمي الكوكب شهابا لما فيه من البريق شبهه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله
الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم على بعض الى السماء
يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق
وجهه او جنبه او يده او حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي
خ عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقون السمع هكذا بعضه فوق بعض
وصف سفيان بكفه فخرقها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها
الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها
وربما القاها قبل ان يدركه فكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا
فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. فصل اختلف العلماء هل كانت
الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما
انه لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء امره وكان
ذلك اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال
انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث
يدل على ان الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي
ويعضده ما روي ان يعقوب بن عيينة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من
قرع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني
علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن
انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف
والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي ترمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله على
محمد النبي بعده

الذي بينها وان كانت نجوما غيرها وهي كما ينبغي على حالها هذا لم يزل الله يفعل الخلق
قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء الذين ذكروا
البرق والاشياء التي عندهم يوجد بها شعرهم اذ الكواكب المنقضة فلما حدث بعد مولد
صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة كأنه كوكب ارمى بني مضر
بسواد الليل منقضب والفول الظل ارد لذلك كان مع جودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكانوا يرمون بالنجوم في الجاهلية قال نعم
قلت أرأيت قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشددت امرها حين بعث
محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عمر ابن عباس قال اخبرني رجل
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية
اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك
اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح
الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم
ما قال فيستخبر اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع
فيقذفون الى اوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفون فيه ويزيدون
اخرجه مسلم قال البرجمي فانه الرجم كان قبل مبعثه ولكن يكون شدة الجراسة بعد مبعثه
قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر براق حان وهو جاهل
والعير يرفعها الغبار وحميتها اينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بحجر
وهو جاهلي ولا نفض كالذي يتبعه نفع يثور نخاله كينا
والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان مع جودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فلما بعث شدد ذلك وزاده حفظ السماء وحراستها لاخبار الغيوب والله اعلم
قوله تعالى والارض مددناها يعني بسطناها على وجه الماء يقال امتد الحبل
ومنه الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الطبيعة انها كرة
عظيمة بعضها ماء وبعضها خارج عن الماء وهو البر المعمور منها واعتذروا

على قوله تعالى

بعض
عيقذف بوزنه
الابعد الخ

عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح
العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر
بذلك والله اعلم بمراده وكيف هي الارض والقينا فيها رواسي يعني جبالا ثوابتا
وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض على الماء مادت وزحفت فاثبتها بالجبال وانبتنا
فيها اي في الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال
لانها اقرب مذكور ولقوله من كل شيء موزون وانما يوزن ما يتولد في الجبال من المعادن
من كل شيء موزون قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور
فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في
معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا
بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص
والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى
موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت
حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان موزونا متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف
وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن
وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن
لان الصاع والمد مقدران بالوزن وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهو ما يعيش به
الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك ومن لستم له برازقين
يعني الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله
ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من في قوله ومن لستم بمعنى ما لان من
لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله فمنهم من يمشي
على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم من لا يعقل من
الدواب والوحش وان من شيء الا عندنا خزائنه الخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا احرزه وقيل اراد مفاتح الخزائن وقيل
اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير

BULAC

الحمد لله حمدا وصلى الله على
محمد وآله وسلم

ومعنى هذا انه بحكمه وقضائه وقدره وتقديره تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم
يعني بقدر الكفاية **وقيل** ان الكل ارض جدبا او مخصبا او مقدارا من المطر يقال ما نزل من السما.
فكثر مكثر الا وعندها ملك يسوقها حيث يشاء الله تعالى **وقيل** ان المطر ينزل من السما.
كل عام بقدر واحد لا انه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يصرفه كما يشاء اخبر **وقيل** اذا
اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بهم شرا صرف المطر عنهم الى حيث
لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمل والبحار ونحو ذلك **وحكى** جعفر بن محمد
الصادق عن ابيه عن جده انه قال ما في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر
والبحر دهوتا وبلغوله وارضين الا عندنا خزائنه. وارسلنا الرياح لواقح.
قال ابن عباس يعني الشجر وهو قول الحسن وقتادة. واصل هذا من قولهم لقحت الناقة
والفحلها اذا القى فيها الماء فحملت فكذلك الرياح تحمل الماء فتلقحه السحاب **قال** ابن مسعود
في تفسير هذا الآية يرسل الله الرياح فتثير السحاب فتحمل الماء فتلقحه السحاب
ثم تمريه فيدر كما تدر اللقحة **وقال** عبيد بن عمير يرسل الله الرياح المبشرة
فتثير الارض فما شم يرسل مثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب
بعضها الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر **والاصح** في هذه
الآية الفاحها السحاب لقوله بعد وانزلنا من السما. **قال** ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة
من السما. الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه
والجنوب تدرّه والدبور تفرقه **وقال** ابو عبيد لواقح هنا جمع ملقحة حذفت
الميم ورُدّت الى الاصل **وقال** الزجاج يجوز ان يقال لحامل لواقح وان لقحت غيرها لان معناها
التذكير كما يقال درع وان شئت ذروز **واعترض** الواحدي على هذا فقال هذا البيت
يغير لانه كان يجب ان يجيء اللافح بمعنى ذات لقح حتى تعود قول المفسر **واجاب**
الرازي عنه بان قال هذا ليس بشيء. لان اللافح هو المنسوب الى اللقحة وارادة هذه اللقحة
هنا لا تستقيم الى اللقحة **وقال** صاحب المفردات لواقح اي ذات لقاح **وقيل** ان الريح
تحمل نعم تسمى لافحا حاملة للسحاب والدليل عليه حتى اذا اقلت سحابا ثقالا
اي حملت بعد هذا يكون الريح لا لقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب **قال** الزجاج ويجوز
ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما يقال لها عقيم اذا اتت بغير **وروى** بعض الاخبار

ان اللقح

حم
ما ننزل من السما. فكثر مكثر
الخ

لقحت

ملقحة

اللقحة
قوله
لا لقحة

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

391

أن اللقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب إلا وانبعثت عينا غدقة
ق عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خير ما فيها
خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وروى البغوي
بسنده إلى الشافعي أن ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا قال ابن عباس في كتاب الله العزيز إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم الريح العقيم
وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى فأنزلنا
من السماء ماء يعني المطر فأسقيناكموه يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال أسقى فلان فلانا
إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا
إذا كان لشفته فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو مواشيه تقول أسقيته وما أنتم له يعني
للمطر بخازنين يعني أن المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين وإنا لنحن
نحيي ونميت يعني بيدنا إحياء الخلق وإماتتهم لا يقدر على ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى
لأن قوله وإنا لنحن يعيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ونحن الوارثون وذلك بأن نميت
جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث
هو الباقي بعد ذهاب غيره والله تعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتعهم بما أنالهم
في الحيوة الدنيا لأن وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فإذا فني جميع الخلائق رجع
الذين كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز إلى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق إليه
قوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين عن ابن عباس
قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس فكان بعض
الناس يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر
فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن أبي الجوزاء نحوه ولم يذكر
فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن إلى
الجماعات فيقمن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صف الرجال
ومن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية

وشر ما فيها

لشربه

BULAC

العمر للبيهقي وصلى الله
على من لا نبي بعده

بعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير
صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد
بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله بعد وقال مجاهد المستقدمون
يعني الغزو والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون
يعني بالطاعة والخير والمستأخرون المنكوص عنها وقال الواقدي أراد بالمستقدمين
المصلين أول الوقت والمستأخرين المؤخرين عنها إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين
والمستأخرين يوم بدر قتال وقال ابن عيينة أراد من سبق أولا ومن سبق آخرا وقال ابن
عباس في رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الأول فازدحموا عليه وقال في
كانت بيوتهم فاصية عن المسجد لئن عزم لنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك
الصف المتقدم فنزلت الآية ومعناها أنا نجازيهم على النيات فاكمنوا وسكنوا فيكون معنى
الآية على القول الأول المستقدم للتقرب والمستأخر للشر وعلى القول الآخر المتقدم لطلب
الفضيلة والمتأخر للعذر ومعنى الآية أن علم الله تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم
وكما يعلم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء فأجوال خلقه وأزيد هو يحشرهم يعني على ما علم منهم
وقيل إنه تعالى لما بين أحوال الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين على ما ماتوا عليه عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه فوله تعالى ولقد
خلقنا الإنسان يعني آدم عليه السلام وجميع البشر سمي إنسانا للظهور وإدراك البصر
إياه وقيل من النسيان لأنه عهد إليه فنسي من صلصال يعني من الطين اليابس الذي إذا
نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نقب
عنه أنتن تغشى فإذا جف تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال
هو من صل اللحم وأصل إذا أنتن مرحما يعني من الطين الأسود مسنون أي متغير قال مجاهد
وقتادة هو المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء إذا
صببته قال ابن عباس هو التراب الجيد جعل صلصالا فجعل فخارا والجمع بين هذه الأقوال
على ما ذكره بعض أهل الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض فوحد البيد
للإشارة بقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم إنه بل ذلك التراب
بالماء وعجنه حتى اسود وأنتن ريحه وتغير والبيد للإشارة بقوله من حمإ مسنون

قول

ثم ذكر

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

292

ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت
تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار
وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا والجان
خلقناه من قبل يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وقال
قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون
ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا
يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين
ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح
ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين
من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر
من نار السموم يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله
ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح
السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا احدث الله
امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالصدمة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب
وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار
جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلى
هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم
وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور قوله عز وجل
واذ قال ربك للملائكة اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا سمي الادمي بشرا
لانه جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد من صلصال من حما مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته
يعني عدلت صورته واتممت خلقه ونفخت فيه من روحي النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف
جسم ما خر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي واضاف الله
عز وجل روح ادم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله
وعبد الله وسيجيء الكلام على الروح في تفسير سورة سبحان عند قوله ويسئلونك عن الروح
ان شاء الله تعالى فقعوا له ساجدين الخطاب للملائكة الذين قال لهم الله اني خالق بشرا امرهم

على الكلام في الجن

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة
فسجد الملائكة يعني الذين أمروا بالسجود لآدم كلهم أجمعون قال سيبويه هذا
توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن
يكون سجد بعضهم فلما قال بعضهم زال هذا الاحتمال فظهر بهذا أنهم سجدوا بأسرهم ثم
بعد هذا بقي احتمال آخر وهو أنهم سجدوا في أوقات متفرقة أو في دفعة واحدة فلما قال
أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد
قال وقول الخليل وسيبويه أجود لأن أجمعين معرفة فلا يكون حالا روي عن ابن عباس أن الله
تعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال
لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين يعني مع الملائكة
الذين أمروا بالسجود لآدم قال يعني قال الله يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال يعني قال
إبليس لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون أراد إبليس أنه أفضل من آدم لأن آدم
طيني الأصل وإبليس ناري الأصل والنار أفضل من الطين فيكون إبليس في قياسه أفضل من آدم
ولم يدر الخبيث أن الفضل فيما فضله الله قال فاخرج منها يعني من الجنة وقيل من السماء فإنك رجيم
أي طريد وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قيل إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض
فهو ملعون في السموات والأرض فإن قلت إن حرف إلى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن
عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا إلى اللعنة التي عليه كأنه
قال وإن عليك اللعنة فقط إلى يوم الدين ثم تزاد بعد ذلك معها عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له
قال رب فأنظرني يعني أخرني إلى يوم يبعثون يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال أنه لا يموت أبدا
لأنه إذا أمهل إلى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك أنه لا يموت أبدا فلهذا
السبب سأل الإنظار إلى يوم يبعثون فأجابه الله تعالى بقوله فإنك من المنظرين إلى يوم
الوقت المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الأولى فيقال إن مدة موت
إبليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ويقال لم تكن إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراما له
بل كان ذلك الإمهال زيادة في بلائه وشقائه وعذابه وإنما سمي يوم القيامة بيوم الوقت
المعلوم لأن ذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لأن جميع الخلائق يموتون
فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل إبليس الإنظار إلى يوم يبعثون فأجابه الله بقوله

فإنك

فانكسر المنكسر بين الوجهين الوقت العلو يعني اليوم الذي عنيت وسألت الانظار اليه
قال ربي بما اغويتني الباء للقسم به قوله بما وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى أقسم
باغوائك اياي لازينن لهم في الارض وقيل لعن بما انت به يعني بسبب كونك غاويا لازينن لهم
في الارض يعني أزين لهم حب الدنيا ومعاصيك واغوينهم اجمعين يعني بالغواية الوسوسة في قلوبهم
وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مقبول له حرص على اضلال الخلق واغوائهم ثم
استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة
والعبادة وقرئة الا اللاء المخلصين بكسر اللام يعني الذين اخلصتهم واصطفيتهم لتوحيدك
وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون
منه وحقيقة الاخلاص فعل الشيء خالصا عن شائبة الغير وكل ما تقرب به العبد الى الله تعالى
فلا يخلو اما ان يكون مرادا بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او مجموع الامرين اما ما كان
لله تعالى فهو المخلص المقبول وما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما ما كان مرادا مجموع
الامرين فان ترجح جانب الله كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان
المثل يقابله فيفنى الفذ الزائد فالى الجانب الراجح يؤخذ به فان يعني قال الله تعالى وتعالى
هذا صراط علي مستقيم قال الحسن هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد العرب تجعل
الى الله وعليه كل شيء ولا يعرج على شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم
وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه كل يخاصمني على أي وانتصب
صنع وقيل معناه على استقامة بالبيان والبرهان والتوفيق والعصمة وقيل هذا عام يدل
الا الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والزهد الكرامة ورضوان اعبادي ليس لك
عليهم سلطان اي قوة وقدرة وذلك ابليس لما قال لازينن لهم في الارض لاغوينهم اجمعين
المخلصين منهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد
من عبيده سواء كان من المخلصين او غير المخلصين قال اهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم
وتسبيل سهل بن عبيدة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم
في ذنب يضيق عنه عفوي ولا

الله الذي يعذابه واجتناب عباده
الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع ابليس وان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له
فيما يأمرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين يعني موعد ابليس واتباعه

المثل

أي استقامته

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

لها. يعني لجهنم. سبعة ابواب. يعني سبع طبقات قال علي بن ابي طالب تدرون كيف
ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض
قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. لكل باب منهم جزء مقسوم. يعني لكل دركة قوم
يسكنونها والجزء بعض الشيء. وجزأته جعلته اجزاء. والمعنى الله تعالى يجزي اتباع ابليس
سبعة اجزاء. فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة
فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا
النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها. وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود
وفي الرابعة الصابون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون
فذلك قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد صلى الله
عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم اتقوا الشرك
والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه
العيون غير العيون الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة
بعيون او تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة
يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع هو بها ومن يختص به من حوره وولدانه
ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد ادخلوها
اي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او بعض ملائكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة
مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الافات. ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن
في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد فكل هذه الخصال المذمومة
داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص
بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اخوانا
يعني في المودة والمحبة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب على سرور جمع سرير قال
بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور

قال ابن عباس

ان

الذين

جنات

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

294

قال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير
مثل صنعاء الى الجابية متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم في قفا
صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المومن سار سرير كل واحد
منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم فيها يعني في الجنة نصب اي تعب ولا اعياء
وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من الله في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة
والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله عز وجل
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين يديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية
وقال يقول لك ربك يا محمد مم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند وان عذابي هو
العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله
لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها ماية رحمة فامسك
عنده تسعة وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي
عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الاية
لطايف منها انه تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم
لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل
في هذا التشريف العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد
بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخل الالف واللام على قوله
الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني
انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار
ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه
اشهد رسوله على نفسه في الشرك المغفرة والرحمة وقوله تعالى ونبئهم عن ضيف
ابراهيم هذا معطوف على ما قبل اي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل الضيف
الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك ترولا بك وصارت

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة
كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف إبراهيم الملائكة الذين
أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط. إذ دخلوا عليه. يعني إذ دخل
الأضياف على إبراهيم عليه السلام فقالوا سلما. أي فسلم سلاما. قال. يعني إبراهيم. إنا منكم وجلون
أي خائفون وإنما خاف إبراهيم منهم لأنهم لم يأكلوا طعامه. قالوا لا توجل. يعني لا تخف. إنا نبشرك
بغلام عليم. يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره. وقيل عليم بالأحكام والشرائع
والمراد منه إسحاق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب إبراهيم من كبره وكبر امرأته. فقال
أبشرتموني. يعني بالولد. على أن مسني الكبر. يعني على حالة الكبر. قاله على التعجب. فبم تبشرون
يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر
قالوا بشرناك بالحق. يعني بالصدق الذي قضاه الله بأن يخرج منك ولدا تكثر ذريته وهو إسحاق
فلا تكن من القانطين. يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الإياس من الخير. قال يعني إبراهيم
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون. يعني من ييأس من رحمة ربه إلا المكذبون وفيه دليل
على أن إبراهيم لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أن به
قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال لأن القنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن
من مكر الله ولا يحصل إلا عند من جهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد وأن يجهل كونه تعالى عالما
بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلال. قال. يعني إبراهيم. فما خطبكم. يعني فما
شأنكم وما الأمر الذي جئتم فيه. أيها المرسلون والمعنى ما الأمر الذي جئتم بسببه سوى ما بشرتموني
به من الولد. قالوا. يعني الملائكة. إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين. يعني بهلاك قوم مجرمين. إلا آل لوط
يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه. إنا لمنجوهم أجمعين. إلا امرأته. يعني امرأة لوط. قدرنا. يعني
قضينا وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم
منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وإن كان قد فعلوه بأمر الملك. إنها لمن الغابرين
يعني من الباقين في العذاب. والاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي فاستثنى امرأة لوط من
الناجين ملحقة بالهالكين فلما جاء آل لوط المرسلون وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا
إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط. قال إنكم
قوم منكرون وإنما قال لوط هذه المقالة لأنهم دخلوا عليه هجما وهم في زي شباب مرد

حسان الوجوه

حسار الوجوه فخاب أن يقيم عليه قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل إن النكرة
ضد المعرفة بقوله أنكم قوم منكرون أي لا أعرفكم ولا أعرف رأي الأنواء أنتم والأولى
غرض دخلتم على بعد ذلك قالوا. يعني الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني
جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه. وأتيناك باليقين. يعني باليقين الذي لا شك فيه
وإنا لصادقون يعني فيما أخبرناك به من إهلاكهم. فأسر بأهلك بقطع من الليل يعني. أخر الليل
والقطع القطعة من الشيء. وبعضه. واتبع أدبارهم يعني واتبع آثار أهلك ولا يلتفت منكم أحد. يعني حتى لا يروا ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل
المراد الاسراع بالتسيير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول
امض لشأنك ولا تعرج على شيء. وقيل جعل ترك الالتفات علامة لئلا يحزنوا من زوال
لوط نبيا يتحملها حتى لا يصيبه ما أصابه من العذاب. وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس يعني
الشام وقال مقاتل يعني بمصر وقيل الأردن وقيل الرملة وقيل إيليا وذلك أن جبريل
أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة يأمل أهلها عمل قوم لوط. وقضينا إليه ذلك
الأمر. يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم أنه
تعالى فسر ذلك الأمر الذي قضاه بقوله أن دابر هؤلاء. مقطوع مصبحين يعني أن
بقية القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وإنما أبهم الأمر الذي قضاه علم
أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه. وجاء أهل المدينة. يعني مدينة سدوم
وهي مدينة قوم لوط. يستبشرون. يعني يبشر بعضهم بعضا بإضياف لوط والاستبشار
إظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل
إن امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا يشتهون إتيان الغلمان غاية الحسن ونهاية الجمال. فلما
رأوا الدار دخلها منهم ركب الفاحشة. قال. يعني قال لوط لقومه إن هؤلاء ضيفي
وحق على الرجل الكريم ضيفه. ولا تفضحون. يعني فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره
ما يلزمه العار بسببه. واتقوا الله. يعني خافوا الله أن تفعلوا بهم ما تريدون. ولا تخزون. يعني ولا تخجلوني
فالوا. يعني في أمر لوط الذي جاءه إليه. أولم ننهك عن العالمين. أي أولم ننهك عن أن تضيف أحدا
أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل الغرباء إلى بيتك فإنا نريد أن نركب منهم
الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين إذا قصدنا بالفاحشة

لم يعمل أهلها

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه. هؤلاء. بناتي. يعني أزوجكم إياهن
إن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام. وقيل إنما دعاهم بالبنات لأنهن أمهات. فكأنه قال إن النبي كالوالد
لأمته. إن كنتم فاعلين. يعني ما أمركم به. لعمرك. الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم. قال
ابن عباس رضي الله عنهما وحياتك يا محمد. قال ابن عباس ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد
صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن
الإنسان بالحياة والروح وبقاياه مدة حياته. وقال الأخفش إن رفع لعمرك بالابتداء. والخبر
محذوف والمعنى لعمرك قسمي. حذف الخبر لما في الكلام دلالة عليه. إنهم لفي سكرتهم. يعني في
غيهم وضلالتهم. يعمهون. يعني يترددون متحيرين. فأخذتهم الصيحة مشرقين. يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت
الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس. فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم
حجارة من سجيل. تقدم تفسيره في سورة هود. إن في ذلك. يعني الذي نزل بهم من العذاب. لآيات
للمتوسمين. قال ابن عباس للناظرين. وقال المعتبرين. وقال الخائفين للمتفرسين.
وقال مجاهد للمتفكرين. وبعضهم. يعني بعض هذا التأويل ما روى عمرو بن سعيد الخدري
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في
ذلك لآيات للمتوسمين. أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. الفراسة. بالكسر
رفع لأن تمت. ست. قال الخبر وهي علم لم يعبر أحد منها ما دل عليه كما في الحديث وهو
ما يوقعه الله في قلوب أوليائه يعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة
الحدس والنظر والتثبت. والنوع الثاني يحصل بدلائل التجارب والتخلق
والاختلاق يتعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة.
قال الزجاج حقيقة المتوسم في اللغة المتثبت في نظره حتى يعرف سمة
الشيء. وصفته وعلامته. فالمتوسم الناظر في سمة الدلالة تقول توسمت في فلان كذا
إذا عرفت وسم ذلك وسمته. وإنها. يعني قرى قوم لوط. لبسبيل مقيم. يعني بطريق واضح
قال مجاهد بكتاب مبين معلم ليس بمنمحي ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه القرى
من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يمح. والذين كفروا وعليهم الحجارة
إلى الشام يقتاسهدوا ذلك ويرون آثره. إن في ذلك. يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط

وما نزل بهم

وما أنزل بهم. بآية للمؤمنين. يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان أصحاب الأيكة ظالمين. يعني كان أصحاب الأيكة وهي الغيضة والأيك فوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل إليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله وهو قوله تعالى فانتقمنا منهم. يعني بالعذاب وذلك أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وفروا من الظلال فبعث الله سحابة كالظلة فانضموا إليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحترقتهم جميعا وإنهما. يعني مدين وأيكة فوله وإنهما أصحاب الأيكة. لبإمام مبين. يعني بكرين واضح مستبين ليعتبروا بهما وقيل الضمير راجع إلى الأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما وإنما سمى الطريق إماما لأنه يؤتم ويتبع ولأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده فوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو بين وادي القرى والمدينة التبوكية والشام وهو اليوم في أيدي بني عليه ركب الشام إلى الحجاز وأهل الحجاز إلى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع للتعظيم أو لأنهم كذبوا وكذبوا من قبله من المرسلين لاتباعهم. وآتيناهم آياتنا. يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها ودرها وولد فتها وتمزارها لبنها وإنما أضاف الآيات إليهم وإن كانت لصالح لأنه مرسل إليهم بعد الآيات فكانوا عندها. يعني عن الآيات. معرضين. يعني تاركين لها غير ملتفتين إليها. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين. يعني من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقوف. فأخذتهم الصيحة. يعني بالعذاب. مصبحين. يعني وقت الصبح. فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. يعني من الشرك والأعمال الخبيثة في خبر ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي فوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق. يعني الإخبار بالعدل وهو أن يثاب المرء المصدق ويعاقب الجاحد المكذب. وإن الساعة لآتية. يعني بعد. يعني وإن القيامة لتأتي لتجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فاصفح الصفح الجميل. الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى

على هذا الحديث بعض شراح الشفا في التحذير من السكنى بديار المغضوب عليهم كبابل وغيرها اللهم سلمنا اللهم بسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع
والخوف ان ربك هو الخلق العليم يعني انه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم
قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن الجوزي
سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير
في يوم واحد فيها انواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات
هي خير من هذه السبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الآية قاله
الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف او لا يصح لان هذه السورة مكية باجماع
اهل التفسير ليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف
يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل
الله هذه الآية واخبرهم ان هذه السبع آيات خير من هذه السبع قوافل والله اعلم وفي المراد
بالسبع المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود
وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية
عنه ومجاهد في رواية عنه وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التاويل ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن
وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي رخ عن ابي سعيد بن المعلى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني
لانها سبع آيات باجماع اهل العلم واختلفوا في تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن
وقتادة لانها تثنى في الصلوة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد
وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التاويل
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال يقول الله تبارك وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضائل الفاتحة وقيل
سميت مثاني لان كلماتها كلها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك
نستعين

سبب

نستعين اهدنا الصراط صراطا قبل هذا الباب مثناة وقال الحسن بن الفضل
لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان
الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة لم يعطها نبيا قبله وقال ابو زيد البلخي
لانها تثني اهل الشرك على الشرك قول العرب ثنيت عناني وقال الزجاج سميت
والتحق الكتاب مثاني لانها تثنى على القارئ على التلاوة على الله تعالى وهو حمده والثناء
واذا ثنيت كون الباء تحتمل هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها
افضل سور القرآن لان الله اراد بها بالذكر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن وكل سورة لابد وان يكون لها اختصاصها بالشرف
والفضيلة القول الثاني تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول
ابن عمر وابن مسعود رواية عنه وابن عباس في رواية وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع
الطول هي سورة البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة
فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا يكتبوا بينهما سطر بسم الله
الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس وقد يدل على صحة هذا القول ما روي
عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اعطاني السبع الطول مكان التوراة
واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني بالمفصل اخرجه
البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود
والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطول مدنيات
غالبها فكيف يمكن ان تعتبر هذه الاية فيها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد
بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر
كذلك فيمكن ان تعتبر هذه الاية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي
دون الطول وفوق المفصل وهي الصافات ومحمد هذا القول الحديث المتقدم واعلم ان
المثاني مكان الزبور القول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول كاوس ومحمد
هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القرآن
كله مثاني لان القصص والاخبار والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح
عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل يعطف الاعم على الاخص

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

على بعضه فلت اذا عنى بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطول فلا
وراء بعد ينكلي عليه الفراء لان الفراء انما يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى
الى قوله تعالى وجيئنا اليك بهذا الفراء يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني
الفراء كلها كان المعنى ولقد اتيناك سبعا من المثاني التي هي القراء العظيم والمراد
الفراء كلها لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لا تمدن عينيك. الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن عينيك
يا محمد الى ما منعنا به ازواجا. يعني اصنافا منهم. يعني من الكفار متمتعنا لهم نعمي الله
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد
اوتيت القراء العظيم الذي فيه غناء عن كل شيء. فلا تشتغل قلبك ويسرك بالالتفات الى الدنيا
والرغبة فيها روي ان سعيد بن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقراء ان يعني يستغني بالقراء قال وتاول هذه الاية فيل انما يكون ماذا عينيك الى شيء اذا
اذا نظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك الشيء. المستحسن فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يفتقسد ولا يحزن
عليه. يعني ولا تقع على ما اتاك من شيء من الدنيا وفيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا
فيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا روي بهذا الاسناد
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بخفض عيش فانك لا
تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت فيل لابي هريرة ما فاتلا لا يموت
قال النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من
فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لعله الجاوي ولمسلم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا
تزدروا نعمة الله عليكم قال عمرو بن عبد الله بن عتبة كنت احب الاغنياء فكان
احدهم اكثر تقحما مني كنت اورد اية خيرا مرد اية وثوبا خيرا من ثوبه فلما سمعت
هذا الحديث احببت الفقراء فاستريحت وقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين
يعني لين جناحك للمؤمنين وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من
الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بالفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين وقل اني

نعم

على هذه الاحاديث
في النهي عن الدنيا

لهم يا محمد إني أنا النذير المبين لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا
والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به إليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى إني أنا
النذير بالعقاب لمن عصاني مبين بين النذارة كما أنزلنا على المقتسمين يعني أنذركم عذابا
كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن
ومجاهد سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما
خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة إنهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد هذه السورة لي وقال آخر
هذه السورة لي وإنما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد إنهم اقتسموا كتبهم
فآمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن
السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش قال قتادة سموا بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن
فقال بعضهم إنه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين
وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن
المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين وقال لهم انطلقوا فتفرقوا
على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فإذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم إنه
كاهن وليقل بعضكم إنه شاعر وليقل بعضكم إنه ساحر فإذا جاءوا إلي صدقتكم فذهبوا
وقعدوا على أنقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج
الذي يدعي النبوة منا فإنه مجنون وكاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد
الحرام فإذا جاءوا وسألوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا وقوله تعالى الذين جعلوا
القرآن عضين خ عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى
جزءوه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من قولهم عضيت
الشيء إذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفرقة فقال بعضهم هو
سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الأولين وقيل هو جمع عضة
وهو الكذب والبهتان وقيل المراد منه العضة وهي السحر يعني أنهم جعلوا القرآن سحرا
فوربك لنسألنهم أجمعين أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا
القرآن عضين عما كانوا يعملون يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وعما كانوا يعملون من الكفر
والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن اللفظ عام

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسئل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا
اجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسئلنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسئلهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم
عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى
فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لنسئلنهم اجمعين سؤال توبيخ
وتقريع وجواب اخر وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه قال في الايتين ان يوم القيامة يوم
طويل فيه مواقف فيسئلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها انظر قوله هذا يوم لا ينطقون
وقال في اية اخرى ثم انكم عند ربكم تختصمون قوله عز وجل فاصدع بما تؤمر قال
ابن عباس اظهر ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي افرق
بالقران بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ
الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى
نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه واعرض عن المشركين اي اكفف عنهم ولا تلتفت الى
لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين واكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ باية
القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالات بهم والالتفات اليهم
فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن
عاداك كما كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء قريش كانوا يستهزؤن بالنبي
صلى الله عليه وسلم وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاص بن وائل السهمي
والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبد العزى ابو ربيعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره وانكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف
ابن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوي وقال الحرث بن قيس بن عيطلة قال
الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون اتى جبريل عليه السلام

ابن الجوزي

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤون يكونون بالبيت فقال جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفيتنه وأومأ الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة ينضل بريش فبالله وعليه بردان يمانيان وهو مُحرِّش ازاره فتعلقت شكيمة النبل بإزار الوليد فمنعه الكبر ان يكابر رأسه فبنى تمطاه وجعلت تضربه بسافه فخدشته فمرض منها ومات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص قدمه وقال قد كفيتنه فخرج العاص على راحلة يشتري ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوكز في عين بعيره فدخلت منها شوكة فاخمص رجله فمات وذغت لذغت فكلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيتنه بقي فقال ابن عباس رضي الله عنهما جبريل بوزغة فخطر فذهب بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب رأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال انا جبريل ونحن فاعدة اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينكح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما رأيت احدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على انه خال فقال جبريل قد كفيتنه واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج مع اصابه سموم فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث ابن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد سوء فاومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيتنه فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انفد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بعني بك وبالقرآن الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون يعني اذا نزل بهم العذاب فيهم وعيد وتهديد فقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يضيعونه من الاستهزاء به والقول الباطل والحيلة التي يتدبر بها ذلك فيتحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر بعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

وهو قوله فسبح بحمد ربك قال ابن عباس فصل بأمر ربك وكن من الساجدين
يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك أي قل سبحان الله وبحمده
وكن من الساجدين يعني من المصلين روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر فزع
إلى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين السبب في زوال الحزن عن القلب إذا أتى العبد بهذه
العبادات أنه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك
يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت إليها ولا يأسف على فواتها فيزول الهم والغم
والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء إذا نزل بالعبد مكروه ففزع إلى الصلاة كأنه يقول
يا رب إنما يجب علي عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيتني ما أكره فأنا عبدك وبين يديك
فافعل ما تشاء. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه
أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة
ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله
إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب
ابن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذونه بأطيب الطعام والشراب ولقد
رأيت عليه حلة شراها وقال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله
إلى ما ترى ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النحل مكية إلا قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا
إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في قبل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه
أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
إلى قوله يعلمون وقال قتادة هي مكية إلا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله
من بعد ما ظلموا وقوله إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وإن عاقبتم إلى آخر
السورة وزاد مقاتل من كفر بالله من بعد إيمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها

يتأسف

تمنطق به

وهي مائة

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

300

وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمان مائة وأربعون كلمة وسبعة
آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
أتى أمر الله يعني جاء ودنا وقرب الأمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع المجيء
بعد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وغدا فلا تستعجلوه يعني وقوعا والمراد به
مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم
إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر
ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيئا قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله اقترب للناس حسابهم
فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله
فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل
فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه
الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه
يمدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ق عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى وضم
السبابة إلى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على
الأخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر
جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة
وقال قوم المراد بالأمر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك أن النضر
ابن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا سبحانه
وتعالى عما يشركون يعني تنزه الله وتعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون
قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح يعني بالوحي من أمره وإنما سمي الوحي روحا
لأن به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل
الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل على من
يشاء من عباده يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق
أن أنذروا يعني بأن اعلموا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي فخافون وقيل معناه مروهم

بعد وما أتى

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون تقدم تفسيره. خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعني
انه جدل بالباطل بين الخصومة فيه. نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث
فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم
فنزلت فيه هذه الاية ونزل فيه ايضا قوله قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح
ان الاية عامة في كل ما تقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى
وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة
وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم وقوله
عز وجل والانعام خلقها لكم لما ذكر الله عز وجل انه خلق السموات والارض ثم اتبعه
بذكر خلق الانسان ذكر ما بعده مما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان اعظم
ضرورات الانسان الى الخلق الاكل واللباس الذين بهما يقوم بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع
به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال
الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم فقال تعالى لكم فيها دفء. قال
ويجوز ايضا ان يكون تم الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال فيها دفء. قال صاحب النظم
احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدأ بقوله لكم فيها دفء ولكم فيها
جمال ولما كان منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله
تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس
والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ومنافع
يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام ومنها تأكلون يعني
من لحومها فان قلت قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم
واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب واكله
يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت
منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس
قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى

الجمحي

ابتدأ

ولكم فيها

301

ولكم فيها. يعني بالانعام. جمال اي زينة. حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد
الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه بالليل ويقال سرح الغنم ابلغ تسريحا
اذا اخرجوها بالغدوة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما تكون هذه الاراحة اول الربيع
اذا اسفقها الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما يكون النعم
بذلك الوقت وقد امر الله تعالى بالتجمل بها كما امر بالانتفاع بها لانه راى فراغ اصحاب
المواشي بها يقوم معظمها الا الرعاة اذا سرحوا النعم بالغدوات الى المرعى ورجوعها بالعشي
الى الابنية والبيوت تسمع للابل رغاء والمشياء يجاوز بعضها بعضا بعند ذلك
يفرح اربابها بها وتتجمل بها الابنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس وقال فلتت
لما قدمت الاراحة على التسريح فلتت للجمال بالاراحة وصرحوها الى البيوت
اكثر منه وقت التسريح للان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيسرح
اهلها بها. فخلها ما تسرحها الى المرعى وانها تخرج جائعة البطون خاوية الضروع
والمسرح تاخذ به النعم والا نتشار للرعي والسرية قلت بهذه الاية التجمل
بالاراحة اكثر منه بالتسريح فوجب تقديمه قوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال
جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج اليه من الات السفر الى بلد. يعني غير بلدكم قال
ابن عباس يريد مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل
مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام
يدخل الكافة فيه اولا تخصيص بعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه. يعني بالغي ذلك
البلد الذي تقصدونه الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والتعب والعناء والشق
نصف الشيء. والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بانفصال قوة النفس وذهاب نصف
اربكم لولا. ما. بمعنى بخلقه خير خلق لكم هذه المنافع وجمع بهم قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها. هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه
الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس للواحد ولبعضه كالابل والرهط
والنساء. وزينة. يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها فصل احتج
بهذه الاية قوم على تحريم لحوم الخيل وقد قرن ابن عباس رضي الله عنه هذه الاية وقال هذه
للركوب والبقر ذهب العلم ومالك وابو حنيفة واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل

انعم الله بحر وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اعظم منفعة الركوب فلو كان الاكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر
بمقام يذكر الله علينا تحريم الكلب الا لمختص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون
وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وقد ذهب
جماعة من اهل العلم الى اباحة لحم الخيل وهو قول الحسن وعطاء وشريح وسعيد بن
جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل
بما روى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن
بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن لحوم الخيل والبغال والحمير وامر في لحوم الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر
الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية
ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مجاعة فنحرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب ارباب لحوم
الخيل عن هذه الاية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما
خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على
الخيل مع قوله في الانعام وتحمل اثقالكم وفي بلد ولم يذكر هذا التحريم حمل الاثقال على الخيل
وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله
عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه
في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل
والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه اذ الامر فيه
على الاباحة والتحريم فورد السنة في اباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال
والحمير اخذنا به جمعا بين النصين والله اعلم وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته
وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب
على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموت اكثر من ان تحصر او تحيط
بها عقول احد وبعضه بل بعضها ذكر على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني

مما اعد الله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

مما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني الكسوس في النبات والدود في الفواكه
قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد
وقاصد اذا اداك الى المطلوب وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو
بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين
ومنها جائر يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من
السبيل هو دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر
ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرايع والفرايض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله
قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ولو شاء لهديكم اجمعين فيه
دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء
لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهديكم معناه ولو شاء هدايتكم لهديكم اجمعين وذلك انه تعالى
ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء لما
ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه
بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على العباد فقال هو الذي انزل من السماء يعني
والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر لكم منه يعني من ذلك الماء
شراب يعني تشربونه ومنه يعني ومن ذلك الماء شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات
الارض ونقل الواحدي عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعضلة
التي تبقى على الشتاء واما دق الشجر فنصفان احدهما تبقى له اروحة في الشتاء وينبت
في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال ابن اسحاق كلما ينبت على
الارض فهو شجر وانشد نطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا
جدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الاية يعني الكلا ومعنى الاية انه ينبت بالماء
الذي انزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر فيه يعني
في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت
هي اذا رعت حيث شاءت ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم به
اي بذلك الماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به
كالحنطة والشعير وما اشبهه لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه
من الادم والدهن وبارد فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء او فاكهة وختم
بذكر الاعناب لانه يشبه النخل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات
اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك
يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم
يتفكرون يعني فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات
تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه
النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات
في نفسها مذللات لامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانه ليس
لها تصريف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرة
لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان كل من
كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته
وقهره وتسخيره لما اراده منهم وما ذرا لكم في الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها
لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار مختلفا الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية
واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه دليل قاطع
على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يذكرون يعني
فيعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لما ذكر الله تعالى
الدلايل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة
وخلق سائر الحيوانات والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من ايات قدرته
وعجايب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده
بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس
من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او بالصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا فبدا بذكر الاكل

منه

لانه

لانه اعظم المقصود للاربع فواد البدر وفيه ذكر البحر مزيد بايدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان الصيد لو كان قليلا ما يعرف به قدرة الله تعالى ما يعرف بالبحر لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان البحري الذي لحمه غاية العذوبة علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد **المنفعة الثانية** **قوله تعالى** وتستخرجوا منه حلية تلبسونها. يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبس البحر لبس ما يتخذ من البحر كما يقال للنساء بالحلي والمراد بقوله للرجال مكان الحلي زينة لهم **المنفعة الثالثة** **قوله عز وجل** وترى الفلك. يعني السفن مواخر فيه. يعني جواري **قال** قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى بعينك البحر واحدا تفعل والاخرى تدبر بريح واحدة **وأصل** المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجوزها **وقال** مجاهد تمخر الرياح البحر. يعني انها اذا جرت تسمع لها صوت **قال** ابو عبيدة يعني جواري وتمخر صوت هبوب الريح عند شدتها **وقال** الحسن مواخر يعني مواقر اي مملوءة منا لتبتغوا من فضله. يعني الارباح بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون. يعني لنعم الله عليكم اذا رايتم صنع الله فيما سخر لكم **والقى** في الارض رواسي يعني جبالا ثقالا ان تميد بكم. يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض **وقال** وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذا غير مقر لاحد على ظهرها فاصبحوا وقد ارست الجبال فلم تدر الملائكة فيما خلقت الجبال. **وانهارا** يعني وجعل فيها انهارا الباء في معنى الجعل **بقوله تعالى** وانهارا معطوف على والقى وانما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم غيور الانهار واصولها يكون من الجبال **وسبلا** يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكون بها اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان. **لعلكم تهتدون** يعني بتلك السبل الى ما تريدون **وعلامات** يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم **قال** بعضهم ثم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون **وقال** محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل **وقال** ابن عباس بالليل النجوم فمنها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به **وقال** السدي اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يعني يهتدى بها الى القبلة **قال** قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة للسماء وعلامة للطرق

اذا

بالجبال

مجاهد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وجوه الاشياء بصير فهل يصير بهذا بعد تكلفا لما علم به **قوله عز وجل**
امن يخلق كمن لا يخلق كما ذكر الله عز وجل مرجعا بها فدونك وغرائب صنعته
وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحصر والتدبير الاكمل وكما شاهد الاشياء
المخلوقة المذكورة به الايات المتقدمة تدل على كمال قدرة الله ووحدانيته
وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها فكان على سبيل الانكار على من ترك عبادته
واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء امن يخلق يعني
هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه
الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جمادات لا تقدر على شيء. وكيف يليق
بالعاقل ان يشتغل بعبادتها وبترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه
الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله افلا تذكرون يعني ان هذا القدر
الظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية
لمن فيه عقل واعتبار **اذكر** في الاية سؤالان **الاول** قوله كمن لا يخلق المراد به
الاصنام وهي جماد لا تعقل وكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لا تعقل **والجواب**
عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في عموم
الكلام كقوله بعد هذه والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فجاء بلفظ من في عموم
ومفعولهم **السؤال الثاني** قوله امن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام
حيث جعل غير الخالق مثل الخالق وكيف قال على سبيل الاستفهام امن يخلق كمن لا يخلق
والجواب عنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة
واعلى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية
والعبادة وكيف يليق بالعاقل ترك من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة
عليها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله اعلم **وقوله تعالى** وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق الله من نعمة البدن وعافية
الجسم واعضاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي تفهم الاشياء وتحصل البدين
وتسعى الى خير الغير ذلك مما انعم عليه به في نفسه وفيما انعم الله عليه به مما خلقه له من جميع
ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو اراد احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها

٩ حم ٢٨

تذكر
تذكر عبادة الخ

304

وحصرها بكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها بجميع الخلق وكذلك قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها. يعني ولو اجتهدتم بذلك وانعم نفوسكم بما تقدرون عليه
ان الله لغفور. يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم رحيم. يعني بكم حيث وسع عليكم
النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يعني
ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشياء وهو كانوا يسرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون. يعني
وما يظهرونه من اذاه. باخبرهم الله انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه
خافية وارد فت وخيبت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية المتقدمة
ذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها
وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام
بصفات فقال تعالى والذين تدعون من دون الله. يعني الاصنام التي تدعونها وترجون الله
العفو لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. في قوله في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا
يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا وقوله هنا لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وهذا
هو نفس المعنى المذكور في تلك الاية فما فائدة هذا التكرار وقلت فائدته ان المعنى المذكور
في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيئا وانهم
مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار. اموات. اي جمادات ميتة
لا حياة فيها. غير احياء. يعني غير حاصل لها والمعنى لو كانت هذه الاصنام. الهتكم كما تزعمون
كانت احياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الذي لا يموت
ولما كانت هذه اموانا غير احياء. فلا تستحق العبادة. فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير
موضعها. وما يشعرون. يعني هذه الاصنام. ايان يبعثون. يعني متى يبعثون وفيها دليل
على ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها قوله تعالى
الهكم اله واحد. يعني ان الذي يستحق العبادة هو الواحد وهذه اصنام متعددة
فكيف تستحق العبادة. فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة. يعني جاحدة لهذا المعنى
وهم مستكبرون. يعني عن اتباع الحق لا جرم اذا تبين كان تركه للكبر لا جرم. يعني حقا
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين. يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل

وهي

معنى ما ورد في الكبر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر
بطر الحق وغمص الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده
وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير
عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمص الناس يقال غمصت حق فلان اذا احتقرته
ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته اذا انتقصته وازدريته قوله عز وجل واذا قيل لهم
يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم
الحاج الذين يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعني احاديثهم واباطيلهم
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه
اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة
لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوا في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة
بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط
بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار
بهذا التكميل فائدة قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم يعني ويحصل
للرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب
فيه ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل
اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام
من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا اخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث ان الرئيس
والكبير اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان
الله تعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او ذلك العقاب مساويا لكل ما يستحقه
كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى
يوصل جميع الثواب او العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل الله
ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض
لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله
عليه السلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع

على هذا الحديث

وقوله

وقوله بغير علم يعني أن الرؤساء إنما يقدمون على ضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه
بالعقاب على ذلك الإضلال بل يقدمون على ذلك جهلا بما يستحقونه بالعذاب الشديد
الآتي. ما يزرون يعني الإثم بسبب ما يعملون بغيه وعيده وتهديده لهم قوله تعالى قد مكر
الذين من قبلهم يعني من قبل مكر كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكثر ملوك الأرض
بعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكان مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد إلى السماء ويقاتل
أهلها فأتى الله بنيانه من القواعد فخر عليه السقف وأتاه العذاب من حيث لا يشعر
وقال كعب ومقاتل كان طوله خمسة آلاف ذراع وقال ابن إسحاق كان طوله خمسة آلاف ذراع
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع
وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فبعث ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر
وخر عليهم البناء فأهلكهم وهم تحته وأتاهم العذاب من حيث لم يشعروا فتكلموا
يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان يعرب الناس قبل ذلك اللسان السرياني
فلما أذاقهم الله البلوى بهذا النكر عاد إبراهيم عليه السلام كما كان فتكلم
بالعربية وكان أهل اليمن تعربوا منهم حين نشأ فيهم إسماعيل وتعلم منهم العربية وكان
قبائل من العرب قبل إبراهيم مثل عاد وثمود وجرهم وجديس وطسم كلهم هؤلاء عرب فتكلموا
بالعربية وهذا يدل على صحة ما قلنا أن العرب تفرعت أجناسها الأولى والله أعلم وقيل معنى
قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أي كل من مكر بالأنبياء جميع المكاريين الذين
جاءوا بأنواع الضرر والمكر بالغير وقوله فأتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب
بنيانهم بأصوله وذلك بأن أتاهم بريح فقصفت بنيانهم من علاه وأتاهم بزلازل فلعت بنيانهم
من قواعده وأساسه هذا إذا حملنا تعبير الآية على القول الأول وهو كونها في البدن وإن حملنا
تعبير الآية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما تبوأوا منصوبات ليمكروا
بها على أنبياء الله وأولياء الله وعباده بأهلكهم الله تعالى وجعل أهلاكهم مثل أهلاك من بنوا
بنيانا وتبجحوا شديدا وعتوا عتوا بالأساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم
فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بأخر فأهلكه الله تعالى ومنه المثل المشهور
على أنفسكم جنت براقش حين جرت الأخيار فعقر الله فيه وقوله تعالى فخر عليهم السقف
من فوقهم يعني سقف السقف بأهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لأن السقف لا يخر إلا
من فوقهم وقيل يحتمل أنهم لما كانوا تحت السقف عند سقوطه قيل خر عليهم السقف
على أنهم كانوا تحته وأنه لما خر عليهم أهلكهم وماتوا تحته وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يعني من مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب
هلاكهم ثم يوم القيامة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب
يحصل لهم في الاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول الله لهم يوم
القيامة اين شركائي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون فيهم يعني تعادونني وتخالفون
المومنين وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير
شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان
قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل الملايكة ان الخزي يعني الهوان اليوم يعني في هذا
اليوم وهو القيامة والسوء يعني العذاب على الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم القيامة
لان الكفار لما كانوا يستهزءون بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر
اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك
يقول المومنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار الشماتة بهم
فيكون اعظم في الهوان والخزي الذين تتوفيهم الملايكة بقبض ارواحهم وهم ملك الموت واعوانه
ظالمي انفسهم يعني بالكفر فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل بهم
وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون يعني فلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة عنا بذلك من قتل من الكفار يوم بدر فادخلوا
اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا تخرجون منها وانما قال
ذلك لهم ليكون اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض
فلبيس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار
فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خيولك فيقول الوافد انا شر وافد
ان رجعت الى قومي دون ان ادخل الى مكة والقاه فيدخل مكة فيبري اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل
ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين

في الدنيا

ونصب

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

366

ونصب الثاني وهو قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد
وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا
بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا
كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلثموا واطبقوا
الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام
عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدا فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى
العشر الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي
الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة
وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده في الدنيا ويدل
على صحة هذا التاويل قوله ولدار الاخرة خير يعني ما لهم في الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة
خير مما حصل لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل
التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله
فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي
اقام به يدخلونها يعني تلك الجنان لا يزاحون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها
الانهار يعني تجري الانهار في هذه الجنات تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم
لهم فيها يعني في الجنان ما يشاؤون يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع
زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها
ما يشاؤون يفيد الحصر وذلك ان الانسان لا يجد كلما يريد في الدنيا كذلك يجزي الله
المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم
وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا
بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات
والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة
والخصال المكروهات وقيل معناه ان اقوالهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح
والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة. يقولون لهم
يعني الملائكة. سلام عليكم. تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله. ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله
الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة اخرجاه
في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله
في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب
ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها
الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل العالم ملكه
والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء. فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين
وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه
ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكن الله تعالى اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا
بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما
المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل
لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث
دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الايات التي تدل
على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات
ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها
برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث
ويصح انه دخله بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم قوله تعالى هل
ينظرون. يعني هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوءتك يا محمد الا ان تاتيهم
الملائكة. يعني لقبض ارواحهم. او ياتي امر ربك. يعني بالعذاب بالدنيا وهو عذاب الاستيصال
وقيل المراد به يوم القيامة. كذلك فعل الذين من قبلهم. يعني من الكفر والتكذيب

وما ظلمهم الله

وما ظلمهم الله. يعني بتعذيبهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بالتباسهم الكفر والأعمال الخبيثة. فأصابهم سيئات ما عملوا. يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة. وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون. وزوال الشيء ونزل بهم جزاء استهزائهم. وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آباؤنا. يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء. والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول بإنكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الإيمان لحصل حينئذ أو لم يشأ ولو شاء الله منا الكفر لحصل حينئذ أو لم يشأ وإذا كان ذلك بمشيئة الله فلا جائز أن يكون بعثة الرسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن الكل من الله فلا جائز أن يكون بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جبار متجبر كذب العلة بأحكام الله وبأفعاله وهو باطل لأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه بأحكامه وأفعاله ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان حكم الله تعالى وسنته في عباده إرسال الرسل إليهم ليأمروهم بعبادة الله وينهوهم عن عبادة غيره وأن الهداية والإضلال إليه. فمن هداه فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر شاء أم لم يشأ. الإيمان ويفعل ما يشاء. فلا اعتراض لأحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه شيء. نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله ولا حرمنا من دونه. يعني الوصيلة والسائبة والحامي فلو شاء الله رضيها لنا لغيرها لذلك ولهذا أنكر على من فعل هذه الأشياء. يعني أن من تقدم هؤلاء من عبدة الأصنام الماضية كانوا على هذه الكيفية وهذا الفعل الخبيث فإنكار بعثة الرسل كان قديما في الأمم الخالية فعلى الرسل إلا البلاغ المبين. يعني ليس عليهم هداية أحد إنما عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه. ولقد بعثنا في كل أمة رسولا. يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وعلى رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم أن يعبدوا الله ويجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل معبود يعبد من دون الله. فمنهم. يعني فمن الأمم الذين جاءتهم الرسل من هدى الله

مريض.

يعني فقد اقام الله الدين والايمان به وتصديق رسله ومنع من رحمت عليه الضلالة يعني ولزم
وجب عليهم الضلالة بالفعل السابق الازل حتمت عليهم الكفر والضلال وفي هذه الاية
أبين دليل على أن العباد والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده بفعله ريشا
ويضل ريشا لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم به في سابق علمه فيسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين يعني فيسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما حل بهم أن اليهم أو تركب الى مثل
وهو خراب منازلهم بالعذاب والفناد ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب
كما نزل بهم فقوله عز وجل ان تحرص على هدى يعني ان تحرص
يا محمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الجهد بان الله لا يهدي من يضل فان
يعني الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل معناه لا يهتدي من اضله الله وان
بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له ومالهم من ناصرين يعني مانعين
يمنعونهم من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من
المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي اعرفه
بعد الموت فقال المشرك والله لا تزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله ان الله لا يبعث الله
يموت فنزلت هذه الاية قاله ابو العالية وتعبير الشبهة التي حملت المشركين
على انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الهيئة المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه
امتنع عوده بعينه للحياة اذ اعدم بعد فنيه ولم تبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه
وعدمه فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت رد الله عليهم ذلك واكد بعده بقوله
فقال تعالى بلى يعني بلى يبعثهم بعد الموت للاعادة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب
عن شبهتهم ان الله خلق الانسان اولا وهو لم يكن شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم
اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان الثانية الاخرى اهون من الاولى وعدا عليه حقا
يعني ما وعد الله به من البعث بعد الموت وعدا حقا لا خلف فيه ليبين لهم الذي يختلفون فيه
يعني امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني
في قولهم لا يبعث بعد الموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا
اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء ما يجب عليه احياءهم وبعثهم الا يقول لشيء

اراد ان يقول

108

اراد، كر يكون على ما اراد الله لانه القادر الذي لا يعجز شيء اراد، خ عمر ابن هبيرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي ان يشتمني
ويكذبني وما ينبغي له اما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته
وبه راوا بعد تكذيبه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقوله
تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا. يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب
وخباب وعامر بن فهيرة وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا
عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فهان على اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة
في رمضاء الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول احد احد ما اشتراه منهم
ابو بكر الصديق واعتقه واشتراه معه بسبعة نفر خ واما صهيب فهو الذي يقال ان رجلا كبيرا
اركث معكم فلا تعجلوا اركث علي فلا اضركم فاشترى نفسه منهم فلما خرج مر به
ابو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع واما ياسر فهو ما عذبوه بعض ما يريدون
مجلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمهم اهل مكة فاخرجوهم
ردبارهم حتى لحق كما بعضهم بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها دار هجرتهم
لهم فيها فجروا اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فاووهم ونصروهم وواسوهم ولنبوئنهم
تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وقد دل على ان الهجرة اذا تركت لله خالصة
لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد. اخ ومنه حديث
الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه الصحيحين
من رواية عمر بن الخطاب وقوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة. يعني لنبوئنهم تبوئة
حسنة وهو انه تعالى انزلهم بالمدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا
دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان اذا اعطى احدا من المهاجرين عطاء يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك
الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة افضل ثم يقرأ هذه الآية وقيل معناه لنيسرن لهم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في الدنيا بان تفتح لهم مكة ولتمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم تنصرهم على العرب
قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية الى الدين
ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع
الى الكفار لان المومنين يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كان هولاء الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر
مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد
الله لهم في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين الذين صبروا يعني
في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن
وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم
ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر
فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وساير الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات
المباحات والمحرمات والصبر على المصايب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه
الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدا السلوك الى الله والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه
قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم نزلت هذه الاية جوابا
لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله
بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا يعني مثلك يوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من اول
مبدا الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة
فسئلوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما امرهم الله بسوال اهل الكتاب
لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى
وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد وان يخبروهم بان الرسل الذين
ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب
لاهل مكة يعني ان كنتم يا هولاء لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا في المعنى الجالب
لهذه الباء فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم ولم نبعث ملايكة
وقيل معناه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم
فسئلوا اهل الذكر يعني اهل العلم والمعنى فسئلوا اهل الذي هو اعلم بالبينات والزبر ان كنتم

الذكر الذين هم

لا تعلمون ذلك

لا تعلمون ثم ذلك والبينات والزبر لبيان جامع لكل ما يتكامل به امر الرسالة لا رمدار او الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهو البينات: وعلى باب الشرائع والتكاليف وهو المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وانزلنا اليك الذكر. الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سماه ذكرا لانه موعظة وتنبيها للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم. يعني ما أجمل في القرآن في بيان الكتاب يكتب السنة والتبيين لذلك اجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلهم قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن محتمل والحديث مبين بدليل هذه الاية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة بقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين المبسوط ولعلهم يتفكرون. يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به امر الذين مكروا السيئات هم اضمار تقديره امكروا السيئات وهم كفار مكة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وبالغوا باذائهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء. وقيل المراد بهذا المكر انشغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي باذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود وقومه مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة. ان يخسف الله بهم الارض. يعني كما خسف بقارون وامثاله. او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون. يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما هلك قوم لوط وغيرهم. او يأخذهم في تقلبهم. يعني في تصرفهم في الاسفار وبانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر قال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم. يعني انه تعالى قادر على ان يأخذهم في تقلبهم وتصارفهم وفي جميع احوالهم. فما هم بمعجزين. يعني بسابقين الله او يفوتونه بل هو قادر عليهم. او يأخذهم على تخوف قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخور يقال تخوفه الدهر وتخوفه اذا انتقصه واخذ ماله وخشمه ويقال هذه لغة هذيل وعلى هذا القول يكون المراد به انه يتنقص مواشيهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء. حتى يهلك جميعهم وقيل

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يهلك

هو على اصله من الخوف فيحتمل انه تعالى لا يأخذهم بالعذاب اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم
بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني طائفة فيتخوف الآخرون ان يصيبهم
مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يقع في الارض او بعذاب ينزل من السماء
او بآفات تحدث دفعة او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه
ختم هذه الآية بقوله فان ربكم لرؤوف رحيم يعني انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب
قوله تعالى اولم يروا قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة الى ما خلق الله
من شيء يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد
منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل احواله
ويتفكر فيه ويعتبر به يتفيؤا ظلاله يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي في اول النهار
على حال ثم يتقلص ثم يعود في آخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء
لانه من فاء يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الازهري تفيؤا الظلال رجوعها
بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون
بالغدوة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع
الى مفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال عن اليمين
والشمائل قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك
عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس
الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال
فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل
اليمين راجعة الى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشيء مراد به
الجمع سجدا لله في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد
والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل
والمعنى ان جميع الاشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه
فيما سخرها له من التفيؤ وغيره قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول
الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض
فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ

والاختصار

وقيل

وقيل كل شيء ساجد لله سواء كان ذا الشيء يسجد لله اولا وقيل ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله وهم داخرون اي صاغرون اذلاء والكافر الصاغر الذي يفعل ما تامره به تشاء او ابى وذلك دأب جميع الاشياء. فنفاذة امر الله تعالى فيما فلت الظلال ليست من الغفلة. فكيف عبر عنها ببعض من يعقل وجمعها بالواو والنون فلت لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها ببعض من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء. قوله عز وجل ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود الملائكة لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال بقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يحتمل النوعين اي ان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وانما ببعضهم ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل بالعدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو اتى بمن لتناهى للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فاتى بما ببعضهم ما ليتمثل الكل وببعض الدابة مشتق من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد الملائكة في قوله والملائكة لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافرد هم بالذكر وان كانوا من جملة ما في السموت لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموت من الملائكة وما في الارض دابة فيسجود المسلمين والملائكة للطاعة وسجود غيرهم تذللهم وتسخيرهم لما خلقت له او سجود ما لا يعقل والجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيد عوا الفاعليل الى السجود لله عند التامل والتدبر وهم لا يستكبرون يعني الملائكة. يخافون ربهم من فوقهم. نصب كقوله وهو القاهر فوق عباده. وقد تقدم تفسيره. ويفعلون ما يؤمرون عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اصبع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجئرون الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي ذر موقوفا

يسجد والداخر

اربعة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة أن كل ما في السموات والأرض خاضعون له منقادون لأمره عابدون له وأنهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ إلهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيد لقوله إلهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يعني أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما إلها ولكن اتخذوا إلها واحدا وهو قوله إنما هو إله واحد لأن الإلهين لا يكونان متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والإرادة فصارت الاثنينية منافية للإلهية فذلك قوله إنما هو إله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود إلهان اثنان إنما هو إله واحد فإياي فارهبون يعني فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوه فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فإياي فارهبون يفيد الحصر وهو ألا يرهب الخلق إلا منه ولا يرغبوا إلا إليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه وله ما في السموات والأرض لما ثبت بالبرهان الصحيح والدليل الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله وله ما في السموات والأرض يعني عبيدا وملكا وله الدين واصبا يعني وله العبادة والطاعة وإخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له أو يطاع إلا انقطع ذلك لسبب في حال الحيوة أو بالموت إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة أبدا ولأنه المنعم على عباده والمالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة أبدا أفغير الله تتقون يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الإنكار قوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله يعني من نعمة الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع أنعامه ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد ألا يخافوا

قوله

إلا الله تعالى

الا الله تعالى بين بهذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه، لانه هو المتفضل بها على عباده، فيجب عليهم شكرها عليها. ثم اذا مسهم الضر اى الشدة والامراض والاسقام. فاليه تجئرون يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة، واصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقرة والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء فاذا حصل شدة وضر بعض الاوقات فلا يفزع الا اليه ولا يدعى الا اياه، لكشفها بانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم. يعنى ثم اذا ازال الشدة والبلاء عنكم. اذا فريق منكم يعنى كما يفعله وجماعة منكم. بربهم يشركون يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل وهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم من غير ان يقول من فريق المومنين لانهم لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ليكفروا بما اتيناهم فيه اقوال احدها ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا انعمه عليهم بكشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء فتمتعوا. لفظه امر والمراد منه التهديد والوعيد. يعنى يعيشوا به اللذة التى اتم بسببها الى المدة التى ضربها الله لكم. فسوف تعلمون يعنى عاقبة امركم اذا ما يصير وهو نزول العذاب بكم. قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا قيل الضمير فى قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعنى ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لا تعلم شيئا البتة لانها جماد والجماد لا يعلم له ومنهم من رجح القول الاول لكن بمعنى العلم عن المعنى حقيقة وعن الجماد مجازا فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون بجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عايد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون انه اله والله حق نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام يجئ الى هذا الاضمار لانها لا تعلم لها ولا لغيرها قسم وقوله نصيبا مما رزقناهم. يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم وامواليهم التى رزقهم الله وتقدم تفسير هذه السورة الانعام. تالله لتسئلن بنفسه على نفسه انه ليسئلنهم يوم القيامة وهو قوله لتسئلن عما كنتم تفترون يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم هذه الاصنام الهتنا وانها نصيبا من اموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

وهو من بديع الكلام وتأليفه. ويجعلون لله البنات. وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وأما كلفوا لبعض البنات على الملائكة لما يتشاءمون به من العيوب كالنساء. ولد خزيمة الثاني بتسميتهم. سبحانه. تنزه الله يعني عن الولد والبنات. ولهم ما يشتهون. يعني يجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني البنين. وإذا بشر أحدهم بالأنثى

على تعبير البشارة وإضمار الله ضداد

البشارة هي الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح ولما كان الفرح والسرور يوجبان تغيير بشرة الوجه فكذا الحزن والغم يظهر أثرهما أيضا على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لبعض مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فقوله وإذا بشر أحدهم بالأنثى كل وجهه مسودا يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى أن عند المشركين لما بشر أحدهم بالبنت لأنثى أن تنتسب إليه وكيف يرضى أن ينسبها إلى الله تعالى فصار بسبب ذلك متغيرا مغتما. وقوله وهو كظيم يعني أنه كظم غيظا وحزنا وغما. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به. يعني أنه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة أحدهم توارى عن القوم إلى أن يعلم ما ولد له فإن ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وصبر وإن كانت أنثى حزن ولم يصبر أياما حتى تعلم ما يصنع بها وهو قوله أيمسكه على هون يعني على هوان والهاء في الضمير في أيمسكه لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله وإذا بشر أحدهم. أي يدسه في التراب. يعني أي يخفي ذلك الذي بشر به في التراب ويستر. والدس إخفاء الشيء في الشيء. قال أهل التفسير إن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء. والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثرة العيال للزوم النفقة أو للحمية فيحاربون عليهم من الأسر ونحوه أو ليصهر غير الأكفاء فيصير بكاء الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى إذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء. فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري إلى هذه البئر فإذا نظرت دفعها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها

ك

وكان صعصعة عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ولده وجه إبلاً إلى والد البنت حتى تجيء بها بدلاً فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمي الذي منع الوائدات

بأحيائها الوئيد بدلاً فلم تئد. عمر بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى ألا ساء ما يحكمون يعني بئس ما يقضون حيث يجعلون لله الذي خلق البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لأنفسهم البنين الخير، قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى وقيل معناه ألا ساء ما يحكمون في وأد البنات. للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء. يعني صفة السوء، وأحياء جميع الأولاد وكراهتهم الإناث وقتلهم خوف العيلة وقيل المثل الأعلى أي الصفة العليا المقدسة وهي آية التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا إله إلا هو وآية جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء القهر مدى وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله. وهو العزيز أي الممتنع بكبريائه وجلاله الحكيم يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم. يعني بسبب ظلمهم فيما جنوا بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم ما ترك على ظهرها من دابة الناس اسم جنس يقع على الكل وقد قال تعالى في آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسماً واحداً من ثلاثة قيل قوله ولو يؤاخذ الناس بظلمهم على الخصوص بهذه الآية الأخرى لأن جنس الناس لا يشمل الصالحين ولا يطلق عليهم اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فخص بدليل قوله إن الشرك لظلم عظيم وقوله ما ترك عليها يعني على الأرض كناية عن غير مذكور لأن الدابة لا تدب إلا على الأرض من دابة. يعني أن الله تعالى لو أخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض فمات وقد يهلك الله ذا الذنب بذنب غيره ولكن يرزق عليه الجميع وروى أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بئسما قلت إن الجعل يموت هزلاً بظلم الظالم وقال ابن مسعود إن الجعل ليعذب بخطيئة ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر دليله قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلم

الوائد والوائدة

أيائهن وقتلهن

على قول أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما يؤاخذ غير الظالم بظلم الظالم

لا تفصح النسل ولم يوجد الابناء بلم يبق الارض احد. والكريخ فرح. يعني ليبتهلهم بفضله
وكرمه وحلمه. الى اجل مسمى. يعني الى انتهاء اجالهم وانقضاء اعمارهم. فاذا جاء اجلهم
كما بينا خروا سامتوا يستعدمون. يعني كما يتوفروا ساعة عن الاجل الذي جعله لهم ولا
ينقصون منه. وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى والكريخ فرح الى يوم
القيامة فيعذبهم بما بينا خروا عن العذاب ساعة ولا يستعدمون. ويجعلون لله ما يكرهون
. يعني لا نبوتهم ونفر البنات. وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى. يعني ويقولون ان
لهم البنين وذكر انهم قالوا الله البنات ولنا البنون وهذا القول كذبا منهم وافتراء على الله تعالى
وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الهدى وان لهم
الجنة وذكر انهم قالوا لئن كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لاننا على الهدى والحق
الله تعالى فقال لا جرم ان لهم النار. يعني في الاخرة لا الجنة. وانهم مفرطون قرئ بكسر الراء مع
التخفيف. يعني منسيون وقرئ بكسر الراء مع التشديد. يعني مضيعون امر الله وقراءة
الجمهور يعني الراء مع تخفيفها. اي منسيون في النار. قاله ابن عباس. وقال سعيد بن جبير
ومقاتل متروكون. وقال قتادة معجلون الى النار. وقال الفراء مقدمون الى النار. والفرط
المتقدم الى الماء. قبل الفوج. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض. متقدمكم
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك. يعني كما ارسلنا الى هذه الامة فقد ارسلنا الى امم
من قبلك وكان منهم من رسلهم التكذيب بفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فزين لهم الشيطان اعمالهم. يعني اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان مزينا بالغاء الوسوسة
فلو سلبه وليس له قدرة ان يضل احدا او يهدي احدا وانما له الوسوسة فقط. فمن اراد الله
شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته. فهو وليهم. يعني ناصرهم اليوم ومن كان
الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لكونه اياهم
ولهم عذاب اليم. يعني في الاخرة. وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه. يعني
من امر الدين والاحكام. فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام. وهدى
ورحمة. يعني وما انزلنا اليك الكتاب الا لتبين ما وهدى ورحمة لقوم يؤمنون للنفع هم المنتفعون به
قوله تعالى والله انزل من السماء ماء. يعني المطر فاحيا به الارض يعني بالماء الارض يعني

بالنبات

بالنبات والزرع. بعد مرتفعا. يعني يُنبتها وجدّ وبتها. اي ذلك بآية. يعني دلالة واحجة على كمال قدرتنا. لقوم يسمعون. يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لا سماع الغلوب هو الجامع لا سماع الاذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات. وان لكم في الانعام لعبرة. يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا. نسقيكم مما في بطونه. الضمير عائد الى الانعام فكان حقه ان يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان بعض الانعام مما ذُكر لانها جماعة الجمع وهو مذكر بحسب البعض مفرد ويكون ضمير ضمير الواحد وهو مذكر بحسب المعنى يكون ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنون مما في بطونها وهذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الكسائي رد الى الماء. يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المبرد الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كانه قال كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن ما ضمير اللبن اذ ليس لكلها لبن مريء هنيء وهو ما في الكرش من الثفل ما اذا خرج منها لا يسمى فرثا. ودما لبنا خالصا. يعني ان الدم والفرث ليس فيه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستمرأ كرشها وكمنشه كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيخرج الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو. سائغا للشاربين. يعني يقبلها سهلا يمر في الحلق بسهولة وقيل انما يغصّ بالشراب فلهذا قيل المجتر يعني بهذه الآية وحكى الماوردي عن الدينوري الراوي عن الحكماء في ذلك فقال ولعاقل ان يقول ان الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه ان الحشرات وهذه الحيوانات تتغذى دما متواليا وما رأى احد في كرشها دما ولا لبنا بل الحيوان اذا تناول الغذاء وصار ذلك العلف الى معدته وانكسر انهضمه الى كرشه فاذا نضج وحصل العضو الاول مما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء. ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينضج فيفسد ويصير دما وهو العضو الثاني ويتميز ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة واما السوداء فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب بالاوردة وهي العروق الساسة للكبد وهناك يحصل العضو الثالث ويبر الكبد ويبر الضرع عروقا كثيرة فتنصب الدم من تلك العروق

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

الى الضرع والضرع لحم غدوي ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى
ذلك اللحم الغدوي الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع
فاللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة من الاشياء
الماكولة الحاصلة في الكرش فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله
بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع خلق الله عز
وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها كالمصفاة
للبن وكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو
المراد بقوله خالصا يعني من شوائب كدورات الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا
في حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا قوله عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب
يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابي ليلى
والزجاج وابن ابي قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق
الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك
فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام والامتنان قلت
قال العلماء في الجواب عن هذا ان السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي
مدنية فكان نزول هذه الاية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل
نبه في هذه الاية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب
ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو
الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد
والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه
يقول المراد من الاية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا
منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الاية السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت
القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا خبر
والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الاية نزلت بمكة

فهذه

سر

فقال

في وقت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

في وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية انها منسوخة
وقال ابو عبيدة في معنى الاية السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره
السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع
وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ان في ذلك يعني في الذي ذكر من انعامه
على عباده لاية يعني دلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل
بهذه الايات على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا
ومدبرا قادرا على ما يريد قوله تعالى واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى
دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث
ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر في هذه الاية
اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى
ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر
يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها
بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز
والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالاهية التي يلقيها الى انبيايه وحي
والى اوليايه الهام واما تسخير لما خلق الله له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني
انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة
التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من
اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة
او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود
فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة
خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه
ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل
يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان يجعلوا على باب كل خلية بوابا لا يمكن
غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى
ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص

ان

وسلم

واما بتسخيره لما الخ

على اسم النحل

العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة ذكر ذلك على اثر الامر بالاكل من كل ذلك بعد
الوحي وبذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الذبر ايضا
قال الزجاج يجوز ان يقال سمي بهذا الصوت فكأنه قال الله تعالى فعل الناس العسل الذي
يخرج من بطونها بعض اعكابها وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهو مؤنثة بلغة الحجاز
وقد ابتدأها الله تعالى بقال تعالى اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني
ينشرون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر وما وعا الى
الكروم ومنه انسي وهو الذي يأوي البيوت ويعرشه الناس عندهم وقد جرت
العادة ان الناس ينشرون للنحل الاماكن حتى يأوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم
ثم كلي من كل الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل جميع الثمار ملخصة لك هنا ليست
للنحل فاسلكي سبل ربك يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها
لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انه نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق ومسهلة لك
مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني
انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان
اخر حيث شاؤا واراد والانتفاع عليها يخرج من بطونها شراب يعني العسل
مختلف الوانه يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر
ما تأكل من الثمار والازهار يستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله ثم يخرج من افواهها
بسهل كالنعاب وزعم اماطي جزء الدير الذي انه رآه في بعض كتب الكهنة ان العسل كان
من السما. ينزل كالثلج يصيب فيقع على الازهار والاشجار فتجتمعه النحل فتأكل بعضه
وتدخر بعضه فيوتها فما يصيبها التشفي به اذا اجتمع في بيوتها تلك الاجزاء الكثيرة
شيء كثير فذلك هو العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل واجاب
عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان في تجويف الفم داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج
من بطونها يعني من افواهها وقول اهل الظاهر اولى لانا نشاهد انه يوجد
في جوف العسل جوف تلك الازهار التي تأكلها النحل ولذلك يوجد لونها وريحها وطعمها
فيه ايضا ويتعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت معاقير
قال لا قالت فلعل هذه الريح التي اجد منك قال فسقيت حفصة شربة عسل فقالت

حرر من نحله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

جرست نحلة العرفط . العرفط شجر الطلح وله صمغ يُعال له متعاقبة كربا الرابعة
معنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذي له الرابعة الزيعة فثبت
بهذا الدليل صحة قول الطاهر المعبر يرى انه يوجب صمغ العسل ولونه ورجحه
صمغ ما تاكله النحل ولونه ورجحه لما قاله الاطباء ، وانه كمل لانه لو كان كملا لكان على نوع واحد
وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تغري طبيعة التربيع فيه نظر
لان مزاج التربيع معتدل الى الحرارة وهو الكبد والقلب ومزاج العسل حار يابس في الدرجة
الثانية فبينهما مرو كسر وقوله كثر تجويف داخل البدن يتمم بضا فيه نظر
لان بعض البصر اذا كملوا يرد به الاعضاء المعروف مثل بصر الانسان وغيره والله اعلم
وقوله تعلق فيه . يعني به الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس وبهذا قول
ابن عباس وابن مسعود والضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا
في هذا الشفاء . هل هو على العموم للناس او على الخصوص لبعض دون بعض على قولين احدهما
ان العسل فيه شفاء لكل داء وكل مرض فسال ابن مسعود العسل شفاء لكل داء والقرآن
شفاء لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل قال وقال
ناس ان ابن عمر ما كان تخرج به قرحة ولا شيء الا لكم الموضع بالعسل وبغير الخروج
من بطونهم نعتا شراب مختلفا الوانه فيه شفاء للناس وعن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه
عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات
ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ وقد اعترض بعض الملحدين
وقال قبله مرض على هذا الحديث فقال الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل طبيعي يوصف
لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال
يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والتخليط وتداخل الاطباء بمثل
هذا على ان علاجه بان يترك الطبيعة وبعلمها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت
ما دامت القوة باقية فاما حبسها فمضر عندهم واستعمال مرض فيحتمل ان يكون هذا
الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال مرضا .

بداوي

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

بترك اسهاله على ما هو عليه او بتقويته فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل
فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي وقع به
كان به بموافقة شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل
بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار
لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا
الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي
اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه
صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالاهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك
فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن
اخيك يعني باستعجالكم الشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا
كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين
ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس خرج مخرج الاغلب
وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دواء وان نفعه
اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب
البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها
فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لانه شفاء من امراض الشرك
والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود
الى اقرب المذكورات واقربها قوله يخرج من بطونها وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه
لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما
ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله خلقكم يعني والله اوجدكم من العدم
واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا
واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني ارداه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء
عمر الانسان له اربع مراتب اولها سن النشو والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين
سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف
وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى الاربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة

سن الكهولة

سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يشرع الانسان
في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط
من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون
سنة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز
والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات
وفي رواية عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا بهؤلاء الدعوات اللهم
اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله
تعالى لكي لا يعلم بعد علم شيئا يعني ان الانسان يرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان
علم بسبب الكبر قال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه
حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى
يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من اياته قدرته انه كما قدر
على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه
ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد
اماتته فيكون ذلك على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس ليس هذا
في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة
من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل
سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله
تعالى ان الله عليم يعني بما صنع باوليائه واعدائه قدير يعني على ما يريد قوله تعالى
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد
وكثر لواحد وقلل على اخر وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على
بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك
فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالاهية والقدرة
الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد

والهرم

دليلا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله عز وجل هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم
فيما رزقناهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركاء في ملكي وسلطاني يلزم بهذا الحجة
على المشركين حيث جعلوا الأصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل
يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده
وقيل في معنى الآية إن الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في رزقه سواء فلا يحسبن
الموالي أنهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي
للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالي
والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمالك والمملوك
هو الله تعالى وقوله أفبنعمة الله يجحدون فيه إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمته
وعبدوا غيره وقوله عز وجل والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يعني النساء فخلق
من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لأنه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه
بآدم وحواء خلاف الدليل وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة الحفدة جمع حافد وهو
المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء وإليك نسعى ونحفد
أي نسرع إلى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلف أقوال المفسرين فيهم فقال
ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أنهم بناته
أصهاره فهو بمعنى الأول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات
تزوجونهن فيجعل لكم بسببهن الأختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم
الخدم وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين
يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتهنون من الأولاد وقال مقاتل
البنون هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس
هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل
هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة
فإن الحفدة هم غير البنين لأن الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ورزقكم من الطيبات
يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة الحلال
من ذلك كله أفبالباطل يؤمنون يعني بالأصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه

يصدقون

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

يصدقون أن لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام إنكار أي ليس لهم ذلك وبنعمة
الله هم يكفرون يعني أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم إلى غيره وقيل معناه أنه يجحدون
ما أحل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض يعني أن الأصنام
التي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السموات خزانته ولا يقدرون على إخراج النبات الذي في
الأرض معدنه شيئا يعني لا تملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما
لا يرزق شيئا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شيء. يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع
أو دفع ضر فلا تضربوا لله الأمثال يعني لا تشبهوا الله بخلقه وأنه واحد لا مثل له
ولا شبه له ولا شريك من خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق
بالمخلوق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز إن الله يعلم يعني خطأ ما أنتم عليه من ضرب
الأمثال له وأنتم لا تعلمون ذلك وقيل معناه وأنتم لا تعلمون خطأ ما تضربون له من الأمثال
قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه فقال تعالى مثلكم
في إشراككم بالله الأوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين عبد حر
كريم مالك قد رزقه الله علما مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء. فصريح
العقل يشهد له بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والإجلال فلما لم تجز التسوية
بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوي
بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والإفضال وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء
البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء
هو الكافر لأنه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر
على شيء. وقيل إن الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد
بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لأنه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والإنفاق في وجوه
البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو
قوله فهو ينفق منه سرا وجهرا فأثابه الجنة على ذلك فإن قلت لم قال
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك وهو لا يقدر على التصرف قلت
أما ذكر المملوك فليتميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وأما قوله لا يقدر على شيء. احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لأنهما
يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئا. هل
يستوون ولم يقل يستويان يعني هل يستوي الأحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي
هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر والعاصي والمؤمن والطائع
قال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا
حسنا هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى الحمد لله حمد الله نفسه لأنه المستحق
لجميع المحامد لأنه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الأصنام
التي عبدها هؤلاء فإنها لا تستحق الحمد لأنها جماد عاجزة لا يدلها على أحد ولا
معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله
لأنه أهل المحامد والثناء الحسن ولكن أكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني أن الحمد لله
لا لغيره لهذه الأصنام وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم وهو الذي ولد أخرس
فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والأبكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء. هو
إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل وهو كل على مولاه أي ثقيل على من يلي أمره
ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين إذا غلظت شفرته
وكل اللسان إذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث
فيه فقوله وهو كل مولاه أي غليظ ثقيل على مولاه أينما يوجهه أي حيث ما
يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم لا يأت بخير يعني لا يأت بنجح لأنه
أخرس عاجز لا يفهم هل يستوي يعني من هذه صفته هو يعني صاحب هذه الصفات
المذمومة ومن يأمر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات وهو ذو رشد
وديانة يأمر الناس بالعدل والخير وهو يعني في نفسه على صراط مستقيم يعني
على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه
حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده
من أنعامه ويشملهم به من آثار رحمته وألطافه وللأصنام التي هي موات جماد لا تنفع
ولا تضر ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لأنها تحتاج إلى كلفة
الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثالين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يأمر بالعدل

بل

لا يحبس

وهو على صراط مستقيم

وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول
تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل
الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان
بالامساك عن الانفاق في سبيل فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير
ابي بن خلف والذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ولله
غيب السموات والارض اخبر الله عز وجل في هذه الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع
الغيوب فلا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة وهو قوله
وما امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه
لموقف الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه
وهو طرف العين ايضا او هو اقرب يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى
اذا اراد شيئا قال له كن فيكون في اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير
فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى مهما اراده كان كاسرع ما يكون قال
الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة
القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبدأها خاليا
عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم
فجعل السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا
بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعات الله وغرائب
مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانية الله وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا
بها معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد
لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم
رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون امهاتكم وسوائكم
وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الثلاث لازالة الجهل الذي ولدتم عليه

BULAC

واجتنابه العلم والعمل به وشكر المنعم بها وعبادته والقيام بحقوقه والتشرف الى السماء
بسجدكم بالاخرة قال فلت ظاهر الاية يدل على ان خلق هذه الحواس الثلاث
بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان بحكمة خلقه وهو بطن
امه فلت ذكر العلماء فيه ان تقديم الاخراج وتاخيره هذه الحواس لا يدل على انها
ان خلقها كان بعد الاخراج كما ان الواو لا توجب الترتيب وكما ان العرب تقدم وتؤخر
وافعول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن وكانما خلقت في ذلك الوقت
الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك قوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما
انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر المنعم بها عليكم. الم يروا الى الطير مسخرات
يعني مذللات في جو السماء. الجو ابطا الواسع بين السماء والارض وهو الهواء. قال
صاحب الاحياء ان الطير ترتفع في الجو اثنى عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك ما يمسكهن الا الله
يعني في حال قبض اجنحتها وتبسيطها واضطرابها في الهواء. وفي هذا حجة
على الاستدلال بها على انها مسخرا مسخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال
كبر اجسامها وثقلها وهو الله تعالى وهو قوله ان في ذلك لايات لقوم يومنون انما
خص المومنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها ويشعرون بها دون غيرهم
قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا يعني تسكنونه
والسكن ما سكنت اليه وفيه من الفا او تبنيا. وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يعني ان
المساكن على قسمين احدهما ما لا يكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة
والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والاعلاف
المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى تستخفونها يعني تخفون عند
حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في اسفاركم وظعن البادية هو الكب على
او مرعاكم ونحو ذلك. ويوم اقامتكم يعني وتخف عليكم ايضا اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل
عليكم في الحالتين ومن اصوافها واوبارها واشعارها الكناية عائدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا يعني تتخذون اثاثا. الاثاث متاع البيت
الكثير وا صله من اث اي كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعني مالا
وقال مجاهد متاعا وقال الفيلي الاثاث المال جمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع

على مذهب ارتفاع الطير

وقال غيره

وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ومتاعا يعني
وبلاغا وهو ما يتمتعون به الى حين يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت
اي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق
قلت الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف
المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم
والله جعل لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد
وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار ومن الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن فيه من
شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا
فاذا سافر احتاج في سفره الى ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه
الخيام في سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا واما
الفقير فيستكن بظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله
والله جعل لكم مما خلق ظلالا ومن الجبال اكنانا ولا من بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى
الظلال وما يدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان
عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا
من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر
احدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواسن وسائر ما يلبس في
الحرب ليمنع من السلاح والباس الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراساني
انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول
اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم
من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها
من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد
اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر وقوله تعالى كذلك يعني انعم عليكم بهذه النعم كذلك نعمته عليكم
يعني من نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية
والعبادة والطاعة وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى فان تولوا يعني فان اعرضوا
عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك

ما يستكن

يعني كما انعم الخ

يتم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عليهم لا عليك فإنما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير وإنما
عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله بقوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال
السدي نعمة الله يعني محمدا أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الإسلام وهو من أعظم النعم
التي أنعم الله بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله
ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يعرفون بأنها من الله ثم إذا قيل تصدقوا وامتثلوا أمر الله
فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي هو أنه لما ذكر هذه النعم قالوا
هذه نعم كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان
لما كان كذا وقيل إنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا
يشكرونه عليها وأكثرهم الكافرون إنما قال تعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كلهم كانوا كافرين لأنه
كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل أراد بالأكثر الكفار الجاحدين
المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافرا وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر
الأكثر ويراد به الجمع قوله عز وجل ويوم نبعث من كل أمة شهيدا لما ذكر
الله تعالى إنعامه على الكفار وإنكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة
فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة
والمراد به أن الشهداء هم الأنبياء يشهدون على أممهم بإنكار نعم الله عليهم وبالكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار
الدنيا حتى يعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم
ويقرون لهم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة
التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه
عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضى عنه وإذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت
على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست
دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم والاستعتاب التعرض لطلب الرضى وهذا
باب منسد على الكفار في الآخرة وإذا رأى الذين ظلموا يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي العذاب
يعني عذاب جهنم فلا يخفف عنهم يعني العذاب ولا هم ينظرون يعني لا يؤخرون فيمهلون
وإذا رأى الذين أشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا

قالوا

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك. يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم
آلهة. فألقوا. يعني الأصنام. إليهم. يعني إلى عابديها. القول إنكم لكاذبون. يعني أن الأصنام قالوا
للكفار إنكم لكاذبون. يعني في تسميتنا. آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا. فإن قلت
الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام. قلت لا يبعد أن الله تعالى لما بعثها وأعادها
في الآخرة خلق فيها الحيوة والنطق والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها
حتى تكذب الكفار وتراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة
وألقوا. يعني المشركين إلى الله يومئذ السلم. يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن
عنهم. آلهتهم شيئا. وضل عنهم. يعني وزال عن المشركين ما كانوا يفترون. يعني ما كانوا
يكذبون في الدنيا في قولهم إن الأصنام تشفع لهم. الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله. يعني أنهم ضموا
مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله. زدناهم عذابا فوق العذاب
يعني زادهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي
واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل
الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن
اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار
من صفر مذاب كالنار يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على
مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى
النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس
عن سبيل الله. وبما كانوا يفسدون. يعني أن الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله
وبما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر. ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم
قال ابن عباس يريد الأنبياء. قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها
من أنفسهم. يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذين بعث إليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا
من كفر وإيمان وطاعة ومعصية. وجئنا بك. يعني يا محمد شهيدا على هؤلاء. يعني على قومك
وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب. يعني القرآن تبيانا لكل شيء.
تبيان اسم من البيان قال مجاهد يعني ما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء.
يعني من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني لمن امن به وصدقه وبشرى للمسلمين يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل

قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مومنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافات ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير باكثر منه والشر بان يعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وقيل يعني بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن وايتاء ذي القربى يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد وينهى عن الفحشاء قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة والمنكر قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الاية العدل العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان تعفوا عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم

على ما قيل في تفسير هذه الاية

وذكر

321

وذكر في مقابلته البغي وهو أن ينكر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى
يعظكم لعلكم تذكرون يعني إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا
فتعملوا بما فيه رضي الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية
وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس
في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية فقال له
يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة
وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة المأمورات
والمنهيات على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ
بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أوكد الحقوق فقال وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم نزلت
في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل
المراد منه كلما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد
وقيل العهد هاهنا هو اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا
يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا
بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية
ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة
ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها يعني تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على أن المراد
بالعهد غير اليمين لأنه أعم منه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفاء بالعهد إن الله
يعلم ما تفعلون يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى
ولا تكونوا يعني في نقض العهد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد إبرامه وإحكامه
قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد
مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع

BULA

وصارة مثل الاصبع وبلكة عكيمة على قدرهما وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بالغزل وكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرت نقض جميع ما غزلن فكان هذا ابتلاء والمعنى أنه بعد المرة تكلف العمل والاجر عملت بكت عن النقض وكذلك من نقض العهد لا تركه ولا جبر ما بعد وقوبه انكاثا جمع نكث ونحوه ينقض من الغزل او الحبل بعد الفتل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم. يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل به الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يضمر الرجل الوفاء بالعهد وينكر نقضه ان تكون. يعني لان تكون امة هي اربى من امة يعني اكثر واعز امة قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر والمعنى انكم كلما عز نقض العهد بامة اتى جماعة اكثر من جماعة فنقضها لله عز وجل وامركم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا. انما يبلوكم الله به. يعني يختبركم بما امركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم به. وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. يعني في الدنيا فيثيب المطيع ويعاقب المسيء والمعنى لنجازينكم. ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة. يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام. ولكن يضل من يشاء. يعني يخذل من يشاء ويهدي من يشاء. بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون. يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء وتقدم قوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم. يعني خديعة وفسادا بينكم فتغتروا بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويأمنون اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا النهي تأكيدا عليهم واظهارا لعظيم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا وان كان خطابا للذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عام في نقض عهد الله والوعيد الذي بعده وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد فتلد انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان ونحن نقول وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها. مثل يذكر لكل مرتفع بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة او سالم بها وركن بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليه. وتذوقوا السوء. يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله

322

يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك ان نقض العهد بدء غيره نقض العهد
فيكون هو اقدم على ذلك. ولكم عذاب عظيم. يعني ينقضكم العهد. ولا تشتروا بعهد
الله ثمنا قليلا. يعني ولا تنقضوا عهوده وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا
بها. إنما عند الله. يعني وإنما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد خير لكم. يعني من عاجل
الدنيا ان كنتم تعلمون. يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى ما عندكم ينفد.
يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب. وما عند الله باق. يعني من ثواب الآخرة ونعيم
الجنة ولنجزين الذين صبروا. يعني على الوفاء بالعهد على البأساء والضراء اجرهم يعني ثواب
صبرهم باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أجناد ثلاثة اجناد في الجنة ورأيت في النار فأما الذين رأيتهم في الجنة فالشهيد
والذي يملك نفسه عند الغضب والذي يقضي الذي عليه وقضى خيرا وأما الذين رأيتهم في النار
فالسلطان الظلوم والغني المنان والفاحش البذيء وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون قال ابن
عباس رضي الله عنهما من عمل صالحا من ذكر او انثى يعني من عمل صالحا قبل الموت
وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا وقال الضحاك حياة طيبة القناعة وقال
ابن زيد هي الرزق الحلال وقال مقاتل يعني العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم
ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان قليلا فهو كثير عيش الكفار وان كان غنيا لان المؤمن قانع
راض بما رزقه الله وذلك بتقدير الله وتدبيره وغير الله محروم مسخوط لا يصل الا
الى ما قدر له فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدر الله له ورزقه قليلا وغيره ساخطا على ربه وذلك
الغير الذي رزقه ما استراحت نفسه من الكد والحرص فكان عيشه بذلك واما الكافر فانه لما جاهد
بعقله الاصول الحريص على كسب الرزق فيتعب ابدانه حزنا وتعبا وغما وحرصا وكدا ولا ينال
من الرزق الا ما قدر له فيضمر بعقد ان عيش المؤمن المقنوع اكثر من عيشه وقال السدي
الحياة الطيبة انما تحصل عند القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال
مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وقال لا تطيب لاحد الحيوة الا في الجنة لانها حيات بلا موت وغنا بلا فقر وصحة بلا سقم وملك
بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحيوة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله
في سياق الاية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة
قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب
فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا
الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة
في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله
والمومنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى مصونة من وساوس الشيطان عن جبير
ابن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي
قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا
والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه
ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داوود
الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر الاية يدل على ان
الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابي هريرة
واليه ذهب مالك وداوود الظاهري قالوا لان قارئ القران يستحق ثوابا عظيما وربما
حصلت الوساوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد
القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب محصلا فاما مذهب الاكثرين
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة
مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الاية اذا اردت القراءة ان تقرا القران فاستعذ بالله
ومثله قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا اردت
ان تاكل فقل باسم واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل
في اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى
من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة
عند قراءة القران سواء كانت في الصلاة او في غيرها واتفق ساير الفقهاء على ان
الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها

في اول سورة الفاتحة

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

329

في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر
الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على
جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار
الله اياهم على ذلك انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف
في ابدان بني آدم فازال الله تعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له
قدرة وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان
يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان
كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا
قال المحققون لا حول عن معصية الله بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله
ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته
يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون
يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون به قوله
تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل الآية وذلك ان المشركين من اهل مكة
قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر
يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية
فابدلنا مكانه حكما آخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما
ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من احكامه اي هو اعلم بجميع
ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو قوله قالوا انما انت مفتر اي تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله
تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ
وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما تقول ان الطبيب يامر المريض بشرب دواء
ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويامره بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل اكثرهم لا يعلمون
يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله يعني
القرآن روح القدس يعني جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو الطهر

المردة

وبما

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

كما يقال خاتم الجود وكلمة الخير والمعنى الروح المقدسة المكرمة. من ربك يعني
أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد ليثبت الذين امنوا. يعني ليثبت بالقرآن
فلوبا المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا. وهدى وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين
قوله عز وجل ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر وذلك ان مكة قالوا انما يتعلم
محمد القصص وهذه الاخبار من انسان اخر وهو اعجمي مثله وليس هو عند الله كما
يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا بذلك
البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بمكة اسمه بلعام
وكان نصرانيا اعجميا اللسان وكان المشركون يمرون برسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج
من عنده، فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام. وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فربما انما يعلمه يعيش
وقال محمد بن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغني كثيرا ما يجلس عند المروة
الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال
عبد الله بن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابا فكيهة
ويقال للاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرءان التوراة والانجيل فربما
مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرءان ويستمع قال الضحاك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يجلس اليهما فيستريح بكلامهما فقال المشركون
انما يتعلم محمد منهما وقال العوفي قال المشركون انما يتعلم محمد من هذا البشر مملوك
كان لحويطب بن عبد العزى وقد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجميا وقيل هو عداس
غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما
يتعلم هذا الكلام من غيره ثم انه يضيفه الى نفسه ويزعم انه وحي من الله
عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجابهم الله تعالى وانزل هذه الاية
يتكذيبهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي والالحاد هو الميل لا يعبئون بكلامه وان كان يسكن الباء وفيه يسمى
زياد الاعجم كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان
فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار وهو منسوب
الى العرب

3-24

الى العرب **فقوله** وهذا لسان عمر بن ميسر يعني غير البلاغة والفصاحة **ووجه** الجواب هو ان الذي يبشرون اليه رجل اعجمي اللسان عجمته تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام **ومعجز** صلى الله عليه وسلم جاء بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر هو اعجمي على مثله وايضا فصاحة هذا القرآن مع عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا ان القرآن الذي جاء به **محمد** صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه والهوا تي به وتلقنه بل هو وحي من الله عز وجل اليه **وروى** ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه. ان الذين لا يؤمنون بآيات الله. يعني القرآن لا يهديهم الله. يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان. ولهم عذاب اليم. يعني في الآخرة **ثم اخبر الله** ان الكفار هم المفترون **فقال** تعالى انما يفتري. الكذب الذين لا يؤمنون بآيات. يعني انما يقدم على الفرية والكذب من لا يؤمن بآيات الله فحصر الله قول كفار قريش انما انت مفتر واولئك هم الكاذبون. يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا **محمد** صلى الله عليه وسلم **فان قلت** فقد قال تعالى انما يفتري الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول **قلت** قوله انما يفتري الكذب اخبار عن علمهم وقوله اولئك هم الكاذبون نعت لهم ولم يسم قول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت بهذا القول ومن عادتك الكذب **وفي الآية** دليل على ان الكذب من اعظم الذنوب الكبائر لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله **وروى** البغوي باسناده الثعلبي **عن** عبد الله بن حماد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله **فقوله** تعالى **من كفر بالله** من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان **نزلت** في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر بهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما اراد وابلسه لسانهم قال **قتادة** اخذ بنو المغيرة عمارا وعذبوه بسبه وقالوا له اكفر بمحمد فيما يعفو عن ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ق

لسان وآيس

عن ما جاء به الكذب

اي فتح

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يا عمار اكفر فقال كلا يا رسول الله عمار ملئ ايمانا فرفزنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما وراءك فقال شر يا رسول الله منك وذكرت قال كيف وجدت قلبك قال
مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة اسلموا
فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منا حتى نهاجر
فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فعتبوهم عن دينهم فكفروا كارهين
وهذا القول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا اول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة وقال
مقاتل بن حيان مولى عامر بن الحضرمي اكره بعد سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان
ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى حمير وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى ان
يحمل ان الاية عامة في كل مكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا
فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يحتاج الى استثنائه فما الفائدة في هذا
الاستثناء قلت المكره اذا كفر منه بعد الايمان ما مثله يكفر الكافر
كما مر في هذا الاستثناء لهذه المشابهة والله اعلم فصل
في حكم الاية قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر
ان يعذب بعذاب لا كافة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلام الفوية
مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر اسلامه سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه وامه سمية فاما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه
قومه وعشيرته واخذ الكفار والبسوا ادراع الحديد واجلسوه في حر الشمس بمكة فاما
بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقيل يا سر
وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اججها الا ودكاكهم واجمعوا
على انه من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تنص بجاهل بانها مغايرة لما في قلبه
انه كفر بلوا كره على التصريح بما لم يبح له ذلك بشرط ما تبينة القلب على الايمان غير معتقد
ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لكن يا سر وسمية قتلا وما يتلفظا

بكلمة الكفر

بكلمة الكفر ولان بالاصبر على العذاب وما يدل على ذلك قال الغلماء من الافعال ما يتصور
الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها من الاكراه بالسيف او القتل
على ان يشرب الخمر او يأكل الميتة او لحم الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى واتلفوا بايديكم
التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه
كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فلا يتصور فيه الاكراه
واختلف العلماء في حكم المكره فقال الشافعي ومعظم العلماء لا يقع طلاق المكره
وقال ابو حنيفة يقع محتجة الشافعي بعموم ما روينا فيه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن
ان يكون المراد نفي ذاته لانا نجد ذاته موجودة فوجب حمله على نفي اثاره والمعنى
انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان
هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
يعني ذلك الوعيد انما حل بهم لاجل انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله
لا يهدي القوم الكافرين يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به او لا يهدي الذين طبع
الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم بقضاء تقدير وتسيير وان يهدي الغافلين يعني عما يراد بهم
من العذاب في الاخرة وهم قوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون يعني ان الانسان
انما يعمل في الدنيا ليربح في الاخرة فاذا دخل النار فقد خسر انه فكيف عيشه لانه ضيع راس ماله
وهو الايمان وضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد
ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا
يعني على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعد هذه يعني من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور
رحيم نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل
كان اخا له لامه وابا جندل بن سهل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام
وعبد الله بن ابي سيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما اراد وا ليسلموا ثم انهم
بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية في عبد الله
ابن سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان حتى ارتد ولحق
بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وان وجد متعلقا باستار الكعبة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد نبي الهدى

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريد بما سلم وحدث اسلامه وهذا القول الذي
اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات
والله اعلم بحقيقة ذلك **قوله تعالى** يوم تاتي كل نفس تجادل يعني تخاصم وتحتج عن
نفسها بما اسلفت من خير وشر وهي مشتغلة بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها **فان قلت**
النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها **قلت**
ان النفس قد يراد بها بعض الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الاولى هي
مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية بعض بدنه وبعض عينها وذاتها ايضا
والمعنى يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يتفرغ غيرها ومعنى هذه المجادلة
الاعتذار عما لا يخفى منه ويعلمه والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات
وتوفى كل نفس ما عملت يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا
ينقصون من جزاء اعمالهم بل يوفون ذلك كاملا غير زيادة ولا نقصان **روى ان عمر** بن الخطاب
رضي الله عنه قال للكعب اذا جاء خويفنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لتوافين
القيامة بعمل سبعين نبيا فانت عليك نار ولوائك لا يقعدك الا نفسك وان جهنم لتزفر
زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمان يقول يا رب
لا اسئلك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة
حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم تكن يدي ابصر بها ولا رجلي امشي بها
ولا عيني ابصر بها فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش بها
ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق اللسان وفيه
ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعدا دخلا حائطا يعني بستانا
فيه ثمار فنادى الاعمى لا ابصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب
قوله عز وجل ضرب الله مثلا قريتين والمثل عبارة عن قول يشبه قولا بشيء لمناسبة بينهما
ليبين احدهما الاخر ويصوره **وقيل** هو عبارة عن المشابهة لغيره بمعنى المعاني اي معنى كان وهو اعم
من اللفظ الموضوع للمشابهة **قال الامام** فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا

لو ابل

او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل
يحتمل ان تكون شيئا معدوما ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني
فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب
انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة قال الزمخشري في كتابه
الكشاف وضرب الله مثلا قرية اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله
عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تكون قرية
مقررة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله
مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي معنى ضرب المثل بيان المشبه والمشبه
به وها هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة
المفسرين نازلة في اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم
النبي صلى الله عليه وسلم فتقرير الاية ضرب الله لقريتكم مثلا اي بين الله لها شبها ثم قال
قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثل لانها هي المثل بها في المثل ويجوز ان يكون المعنى
ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد
بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه
القرية قولان احدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو
الصحيح والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله
عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الاية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض
المفسرين وهو الصحيح لان الله تعالى وصف هذه القرية بصفات سنية كانت هذه الصفات
موجودة في اهل مكة فضربها الله لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم
ما اصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الاية
في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله
عليه وسلم في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة انما امر بالقتال
لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو
بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية
يعني مكة كانت امنة يعني ذات امن لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم مطمئنة يعني

مقدرا

مقدرة

بيان الممثل

يبعثها

فارة بالطعام لا يجتاجون الا استغال عنها للانتجاع كما كانوا يحتاج اليه سائر العرب
بانتيجاز فصار غدا بعني واسعا مرتكل مكان بعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر
بكثير قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
قوله وارزق اهله من الثمرات بكسر بعني بفتح الفريد والمراد بنعمها بانعم الله جمع نعمة
والمراد بنعما سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم
بالجحود والكفران جزى الله تعالى انتقم منهم وفعال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقحط عنهم المطر وقطعت العرب عنهم
الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهد واما كلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
والميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ويلتك به حتى يعود كهيئة الاعراض فكان احدهم ينظر
الى السماء فيرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ثم ازروسا مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وقالوا ما هذا فقد عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس بحمل الكلفة اليهم وهم بعد مشركون والخوف بعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم
وسراياه التي كان يبعثها الاغارة فكانت تخيف بهم ويغارون على من حولهم من العرب فكان
اهل مكة يخافونهم جار فلت الاذافة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما
والاذافة والاغارة المستعارتان موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ابقاعها عليه وهو
ان اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال وكساه الله لباس الجوع او يقال اذاقهم الله كعم الجوع
قلت قال صاحب الكشاف واما الاذافة فقد جرت عندهم مجرى الخفيفة
لشيوعها في البلايا والشدايد وما يتسرى الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر
واذاقه العذاب لشبه ما يدرك من اثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما
اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس واللباس ما غشي الانسان وتبسبه
بعض الحوادث واما ايقاع الاذافة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة
عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقها ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر
بعده رعيا لمعاني والبيان ما يشهد لصحة ذلك ما قال وفعال لما قال فخر الدين الرازي
جوابه من وجوه الاول ان الذي حصل لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق
هو الضعف فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع الثاني ان ذلك الجوع كان شديدا

كما ط

324

كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل لهم بذلك الجوع حالة تشبه الجوع وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير عبر عنها الله بلباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بالاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار ويوضع موضع التعريف والاختبار تقول ناظرت فلانا وذقت عنده قال الشاعر ومرة يذوق الدنيا مثل طعمها ويسقى الينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضعف وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال ويكسوه البال كما تقول تجرعت سوء اثر الجوع والخوف على ما وذقت لما تعرفت الوجه الثالث ان يحمل لبظ الذوق والتبس على المعاشة فصار التقدير فاذاقها الله مباشر الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت لان اذا دخل الفرية والمعنى بعلنا بهم ما يعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا يؤذون الامر والناهين وينسبونه والمخطئ ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو ارسال محمد صلى الله عليه وعلى اليهم رسولا منهم يكبرونه ويعظمونه ويذبون عنه ويقاتلون اعداءه واراد واقتله فاخرجه الملك من بينهم واوى به الى المدينة وسلك على اهل مكة البلاء والشدايد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم

قوله تعالى ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه وبيوته قبل النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم الاية وهم ظالمون يعني كافرين فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فيه اضمار هذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا عادينا الرجال في اموال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وهو على القول الاول وهو الصحيح قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من البر والغنائم حلالا طيبا يعني

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة وطيبها لهم ولم تحل لأحد قبلهم واشكروا نعمت الله
يعني التي أنعم بها عليكم إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها
في تفسير سورة البقرة فلم نعده هاهنا وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب يعني ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام يعني أنكم تحلون وتحرمون
لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب إلا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك
قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه
الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء
ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك إلى الله وهو قوله تعالى لتفتروا على الله
الكذب يعني لا تقولوا إن الله يأمرنا بذلك فتكذبوا على الله لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله
ثم أوعد المفترين الكذب فقال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم
إن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى متاع قليل يعني متاعهم
في الدنيا متاع قليل فإن لا بقاء له ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة وعلى الذين هادوا يعني
اليهود ما قصصنا عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الأنعام وهو
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم
نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله
ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة
مغفرته ورحمته لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي
وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فإنما يفعله بالجهالة لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح
فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية إنما يصدر عنه بسبب جهله إما لجهله
بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا أن من فعل
السوء إنما يفعله بجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح
العمل في المستقبل فإنه يتوب عليه برحمته وهو قوله ثم تابوا من بعد ذلك يعني

حرمنا

ربو

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

328

من بعد عمل ذلك السوء. واصلحوا. يعني واصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح
الاستقامة على التوبة. ان ربك من بعدها. يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة
منه. لغفور. يعني لمن تاب وآمن رحيم. يعني بجميع المؤمنين قوله عز وجل
ان ابراهيم كان امة حكى الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب
فلان رحمة وفلان علامة وفلان نسابة يقصدون بهذا التانيث قصد التناهي في هذا
المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله
تعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة
لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة
ومنه قول الشاعر وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير
يعني انه كان معلما للخير يأتم به اهل الدنيا الثاني قال مجاهد اني كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن
عمرو بن نفيل يبعثه الله امة واحدة وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية
وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه
السلام اماما يقتدى به دليله قوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام
هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق
وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام
مقام امة في عبادة الله. قانتا لله. يعني مطيعا لله وقيل هو القائم بامر الله. حنيفا. يعني
مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل من اختتن وضحى واقام مناسك الحج
سمي حنيفا وابراهيم عليه السلام اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج. ولم يك من
المشركين. يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره. شاكرا لانعمه.
يعني انه كان شاكرا لله على انعمه التي انعم بها عليه. اجتباه. اي اختاره لنبوته واصطفاه
لخلته. وهديه الى صراط مستقيم. يعني هديه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم
والدين القويم. وآتيناه في الدنيا حسنة. يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق

ليس على الله الخ

بأوامر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان
يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في
التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
وقيل هي انه اتاه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني في اعلا مقامات
الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من
بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة
العالية امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول
كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له
وقال ابو جعفر الطبري امرنا باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو
قوله حنيفا وما كان من المشركين تقدم تفسيره قوله تعالى انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم
يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا
فيه شيئا من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه
من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام
بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد
فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فبورك لهم فيها ق عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن السابقون الآخرون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا
واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا
فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم
القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا
فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا والاولون يوم
القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم
قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة

فتدخل هذه الامة

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم
او الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي
عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم
لاقامة شرايعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه
الامة مبينا ولم يكله الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد
جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل
له دعهم قال القاضي عياض ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا
فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن ان يكونوا امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا
فيه هل يلزم تعيينه او لهم ابداله فابدلوا وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في
قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت
فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه
ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك
وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم
معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق
الاشياء وقال آخرون بل الاحد افضل لان الله تعالى ابتدا فيه بخلق الاشياء وهذا غلط
لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل
فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق
في ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت
يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى
وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان
الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت
يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب
الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وهو اولى ووجه آخر وهو ان الله
عز وجل خلق فيه اشرف خلقه وهو آدم عليه السلام ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة
اشرف الايام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم

يوم في الجمعة الخ

ان يكون امر به الخ

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولم يختاروا لانفسهم شيئا فكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم
قال بعض العلماء بعث موسى عليه السلام بتعظيم السبت ثم نسخ بيوم الاحد
في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل
الانبياء. وفي معنى الاية قول اخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله
بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اي وبال السبت
ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا
قردة وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في سورة الاعراف وبعضهم
ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة وقوله
تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني في امر السبت فيحكم
بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو
دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة
والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك
تناصحهم وتقصد ما ينفعهم وجادلهم بالتي هي احسن يعني بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا
على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلماء الكاملون اصحاب العقول الصحيحة
والبصائر الناقية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم
بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء
بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم
الثاني وهم اصحاب الفطر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا
حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم
بقوله والموعظة الحسنة والقسم الثالث وهم اصحاب جدال وخصام
ومعاندة وهم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن يعني ينقادوا للحق
ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة

حتى

وموعظة حسنة

وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والى رسالته والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين والدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عما اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض العلماء التعبير هذا منسوخ بآية السيف او ربما هو اعلم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انا عليك يا محمد تبليغ ما ارسلتك به اليهم ودعاؤهم بعد ذلك الى الثلاثة وهو اعلم بالفريقين بالضال والمهتدي فيجازي كلا على عمله

قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الآية بالمدينة في شأن المثلة وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى بقر حمزة فلم ير المسلمون مثلة قط هي اعظم من هذه المثلة به غير حنظلة مر به على فرس له فاذا هو بأبي سفيان قد بقر عن بطن حمزة فأخذ حربته فوجأ بها في لبة فرسه فطعنه فيها فوثب عنها فرسه فنظر اليه فاذا هو حنظلة فقال لقد هممت ان اطعن في جوفك كما طعنت في جوف فرسك فقال حنظلة لقد هممت ان تطعن في جوفي كما طعنت في جوف فرسي لولا ان الله عز وجل قد نهانا عن التمثيل بالناس لمثلت بك في الدنيا والآخرة فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن ظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وفعلوا مذاكير وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة فلاكة من كبده فمضغتها ثم استعرضتها لتأكلها فلم تستطع بها فلفظتها حتى مرت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما وجدوا احدا لوا لتهما لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيء من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمت ما كنت الا وصولا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن بعدك عليك لسرني ان اودعك حتى تحشر من بطون الطير والسباع واما والله لئن اظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر ونمسك عما اراد وكفر عن يمينه عمر ابن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش

بشأن او بسبب

بما علمت

الحمد لله وحده وصلى الله على
من لا نبي بعده

بعد البيع بقتال رسول الله كثير من الفقهاء الاربعة خرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وأما تفسير الآية بقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
سمي الجزاء الاول باسم الثاني للمزاوجة بينهما والمعنى ان صنع بكم سوء فقتل
او مثلة وغدر فعاقبوا بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها أمر الله بمراعاة العدل والانصاف به هذه الآية بآية استيفاء المخفوف
بعني ان رغبتم به استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم
والظلم ممنوع منه بعدل الله وبنهيه ورحمته وبهذا الآية دليل على ان الاولى ترك استيفاء
القصاص وذلك بكم بين الاشارة والهمز والتمر بضم الثاء الاولى وان كان الابد راستيفاء القصاص
فيكون من غير زيادة عليه بل تجب مراعاة المماثلة ثم افتتح سبحانه الكلام بين التصريح
بقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص
كان ذلك العفو والصبر خيرا لكم استيفاء القصاص وفيه اجر للصابر بالعافين فصل
اختلف العلماء في هذه الآية منهم من قال الحكم فيها احدهما انها نزلت قبل براءة
وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله
وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما
امر الله بالقتال وكثر اهله امر رسوله بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم فلا يحل
لمن نال من ظالمه اكثر مما نال منه الكفار وبهذا قول مجاهد والنخعي والحسن
وسيرين والثوري قال بعضهم الا ان انها محكمة لان الآية وردت في تعليم حسن الادب
في كيفية استيفاء المخوف والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذا الاشياء
لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم فوله عز وجل واصبر وما صبرك
الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه
ان صبره بتوفيقه ومعونته ولا تحزن عليهم يعني الكافرين واعراضهم عنك وقيل معناه
ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم ما نيل افضال رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق
مما يمكرون يعني ولا يضيق صدرك يا محمد بسبب مكرهم بل الله كافيك وناصرك عليهم
قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فيقال لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح

الاشارة

الغ

381

الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيدة الضيق بالكسر في المعاش وفي المسكن والضَّيْق بالفتح في القلب والصدر وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل ميت وميت وليس ليّن فعلى هذا هو صفة كأنه قال ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم قال الزمخشري وفي الدر المنثور على هذا الكلام المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة بالموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا بالصفة وكل المعنى ولا يكن الضيق فيك الا بعد ان يكون فيهم وقد تقدم بيان ذلك قوله ضيق بفتح الضاد اذا عظم وقوي صار كالشيء الجيد بالإنسان ركل جانب كالنميص المجيد وكانت الباء في قوله بهذا اللفظ بعد هذا المعنى الله مع الذين اتقوا اي اتقوا المثلة والزيادة في الفصاص وسائر المناهي والذين هم محسنون يعني بالعفو عن الجاني وهذه العبارة يعني بالعفو والفضل والى حمد يعني ما ردت ايها الانسان الى الكون بعد بالعفو والفضل والى حمد بكثير التقدير المحسنين وهذا اشارة الى التعظيم للامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الدين صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل يعني بر حيا بعد الموت او بر قال انما الوصية بالمال والمال لك ولكني اوصيك بغيرك سورة النحل والله اعلم بمراده واسرارك به تفسير سورة بني اسرائيل

فصل في نزولها قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا اربع آيات منها فانها مدنية قتادة وعن ابن عباس انه قال هي مكية الا ثمان آيات من قوله وان كادوا الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل هي مدنية وقيل ربما ادخلت مدخل صدق الآية وقوله واذ الخبر اوائل الكتاب من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله وان كادوا ليفتنونك وقوله وان كادوا ليستفزونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر آيات وقيل احدى عشرة آية والف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وستة آلاف واربعمائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سوء هكذا ذكره بغير سند قال النحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا والتسبيح هو المصدر وسبحان الله اسم علم للتسبيح

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وتفسيره سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله اللغة التباعد
يعني سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما ينبغي. الذي أسرى بعبده. يقال سرى به
وأسرى به لغتان بمعنى أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون والمراد به محمد
صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الأمة في ذلك وقوله بعبده إضافة تشريف
وتعظيم وتجليل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم بالله الذي أنجى الأبياء عبده
وأنه رأى أشرف الأسماء. فإن لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية
والمراتب السامية بعد ليلة المعراج أوحى الله عز وجل إليه يا محمد تم شرفك فالوب
حيث تنسبني إلى نفسك بالعبودية فأنزل الله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا جار فلت
الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل فلت أراد بقوله ليلا بيان الشكير
تقليل مدة الإسراء. وأنه أسري به في بعض ليلة من مكة إلى السماء مسيرة شهر أو أكثر فدل
تنكير الليل على التبعيضية من المسجد الحرام فإن كان الإسراء من غير مسجد مكة وفي حديث
مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام بين النائم
وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به مرارا وقيل في شأن بني كعب
وبني شيبة عمدا اختير على فعل هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم إلى المسجد الأقصى يعني
بيت المقدس سمي به لأن المقدس يتطهر فيه بعد من المسجد الحرام أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله. يعني بالأنهار والأشجار والثمار وقيل لتضاعف الصلاة فيه لأنه مقر الأنبياء.
ومهبط الوحي وقبلة الأنبياء. قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإليه يحشر الخلق
يوم القيامة قبل فلت كلمة الإيذان بدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس
وأما حديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء. وكيف الجمع بين الدليلين
وما فائدة ذكر المسجد الأقصى بعد فلت كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد
الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى بعد
أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه
أسري به إلى بيت المقدس وبارك صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه
عليها أخبر بعد ذلك بعراجه إلى السماء. فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة
لعراجه إلى السماء. وقوله تعالى لنريه من آياتنا. يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى

ثم الله

J32

محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الايات العظام مما رأى فلما
بعضهن بقوله سبحانه لنريه من آياتنا تقتضي التبعيض وقال يحيى ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت السموات والارض وكما ظهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على
محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به قبله وجنسه فلما ملكوت السموات والارض بعض
آيات الله ايضا وآيات الله افضل من ذلك واكثر بالضرورة محمد صلى الله عليه وسلم
من آياته وعجائبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات والارض فضلا بهذا القياس
فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم انه هو السميع لما قوله
ودعائه البصير لاعماله والعالم به في ظلمة الليل وفي النهار وقيل انه هو
السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من
التكذيب وقيل هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير باعمالهم فيجازي كل عامل
بعمله فحمله على العموم اولى فصل في ذكر حديث المعراج
وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه وعن قتادة عن انس بن مالك رضي الله
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا الحطيم وربما قال
قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ اتاني آت فقال فسمعته يقول
فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره
الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست
من ذهب مملوء ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل
وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة فقال انس نعم يضع
خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي
السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد فقيل وقد
ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا فيها آدم
فقال هذا ابوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فبعثه فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل و
من معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما
خلصت فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم
المجيء جاء ففتح فخلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت فرد
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء السادسة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال ابكي لان
غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السماء السابعة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم
عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت
الى سدرة المنتهى واذا بنبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال
هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان
يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع
الى البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي
الفطرة التي انت عليها وامتك قال ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلاة كل يوم فرجعت
فمررت على موسى فقال بم امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع
خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة

ما هذه

فارجع الى ربك

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الى موسى

فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت فقال مثله
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت
الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات
كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك
لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد
المعالجة فارجع الى ربك فاسله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكني ارضى
واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية
اخرى بالخمسة عشر وفي رواية بينما انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه
ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وايمانا وفيه فرفع الي البيت المعمور فسالت
جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخر
ما عليهم ق عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي
فعرج بي الى السماء فلما جئنا الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال
من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه
قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره
اسودة فاذا نظر الى يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن يساره
نسم بنيه واهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه
ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى السماء الثانية فقال
لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا قال انس بن مالك فذكر
انه وجد في السموات ادم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم
غير انه ذكر انه وجد ادم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما
مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال
فقلت من هذا قال موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال
فقلت من هذا قال عيسى قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
قال فقلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة
الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت مستوى
اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض
الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى قال موسى ما فرض ربك على امتك
قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال
فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت
الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى
اتى سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها
جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك ق عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول
ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى
اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال
اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه
ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه
عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره
وجوفه وغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب
محشو ايمانا وحكمة فحشى صدره وتفاريده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به
الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا قال جبريل قال ومن معك
قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السماء
لا يعلم اهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا ادم عليه السلام
قال جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا واهلا يا بني نعم
الابن انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال

هذا

مستوى

هذا النيل

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

334

هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من
لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
حبا لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة مثل ما قالت الاولى من هذا قال
جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج
به الى السماء الثالثة قالوا مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا مثل ذلك
ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا مثل ذلك
ثم عرج به الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم فاوعيت
فيهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم
في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال موسى رب لم اظن ان ترفع علي احدا
ثم علا بي فوق ذلك مما لا يعلمه احد الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما يوحى اليه خمسين صلاة على امتك
كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك
قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك
وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم
ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا
فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت
خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني اسرائيل قومي على
ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع
فليخفف عنك ربك. كل ذلك يلتفت النبي صلى النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام
ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي اجسادهم
وقلوبهم واسماعهم وابصارهم ضعيفة فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك
قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب فكل حسنة بعشر امثالها
فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا
اعطانا بكل حسنة عشر امثالها فقال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك
فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

فما اختلف

والله استحييت من ربي فيما اختلف قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث ثابت البناني المسند وذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بي الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني خالة عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام اذ هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها

بابني الخالة

من امر الله

مر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان يعتني ما حسنتها ما وحي الي
ما اوحي فعرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا تطيقه فارجع الى ربك
فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه
شيء فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي
حتى استحييت منه هذا رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل افبمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النسائي مختصرا
والمعنى واحد وفيه اخر قال فرجعت الى ربي فقلت التخفيف فقال ان الله خلق السموات
والارض فرض عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك بوقت
انفعها امر الله صلى يقول ثم ما ارجع فصل قال البغوي في معرض اهل
الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم كتابا مثلها لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك
ابن ابي نمر وان سرد احوال الاسراء على تمهيد وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي وانفق
العلماء على ان الاسراء كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك
وتعالى رد ما تبدل وذكرت عائشة ان الذي تبدل هو جبريل عليه السلام قال البغوي
وهذا الامتراض عند ما يصح لان هذا كان قبل ان يوحى اليه
بدليل اخر الحديث ما تستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي
وقبل الهجرة بسنة تخفيفا لما ابتلي به اهل مكة من اذاه وفتنته على
الحديبية بسنة ست من الهجرة ثم كمل تخفيفها سنة ثمان وتنزل قوله تعالى لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه شرح مسلم

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

فد جاء به رواية شريك بهذا الحديث أو بعض أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك
بقوله فذكر وأخر وزاد ونقص **منها قوله** وذلك قبل أن يوحى إليه ونحو غلط لم يوافق عليه
وأن الإسراء قبل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا **وقال**
الحربي كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة **وقال** الزهري كان بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمس سنين **وقال** ابن إسحاق وأسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام
بمكة والقبائل **قال الشيخ** محي الدين وأشبه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق **وأما**
قوله به رواية شريك ونحوه ثابت وفي الرواية الأخرى بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان
فقد يحتج من يجعلها زيادة ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أولا وصول الملائكة وليس في
الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها بل الغالب خلافه **وهذا** الذي قاله هو رواية
شريك وأكثر أهل العلم فذاكر وهاهنا قاله غيره **وقد ذكر** البخاري في رواية شريك بعد
فراغه من كتابة التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا **قال** الحافظ عبد الحق في كتابه
الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر
عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء
جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كمالك وشعبة وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس
فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والأحاديث
التي تقدمت قبل هذا هي المقبول عليها **فصل** وشرح بعض ألفاظ حديث
المعراج وما يتعلق به **كانت** ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت بمعنى وجبت
ومضت وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا **واختلف** الناس في الإسراء
برسول الله صلى الله عليه وسلم **فقيل** إنما كان ذلك بالروح **والذي** عليه أكثر الناس
ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين منهم والمحدثين والمتكلمين أنه أسري
بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم **ويدل** عليه قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ولفظ
العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة
هذا القول نص لها ونحن عندها **وحكى** معمر عن الزهري في تفسيره عن
حذيفة أنه قال مثل ذلك سواء وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما
أسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضا ومعاوية نحوه **والصحيح** ما عليه

جمهور العلماء

جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم **قوله** صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو اسم لدابة ذلك ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به **والبراق** فرس أبيض لنور عنقه أو لشدة صفاء لونه وبياض صوفه وقيل لأنه يبرق في سيره **قوله** والحفنة بإسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بها هنا البراق بالحفنة الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى **قوله** جاءني جبريل بإناءين خمر وإناء لبن فنظرت فاخترت اللبن فقيل اختصار تقديره وقال لي اخترت فاخترت اللبن **قوله** فقال جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الإسلام وجعل اللبن علامة للفطرة السليمة لكونه سهلا هنيئا سائغا للشاربين وأنه سليم العاقبة بخلاف الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر **قوله** ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل فمرحبا به فنعم المجيء جاء فأتينا على آدم فسلمت عليه وبشرني بخير وأقر على بها حرسا **قوله** فأتينا السماء وفي رواية أخرى فقد أرسل إليه وفي الرواية الأخرى فقد بعث إليه معناهما للأمر وصعود السماء وليس مرادا به الاستفتاح عن أصل البعثة وإلى مسألة فإن ذلك لا يتجه عليه إلى بعد المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غير ذلك **قوله** فإذا أنا بنادي وذكر نحو ما عند غيره من الأنبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح والبشر والترحيب والثناء الحسن وكان الزاي فتح الراء وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه من الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة **قوله** فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل ظهره إليها **قوله** ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية السدرة باللام واللام وفي باقي الروايات سدرة المنتهى **قال** ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض فيقبض منها وما يصعد من فوقها من أمر الله عز وجل **قوله** وإذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين أو أكثر **قوله** ثم رجعت إلى ربي **قال** الشيخ محي الدين معناه ثم رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولا فناجيته فيه ثانيا **قوله** ثم أزال أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل **قلت** وأما الكلام على معنى الرؤيا وما يتعلق بها فإنه سيأتي إن شاء الله تعالى

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله على أمتي خمسين
صلاة الى قوله فوضع شطرها وقوله في الرواية الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى خمسا
ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف
وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة وهما اثبت
من شريك فالمراد حط عني خمسا الى اخره ثم قال هي خمس وهي خمسون يعني خمسين في الاجر
والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء
قبل فعله وفي اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا
في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد من الشرح الثاني زيادة التطهير
لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم
متوهم انه يجوز استعمال إناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة
وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى
ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما
فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة ادم عليه
السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسره في الحديث
بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في السماء
وارواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه بانه يحتمل ان
ارواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على ادم مرور النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبر بما راى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه
شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المومن منهم وحزنه على سوء حال الكافر منهم
وقوله في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون ان ادريس هو
اخنوخ وهو جد نوح عليه السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان
ينبغي ان يقول بالابن الصالح والنبي الصالح كما قال ادم وابراهيم عليهما السلام والجواب
عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد النوح هذا
جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وآخر قوله (الخ) الصالح المجمل بكسر فالد تلطفا وتأدبا وهو اخ وأركانا
لما الانبياء اخوة والمرسلون اخوة **فصل في ذكر (اياته)** التي ظهرت بعد
المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسيأتي احاديث تتعلق بالاسراء. **قال**
البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل
ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق **قال ابن عباس وما بلغه عن رسول الله**
صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري به اصبحت بمكة فعرفت بامره وعرفت ان الناس مكذبي
قروي انه صلى الله عليه وسلم فعد مغتما حزينا. فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ
هل استفدت شيئا. قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم جئت
اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان يكذبه خشية ان يجحد الحديث ولكن قال
أتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فانفضت
المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا
الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فمن بين مصفق وبين
واضع يده على رأسه متعجبا وانتدناشر ممن كان قد امن به وصدقه وسعى رجال من المشركين
الى ابي بكر الصديق فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال
ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس
وجاء به قبل ان يصبح قال نعم انى لأصدقه فيما هو ابعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في
غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وكان قد نعت المسجد الاقصى فقالوا
هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم فما زلت أنعت وانعت حتى التبس علي قال
فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته المسجد وانا انظر اليه
فقال النبي لما انتهت هو والله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا **محمد** اخبرنا عن عيرنا لعلنا نلقى منها شيئا
بالروحاء.
قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا
وهم في طلبه وبرحالهم قدح ماء فكشفت بها خذته فمن شئتم ثم وضعته كما كان
فسيقولون لي وجدوا الماء في القدح حين رجعوا فانوا هذه. اينذ قالوا ومررت بعير بني فلان وفلان
بالتكسير
وفلان الكبار نعم دالما فنفر بعير منها فمر على بعلان فانكسرت ساقه فجاء ذلك
فقالوا وهذه. اينذ قالوا اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا لما عدتها وما تلفها

العمر لله جل وصلى الله وسلم
على سيدنا نبي بعده

يعدهما

وقعيتها فقال كنت بشغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها وترتيبها
وكانوا بالجزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان
مخيط كساء تكلع عليه عند طلوع الشمس فالوا وهذا آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية
وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى إنا كنا نجلسوا عليه فجعلوا ينكرون حتى
تكلع الشمس فيكبو فقال قائل منهم هذا الشمس قد كلعت وقال آخرون هذا العير قد
كلعت يقدمها بعيرا ورقاء فيها فلان وفلان كما قال فلم يرموا وقالوا هذا سحر مبين

يكبو

م عمر بن بصير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش
تسألني عن مسراي ببعض أشياء لم يثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألون عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني
في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة
وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم
قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم
فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام
وعن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى
الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه رواه البخاري في رواية له
لما كذبني قريش قمت أسري بن إلى بيت المقدس وذكر الحديث م عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره
عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل
بذابة ضبعة فحرن به الحجر فشد به البراق أخرجه الترمذي وقال فلما كبعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالأنبياء بيت المقدس ثم وجد بهم
على مراتبهم بالتسبيح تارة وسلموا عليه وأجابهم وكيف تصح الصلاة على الأنبياء بعد الموت وهم
في الدار الآخرة فلنا أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء بيت المقدس فيحتمل
أن الله جمعهم له ليصلي بهم ويعتبروا بفضله وتقدمه عليهم ثم الله تعالى أعلم أيا هم
بالتسبيح على مراتبهم ليتبع فاضلهم مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلي
في قبره عند الكثيب الأحمر فيحتمل أنه كان بعد رجوعه عن المعراج وأما جمع صلاة الأنبياء

في الدار الآخرة

338

وهم بالدار الآخرة بسم بحي الشهداء بل بقتل منهم وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء بالنبيا احياء بعد الموت وأما حكم طاقم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من اعمال الآخرة قال الله تعالى في نوافع فيها سجادة اللهم وأما بالحديث أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصص في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انهم يلبون ويحجون وكذلك الصلاة والله اعلم بالعقائد قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا يعني وقلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يعني ربا وكيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله بنيا عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب يعني اعلمناهم واخبرناهم فيما اتينا من الكتب انهم لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وهو قوله لتفسدن في الارض قال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب قال بعض على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام لتفسدن قال القسم مجازي والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس ولتعلن يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا اذا جاء وعد اولاهما يعني اول المرتين فيل بعثنا عليهم في المرة الاولى فقتل شعيا بالنجدة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليهم عبادا لنا يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل سنحاريب وهو من اهل نينوى وقيل بختنصر البابلي وهو الاصح اولي باس شديد يعني ذوي بطش وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار يعني طافوا بين الديار وسطها يطلبونكم ليقتلوكم وكان وعدا مفعولا يعني قضاء كائنا لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من بعد توبتكم ورجعتم عن الفساد وامددناكم بالاموال والبنين وجعلناكم اكثر نفيرا يعني اكثر عددا ان احسنتم احسنتم لانفسكم يعني لها ثوابها وجزاءها حسناتها وان اسأتم فلها يعني فعليها عقابها اسأتم فلها اذا جاء وعد الآخرة يعني المرة الآخرة لافسادكم وهو قصد قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه

مترتبين

اشعيا

البابلي

BULAC

الحمد لله حق حمده وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وسلط الله عليهم ابختنصر وانزل بيت المقدس وقتلهم
وهو قوله ليسوءوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويغموكم وقرئ بالنون اي ليسوء الله
وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس دخولا واجبا كما دخلوه اول مرة يعني وقت
ايجاد الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل
اعلم انه ذكر المفسرون في هذه الآية قال محمد بن اسحاق كانت
بنو اسرائيل يحيى الاحداث والذنوب وكان الله يذلهم ويجاوز عنهم ويحسن اليهم وكان
اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يقال له صديقة وكان الله اذا ملك عليهم
الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا يزال عليهم كتابا بالمواعظ وبالاتباع التوراة
والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث معه شعيا بن امضيا وكان قبل مبعث زكريا
ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشري اورشليم
ومعناه ابشري يا بيت الله يا بيت الحمار ومربعد صاحب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة
بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه
شعيا فبعث الله سنجاريب ملكا بابل ومعه ثمانية آلاف راية فلم يزل يغير حتى نزل
حول بيت المقدس والملك مريض فرحمه كان به فجاء شعيا النبي اليه وقال ان ملك
بني اسرائيل الان سنجاريب ملك بابل قد نزل بلدهم وجنوده وقد هابهم الناس وفرقوا
منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله بعلمك الله وحي فيما حدث فتجهز نابه وبما يجعل الله
بناء وبسنجاريب وجنوده فقال شعيا ما لي وخبر ذلك فبينما هو على ذلك اوحى الله
الى شعيا النبي ان ايت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من شاء
من اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرائيل فقال ان ربك قد اوحى اليك ان امرك ان توصي وصيتك
وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا صديقة
الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى يغلب ممتلئ الصوت
رب الارباب واله الالهة يا قدوس المقدسين يا رحيم يا رحمان يا رحيم يا ذا الذي لا تأخذه سنة
ولا نوم اذكرني بعملي وعملي وخشيتي قضاء بني اسرائيل وذلك كله كان منذ واثنا عشر
سنة منه بكيرة وعلانية لك ما استجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الله
الى شعيا ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمسة عشر سنة

الجمل

شر

خمسة عشر

وانجاه رعدو سنجاريب باطلا شيعا ما خبرك فقال له ذلك الغلام عنه الخبر وخر
ساجدا وقال الهي والهة ابائي لك سجدت وسبحتك وكرمتك وعظمت اسمك الذي تعلم
الملك مرتشا. وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا. وتذل من تشا. عالم الغيب والشهادة
انك الاول والاخر والظاهر والباطن وانك ترحم وتستجيب دعوة المضطر اسألك الذي
اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صيغة
يأمر عبدا رشيدا فيأتيه بما التين فيجعله على قرحته فتشفى فيصح ويفرز يفعل ذلك
فيشفى فقال الملك لشعيا سلني ما بدا لي لأجعل لنا على ما هو صانع بعدونا هذا فقال الله
لشعيا قل له اني قد كفيتك عدوك وانجيتك منه وانه سيصبح من كل الاسنجاريب
وخمسة نفر من كتابه جثثا صرعى. صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله
قد كفاك عدوك فاخرج فاذا سنجاريب ومعه قتلوا فخرج الملك والقس سنجاريب
فلما رآه جذب الموتى فبعث الملك بطلبه فادركه الطلب بمغارة ومعه خمسة نفر كتابه
آخذ بلحيته فضربه بالجوامع ثم انواع الملك بالسلاح خر ساجدا لله ورجع طلعت
الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بك الا يفتك بحوله وقوته ونمرودا نتم
غافلون فقال سنجاريب فداتك خبرونا ونصرنا اياك ورحمته التي ترحمك بها فقال اخرج
ربلاني بلم أصنع مرشدا ولا يلفني بالشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت او عقلت ما غرتكم
فقال الملك صيغة الحمد لله رب العالمين الذي بعافيته تتم الصالحات ولا يتم الكرامة بعد
عليه ولكنه انما ابقاك ورفعك لشر اردوا شقوتك بالدنيا وعذابك بالآخرة ولتخبروا قومك بما
رأيتم ربعلم بنا بما فعلتم ولو لا ذلك لقتلك ورفعك ولكنك وفي رفعك امور على الله
رد وفراد لو قتلت ثم ان الملك بني اسرائيل بلا امر امير حرسه ان يفتح باب الجوامع
ويعلو كل بناء مسجد بيعا حول بيت المقدس واليا. وكان يرزقهم بكل يوم خبز نير شعير
فقال سنجاريب للملك صيغة القتل خير مما تفعل بنا فامر بهم الى السجن فاوحى الله
الى شعيا النبي ان قل للملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومعه ينفروا ويروا اثرهم
وليكرمهم ويجعلهم حتى يبلغوا بلادهم فيبلغ ذلك شعيا الملك يفعل فخرج سنجاريب
ورفعه حتى بلغوا فدمر بابل فلما قدموا بابل جمع الناس فاخبروه كيف فعل الله تعالى
بجنوده فقال له كذبتم وسحرتم يا ملك بابل فدعنا نقص عليك خبرونا وخبر نبيهم

BULAC

اللهم لك الحمد وصل الله وسلم
على من لا نبي بعده

ووحى الله الى نبيهم فتح قطعنا وهو امة لا يستطيعها احد منع ربهم وكان امر
سنجاريب نحو ما بالتي اسرائيل ثم جاء الله تعالى ذلك ذكره وعبره ثم ان سنجاريب
لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابنه بخت نصر فعمل بعمله
وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم فبعث الله ملكا الى اسرائيل صد بقذ
فخرج امر بني اسرائيل وان تناصروا بالملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا بينهم معهم
لا يقبلون منه شيئا بعلوا ذلك قال الله لشعيا قم به فرمذا وحي الى الماء ذلك فيما انطق
الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي بما الله يريد ان يقضي بنو
اسرائيل الذي ربا هم بنعمته واصطفعهم لنبوته وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم
كالغنم الضايعة التي لا راعي لها فتاوي شاذها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى
مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فما بعد ذلك يصرن فتنا كلحن فباشتها فتقتل
بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر بعد ذلك الا الله الذي كثيرة

لا يدرون ان جابر الكبير الجبار الكبير مما يذكر وكهنه وان الحمار مما يذكر
الذي ينبع عليه فراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمر فيه وان بعولا الفرع لا يذكرون
مرجيتا جابر الكبير ونعم اولوا الالباب والعقول ليتبروا بقوم لا كبير ابا ضارب لهم مثلا
فليستمعوا قل كيف تروج ارض خرابا رمانا لا عمران فيها وكان لعزيز حكيم قوي فاضل عليها
بالعمارة وكبر ان تجد ارضه وهو قوي او يقال وهو حكيم جاد فاضل عليها جدارا
وتنبيه فيها قصورا وانبط نهرا وصف فيها غراسا من كل الثمار والزهار والنخيل والاعناب
والوان الثمار كلها وولى ذلك واستخلفه ذا راي وهمة حصيفا فوليا فلما اكملت جاء
ضعفها خروبا فقالوا ليست الارض هذه يرى ان بعد جدارها وقصرها وبدد فيه
نهرها ويغبض فيضها ويجري نهرها حتى تكون تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لا عمران
بعدها قال الله تعالى قل لهم اكبد ازدهت وان القصر شيد بعيث وان النهر كتاب وان الغيم
تيبس وان الغراس تقع وان الخروب الذي اصلح الغراس اعمالهم الخبيثة وانا قد قضيت عليهم
قضاء على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يبتغون الى بخت البقر والغنم وليس بناني الامم
والا الكلة وبد عون انه يتقربوا الى الله بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرم قتلها محضوبة
منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون بالبيوت ساجدة ويكفرون راجوا قدها

ان يخسون

٣٤٥

ويتجسسون فلوبهم واجسادهم وبدنسونها ويزورون المساجد ويزينونها
ويجرون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها ما حاجة الله بتشييد البيوت ولست
اسكنتها وما حاجة الله بتزويق المساجد ولست ادخلتها انما اوتيت بر معها لذكر
واتيت به فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك
صدقاتنا وعونا بمثل جنين الحمار وبكينا مثل عواء الكلاب فعلى ذلك لا يستجاب لنا دعاء
قال الله وما لي لا اغضب ممن لا يستجيب لي انا اسمع السامعين وابصر
وانا ارحم الراحمين وارحم الراحمين فكيف اربع صياحهم وهم يتجسسونه بقول الزور ويتقولون
عليه بكذبة الحمار فكيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى سخاريتي وبما في ويتعهد
معاصي فكيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بالحرام غير بما انما اجر عليها
لعلمها المغصوب فكيف استجيب دعاءهم وانما هو قولهم بالسنتهم والعمل رد لك
بعيد وانما استجيب للدعاء اللبيب وانما اسمع قول المستضعف المستكين وان
علامة رضاي عن العاكفين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل
مشغولة واحاديث منوارثة مثالب ما يولد السحر والكهنة وزعموا انهم لوشاءوا
اربا توا بحديثها مثله بعلمهم ولوشاء ربنا لعلموا على علم الغيب بما يوحى اليه النبيا كيلا
يعلموا وان قد قضيت بيوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وختمته على نفسي
وجعلت دونه اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا بما يتعلمون من علم الغيب فليخبروا
متى ينفد ما في ايدي ربي وابقى ما عندي وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاء ربي فليأتوا بمثل القدرة
التي بها امضيته فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان كانوا يقدرون على ان
يزيلوا ما يشاء ربي فليزيلوا مثل الحكمة التي اودعها ذلك القضاء ان كانوا صادقين
وانى قد قضيت بيوم خلقت السماء والارض ان جعلت النبوة بالاجراء وان جعلت الخلق
الرعاء والعز بالاذلاء والقوة بالضعفاء والغنى بالفقراء والعلم بالجهلة والحلم بالسفهاء
فسلم من ذلك القضاء بها واعوانها فهذا اللسان واعوانه كانوا يعلمون انى باعث لذلك
نبيا اميا اعمى من عميان ضلال ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده للحق وابقيه كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

BULAC

العلم الخير وصل الله وسلم
على من لا نبي بعده

خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد
اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر
به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة وارفع به بعد البرهة واولجا به
بعد فلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر توحيدك وايمانا برسولك خلصا يطولون لك قياما وقعودا
وركعا وسجدا يبتغون بسيلك صبوبا وجوها ويتجوبون مرادهم ومواقع ابتغاء
رضوانك انعتهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد يتبسرهم
في مجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون يهللون يقدسون على دماثهم
ويكبرون على الوجوه والاكام ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماهم وانا جالسهم
بصدورهم زهرا بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلحقته شجرة فانفلقت
له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة ثوبه بمارب ايامها فهو الهدب
فنشروها بمنشار حتى فصلوها فصلوها وسطها واستخلف الله
بعد ذلك على بني اسرائيل رجلا منهم يقال له يوشع بن نون وهو يومئذ نبي
فيما وكان من بني هارون عليه السلام وهو ابن اخي ارميا وهو
يسمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتز خضرا فبعث الله
ارميا الى ذلك الملك بعهد ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا
المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ايت فرعة من بني اسرائيل فاقصص عليهم
ما امرتك به وذكرهم وعرفهم باحداثهم فقال ارميا يا ضعيفا اين تقوى على حمل هذا وان تبلغ
مخذول ابن مخذول فقال الله تعالى اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب
واللسنة بيدي اقلبها كيف شئت انه معك ولن يصل اليك شيء معي فقال ارميا وما بد
ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة يبكي لهم فيها ثواب الطاعة
وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل وانه حلفت بعزتي لاقبضن لهم
قبضة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ابسط النفس وانزع رحمته
يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل

بنا فرة

بنابث وتابث اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج به بسيما نية الى الرابية
ودخل بيت المقدس بجنوده، وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت
المقدس وامر جنوده ان يقاتل رجل منهم ثلاثة اثرابا ثم يفتح قبة بيت المقدس ويعفوا
حتى يملئوه، ثم اوحى الله تعالى الى بلدار بيت المقدس سلم ما جمع عندك كل صغير وكبير
من بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت عساكرهم جنده، واراد ان يقتسمها
فيهم قال له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك انا عبيدك فاقسم بيننا نهولا الصبيان
الذين اخترتهم من بني اسرايل فاقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة
وقسم من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق ثلث اقربا الشام وثلث قتل وثلث سبا
وذهبت بابنة بيت المقدس وبالصبيان الصغير الذين اختارهم فدسم بابل وكانت
هذه الوقعة الاولى التي اثر الله بني اسرايل بكلمة بذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد
اولبهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد. يعني بخت نصر واصحابه ثم ان بخت
نصر اقام ببابل سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة افزعته فدعا اشياخ اصحابه وعلمائه الذين
يعبدون بعل وحنانيا وعزاريا ومنشا بيل وكانوا مدبري الامور. وسألهم عنها فقالوا
اخبرنا بها نخبرك بتاويلها قال ما اذكرها ولكن لتخبرونني بها وبتاويلها لانزعنكم
لحم جوارحكم عندها فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سألهم عنه بعلمه، فقالوا رأيت
تمثالا قدماه وساقاه من نحاس وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب
ورأسه وعنقه من حديد فقال صدقتم فقالوا فبينما انت تنظر اليه اذ بعث الله اليك ملكا من
السماء فدقه فجعله كالهباء. قال صدقتم. فما تاويله قالوا انا تاويله
انك اربت ملك الملوك بعضهم كان اكبر ملكا وبعضهم كان اصغر ملكا وبعضهم كان اشد
ملكا فالذهب الذي رأسه ثم بوقه النحاس الذي منه ثم فوق النحاس الفضة احسن ذلك
وافضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فتقوى واعزم الكل فلما
رأيت الحجر الذي رأيت ارسل الله من السماء. فدقه بعثه الله من السماء. فيدق ذلك اجمع
ويصير الامر اليه ثم اقبل بابل فقالوا لبخت نصر اربت نهولا الغلمان من بني اسرايل الذين
سألناك ان تعطينا اياهم فجعلت فانا قد ذكرنا نساءنا منذ كانوا معنا الغداة ابناءنا
انصرفت وجوههم عنا اليوم فاخرج من بيننا ظهرانينا واقتلهم فقال شانكم بهم

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

فمن جاء يقتل يكون يوم بدر فليقتل فلما قربوه للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا
يا ربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا الذين كان منهم مع نبي نصر
منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما اراد الله تعالى بعثهم انبعث
بقال كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا فبعثوا احدهم بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا العاشر
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الحادي عشر بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني عشر بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث عشر بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع عشر
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس عشر بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس عشر بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع عشر بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن عشر
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع عشر بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا العشرين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والعشرين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والعشرين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والعشرين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثلاثين بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والثلاثين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والثلاثين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والثلاثين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الأربعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والأربعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والأربعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والأربعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخمسين بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والخمسين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والخمسين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والخمسين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الستين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والستين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والستين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والستين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والستين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والستين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والستين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والستين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والستين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والستين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السبعين بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والسبعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والسبعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والسبعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثمانين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والثمانين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والثمانين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والثمانين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التسعين بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والتسعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والتسعين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والتسعين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا المائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا المائتين بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والمائتين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والمائتين
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والمائتين بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والثلاثمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والثلاثمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والثلاثمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الأربعمائة بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والأربعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والأربعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والأربعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والخمسمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والخمسمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والخمسمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الستمائة بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والستمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والستمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والستمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والسبعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والسبعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التاسع والسبعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثمانمائة بورقهم
فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا
فبعثوا الحادي والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثالث والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والثمانمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الخامس والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السابع والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثامن والثمانمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا التاسع والثمانمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا التسعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الحادي والتسعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الثاني والتسعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا الثالث والتسعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم
فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الرابع والتسعمائة بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا
فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا الخامس والتسعمائة بورقهم فنظر الى طعامه
فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا فيحيينا فبعثوا السادس والتسعمائة
بورقهم فنظر الى طعامه فاذا هو قد صار رمادا فرجع اليهم فاخبرهم فقالوا لعل الله ان يرحمنا
فيحيينا فبعثوا السابع والتسعمائة بور

342

ذلك بعث الله عليهم ملكا رسلوط بابل يقال له خردوش فسار اليهم بالعمل بابل
حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر بسبي ذراريهم وجنودهم ويقال له بيرزاذان
صاحب القتل فقال له إني كنت خلقت بالأمس لبني إسرائيل صخرة على أصل بيت المقدس
لا أقتلهم حتى يسيل الدم به وكنت عسكرت هناك لا أجد أحدا إلا قتلته فما زالوا يقتلهم
حتى بلغ ذلك منهم ثم إن بيرزاذان دخل بيت المقدس فجاء بالبقرة التي كانوا
يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسأل عنه فقال يا بني إسرائيل ما شأن
هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يتقبل منا فذلك الذي يغلي
ولقد قربنا القربان من ثمار مائة سنة يتقبل منا إلا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا
لو كان كذلك لما تقبل منا ولكن قد انقطع منا الخير والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا
فذبح بيرزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين وعشرة وسابع فلم يهدأ
الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف
من شبابهم وأزواجهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيرزاذان الدم لا يهدأ قال لهم
يا بني إسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد كان ما ملكتم به الأرض تفعلون
ما شئتم قبل اليوم أذنبتم ذنبا فأخبروني به لعل الله أن يرد عليكم ما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه
الخبر فقالوا هذا دم نبي كان ينصحنا ما أمرنا بأمر قط إلا رأينا الرشد فيه وكنا نحن نعصيه
وكان يخبرنا عن ربنا فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيرزاذان
ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا فقال لهم صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم فلما رأى
بيرزاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لم حولا أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا كل
بهائمكم من جميع البر وشرذمة من بني إسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا فقد علم ربك
ما أصاب قومك من جهدك وما قتل منهم فبهذا تأذن لي قبل أن أبيد من فوق الأرض أحدا فعند
الدم بإذن الله تعالى ورفع بيرزاذان عنهم القتل وقال لهم أمنتكم أمنتكم به بنو إسرائيل
وانبعث الله لهم نبيا وقال لبني إسرائيل إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى يسيل دمي
وسكت عسكره وإني لا أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فإنا نرجو أن يجبر
ورفع بيرزاذان عنهم القتل وجمع أموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فجمعها حتى سأل
الدم بالعسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فكفنوا على ما قتل من المواشي فلم يكفن

الحمد لله حمدا و صلى الله على من لا نبي بعده

خرد و شر الا ما يء الخندق و رد ما بنى اسرائيل فلما بلغ الخبر عسكره ارسل الى بيوراد ان ارفع عنى القتل ثم انصرف الى بابل و هذا فتن بنى اسرائيل و هذه هى الرفعة الاخرى التى انزل الله فيها اسرائيل قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الرفعة الاولى بخت نصر و جنوده، و الاخرى خرد و شر و جنوده، و ما ثم اعظم الرفعتين لم تقم لهم بعده لذرايته و انتقل الملك بالشام و نواحيها الى الروم و البونانيين الا ان يغلبوا بنى اسرائيل كثيرة و ما ثم لهم الرياسة و هيبت المقدس و نواحيها على وجه الملك و ما زالوا بعده الى ان بدلوا و احدثوا فسلط الله عليهم كطوس بن اسبسيانوس الرومى فخرب بلادهم و كرد بن عنها و نزع الله عنهم الملك و الرياسة و ضرب عليهم الذلة فليسوا الى اليوم عليهم الضعاف و الجزية و بقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب بعمره المسلمون بأمره

وقيل بسبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يركب و يحف مجلسه و ان الملك هوى بنت اخ الملك فسألها ان ترضى بيحيى بن زكريا عليهما السلام

على سبب قتل سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام

فسألت ابن عم لها يقال له فلان فقال لها ان يحيى ينهانا عن كل ما نهوى فقالت له فما ترى فقال ان سألك فقولى ما أريد غير رأسه فى طست من ذهب فلما سألها قالت ما أريد غير رأسه فلما ابت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه و الرأس يتكلم بقول لا تحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فرمى عليه فجعل لا يزال يلقى عليه التراب و هو يغلى حتى بلغ سور المدينة و هرب ذلك البرقى و يغلى فسلط الله عليهم ملكا بابل فخرب بيت المقدس و قتل سبعين الفا حتى سكن **قوله عز و جل** عسى ربكم ان يرحمكم يعنى يا بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم و ان عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة **قال** قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم فيهم فسلم يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون و جعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى سجنا و مجلسا و الحصير الذى هو الحبس **و قيل** فراشا كالحصير الذى ينسج و يفترش **قوله تعالى** ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم اى الطريقة التى هى اصوب **و قيل** الى الكلمة التى هى اعدل و هى شهادة

ان لا اله الا الله

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

313

ان لا اله الا الله ويبشر يعني القرآن المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار في الآخرة ويدع الانسان اي على
نفسه وولده وماله بالشر يعني قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك
دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك
ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له
فيه وقال معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قوله عز وجل وجعلنا الليل
والنهار آيتين اي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان احدهما
ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دالتين للخلق على مصالح الدين والدنيا
اما في الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه
اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان
مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في
المعاش والكسب والقول الثاني ان المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس
والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء وجعلنا
آية النهار مبصرة اي تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين
جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكي ان
الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي النور وسأل ابن
الكوا عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتتوصلوا
بضوء النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معاشكم ولتعلموا اي باختلاف الليل والنهار
عدد السنين والحساب اي مما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت
الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف
وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب بني على اربع مراتب
الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام
والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شيء فصلناه تفصيلا يعني
وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل
انه تعالى لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد

ابن عباس

فيه

الحمد لله حمدا وصلى الله وسلم
على سيدنا النبي بعدي

وروحه ما خرا نعمتان من الله على اهل الدنيا وكل ذلك تفضلا منه بلا جزاء قال وكل شيء
بقضاء وقضيا قوله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى كما يرد بمعنى فعل ابن عباس
عمله وما قدر عليه فهو ملازمه ايرى ما كان وقيل خير وشر معه لا يفارقه حتى يحاسب
به وقيل ما سعى لوجه الله وبمعنى فعل مكتوب بيمناه شقي او سعيد وقيل اراد
بالكافر ما قضي عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك
كان له سهم اذا خرج يعني ان الجزاء ما كان عمله لزوم الفلادة او الغل لا يتعدى عنه
والعنق بمعنى عنقه كتابة عن اللزوم كما يقال جعلت هذا بعنقك اي فلتكن هذا
العمل بالزمك الاحتفاظ به وانما خص العنق دون سائر الاعضاء لانه موضع القلائد
والاطواق والغل ما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان كالقلادة او على العنق وهو ما يزينه
وان كان عمله شرا كان كالغل بالعنق وهو ما يشينه ونخرج له بمعنى الله تعالى ونحن
نخرج له يوم القيامة كتابا يلقيه منشورا قيل لم يسمع للانسان صحيفة ووكل به ملكان
يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفة وجعلت معه في قبره فلا تنشر الى يوم
القيامة اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قارئا
في الدنيا يكفي بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب
نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بكفلي للعبد فاجعلني احاسب بعضي فيقال له
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بعامله وعقاب الذنب مختص
بعامله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل
حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنب نفسه
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة ومحو العذر وفيه دليل على ان
ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه امرنا الاتراك بالعمل ثم ان لفظ
الاية لا يدل على انه تعالى انما امر بفعال الكثر المعدين بمعنى انه تعالى امر بالاعمال الصالحة
وهي الايمان والطاعة وبعمل الخير والفسوق خالفوا ذلك الامر عنادا وبغيا والقول
الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فعصا فحق بذلك امر القوم اذا كثروا وامر الله اذا كثر

ومنه الحديث

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله
تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش
فيفسقوا فيها اي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها
العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها اهلاكا استيصال والدمار الهلاك والخراب
وعن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول
لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه
وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله أنهلك وفيها الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع
فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اي المكذبة
من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يحوق بذلك كفار مكة قال
عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن
ويزيد بن معاوية آخره وقيل القرن مائة سنة روي عن محمد بن القاسم عن عبد الله
ابن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا
قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن
ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني انه عالم بجميع
المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من
كان يريد العاجلة اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط
والتقتير لمن نريد ان نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد اي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو لمن نريد ان نعجل له شيئا
قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها
لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له اي في الاخرة جهنم يصليها اي يدخلها مذموما
مدحورا اي مطرودا مباعدا قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل
لها عملها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط
في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف له من العمل
وترك ما امر بتركه والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه

فزعا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلى هذه الآية قوله عز وجل
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطاء ربك
أي نرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المآل وما كان عطاء ربك محظورا أي ممنوعا
عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا إذ لا حظ للكفار في الآخرة انظر يا محمد كيف فضلنا
بعضهم على بعض أي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا يعني أن تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات
منافع الآخرة أكبر وأعظم فإن نسبة التفاضل في درجات الآخرة إلى التفاضل في درجات
الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإذا كان الإنسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا
فبأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لأنها دار المقامة قوله لا تجعل مع الله
إلها آخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الإنسان
مع الله إلها آخر وهذا أولى فتقعد مذموما أي من غير حمد مخذولا أي بغير ناصر قوله
عز وجل وقضى ربك أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل
معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك أنه قرأها ووصى ربك وقال
إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الإمام فخر الدين في
تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لأنه يفتح بابين التحريف والتغيير وقد يطرق
إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم
في الدين ألا تعبدوا إلا إياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق
لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له
الإنعام والإفضال على عباده ولا ينعم إلا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين إحسانا
أي وأمر بالوالدين إحسانا أي برا بهما وعطفا عليهما وإحسانا إليهما إما يبلغن عندك الكبر أحدهما
أو كلاهما معناه إنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما
في أول العمر واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء
الأول قوله فلا تقل لهما أف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل إن أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط
عليك تراب أو رماد نفخت فيه تزيله تقول أف ثم إنهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه
يصل إليهم والثاني قوله ولا تنهرهما أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره

وانهره

وانتصر

وانتصر بمعنى قال قلت المنع الرابع يدل على المنع من الاشتهار لما وجد الجمع
قلت المراد من قوله بما ثقل لهما هو المنع من الاشتهار بالتجر بالقليل والكثير والمراد
من قوله وان تشهرهما المنع من الاشتهار المبالغة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله
وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا مما يقتضيه حسن الادب معهما قيل يجوز ان يقول
يا ابتاه يا امتاه ولا يسميهما باسمائهما ولا يكنيهما وقيل يجوز ان يقول لهما كقول العبد الذليل
المذنب للسيد الجبار الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل اي ان لهما جناحا واخفض
لهما جناحك حتى لا تمتنع من شيء احبا من رحمة اي من التشفقة عليهما للكبر هما وافتقارهما
اليك كما كنت في حال الصغر والضعف تتواضع اليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا اي وادع الله لهما ان يرحمهما رحمته الباقية وان اراد به اذا كانا مسلمين فاذا كانا
كافرين فلا يدعو لهما بالرحمة منسوخ قيل حكمها بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا اهتديا فقد رحمهما
وقيل معنى الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث اقترنهما بالامر بتوحيده
وعبادته ثم بتتبعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة
تسوء هما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالدعاء لهما والترحم عليهما فصل
في ذكر احاديث الباب وردت في بر الوالدين في عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مرني حتى اغزو فاستشرته فقال اما امك ثم ابرك ثم
امك ثم ابرك ثم امك ثم ابرك ثم ابا ك ثم ادناك فادناك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كليهما ثم لم يدخل الجنة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد
فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الوالد
اوسط ابواب الجنة فان شئت رضي الوالد وان شئت سخط الوالد اخرجه الترمذي مرفوعا هكذا وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت
ذلك الباب او اخفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قلت ثم

العمر للبر وصل الله
على من لا نبي بعده

أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله **قوله تعالى** ربكم أعلم بما في نفوسكم
أي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير والعفو فيما **أن تكونوا صالحين** أي أبرارا مطيعين
قاصدين الصلاح **فإنه** بعد تفريط كان منكم في حق الوالدين بما لا يرضى من الوالدين وغيرهما **وقيل** أو
بركت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر مما لا يخلو البشر منه شيء **يوبي** أي إذا هما ثم
تبتم إلى الله واستغفرتم مما بركت منكم فإنه كان للأوابين أي التوابين غفورا **قال** سعيد بن جبير
في هذه الآية هو الرجل يكون منه الشيء يندم عليه أي أبو بكر لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤخذ به
وقال سعيد بن المسيب **الأواب** الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب **وعنه** أنه الرجاع
إلى الخير **وقال** ابن عباس الأواب هو الراجع بما يحب به وينوبه **وعنه** أنه المسبح **وقيل**
هو المصلي **وقيل** هم الذين يصلون صلاة الضحى **يدل** عليه ما روي عن زيد بن أرقم قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال
أخرجه مسلم **قوله** إذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهي الرمل من حر
الشمس الفصال الحر وشدة إحراقه أخفافها والفصال جمع فصيل وهو الولد من الإبل
الصغار **وقيل** الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء **يدل** عليه ما روي عن ابن عباس قال إن الملائكة
تتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين **قوله تعالى** وآت ذا القربى
حقه **قيل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي أمره الله تعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم **وقيل** إنه
خطاب للكل وهو أنه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة وأن يؤتوا حقهم
من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمواساة عند الضراء والضراء وأنها ضدة
ونحو ذلك **وقيل** كانوا محاويج وهو موسر لزمه الإنفاق عليهم عند أبي حنيفة **وقال**
الشافعي أبو حنيفة لا تلزم النفقة إلا الوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب **وقيل** أراد بالقرابة
قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعم الكل على المفسر وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا أي لا
تنفق مال الله في المعصية **وقيل** لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما
أو مدا في باطل كان مبذرا **وقيل** أريد به جهود في التبذير فعال إنفاق المال في غير حقه **وقيل** هو
إنفاق المال في العمارة على وجه الشر **وقيل** إن بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه
لا خير في الشر فقال لا شر في الخير إن المبذر بر كانوا إخوان الشياطين يعني أولياءهم وأحدنا
لا نحب أن يصبح شيطانه مما يلي من رأسه أو **قيل** أمثالهم في الشر وهذا غاية المذمة

لما فيه لما تشر من الشيطان والعرب تقول لكل مرهو ملازم له ستة فهو هواجوع وكان الشيطان لزمه بهورا اى يحمد النعمة بما ينبغي ايضاع لانه يدعو الى مثل عمله **قوله عز وجل** واما تعرضن عنهم ابتغاء نزلت بمجمع ببلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم الحاجة يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويسكت عن القول فنزلت هذه الاية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اى انتظار رزق من الله ترجوه اياتيك فقل لهم قولا ميسورا اى ليننا جميلا ابعدهم وعد انطيب به قلوبهم **وقيل** هو ان يقول رزقنا الله واياكم مرفقه **قوله تعالى** ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان تستكسيك درعا وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي ما عندنا شيء يقمصك فاذا بعد الينا وقتا اخر بعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك بعد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوبهم فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها اى بالعطاء كل البسط اى فتعطي جميع ما عندك **وقيل** هذا مثل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امرنا بالاقتصاد الذي هو الاسراف والتقتير فتقعد ملوما اى عند الله لما لك ممن مرض عنده **وقيل** ملوما عند نفسك واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية **وقيل** يلومك سائل يكون على الامساك اذا تعطي محسورا اى منقطعا بك لا شيء عندك تنفقه **وقيل** محسورا الى نادما على ما فرط منك **ثم قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يرفقه من الاضافة بان ذلك ليس بقربة يتعبد عليه ولا التخلف منه عليك **فقال تعالى** ان ربك يبسط اى يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم باحوال عباده وما يصلحهم بالتوسعة والتضييق ان العباد ليس لاحد البخل بل لاحد عناية بمصالح العباد **قوله عز وجل** ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اى فاقة وفقر نحن نرزقهم واياكم وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يادون بناتهم خشية الفاقة او يجامرون عليهم من النصب والغارات او انهم ينكحون لغير الكفاءة لشدة الحاجة فتؤذ لك عارا شديدا عندهم فنهاهم الله عز وجل وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الرزق بيد الله وكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال وكذلك يفتحه على النساء ان قتلتم كان خطأ كبيرا اى اثما كبيرا

يفتحها

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة اي قبيحة زايدة على حد القبح وساء سبيلا اي بئس طريقا
طريقه وهو ان يغصب امراة غيره ... او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر
الذي شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على
نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب
ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وجل القتل انما يثبت بسبب عارض
فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل جل القتل فيها
وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق اي الا باحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث
الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه في الصحيحين ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا يعني قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو ان يخير
فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ الدية وان شاء عفا فلا يسرف في القتل اي الولي قال ابن
عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله
حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد
وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه
جماعة من اقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل انه كان منصورا وقيل الضمير راجع
للمقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير
خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول معناه انه كان منصورا
على القاتل باستيفاء القصاص منه او الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل اراد به
القاتل المتعدي يقول لا تتعد بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولي القتيل
منصور من قبلي عليه باستيفاء القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن اي بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وحفظه عليه حتى يبلغ
اشده هو بلوغ النكاح والمراد بالاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام
بمصالح ماله فلو بلغ غير كامل العقل لم ينفك عنه الحجر واوفوا بالعهد اي الاتيان بما
امر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه

ان العهد

ان العهد كان مسئولا اى عنه وقيل مكلوبا وقيل العهد يسئل عن صاحبه فيقال له
نقضت كالوءودة فيما قتلت فوله عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم المراد منه
اتمام الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم
الى ما هو اكثر منه وقيل هو القبان وقيل هو ميزان سريانى والاصح انه عربى ماخوذ
من القسط وهو العدل امر بوزنه بالعدل المستقيم واعلم ان التباعات الحاصلة تنقسم
بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل شديد عظيم فوجب
على العاقل الاحتراز منه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات
والبيع والشراء فالشارع بالغ فى منع التكثير والنقصان تسهيلا لهذا الامر العام الذى ابتلى
كل احد وحسن تاديبا احسن عاقبة من اذا ارجع وهو ما يئول اليه امره فوله
تعالى ولا تقف اى ولا تتبع ما ليس لك به علم اى لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع
وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس
والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه نفو اللسر يتبعها ويقفوها وحقيقته
انه لا يشهد احد بالظن لان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا معناه
يسئل المرء عن سمعه وبصره وفواده وقيل يسئل السمع والبصر والفواد عما فعله
المرء بها وليد فعل هذا ترجع الاشارة الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى الاربابها عن
اشكل بن حميد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعوذا اتعوذ
به قال فاخذ بيدى ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر
قلبى قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب
فوله وشر منى يعنى ماء وذكر فوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا اى بطرا وكبرا
وخيلاء انك لن تخرق الارض اى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال طولا
اى لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا يبلغ بكبره وبطره شيئا
كثيرا يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شئ وقيل الخيلاء التى يمشى مختالا يمشى
مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه يقبل لما انك لن تخرق الارض اثبت على صدور قدميك
عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفؤا كانما ينحط من صبب
اخرجه الترمذى فى الشمائل فوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام وفوله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

على حسن وجهه صلى الله
عليه وسلم وحسن مشيته

وقوله كأنما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أي كأنه ينحدر من موضع عال
عن أبي هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض
تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله لغير مكترث
أي شاق والاكتراث الأمر الذي يشق على الإنسان كل ذلك كان سيئة عند ربك
مكروها أي ما ذكر من الأمور التي نهى الله عنها فيما تقدم فإن قلت كيف قيل سيئة
مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها
سيئة وقيل مجازه كان سيئة وكان مكروها وقيل إنه يرجع إلى المعنى دون اللفظ
لأن السيئة الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوامر
والنواهي في هذه الآيات مما أوحى إليك ربك من الحكمة أي الأحكام المذكورة في هذه
الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان والملل لا تقبل النسخ والإبطال
فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل إن حاصل هذه الآيات يرجع إلى
الأمر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة وذلك
من الحكمة وقيل إن هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع
الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة
واعلم أن الله تعالى افتتح هذه الآيات بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك
وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد
لأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم إنه تعالى ذكر في الآية
الأولى أن الشرك يجب كون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية ولا تجعل مع
الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم أما
كونه مذموما فمعناه أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهو مذموم ثم يقال له لم
فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم والفرق
بين المخذول والمدحور أن المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعود
المطرود عن كل خير قوله عز وجل أفأصفاكم ربكم يعني أفخصكم واختاركم
فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بأفضل الأولاد

وهم البنون

وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم
بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين
بهذا القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه
الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون انفسهم عليه حيث يجعلون له ما يكرهون
لانفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن يعني العبر والحكم
والاحكام والامثال والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اي
ليتعظوا ويعتبروا وما يزيدهم اي تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق
قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا اي لطلبوا يعني
هؤلاء الآلهة الى ذي العرش سبيلا اي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا
بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لعرفوا الله فضله فابتغوا ما
يقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه بقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد مما يصفونه به قوله
عز وجل يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني الملائكة والانس والجن
وان من شيء الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات
والناميات وقيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح
ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت
تركت التسبيح وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح
وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا
فاذا توسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت
التسبيح وقيل وان من شيء جماد وحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض
السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان او جمادا وتسبيحها سبحان
الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وانتم
تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا
فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم ثم قال حي على
الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رايت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم

BULAC

الحمد لله حمده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل اخرجه البخاري م عن جابر بن سمرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت اني لاعرفه الان خ عن ابن عمر قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه
فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء ففي هذه الاحاديث
دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض
والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث يدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه
الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره
فينبغي ان تكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون
ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم انه كان حليما غفورا اي حيث لم
يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل واذا قرات القران
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي تحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به
وقيل معناه مستورا عن اعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال
لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي
بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله
فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما رايتك يا رسول الله
قال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا
يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا
قلت لا اله الا الله وانت تتلو القران ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به
اي من الهزء بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب
به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرا القران واذ هم نجوى وبما يتناجون به في امرك وقيل
معناه ذوو نجوى يقول بعضهم لبعض هو مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول هو
ساحر او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا
اي مظنونا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرية كذا
ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر ارانا موضعين لحتم غيب

ويسحر

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

ويسحر بالطعام والشراب ٥ اي يغذى بهما. انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه
فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وحاروا. فلا يستطيعون سبيلا اي
الى طريق الحق. وقالوا اذا كنا عظاما. اي بعد الموت. ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزاء
المتفتتة من كل شيء تكسر. انا لمبعوثون خلقا جديدا. فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت
والبلا فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم يا محمد كونوا حجارة. اي في الشدة. او حديدا
اي في القوة وليس هذا بامر الزاوية بل امر تعجيز. اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة
او خلقا مما يكبر في صدوركم قيل يعني في السماء والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات
وقيل يعني به الموت لانه لا شيء في نفس ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه
لاميتنكم ولابعثنكم. فسيقولون من يعيدنا. اي من يبعثنا بعد الموت. قل الذي فطركم. اي خلقكم
اول مرة. فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة. فسينغضون اليك رؤوسهم. اي يحركونها اذا
قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو. يعني البعث والقيامة. قل عسى
ان يكون قريبا اي هو قريب. يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة. فتستجيبون بحمده
قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقكم وباعثكم ويحمدونه حين لا ينفعهم
الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم. اي في الدنيا
وقيل في القبور الا قليلا وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين عد ذلك
قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود في الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب
القيامة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك ان المشركين كانوا يؤذون
المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا
يعني للكفار التي هي احسن اي لا يكافؤهم على سفههم بل يقول له يهديك الله وكان هذا
قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض
الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين بان يقولوا او يفعلوا الخلة التي هي احسن
وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله. ان الشيطان ينزغ بينهم. اي يفسد ويلقي العداوة
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا. اي ظاهر العداوة. ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم اي يوفقكم
للايمان فتؤمنوا. او ان يشا يعذبكم اي يمتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا
يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم. وما ارسلناك عليهم وكيلا

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

اي حفيظا وكفيلا قيل نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموت والارض يعني ان
علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات
الارضين والسموت يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه
عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتى داوود زبورا وذلك قوله تعالى واتينا داوود زبورا وهو
كتاب انزله الله على داوود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله وتحميد
وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داوود في هذه
الاية بالذكر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل
بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داوود زبورا وذلك ان داوود اعطي مع النبوة الملك
فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في الاية المراد منه العلم لا الملك
الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم فلهذا
خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية
فكذبهم الله بقوله واتينا داوود زبورا ومعنى الاية انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف
تنكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاءه القران وانه اتى موسى التورية وداوود الزبور وعيسى
الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها
الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم اي الجوع والقحط ولا تحويلا اي الى غيركم او تحويل
الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل
بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا
وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الاية وبين عجز الهتهم
ثم قال تعالى اولئك الذين يدعون يعني الذين يدعوهم المشركون الهة يبتغون الى ربهم
الوسيلة اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس

والقمر

على عدد سور الزبور

والخمر والخنزير وقال عبد الله بن مسعود لم تكن هذه الآية نزلت بمكة فقام العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم أولئك الجن وبقي العرب يعبدونهم فأنزل الله هذه الآية وقوله تعالى أيهم أقرب معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله ويتقرب إليه بالعمل الصالح ويرجو رحمته ويخافون عذابه وقيل معناه يرجون ويخافون غيرهم من عباد الله فكيف بغير عون أنفسهم الصفة إن عذاب ربك كان محذورا أي كان حقيقا بأن يحذر وكل أحد من المتقين وبني من قال فصاغ غيره من الخلائق وقوله تعالى وإن من قرية الآخر مهلكوها قبل يوم القيامة أي بالموت والخراب أو معذبوها عذابا شديدا أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقيل الإهلاك هو الموت بالمائة والعذاب هو الكبار قال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أذن الله في هلاكها كان ذلك في الكتاب أي في اللوح المحفوظ مسطورا أي مكتوبا مبينا عمن عبادة الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر ما هو وما يكون إلى الأبد أخرجه الترمذي وقوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا فأوحى الله إليه رسوله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن أستأني بهم فعلت وإن شئت أن نؤتيهم ما سألوا فعلت فإن هم منوا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فأنزل الله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أي فأهلكناهم فما الذي يؤمنهم بعد إرسال الآيات أن أهلكتهم كما مر في سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نعاجلهم بالعقوبة وقد حكمنا بامهال هذه الأمة إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة أي بينة وذلك أنها أهلكتهم بلاد العرب فريضة مرحودة يبصرها صادرهم وواردهم فظلموا بها أي جحدوا بها أنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بذلك فيما بينهم وبين ربهم بالعقوبة وما نرسل بالآيات إلا تخويفا أي وما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب بمن خالفوا وقع عليه وقيل معناه وما نرسل بالآيات بعض العبر والدلالات إلا تخويفا أي إنذارا بعذاب الآخرة لمن منع بالخير فالناس لما شاهدوا من آياته لعلهم يرجعون وقوله عز وجل وإذ قلنا لك أي واذكر

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

أسرى

على الكلام على الآية الليلة الاسراء

يا نعم إذا قلنا إذا أراد بذلك إحاطته بالناس أي إن قدرته محيطة بجميع قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان المعنى كذلك فمع ذلك لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدرته ونحو ما يفيد ذلك وما نعد منهم ملائكة وأنبياء وقد بعث من يبلغ الرسالة فنحو ينصر ويفيد على ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (الكشاف) المعنى على أن المراد منه ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري ونحو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا بمعنى واحد (أنوار) روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بعض ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازدادت المخلصون إيمانا وقال قوم أسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤيا بعين البصيرة ومعراج رؤيا مشاهدة وقيل أراد بعد ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة وأصحابه معتمرين المكان قبل الأجل وصد المشركون عن ذلك ورجع إلى المدينة فلما رجع عن ذلك العام بعد ما أخبرانه يدخلها فشق بعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل فأنزل الله تعالى صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه ذلك فأنزل جاز أن يعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهذه الواقعة كانت بالمدينة أجيب بأنه لا استحالة فيه بأن لا يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان حقيقة بالمدينة والشجرة الملعونة في القرآن يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والجثة فيها أبو جهل قال إن امرأة كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر وقيل أراد عبد الله بن الزبعرى فإنه كان يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا التمر والزبد فقال أبو جهل يا جارية زقمينا فجاءت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فما نعلم ما يخوفكم به محمد فأنزل الله تعالى جبرا عليهم أن يكون بالنار الشجر إنا جعلناها فتنة للظالمين الآيات جاز فلت أبرئت شجرة الزقوم في القرآن فلت لعنت جبرا لعمر الكفار الجبر يأكلونها لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وإنما وصفت بالعلم لعلم الله على المجاز وقيل وصفها الله تعالى به للتعريف لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهو في أصل جهنم وأبعد مكان

الى الخاتمة

الرجيم وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجرة والشوك فيجففه وقيل كل ما يريد به الى الشر والايذاء والاخفاء ناكسوا اي تمردوا وعتوا عكسوا فعله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ابعد لم خلقت كينا ابى ان يسجد وذلك ان الله خلق من تراب الارض عذبها ومالحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من المالح فهو شقي قال يعني ابليس ارايتك الكاف للمخاطبة والمعنى اخبرني هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي لم كرمته اي امهلتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله تعالى اذهب اي امض لشانك وليس هذا الذهاب الذي هو ضد المجيء ثم تبعد منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اي مكملا فعله عز وجل واستفزز اي استخف واستزل واستجهل وارجع من استطعت منهم اي ذريته واجلب عليهم بصوتك قال ابن عباس معناه ادع عليك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي اجمع عليهم مكايدك وحيلك واحشدهم على الاغواء وقيل معناه استعر عليهم بركبانك وجندك ومشاتهم يقال للراكب خيال وللراجل الجر والانس كل من قاتل ومشى في معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل الجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فمثل ما اصيب حراما او انفق في حرام وقيل هو ان يأمرهم بما وقيل كما نواعدك بموته بالهتم او بجرموته مما بالجدري والعاهة والوصيلة والمشاركة في الاولاد قرر ذلك عن ابن عباس انها المؤودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هو تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يغيروا اولادهم عن الاديان الباطلة كما يهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل المشاركة ان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا قيل باسم الله اصاب معها ما اراد وان لم يقل باسم الله شاركه الشيطان في ذلك وقيل ان يجامع في الدبر وقيل ان يأتي المرأة في قبلها من ورائها وقيل هو ان ينزل الرجل ثم يخرجه قبل ان يتم انزاله وقيل هو ان يجامع في بعض الاحوال التي يحرم فيها الجماع وقيل هو ان يجامع في الاحرام وقيل هو ان يجامع في الصوم وقيل هو ان يجامع في المساجد وقيل هو ان يجامع في الليل ثم يغتسل قبل طلوع الفجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي

على ما قيل في معنى قوله وشاركهم في الاموال الخ

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

معه

فعل

يغفر

استشفت وبرجحها شعلة نار فقال ذلك مروان الجزو وعدوه اي منهم الجميل عما عند
وقيل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان يغفر او انه
لا مضرة به بعد البتة وذلك لا يكون الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه
الحيوة فيقدر عند ذلك انه لا مضرة البتة بعد هذه المعاصي فاذا ابرز هذا النوع قرر عند كل
هذا الفعل يعيدانوا عما اللذة والسرور والحياة للانسان في الدنيا الباقية مصروفة الى المعصية ثم ينفرد
بعد الطاعات وهو ان يقرر عنده ان الجنة والنار ولا عذاب فلا بد بد
فيها وقيل معنى عدوه اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الاجل فان قلت
كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الاو والله تعالى يقول انا لا نضيع اجر المحسنين قلت
هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك
فستعرف ما يترتب عليه وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي يزين الباطل بما يغض
انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم ازدقه ما يليق ان جزاء وعد
بقوله وما يعدهم الا الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه لا بد لهم من الغضاء
الشهوة وكلب الرياسة وغير ذلك ولا بد لهم من معرفة الله وتلك الاشياء
التي بد لهم منها خالية عن كل حقيقة لعما ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة
واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك
واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت المحبة فيها غرورا ان عباد ليس لك عليهم
سلطان يعني عباد الانبياء واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوائهم وكفى بربك
وكيلا اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكر ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة
كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اي فالله
تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم
من اغوائه واضلاله وفي بعض الاخبار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجتني
من الجنة لاجل ادم وسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك
قال وعزتي ما استطعت منع الابد قال وادم يارب سلطت ابليس علي وعلى ذريتك
ولم تسلطني على ابليس قال لانه لا يراك ولذا وكلت به من يحفظك قال يارب زدني
قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال يارب زدني قال التوبة معروضة

ما دام الروح في الجسد

ما دام الروح في الجسد فقال ربي زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وفي العنبر أن إبليس قال بارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما فراشتك فقال الشعر فقال فما كتابك قال الوشم قال ومؤذنك قال المزمار قال فما أيش طعامك قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابك قال كل مسكر قال فالحمامات قال وأين مجلسك قال الأسواق قال وما جبايتك قال النساء قال وما أذانك قال المزمار قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم أي يسوق ويجري لكم البلد أي الشعر في البحر لتبتغوا من فضله أي لتطلبوا من رزقه بالاتجار في التجارة وغيرها إنه كان بكم رحيما أي حيث يسر لكم هذا المتاع والمصالح وسخرها عليكم وإذا مسكم الضر في البحر أي الشدة وخوف الغرق في البحر ضل من تدعون أي ذهب عنا وعنكم وخواطركم كل من تدعون في حوائجكم من الأصنام وغيرها إلا إياه أي إلا الله وحده فإنكم لا تدعون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لأنه القادر على إغاثتكم ونجاتكم مما نجيتكم أي أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم إلى البر أعرضتم أي عن الإيمان والإخلاص في الكلمة وبحر النعمة وهو قوله وكان الإنسان كفورا أي جحودا لما منتم أي بعد إنجائكم أن يخسف بكم جانب البر أي يغور والمعنى أن الجبال كقوله وفجرنا الأرض عيونا وبحرا بل الكل الغور في البحر فهي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه يغيب تحت التراب كملان الطرق يغيب تحت الماء أو يرسل عليكم حاصبا أي يمطر عليكم حجارة كما أمطرها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا أي ما تعاونوا صرفا أم أمنتم أن يعيدكم فيه أي في البحر تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم قال ابن عباس هي الريح العاصف وهو الشديد وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره فيغرقكم بالجمع تم أي يكفر أنعمه وإعراضكم خيرا لكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي تبيع المكافأة والمعنى أنه لا يفعل بكم ما تفعلون ثم لا تجدوا أحدا يكافئنا بما فعلنا استنصارا لكم وذكرا للثأر وحقنا وقيل معناه ثم لا تجدوا أحدا يتبعنا بالإنكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال ابن عباس رضي الله عنهما سخر لهم ما في البر يركبونه ويحملون عليه وما في البحر يأكلون منه وغير ذلك وقيل بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والكتاب والقسم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال بالمحاريب والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيرها لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بأنهم خير أمة أخرجت للناس

معنى محاورة إبليس مع الله تبارك وتعالى

وبحر تمم النعمة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وحملناهم في البر اي على الابل والخيل والبغال والحمير والبحر اي وحملناهم في البحر على السفن
وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر له هذه الاشياء ليشفع بها ويستعين
بها على مصالحه ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل السمن والزبد
والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما وإما
حيوانية ولا يتغذى الانسان الا باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل
هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم ان الله تعالى قال في اول الاية
ولقد كرمنا بني ادم وفي اخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم
التكرار والاقرب ان يقال ان الله كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية ذاتية
مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم
اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل
ثم قال تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه فضل
بني ادم على كثير من خلقه لا على الكل فقيل فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا
مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى
الملائكة كلهم فان قلت كيف يصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل
كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه
قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون
فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي
كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الاولى الراجح ان خواص بني ادم وهم الانبياء
افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام بني ادم وهذا التفضيل انما هو
بين الملائكة والمؤمنين من بني ادم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن
اكرم على الله من الملائكة الذين هم عنده قوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم
اي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام
زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم

في الخير

323

بالخير والشر وقيل المعبود هو وقيل بالناس جمع أي يعني بأمهاتهم والحكمة
فيه رعاية حق عيسى وإظهار بشر الحقير والحقير وآلهة بعض أولاد الزنا بمرأى
كتابه يعبدونه ما وليد بغير ورد كتابه قال فلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم
أن أصحاب الشمال يقرؤونه أيضا فلت لعل أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم
وجدوه مشتملا على معاملات عظيمة يستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون
على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه
مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤونه وأثبتها وأيضا لا يظلمون فتيلا أي ولا ينقصون
من ثواب أعمالهم أدنى شيء ومن كان في هذه أعمى المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى
ومن كان في هذه يعني الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد وجدها في هذه الآيات المنعقدة منه بعد
في الآخرة التي تعاين فيها أعمى وأضل سبيلا قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا
أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا
أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان أعمى في الدنيا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل
توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته قوله تعالى وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك
قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعه قريش وقالوا لا
ندعك حتى تلم بآلهتنا وتستلمها فحدث نفسه ما على أن يفعل ذلك والله يعلم أنه لم
يكن بعد أن يقولون استلم الحجر وقيل كلموا منه أن يذكر آلهتهم حتى يستلموا ويتبعوه
فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس فدى وقد تقدم عن النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا إنا يبعد علك أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا تجنبنا الصلاة أي
لا تجنبنا ولا تكسر أصنامنا بأيدينا وأنا نتمتعنا باللات سنة ونعبدها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك
لكم وأما الكعبة يعني اللات والعزى فإني غير متبعهما فقالوا يا رسول الله إنا نحب أن تسمع
العرب أنك أعطيتنا ما لم تعطها غيرنا فإن حشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فعل الله
أو نابذ لك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم يكلمهم الفوه يسكنوا أن يعطيهم ذلك فأنزل الله
وإن كادوا أي قاربوا ليفتنونك أي ليصدونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري أي لتختلق وتتقول
علينا غيره أي ما لم نقله وإذا أي لو فعلت ما دعوك إليه لاتخذوك خليلا أي ولو وصادقوك

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك. لقد كدت تركن اي تميل اليهم شيئا قليلا
اي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب
مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عن حديث النفس وكان
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح
ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله تعالى فلم يركن اليهم اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات
يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا
قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل هذه الاية
مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا
فاتوه فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء الشام وهي
الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام
وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر
النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى
يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الاية والارض هنا ارض المدينة وقيل
الارض ارض مكة والاية مكية هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره
بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالاية لان ما قبلها خبر عن اهل مكة
والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم
وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج
واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله
تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فسنة الله ان يهلكهم ولا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس
روي عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي
وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن
واكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت

واذا غربت

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت
الاية جامعة لمواقيت الصلوة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر
وقرآن الفجر يعني صلوة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بقرآن وان قرآن الفجر كان
مشهودا اي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار خ عن ابي هريرة قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا
وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي
على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة
باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكبيرها زالت
الظلمة وظهر الضوء حضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة في وقت الاسفار
فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الاية فثبت ان قوله تعالى
كان مشهودا دال على ان الصلوة في وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به اي قم بعد
نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الاية قيام الليل للصلوة وكانت
صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا ايها
المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات
الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب
ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله نافلة لك اي زيادة لك يريد فريضة زائدة
على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه
كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت
ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت
فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات فصل في الاحاديث
الواردة في قيام الليل ق عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا

الى غسق الليل اي ظهور ظلمته
وقال ابن عباس بدو الليل
وهذا يتناول المغرب والعشاء
وقرآن الفجر الخ

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

م عن زيد بن خالد الجهني قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسد شارعتبته او فسطاطه فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة بعض ابو داود ق عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا فقالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء الى ان يطلع الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة فدر ما يقرأ احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة م عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يستفتح صلاته بركعتين خفيفتين ق عن ابي جمرة نصر بن عمران الضبعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا ال عمران ثم قرا سورة اخرجه ابو داود والنسائي عن عايشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنايات من القرآن ليلة اخرجه الترمذي ق عن الاسود قال سالت عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويحيي اخره يصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج ق عن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه اخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا ق له عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع وارجاع انسان في شيء ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما طمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمد فيه الاولون والاخرون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

355

صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة وانا اخبات دعوتي شفاعة لامتي فهي
نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى
الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها شجرة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة خ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة
آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة
ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية
فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون آدم ابو البشر
خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك
حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها
ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته
التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فياتون ابراهيم فيقول
لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله
واعطاه التورية قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه
منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فياتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم
ولكن ائتوا محمدا عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله
فيقال يا محمد ارفع قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع قال فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد
يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا
فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال
فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود
وفي رواية للبخاري ثم تلى هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود
الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع بهذا حديث شعبة ذرة
وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معتمر بن هلال العبدي عن انس في
حديث الشفاعة عند ذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فاعل ثم قال فلما خرجنا
من عند انس قلت لبعض اصحابنا لو مررنا بالحسن فسلمنا فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع فاتيناه فسلمنا
فحدثنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم فقال عوده لي الرابعة
فحدثنا فقال الحمد ثم آخره ساجدا ثم يقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال شعيرة او برة او ذرة او خردلة من ايمان فاخرجه منها فانطلق فاعل ثم اعود
الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم آخره ساجدا ثم يقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فاعل فلما خرجنا من عند انس
قلت لبعض اصحابنا لو مررنا بالحسن فسلمنا فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع فاتيناه فسلمنا
فحدثنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال عوده لي الرابعة
فحدثنا فقال الحمد ثم آخره ساجدا ثم يقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج منها من كان
في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فاعل فلما خرجنا
من عند انس قلت لبعض اصحابنا لو مررنا بالحسن فسلمنا فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع فاتيناه فسلمنا
فحدثنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم فقال عوده لي الرابعة
فحدثنا فقال الحمد ثم آخره ساجدا ثم يقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فقال ليس ذلك
لك او ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله فوله
هـ وهو جميع اي مجتمع الذهن والرأي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم
فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق الارض عنه ولا فخر قال ويفزع الناس ثلاث
فزعات فيأتون ادم فيقولون انت ابو نا فاشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا
اهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا
ولكن ائتوا ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى
فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله
ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابو جعفر قال انس فكاني انظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد
فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فآخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي
ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فانا خشيت
فحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه الترمذي قوله مداخل المحامد صفة
والمحامد ثناؤه والمعنى انه عليه السلام خاص وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت
عنه وقوله فاقعقعها اي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات

الجزء الثاني

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

الترسة وغيرها مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولواء الحمد
يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي
وأنا مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة والمفاتح يومئذ بيدي يطوف علي خدم كأنهن بيض
مكنون أو لؤلؤ منثور عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم
يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال أنا أول من
تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن الشمس تدنو يوم القيامة
حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع
ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده
أهل الجمع كلهم م عن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في
عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله
جالس إلى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب
رسول الله ما هذا الذي تحدثونا والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ما قبله إنه في الكفار
ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه فيه قلت نعم فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم
المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال
وأخاف ألا أكون أحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها
قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون
فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أتدرون هذا الشيخ يكذب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد أو كما قال والأحاديث
في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو
وائل عن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه
ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن
عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل وقل رب أدخلني مدخل صدق

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

وأخرجني مخرج صدق. المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه
أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين
وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به
من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة
مخرج صدق وقيل أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج
صدق وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا
تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أمينا عند الله
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به
على من عاداني أو عزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم
وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه وقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره
على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية
قوله تعالى وقل جاء الحق يعني الإسلام والقرآن وزهق الباطل أي الشرك
والشيطان إن الباطل كان زهوقا أي كان مضمحلا غير ثابت وذلك أن الباطل وإن كان له
دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الذهاب والزوال ق عن عبد الله بن
مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت
ثلاثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله
عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من في قوله من القرآن لبيان الجنس
والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة
يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة
وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة وذلك
لأنها تنقسم إلى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الأخلاق المذمومة
أما الاعتقادات الفاسدة فكالاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوة والقضاء
والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء

آمنا

فكالاعتقاد الفاسد

وإبطال المذاهب

والخصال المذاهب الحاسدة للمؤمن وكان الفرد أو شعبا لما به القلوب من هذا النوع
وأما النوع الثاني وهو الأخلاق المذمومة فالفرد أو مشتمل على الشعير منها
والإرشاد إلى الأخلاق الحميدة المحمودة والأعمال الفاضلة فثبت أن الفرد أو شعبا من
جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلما أن الشرك فرد أو قد
يدفع كثيرا من الأمراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم به عالجوا المرضى
وما يريد أن ينفع فيه وروي عن أبي حمزة المؤمنين قال كان الفرد أو شعبا من الأمراض الباطنة والظاهرة
فيقول جديرا بأن يكون رحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لأن الكلام لا يشفع به
والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمن وخسارا للكافر وقيل لما نزل آية نزلت يتجدد
فيه تكذيب بها فتزداد خسارتهم فقال قتادة لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة
أو نقصان فقال الله الذي قص شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا فقوله تعالى
وإذا أنعمنا على الإنسان أي بالصحة والسعة أعرض عن ذكرنا ودعائنا ونأى بجانبه
أي تباعد منا بنفسه وترك الشكر بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم وإذا مسه
الشر أي الشدة والضر كالفقر ونحوه أي أيأسه فهو كما وقيل معناه أنه يتضرع ويدعوا
عند الضر والشدة فإذا تأخرت الإجابة يتيسر ولا ينفع للمؤمن يدع الدعاء ولو تأخرت
الإجابة فقوله عز وجل قل كل أي كل أحد يعمل على شاكلته قال ابن عباس على
ناحيته وقيل الشاكلة الدين يقال أي يعمل على دين الذي جبل عليه وقيل
وجه باطن وهو أن كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه فإن كانت نفسه شريفة
كانت أفعاله صادرة عنها بأعمال جميلة وأخلاق زكية كاملة وإن كانت نفسه كدرة
خبيثة صدرت عنها أعمال خسيسة فاسدة رديئة فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا أي أوضح منهاجا وأحسن مذهبا وإنما عالم فقوله تعالى
ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي في تفسير عبد الله بن مسعود قال بينما أنا
أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال
بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا
إليه وقيل رواية فقال إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية
فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة يتكئ وعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

حتى صعد الوحي فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسئلوه وفي رواية وما اوتوا من العلم الا قليلا فقال ابن عباس
هذا كذا في قراءتنا **العسيب** جريد النخل وسعفه **وقال** ابن عباس ان قريشا اجتمعوا
وقالوا لان **محمد** انشأ فينا باليمامة والصدق وما اتهمنا بكذب وقد ادعى ما ادعى
فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة وسلوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا اليهم
فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي
وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسئلوه عن فتية ذهبوا في الزمان الاول
ما كان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب **وعن** رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره
وعن الروح فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سألتم غدا ارجئنا. الله فلبث
الوحي **قال** مجاهد اثني عشر **وقيل** خمسة عشر يوما **وقيل** اربعين يوما واهل مكة
يقولون وعدنا **محمد** غدا او غدا صبحنا لا يخبرنا بشيء. حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكث الوحي وشق عليه ما تقوله اهل مكة. ثم نزل جبريل عليه السلام بسورة
تعالوا تقرأ لكم. انى بما عدل لا غدا ان شاء الله. **ونزل** بالعتيد ان حديث
اصحاب الكهف والرقيم كانوا من ايتنا عجبا **ونزل** بعد ما بلغ الوحي والغيب
ويسئلونك عن الزبير **ونزل** بالروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي
واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه **فروي** عن ابن عباس انه جبريل **وعن علي**
انه ملك له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكلها **وقال**
مجاهد خلق على صورة بني ادم ليسوا ايدي وارجل وروس وليسوا ملائكة وانهم يأكلون
الطعام **وقال** سعيد بن جبير لعلي الله خلقا اعظم من الروح غير العرش لو شاء ان يبتلع
السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل صورته خلقه على صورة الملائكة
وصورته وجسده على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو اقرب
الخلق الى الله اليوم عند الحجب السبعين وامرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو من يشفع
لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحرق اهل السموت من نوره
وقيل الروح هو الذي. ان الله سماه روحا لما به حيوة القلوب **وقيل** هو الروح المركب
في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو صحيح الاقوال **وتكلموا** في ماهية الروح

فقال بعضهم

على الكلي في الروح ما هو

على الكلام في الروح

وقال بعضهم هو الدم، الا ترى ان الانسان اذا مات لا يموت منه الا الدم
وقال قوم بعض الجواهر لدليل انه يموت باختناس النفس وقال قوم
هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل الروح معنى
اجتمع فيه النور والكيف والعلم والعلو والبقاء الا ترى انه اذا كان موجود
يكون الانسان حيا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل والاقاويل
المحكمة والصحيحة في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها
والاقاويل الواهية كل ذلك الى الله عز وجل وهو قول اهل السنة قال عبد الله بن بريدة
ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا ولا بدليل قوله تعالى قل الروح من امر ربي
اي من علم ربي الذي استأثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم الله عز وجل
الخطاب على وقيل هو خطاب لليهود لانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم
الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران
مع الاضافة فهو صفة الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكنه لم يخبر به لان تركه اخبارا به كان علما لنبوته
والقول الاول اصح وهو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح فقوله عز وجل
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم الله عز وجل وليس هذا شيئا تذهب به
ثم نثبته ذهابا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف بل نتركه لا اثرا ويثبت كما كنت
ما تقدر ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل
علينا باسترداده علينا واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك معناه
الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى بنعمة القرآن محفوظا بدأ فلت
كيف يجد ذهابا بالقرآن وهو كلام الله عز وجل فلت المراد منه محوه من الصاحف
واذهابه من الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل ان يرفع فانه ما تفسو
الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه
ليلا فيرفع ما في صدور هم فيصبحون لا يجدون منه شيئا ولا في صدور المصاحف شيئا
ثم يقيض لهم الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب أتلى ولا
يعمل بي أتلى ولا يعمل بي إن فضله كان عليك كبيرا أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك
وجعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود قوله تعالى قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله أي لا يقدرون
على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي أعوانا نزلت حين قال المشركون لو نشاء
لقلنا مثل هذا فكذبهم عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب
وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق
ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل
وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي
جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك أي لن نصدقك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا لما
تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا
يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة
وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام
والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله
ابن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب
الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى
تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم
فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت
على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت
الجماعة وما بقي من قبح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت جئت بهذا الحديث
تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا
وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي بك رأيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده
بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون البالغ من الجن

عليهم

رأيا

الرأي

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

ما بين

الرأي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم
ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني
أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا
والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فإن كنت
غير قابل منا ما أعرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا
منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط
لنا بلادنا ويفجر لنا الأنهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن قصي منهم
ابن كلاب فإنه كان سخيا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك
صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به
فإن تقبلوه فهو حظكم وإن تردوه أصبر لأمر الله تعالى قالوا فإن لم تفعل هذا فسل لنا
ربك أن يبعث ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة لك
يعينك به على ما نراك فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال
ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت
أن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك
حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا
محمد عرض قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها عليك
منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله
ما أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي
بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت
ذلك لظننت ألا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله
حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني
أرض مكة ينبوعا أي عيونا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب أي بستان فيه نخيل وعنب
فتفجر الأنهار خللها تفجيرا أي تشقيقا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
أي قطعا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل يتكفلون

BULAC

هو جمع القبيلة اى بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول
وقيل معنا، نراهم مقابلة عيانا. او يكون لك بيت من زخرف اى من ذهب واصله الزينة
او ترقى في السماء. ولن نؤمن لرقيك. اى لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
اى امرنا به باتباعك وهذا قول عبد الله بن ابى اميه. فقل اى قل يا محمد تعجبا من امرهم
لتنزيهه وتمجيده، وفيه معنى التعجب. هل كنت الا بشرا رسولا اى كسائر الرسل وما كان الرسل
الا بشرا تورهم امم الانبياء ليظهروا لله عليهم من الايات فليس امر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو
انه اراد ان ينزل ما كلفوا بفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما انا الا بشر وليس ما
سألتم به كسوف البشر وانما ان الله تعالى فذا على النبى صلى الله عليه وسلم
من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن والشفاء والنمر ونبع الماء من
اصابعه وما شبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى اعظم مما اقترحوه
وانهم اذا منتم كانوا مستكبرين ولم يكن فضح كلهم الدليل ليوم منوا فذا الله عليهم سوء ايمانهم
قوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الوحى والمعنى
وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم
وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قولهم الا ان قالوا. اى جهلا منهم. ابعث الله بشرا
رسولا. وذلك ان الكفار كانوا يقولون لرسولنا انك بشر وهل بعث الله الينا ملكا فاجابهم
الله بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اى مستوطنين غير مقيمين فيها
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى من جنسهم كان الجنس الى الجنس اميل فاما بالنسبة
الينا وبينكم اى فما ارسلنا رسوله اليكم وانى قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم
وعاندتم. انه كان بعباده. يعنى المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا اى عالما بما حوالهم
فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار من بعده
الله وهو المهتدى. ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى يعضدونهم. وفيه ايضا
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى حكم لهم بالاضلال والهداية وجب ان يصبروا
هو منير ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والخذلان استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم فى عمى انس ان رجلا قال يا رسول الله الذى تحشرون على وجوههم
الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذى امشاه

عبد الجليل

على الجليد والدنيا فادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة جبر بلغه
بلى وعزة ربنا في تمراء بصرية قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم
فقيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم
قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك
أخرجه الترمذي الحدب بالتحريك الارتفاع من الأرض عميا وبكما وصما أي لا يبصرون
ولا يتكلمون ولا يسمعون قال قلت كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم
وقد قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة وقال وجوه يومئذ باسرة وقال سمعوا لها تغيظا
وزفيرا فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت هو أحد أحد تها
قال ابن عباس معناه عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجتهم صما لا يسمعون ما يسرهم
الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد إليهم بعد ذلك
الأشياء الوجه الثالث هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون
بهذه صفتهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ما وبئس جهنم
كلما خبت أي سكن لهبها وقيل ضعفت وهدأت وغيرا يزيد لهبها
قال بإبلاء الكفار لأن الله تعالى لا يغتر عنهم وقيل معناه أراد أن يخبو زد ناهم سعيرا
أي وقودا وقيل لما أدمرجت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا
عليه وزيدوا سعيرا النار لتخرقهم ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا لما ذكر
الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب
كفرهم بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا أجابهم
الله وردّ عليهم بقوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض أي وهو عظيمها
وشدتها قادر على أن يخلق مثلهم أي بصغرهم وضعفهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه
لا شك فيه أنه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة فأبى
الظالمون إلا كفورا أي جحودا وعنادا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي أي خزائن
نعمه ورزقه وقيل خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم النعم
خزائن لما نفدت لها إذا لأمسكتم أي بخلتم وحبستم خشية الإنفاق أي خشية

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

الجافة والعفن والنتاد وهذا مبالغة عظيمة وصفه بهذا الشيء وكان
الانسان مفتورا او ممسكا بخيلا قال فلت فديو جذب جنس الانسان مرصود
جوادكريم فكيف وصفه بالبخل فلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق
محتاج والمحتاج لابد وان يحب ما يدفع به عن نفسه ضرر الحاجة ويمسك لنفسه
الا انه قد يجود لاسباب خارجية مثل ارجاء المدح او رجاء ثواب فثبت بهذا
ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
اي دلالات واعلام قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه
محلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل هو فرق البحر
واليد البيضاء ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل الحجر والنقص قيل
كان الرجل منهم مع اهله في الدار فصارا حجرين والمرأة فاختبز فصارت
حجرا روي ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن هذه الآية فقال عمر
ما كان احب ان يكون الغضية ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه
بيض مكسر ومصور وجوز مكسر وتمر وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات
هي آيات الكتاب وهو الحكم يدل عليه كما روي عن صفوان بن عسال انه يهودي
قال لصاحبه تعال حتى نسئل هذا النبي فقال لا تقل نبي فانه لو سمع
صار له اربعة اعين فاتيا فسألاه عن هذه الآية ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات
فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا
ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا
نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته
نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود. فسئل يا محمد بني اسرائيل يجوز
ان يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه واسره بالسؤال ليتبين قدمهم
مع قومه اذ جاءهم يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له
فرعون انا لا نظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مغلوبا او مغلوبا
وقيل معناه ساحرا معلوم عليك السحر فبهذه الآيات التي تعاطيها تريد. قال اي

قال الرضي

عن الآيات

قال موسى لقد علمت خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض يعني الايات التسع بصائر اي بينات يبصر بها واني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا
عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبني
اسرائيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اي اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا
موسى وقومه وقلنا من بعده لبني اي من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا
الارض يعني ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الاخرة يعني القيامة جئنا بكم
لفيفا اي جميعا الى يوم القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع
فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة نزول عيسى من السماء
قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني انا ما انزلنا القرآن الا تقريره
للحق ولما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القرآن
الا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية لكل خير
وما ارسلناك الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين
قوله عز وجل وقرآنا فرقناه اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به
بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله
تعالى لتقرأه على الناس على مكث اي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة
ونزلناه تنزيلا اي على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فيه وعيد وتهديد
ان الذين اوتوا العلم من قبله قيل هم مؤمنوا اهل الكتاب الذين يطلبون الدين قبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل
وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني القرآن يخرون للاذقان قال
ابن عباس اراد الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا ويقولون سبحان ربنا
اي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان كان
وعد ربنا لمفعولا اي كائنا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي خضوعا
لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار بكى من خشية الله حتى يعود

على استحباب البكاء عند قراءة القرآن
رجل

BULAC

الحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده

اللبن بالضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخل النار اخرجه الترمذي والنسائي
وزاد النسائي في مخرى مسلم ابدا. الولوج الدخول والمخر الانف. عمر ابن عباس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غباران لا تلتقيهما النار غبر في سبيل الله وغبر
في ان تغمر في سبيل الله اخرجه الترمذي. قوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمان
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى. عن ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده
يا الله يا رحمان فقال ابو جهل انه ليزعم انه ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الها اخر
فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم وبهذا
الاسم ايا ما تدعوا فحسن ومعناه اي بعد بالاسم شئت او ذكره او جميع الاسماء
الحسنى. قيل معنى الحسنى يعني اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها
ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد. ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها. عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته
بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن
ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك
سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقيل نزلت الاية في الدعاء. وهو
قول عائشة والنخعي وجماعة ومحمول. عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها قالت انزل ذلك في الدعاء. وقيل كان اعرابي من بني تميم اذا سلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهر بذلك بما انزل الله ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع
صوتك بقراءتك ولا دعائك ولا تخافت بها اي ابتغ خفض الصوت والسكون وابتغ
اي اطلب بين ذلك سبيلا اي كن بقراءتك وسطا بين الجهر والاخفاء. عن ابي قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وانت تقرأ وانت تخفض صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت
فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرأ وانت ترفع صوتك فقال اني اوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي. وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا. امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته. وقيل معناه الحمد لله

الذي لم

الذي عز من لم يتخذ ولدا وقيل ان كل مولود يولد بعضو ليس لجميع النعم لولد، و
واذا لم يكن له ولد أما ضر نعمه على عبيده، وقيل ان الولد يفني مال والده، بعد انقضاء به
والله عز وجل تعالى عن جميع النقايص وهو المستحق لجميع المحامد ولم يكن له شريك
في الملك والسبب باعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستغنا للحمد
والشكر وكذلك قوله ولم يكن له ولي من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر
يتعزز به وكبره تكبيرا اي عظمه عن ان يكون له ولد او شريك او ولي وقيل اذا كان منزها
عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عمر ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عمر عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر ما شكر الله
عبد لا يحمده عمر جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل الدعاء الحمد
لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عمر
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت اخرجه مسلم

انتهى ومن الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

تكملة الربع الثاني من تفسير الجزء للامام العلم العامل الحازم تكملة الله بالرحمة
وادام علينا وعلى جميع المسلمين سريال نعمه على يد العبد الذليل الراجي عفو مولاه
الجليل الصادق بن الحبيب البرادي نسبا القريشي مولدا ومنشا عفى الله له ولوالديه
ولمشايخه وقرابته وازواجه وذريته وجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم
والاموات يا حي يا سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وقايد الغر
المحجلين وعلى اصحابه اهل الله اجمعين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته
الطاهرين الطيبين صلاة دايمة مستمرة الى يوم الدين انه اليل واكرم المسئول ورضي الله
عن اصحاب رسول الله اجمعين وعن التابعين وتبعهم باحسان الى يوم الدين كتبه
للولي الصالح المرشد الناصح العارف بالله الكريم الجواد سيدي محمد بن الحداد اللهم
نفعه به ونفع ذريته به ونفع جميع من اخذ عنه يا ارحم الراحمين يا ارحم
الراحمين يا رب العالمين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

عمر احب الكلام الى الله

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الاربعاء لليلة بقيت من شوال
سنة ١٢٩٧ على يد صاحبه ومالكه العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن محمد بن عبد الله
وفقنا الله وإياه لما يحب ويرضى آمين والسلام خير وختام بعد
وفقنا الله وإياه لما يحب ويرضى آمين والسلام خير وختام بعد
وفقنا الله وإياه لما يحب ويرضى آمين والسلام خير وختام بعد

99
~~585~~

BULAC

Ms
ARABE
99

x-rite
colorchecker CLASSIC
mm